This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at http://books.google.com/

Digitized by Google

Schöllhorn

Von p. 168 an sind die Seitenzahlen in Unordnung. Sie sind um 100 zu hoch. Der Band hat eigentlich <u>552</u> Seiten, nicht 652!

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

الكتاب الثاني والعشرون
من سيرة عنتر بن شدّاد
العبسي

قال الراوي واما ما كان من الملك النعمان . سيد قبايل العربان . فانه لما راى ما جرى على عساكره من ابي الفوارس عنتر . اندهل وتحير . وتشوّش خاطره وتكدر * وارسل في طلب وزيره عمرو بن نفيلة . ليستشيره في الخلاص من تلك الورطة الوبيلة * لانه كان اوسع الناس فهمًا . * واوقع حكمةً وحلمًا . فلما حضر . فرح به واستبشر . وقال له اعلم ايها الوزير النصير . ومن اليه الراي والتدبير . قد ادركتنا الحملات . من ساير الجهات . حتى لم يكن امامنا الا الموت الاحمر . ووراءنا الا الخوف والخطر . لاننا قد دهينا بابطال وفرسان . كانها مردة الجان * لا تخاف طعن الرماح ولا تهاب لذع الجراح * وقد احضرتك الان لاستشيرك في صلح بني عبس وعدنان . فقال الوزير يا ملك الزمان . وخليفة كسرى انوشروان . اليوم قد استظهر بنو عبس علينا . واخاف ان ارسلت اليهم بالصلح يطمعون ويأتون غارة الينا . لانهم يقولون لو لم يكن قد ملأ خوفنا قلب النعمان . ما كان ارسل يطلب منا الصلح والامان . والصواب انك تذركهم بالمواكب * وتقتحمهم بكثرة

Digitized by Google

العساكر والكتايب . وتحيط بهم من كل جانب . وتبذل فيهم السيوف القواضب . والرماح الكواعب . وتسد في وجوههم الطرقات والمذاهب . وحينئذٍ يجيبوك الى ما انت لهُ طالب * فاستصوب النعمان منه ذلك المقال . وبات تلك الليلة وفي قلبه من فعال عنتر نار الاشتعال . ولما اصبح الصباح واضاء بنورهِ ولاح * حمل الملك النعمان . في ساير طوايف العربان * وبرز الى ساحة الميدان *

قال الراوي ولما تقابل الفريقان . والتقت خلقتا البطان * صاح عنتر بين اذني الحصان فخرج من تحتهِ كانهُ سرحان . واقتحم معركة الطعان * والتقى بصدرهِ عوامل الاشطان * وتبعته الابطال والشجعان * بقلوبٍ اقوى من الصوان * كانها اركان لبنان * او هضاب قرمان . وارتفع الصياح من كل جانبٍ ومكان . وانعقد الغبار الى العنان . وارتجّتِ السهولُ والوديان . من صهيل الخيل وضجيج الفرسان . واشتبك القوم بين ضراب وطعان . وضاقت في وجوههم البراري والقيعان * حتى كادت النفوس من هول المقام . تذوق كوُس الحمام . قبل ذوقها بوقع السيوف والسهام . وفي دون ساعة غيّبت المعمعة جميع الفرسان بضبابها . وكشّرت المنية عن انيابها . وفتحت في وجوه الرجال ابوابها * وانشبت في لحومهم مخلابها * ومزجت لهم كاساً مرًّا من صافي شرابها * فالت الابطال على وجوهها واجنابها . وطارت الجماجم من اعالي رقابها . ونفذت الاسنة في قلوبها والبابها

واختلفت الطعان فكثر خطاها وصوابها . وتثلمت القواضب من تواتر طعانها وضرابها . وتخضبت الاكف بالدماء وقد كرهت خضابها * وايقنت النفوس بهلاكها وذهابها وانكسفت الشمس وكان القتام حجابها * وزادت نار الحرب اشتعالاً وعظم التهابها * وتعبت الخيل حتى عجزت عن تحريك اذنابها . وعظم لفقد رجالها مصابها . وكثر بكاها ونحابها . وشابت من الفرسان فتيانها وشبابها . وكانت الحرب مثل جهنم وعنتر بابها . وقد ابصرت الاعدا من بني عبس غير ما كان في حسابها *

قال الراوي ودام القتال . على مثل ذلك الحال . حتى عوّل النهار على الارتحال . واقبل الليل بالانسدال . فدقّت طبول الانفصال . وعادت الابطال عن المجال . وقد ملّت من الصدام . وكلّت من ضرب الحسام . وطلب كل فريق مضاربه والخيام . وامتلأت الارض من القتلا . وتخضبت ساحاتها بالدما . ورجع عنتر من معركة الطعان . كانه شقيقة ارجوان . مما سال عليه من ادمية الفرسان . وهو يتذكر ما جرى له في ذلك اليوم المهول * وينشد ويقول

ياعبلَ قرّي بوادي الرمل آمنة من العُداة وان خُوّفتِ لا تخفي
فدون بيتك أُسْدٌ في انامِلها بيضٌ تقدُّ اعالي البيض والحجف
لله درّ بني عبسٍ لقد بلغوا كل الفخار ونالوا غاية الشرفِ
خافوا من الحرب لما ابصروا فرسي تحت العجاجة يهوي بي الى التلفِ

ثم اقتفوا اثري من بعد ما علموا   ان المنية سهمٌ غير منصرفِ
خضت الغبار ومهري ادهمٌ حالكٌ   فعاد مختضباً بالدم والجيفِ
ما زلت انصف خصمي وهو يظلمني   حتى غدا من حسامي غير منتصفِ
وان يعيبوا سواداً قد كسيت به   فالدرّ يستره ثوبٌ من الصدفِ

قال الراوي فلما سمع الملك زهير كلامه. هنّاه بالسلامه. وقال له لله درّك ودرّ ابيك. وباركت اللات والعزّى فيه وفيك. فما افصح كلامك. وامضى حسامك. فوالله لولاك لم يرجع الينا من اصحابنا احد. لاني رايت العرب قد سالت عليهم مثل البحر اذا ازبد. فبهيبتك انتصروا. وبسيفك فتكوا وظفروا. فشكره عنتر على ذلك الكلام. وزاد له في التوقير والاحترام. واما الملك النعمان. لما ابصر ما جرى وكان. اشتعل في قلبه لهيب الجمر. واختلى بوزيره عمرو. لانه كان يحبه ويصغي الى نصايحه. ويعد قربه من اعظم مناجحه. وقال له وحق النور والنار. ان اتانا يوم اخر مثل هذا النهار. لم يبقى منّا نافخ نار. ولا من يطلب بثار. وهذه مصيبة عظيمة. وداهية جسيمة. ما سمعنا بمثلها. ولا شاهدنا على شكلها. وان لم تدركنا حماة القبايل. بالعساكر والجحافل. والّا اصبح ملكنا زايل. فقال الوزير ايها الملك المؤيد. ما اهلك الناس الّا ذلك العبد الاسود. لانه فرّق المواكب. ومزّق الكتايب. فان لم يقتل او يجرح. لا يفلح جيشنا ولا ينجح. فقال النعمان وحق النار ذات الشرار. لو كنت اعلم اني القى من بني عبس هذا

الملتقي . واشقى في قتالهم هذا الشقا . ما كنت خرجت من بلاد العراق . وكلَّفتُ نفسي ما لا يطاق . وانما قلت متي وصلت الى هذا المكان بالمواكب والفرسان . اضايقهم بالحصار غاية الضيق . وامسك عليهم كل مذهب وطريق . ثم اطاب المجردة منهم . وافرّج بعد ذلك عنهم . واتخذ عبدهم عنتر لي من بعض الاصحاب . والاصدقا والاحباب . لانهُ اذا كان خلف ظهري مثل ذلك الفارس الادهم . والبطل الغشمشم . وقعت في قلوب العجم . وصرت عند كسرى العزيز المحترم . والان قد هانت نفسي عندي . وزاد بهولاء القوم وجدي . فان لم ابلغ منهم املي . والاَّ متُّ بغير اجلي .

قال الراوي ثم انهُ نزل في سرادقه الكبير . وهو يتفكر في هذا الامر العسير . ودار الحرس بين الطايفتين . واوقدت بني عبس النار على الجبلين . ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . ركبت عساكر النعمان . الى ميادين الطعان . بنيات فاترة . وهمم ضعيفة قاصرة . لان اكثرها كان قد اتى طمعاً في نهب الاموال . وتحسين الاحوال . وما ظنت انها تلقى من بني عبس هذا النكال . ولما ابصرت منهم تلك الفعال . آيست من بلوغ الامال . وفترت نياتها عن القتال . لانها قد شاهدت الموت قبل حلول الاجال . فعند ذلك صاح عنتر في بني عبس فركبت مثل السباع الجياع . وتبادرت الى الحرب والقراع . بقلوب لا تفزع ولا ترتاع . وقد حدثت انفسها بتمزيق تلك القبايل . وتفريق شمل تلك الجموع

ثم اقتفوا اثري من بعد ما علموا ان المنية سهم غير منصرفِ
خضت الغبار ومهري ادهم حالك فعاد مختضباً بالدم والجيفِ
ما زلت انصف خصمي وهو يظلمني حتى غدا من حسامي غير منتصفِ
وان يعيبوا سواداً قد كسيت به فالدر يستره ثوب من الصدفِ

قال الراوي فلما سمع الملك زهير كلامه. هنّاه بالسلامه. وقال له لله درّك ودر ابيك. وباركت اللات والعزّى فيه وفيك. فما افصح كلامك. وامضى حسامك. فوالله لولاك لم يرجع الينا من اصحابنا احد. لاني رايت العرب قد سالت عليهم مثل البحر اذا ازبد. فبهيبتك انتصروا. وبسيفك فتكوا وظفروا. فشكره عنتر على ذلك الكلام. وزاد له في التوقير والاحترام. واما الملك النعمان. لما ابصر ما جرى وكان. اشتعل في قلبه لهيب الجمر. واختلى بوزيره عمرو. لانه كان يحبه ويصغي الى نصايحه. ويعد قربه من اعظم مناجحه. وقال له وحق النور والنار. ان اتانا يوم اخر مثل هذا النهار. لم يبقَ منّا نافخ نار. ولا من يطلب بثار. وهذه مصيبة عظيمة. وداهية جسيمة. ما سمعنا بمثلها. ولا شاهدنا على شكلها. وان لم تدركنا حماة القبايل. بالعساكر والجحافل. والّا اصبح ملكنا زايل. فقال الوزير ايها الملك المؤيد. ما اهلك الناس الّا ذلك العبد الاسود. لانه فرّق المواكب. ومزّق الكتايب. فان لم يقتل او يجرح. لا يفلح جيشنا ولا ينجح. قال النعمان وحق النار ذات الشرار. لو كنت اعلم اني القى من بني عبس هذا

الملتقي . واشقى في قتالهم هذا الشقا . ما كنت خرجت من بلاد العراق . وكلفتُ نفسي ما لا يطاق . وانما قلبك مني وصلت الى هذا المكان بالمواكب والفرسان . اضايقهم بالحصار غاية الضيق . وامسك عليهم كل مذهب وطريق . ثم اطاب المجردة منهم . وافرج بعد ذلك عنهم . واتخذ عبدهم عنتر لي من بعض الاصحاب . والاصدقا والاحباب . لانهُ اذا كان خلف ظهري مثل ذلك الفارس الادهم . والبطل الغشمشم . وقعت في قلوب العجم . وصرت عند كسرى العزيز المحترم . والان قد هانت نفسي عندي . وزاد بهولاء القوم وجدي . فان لم ابلغ منهم املي . والاَّ متُّ بغير اجلي .

قال الراوي ثم انهُ نزل في سرادقه الكبير . وهو يتفكر في هذا الامر العسير . ودار الحرس بين الطايفتين . واوقدت بني عبس النار على الجبلين . ولما اصبح الصباح . واضا بنورهِ ولاح . ركبت عساكر النعمان . الى ميادين الطعان . بنياتٍ فاترة . وهممٍ ضعيفة قاصرة . لان اكثرها كان قد اتى طمعًا في نهب الاموال . وتحسين الاحوال . وما ظنت انها تلقي من بني عبس هذا النكال . ولما ابصرت منهم تلك النعال . آيست من بلوغ الامال . وفترت نياتها عن القتال . لانها قد شاهدت الموت قبل حلول الاجال . فعند ذلك صاح عنتر في بني عبس فركبت مثل السباع الجياع . وتبادرت الى الحرب والقراع . بقلوبٍ لا تفزع ولا ترتاع . وقد حدثت انفسها بتمزيق تلك القبايل . وتفريق شمل تلك الجموع

والجحافل. وفي دون ساعة من الزمان. وصل الى الملك النعمان. نجدة من بني قحطان. في اثني عشر الفًا من الفرسان وهم قبايل مختلفات الاديان. وفيهم طايفة تعبد الشمس والقمر. وتسجد لهُ كلَّما هلَّ وبدر. يقال لهم بنو الاشتر. والمقدم عليهم فارس منتخب. يسمى غاسق بن الاصهب. وكان حامية بلاد اليمن. وتلك الاطلال والدمن. تضرب بشجاعتهِ الامثال وتتعوذ من قتالهِ صناديد الرجال. وكان قصير القامة ازرق العينين. اسمر اللون كبير الانف والشفتين. شديد الحيل والعصب. قليل المثل في العرب. قد حنكتهُ قوارع الخطوب. وكونتهُ صروف الايام ووقايع الحروب. وكان الملك النعمان. ينفذ لهُ الهدايا على طول الزمان. ويغمره بجزيل الاحسان. ويتحفه بالعطايا الحسان. ولما جرى عليهِ ما جرى وكان. من بني عبس وعدنان. ارسل اليهِ كتاب. صحبة نجاب. يقول لهُ تعال انت وساير حلفاك. ومن يطيعك ويهواك. لاننا قد اشرفنا على الهلاك. ووقعنا في ضيق الخناق وسوء الارتباك. مع قوم لئام. غير كرام. يفسخون الزمام. ولا يعرفون الحلال من الحرام. فلما وصلت هذه الرسالة الى غاسق بن الاصهب. رحل فى اثنى عشر الفًا من شجعان العرب. واقتفى من النعمان الاثر. الى ان ادركهُ كما تقدم الخبر. فالتقاه النعمان بالتوقير والاكرام. والتعظيم والاحترام. وشكى لهُ ما فعل عنتر برجالهِ. وكيف انه فتك في فرسانهِ وابطالهِ. وبدد شملهم

وفرقهم . وشتتهم ومزقهم . وقتل منهم ما لا يحصى . ولا يبلغهُ
الاستقصا. فلما سمع غاسق كلامه طيب قلبهُ. وازال خوفهُ ورعبهُ .
واوعدهُ بكسر الاعدآء ولو كانوا بعدد رمل البيدآء. ومن عجبهِ
بنفسهِ خلع ما عليهِ من الحديد . وسلمهُ الى بعض العبيد . واخذ
في يدهِ ثلاث حراب . كانها نار الالتهاب . وعطف الى ساحة
الميدان . ومقام الحرب والطعان . كانهُ مارد من الجان . او من
عفاريت سيدنا سليمان . وطلب براز الابطال . وقال يامعاشر
الانذال . ابرزوا لي فرسانكم المذكورة . وابطالكم المشهورة . حتى
اريكم كيف يكون الحرب . والوقوف في مقام الطعن والضرب .
وها انا عاري الجسد قليل السلاح . هدفًا لشفار القواضب
واسنة الرماح . لاني اعلم ان الاجل اذا حضر وكان مقدَّرًا كاين .
لا تردهُ الدروع ولا الجواشن . فابرزوا لي ابطالكم الصناديد .
فاني لا اتكبر على الاحرار ولا العبيد . ولا أُفضّل اصحاب النسب .
ولا اذمّ عبيد العرب . بل الخلق عندي بالسوية . لان الفخر
ليس في النسب والمراتب السنية . ولكن لمن صبر لشفار السيوف
الهندية . واسنة الرماح السمهرية . لان اهل السماح تفتخر بالعطا .
وينال الشرف من ثبت في مثل هذا المقام وتجنب الخطا .

قال هذا ما جرى من غاسق بن الاصهب . وابطال بني عبس
تنظر اليه وتتعجب . وكان الملك زهير قد اعتراهُ غم جسيم . من
قدوم هذا البطل العظيم . وعلم ان النعمان . ملكٌ عظيم الشان .

Digitized by Google

وان العرب اليه متتابعة . مثل العيون النابعة . فاشتغل لذلك
سره. واطال في امر الخلاص فكره. وعلم عنتر بحاله . وما هو فيه
من انشغال باله. فقال له كن مطمان الخاطره ولا تخشى من كثرة
هذه العساكره لانه اذا اشتد علينا الضيق . دخلنا الى الشعاب
ومسكنا راس المضيق. وحفظنا منافذ الطريق. وطاولناهم بالحصار.
ولو انهم بعدد رمل القفاره ولا نصالح النعمان الا على ما نريد
ونختار. وان لم يجبنا الى ذلك. ركبت في عشرة انفار من ابطال
المعارك. وسرت بهم تحت ذيل الليل الحالك. وقصدنا مضارب
النعمان وقتلناه وملنا على هذا الجمع وفرقناه. لانه متى قتل النعمان
تفرقت قبايل العربان ه وتبددت جموعها في اقطار الارض .
ونهبت بعضها البعض

قال الراوي فبينما عنتر يتحدث مع الملك زهيره ويوعده بالنصر
والخلاص من الضنك والضيره اذا بفارس من بني عبس
برز الى غاسق. وانقض عليه مثل الباشق. واراد ان يجول معه في
الميدان. كما تفعل الابطال والفرسان. فما تركه غاسق ان يفتل
العنان . بل هجم عليه وفاجاه . وضرب رمحه فابراه . وطعنه بحربة
في صدره خرجت تلمع من ظهره *فوقع قتيلاً . وصار على الارض
جديلاً . فبرز اليه فارس اخر فقتله . وعجل الى المقابر مرتحله *
وابصر عنتر هذه الفعال . فتغيرت منه الاحوال . اسفًا على الرجال
وقال الى من حوله من الابطال ان انا برزت اليه بالسلاح

وقاتلته . ما اكون انصفته *وان بارزته من دون سلاح وراى الغلبة ولّى وهرب . واختلط بقبايل العرب . فقال شيبوب يا ابن الام انا اخرج اليه واضربهُ بالنبال واوسع معهُ في المجال وحينئذٍ تبصر اينا اقوى في العصب . واسرع في الجريان عند الطلب . قال عنتر ما انت من رجال هذا الشيطان . ولا تقدر ان تقاربه في الميدان . لان اعطافهُ تشهد بالشجاعة وقوة الجنان فبينما هما في المحاورة والكلام . اذ قد برز اليهِ عروة بن الورد البطل الهمام . وهجم عليه هجوم الاسد الضرغام . وقال لهُ لا بد لي ان اسقيك كاس الحمام* واقطع راسك بهذا الحسام . فلما سمع غاسق كلامه تهلل . وقال له وحق الليل اذا انسدل . والبدر اذا اكتمل . ما قلت الا قول الشجاع البطل . ولكن اين من يقول ويفعل . ثم انطبق عليه وحمل ولطمهُ بضربةٍ قويةٍ على صدرهِ . القاهُ عن جوادهِ على ظهرهِ* فنزل اليه وشد كتافهُ . واوثق سواعده واطرافهُ *وسلمهُ الى بعض الرجال . ثم قال لاحد الابطال قدِم لي جوادي . وآلة حربي وجلادي . حتى انجز امر هولاء اللئام . قبل هجوم الظلام . فاتاهُ برمحٍ مكعب *وجوادٍ منتخب . من افخر خيول العرب . فركبه غاسق واستلب الرمح الخارق . واخذ بيده الاخرى حربة ماضية* وحمل على بني عبس حملة واهية . وقد قلوا في عينيهِ وهانوا عندهُ وحدثتهُ نفسهُ انهُ يكسرهم وحدهُ . وينال بذلك الطبقة العليا . والافتخار على اهل الدنيا . فقتل اربعة من اعيان الرجال وفرسان المعارك

Digitized by Google

والقتال * ثم رجع بعد شي يسير . ومعه اسير يقوده قود البعير * فسلمهُ الى بعض الغلمان . وقال لهم اطلبوا به الملك النعمان . حتي اسقي من بقي كاس الهوان * فتامل عنتر في ذلك الاسير المنقاد * واذا به ابوه الامير شداد * فقامت عليه القيامة * واستفاضت فيه الحسرة والندامة * وانقض على غاسق وفاجاه * واراد ان يخلص اباه * فاعترضهُ غاسق وصاح فيه وناداه * وانطبقا الاثنان على بعضهما في القتال . كانطباق الجبال وانسع عليهما المجال * ولعبا بالرمحين * وعادا الى بين الصفين * فلم تسمع اذنٌ ولم ترَ قط عين * مما جرى لهذين الفارسين * ومن شدة فرح النعمان بغاسق * خرج من تحت الاعلام والبيارق * وتقدم الى نحو الغبار * ليكشف الاخبار . وتقدمت وراءهُ الابطال * وكثر القيل والقال * وصاح الملك زهير في بني عبس وعدنان * ومن يعتمد عليهم من الفرسان * وقال لهم كونوا على اهبة اللقاء * اذا قضي على عنتر بقضاء * ورايتم طوايف النعمان * قد حملت عليكم في هذا المكان * فالتقوهم بضرب الحسام ولا تموتوا الا كما تموت الكرام

قال الراوي فعند ذلك جرّدت بنو عبس صفاحها * وعلا منها صياحها * وقد عزمت ان تلقي على الموت ارواحها * وبلغ الخبر الى حريمها والعيال * فاقلبت بصياحها الجبال * وكشفت روسها خوفاً على الاطفال * وارخت الذوايب على الاكتاف * وخافت القلوب غاية المخاف * ورفعت اصواتها لعنتر بالدعاء *

وقد اشارت عبلة باصبعها الى السماء * ولطمت خدودها حتى تخضبت بالدماء * خوفاً من السبي بعد الصون والحماء * وكذلك فعلت سمية زوجة شداد * وعلا البكا وزاد * ودام بين عنتر وبين خصمه الجلاد * حتى عاد بياض النهار الى سواد * وراى كل واحد من صاحبه ما لا يرى * وحار الفريقين مما جرى * وما زال الامر على مثل ذلك حتى انقضى اكثر النهار * وقد استظهر عنتر على غاسق غاية الاستظهار * فعلم غاسق منهُ ذلك الحال .:. فاراد ان يخدعهُ بالمحال * وكان الغبار عليهما قد انعكف فاعنَّ غاسق جواده ووقف * وقال الى عنتر ياوجه العرب * وسيد اهل الشجاعة والادب * من تكون من الفرسان * فاني ابصرت منك ما لا ابصرته من غيرك من الشجعان * وقد سمعت ان لبني عبس فارسٌ يقال لهُ عنتر بن شداد * ومن اجلهِ قد اتيت الى هذه البلاد * ودخلت تحت طاعة الملك النعمان * وقلت في نفسي اني اذا قتلتهُ افتخرت بقتلهِ على اهل هذا الزمان * وما خرجت اليوم في هذا الزيّ الى الميدان * الاّ لاريه طرفاً من شجاعتي * وتقع في قلبه هيبتي * فربما يطيع النعمان ويجيبه الى ما يريد * واحظى انا بالذكر الحميد * والان فقد رايت منك ما ضعف جناني * واتعب مناكبي وبناني * فبحق رب العباد * انت هو عنتر بن شداد * فقال عنتر اي نعم * وحق خالق الامم * انا هو الرجل الذي سمعت بصفتهِ * ورايت طرفاً من شجاعتهِ *

ولو لم تكن قد خرجت الى معركة الكفاح * وانت خالٍ من السلاح * ما كنت بقيت حيًّا الى الان * فكفاك ما قتلت واسرت من الفرسان * والان لم يبقَ لك مني فرج * ولا خلاص من هذا الحرج * الا بالانفصال * وبلوغ الامال * حتى تكون فدا لمن اسرت من الابطال * فان اردت السلامة من الجراح * سلّم روحك اليّ واربح تعب الكفاح . والا وحق الكريم الفتّاح * طعنتك في بعض المقاتل . وتركتك ملقى قتيلاً بين هذه القبايل * فلما سمع غاسق كلامه اجابه من فوادٍ موجوع . وقد اظهر له الذلّ والخضوع * اعلم ايها البطل الندب . انني سمعت عنك انك منصفٌ في الحرب * وارى كلامك هذا من اشد الكلام الصعب . وانا ما تكلمت بذلك القول لا من خوفٍ ولا شدة * بل لوجوه عدة * اولها انك خرجت اليّ وانا تعبان . وقد قاتلت جماعة من صناديد الفرسان * والوجه الثاني تامرني بان أُسلم روحي اليك * وابقى مثل الحرمة بين يديك . ولكن ان اردت الانصاف اسمع ما ابديه لك من غير خلاف وهو ان تقلع سنان رمحك وانا اقلع من رمحي السنان * فكل من علّم على خصمهِ ثلاث مرات * وكان في جسدهِ اكثر الطعنات * وشهدت له بذلك السادة الامجاد . تصرَّف برفيقهِ كيف ما اراد . ان شاء عتقهُ وان شاء قتلهُ وضرب عنقهِ .

فلما سمع عنتر كلامه صدّقهُ * لانه كان سليم القلب صافي الطويّة * ولم يعلم بان نية غاسق له ردية * فاجابهُ الى ما دعاه *

وقلع سنان رمحه وارماه * فعند ذلك هجم عليه غاسق اسرع من لمح البصر * واستلب حربة من تحت فخذهِ الايسر * وطعن بها صدر الامير عنتر * فوقعت في كتفهِ خرجت من الجانب الاخر * فتمتع عنتر وتأخر * حتى كاد ان يقع عن ظهر جواده الابجر * ثم قوّي عزمهُ . والتقي خصمهُ . وصاح فيهِ بصوت مهول . اهتزت منهُ الجبال والسهول . وهجم عليه هجمة الليث المغوار . وقال لهُ خذها ياغدار * من يد عنتر فارس الاقطار * وطعنهُ بالرمح في صدرهِ * خرج يلمع من ظهرهِ * فسقط الى الارض . يختبط بعضهِ البعض . وعاد عنتر وقد اشتد بهِ الالم . وحلّ بهِ الاسف والندم . ودخل بين الجبلين . وقد حارت من فعالهِ العسكرين . الا انهُ ما وصل الى داخل الجبال . حتى نفرت من خلفهِ الرجال . وتبعتهُ الفرسان والابطال . واراد الملك زهير ان يكشف اخبار عنتر . لانهُ كان قد خاف عليهِ من بني الاشتر . فراي جموع اليمن قد حملت مثل البحر الدافق طالبة ثار سيدها الامير غاسق . والربيع بن زياد يصيح فيها ويخيها . ويقول دونكم ياقوم وبني عبس فقد قتل عبدها وحاميها . وانهزمت تطلب الجبال . خوفاً من الهلاك والوبال . قال ووقع النفير في قبايل العرب . فاطبقت على بني عبس مثل الغيث اذا انسكب . وحمل الملك الاسود ومعدي كرب . وكل فارسٍ منتخب . وابصر الملك زهير هذا الحال . فعاد في باقي الابطال * وحمل بنفسهِ وطلب القتال * والتقت

الرجال بالرجال * وعملت الرماح والنصال * وجرى الدم وسال * وعظمت الاهوال * وتقطّعت المفاصل والاوصال * وضاقت ميادين المجال * وتزلزلت الارض بالزلزال * واستمرت ضروب الحرب بينهم سجال * وتطاولت سهام الموت لقصر الآجال * وما زالوا في اشد القتال * حتى زهقت النفوس * وطارت الاعناق والروس * وصارت الخيل في بطون القتلا تدوس * وكان يوماً مهولاً اشد من حرب البسوس * اظلمت من هولهِ الآفاق وودّعت الارواح الى الاجساد توديع الفراق * ونزلت عليهم تقادير الملك الخلّاق * وكان النهار على القوم قد ضاق * فوقع في بني عبس المحاق * فتأخرت ومسكت راس الشعب ومنافذ الطريق * واشتغل الضرب بين الفرسان بالحراب والمزاريق * وما زال الامر على مثل ذلك * الى ان ولّى النهار واقبل الليل الحالك * فرجعت بنو عبس الى الخيام * واكلوا شيأً من الطعام . واحضر الملك زهير عنترًا الى حضرتهِ فاعتنقهُ وهناهُ بسلامتهِ . وحدّثهُ بما جرى عليهم في غيبتهِ . فقال عنتر والله يامولاي ما كان قعودي عنكم باختياري . وانما القضا قد احدث شيأً ما لم يكن بافتكاري . ولكنني لا ابالي بالجراح وسوف ترى ما افعل بهذه العساكر عند الصباح

قال الراوي واما ما كان . من الملك النعمان . فانه نزل من بالنصر فرحان * ولما استقر في السرادق * دخلت عليه سادات

اليمن من اصحاب غاسق . وكذلك اخوه الاسود و معدي كرب.
وجميع فرسان العرب * وهنوه بالنصر على الاعدا والاضداد . وما
فيهم الا من اشار عليه بقتل عروة وشداد . وطلبوا بذلك اخذ
الثار وكشف العار ٥ فقال له اخوه الاسود ان الصواب . ايها الملك
المهاب * ان تامر بقتلهما بعد ما تعذبهما اشد العذاب . فلما سمع
النعمان ذلك الكلام * قال لمن حوله من السادات الكرام . وحق
بيت النار المعظم . والجمر اذا اضطرم * انني اناسف على هذه القبيلة
كيف تهلك وتعدم * بعد ما التقت بقلة عددها هذه الطوايف
والامم فقال له الاسود * وقد اظهر الغيظ والحرد . هل مرادك ان
نفرق هذه الابطال . وترحل من هذه الاطلال . بعد ما فعل بنا
عبدهم ما فعل من الاحراق والاذلال . وانا اقسم بحق النور والنار
انه ما كان يبقى لنا عند احد قيمة ولا مقدار ولان العرب تقول ان
الملك النعمان . قد فزع من بني عبس وعدنان فيزداد فينا الطمع
ويرتفع ذكرهم وفي ما ارتفع . فقال مرادي ان ارسل الى الملك
زهير رسول . واخطب منه ابنته واسمع ماذا يقول . قال فلما سمع
القوم كلام النعمان خرجوا من عنده من غير استئذان . ثم اجتمعوا
بالاسود . وقد اظهر الغيظ والحرد *

فقال لهم اصبروا ايها السادة الكرام . حتى نبصر نهاية هذه
الاحكام . فان صالح اخي آل عبس واصرف عنه هذه القبايل .
كتبت انا الى كسرى الملك العادل . واقول له ان اخي كان

سبباً في قتل حاجبك وردشان . ومن معهُ من الفرسان . لانهُ ارسل الى عنتر فارس الخيل . وامرهُ ان يكمن للعجم في وادي تحت ظلام الليل . حتى جرى من الامر ما كان . ولا ازال حتى اعزلهُ واتولّى مكانهُ على العربان . ثم اكاتب العرب والعجم * واقلع اثار اخي من بين الامم * واقيم ناموس الملك كسرى المعظم * فلما سمعوا مقالهُ * ما منهم الا من شكرهُ ودعا لهُ . وانشرحت خواطرهم . وابتهجت سرايرهم *

قال الراوي واما ما كان من الملك النعمان * فانهُ لما خلا لهُ المكان * احضر وزيره عمرو * ليستشيره في ذلك الامر * لانهُ كان يحبهُ ويرفع موضعهُ اذا حضر * ويقبل من رايه كلما نهى وامر * فلما اختلى بهِ شكى اليه حب المتجردة * وطلب منهُ في ذلك المعاونة والمساعدة * وقال لهُ يا ابي انهُ لا يهون عليَّ هلاك هذه الطايفة العبسية * والعصابة القوية * لانهُ اذا كان خلفي مثل هذه القبيلة وفارسها عنتر * تعاظم امري واشتهر * وعظم صيتي وانتشر . وتغلبت على طوايف البدو والحضر . وجميع سكان البر الاقفر . ثم حدثه بما سمع من الروسا والقواد . بقتل عروة والامير شداد . فلما سمع كلامهُ اتاه الامر كما اراد . لانهُ كان يحب عنتر وبني عبس الاجواد . فقال لهُ يا ولدي ارسل الى القوم رسول . ورفق بهم في كلام المعقول . قال يا ابي كن انت الرسول الى القوم . لعل يقع الصلح ويبطل العتب واللوم . فقال الوزير انا

Digitized by Google

فقال الوزير انا اسير اليهم وابذل الجهد الجهيد في خطبة المجردة
ابنة زهير ذات الحسن الفريد . والصواب عندي ايها الملك
السعيد . ان تخلع على عروة وشداد الخلع الجياد . وتطلقهم من
الاعتقال . وقد انصلح الحال . وبلغت الامال . فاستحسن النعمان هذا
المقال . ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . احضر النعمان شداد
ابو عنتر وعروة بن الورد الفارس القسور . وخلع عليهما الخلع
الملوكية . والثياب الكسروية . وقال لهما يا وجوه العرب . وحق
النار ذات اللهب . ما واخذكما بسوالفكما . ولا اقابلكما على اعمالكما .
لان نيتي لكما جميلة . واريدكما ان تسيرا مع وزيري عمرو بن نفيلة
وتساعداه في خطبة المتجردة بنت الملك زهير . ولا تعودوا الي الا
بخبر الخير والا وحق منسم الارياح . وخالق الاشباح . امرت
العساكر ان تبذل فيكم السيوف والرماح . حتى لا يبقى منكم ديار
ولا نافخ نار . فلما سمعا منه هذا الكلام . ألتجما من شدة الحيا بلجام .
وتقدم شداد وقبل يد الملك النعمان . وقال له يا ملك الزمان *
من لا يعرف قدر الاحسان . ما هو انسان . ولا بد ما نجتهد في
تتميم هذا الشان . ونكون لك من جملة الخدم والغلمان . قال وما
تكلم شداد بهذا الكلام . الا مما وقع في قلبه من الخوف والاوهام *
لانه قد ايقن بالهلاك والوبال . لاجل ما فعله ولده عنتر با لابطال
فما صدق ان يسمع ذلك الخطاب . حتى انعم واجاب . فعند
ذلك ركب الوزير وعروة وشداد . من الجنايب الجياد . وقصدوا

Digitized by Google

بنو عبس . عند طلوع الشمس

قال الراوي وكانت بنو عبس قد ركبت عند الصباح . الى معركة الكفاح * واذ قد اقبل الوزير مع شداد وعروة اليهم * والجنايب تقاد بين يديهم . فلما عرفوهم اندهش منهم الكبير والصغير وتقدموا مسرعين الى لقاء الوزير . وترجلوا له الى وجه الارض * وسلموا على بعضهم البعض . ثم انهم انزلوا الوزير في الخيام . واكرموه غاية الاكرام * فلما قرب به المقام . قدم لهم الخلع والانعام * وقاد للملك زهير الجنايب الحسان التي ارسلها له الملك النعمان . وقال له قد ارسلني النعمان اليك * وهو يسلم عليك . ويخطب منك ابنتك المتجردة . حتى تبقى القبيلتين قبيلة واحدة * ففرح الملك زهير بذلك الخبر . وزال عنه القلق والضجر . غير انه تمنع بين الابطال واطرق راسه الى الارض من دون مقال . فقال الامير شداد اطلق اللسان * ياملك الزمان * وجازي الحسنات بالاحسان * لمن قدر علينا . واحسن الينا . فعند ذلك رفع الملك زهير راسه في ذلك المحضر والتفت على الامير عنتر وقال له ماذا تقول يافارس البدو والحضر * فقال ماذا اقول في رجل قد اطلق ابي * واعتق حبيبي وصاحبي * والا وحق ذمة العرب الكرام * ما كان صار بيننا وبينه صلح ولا ذمام * وما كنا نصالحه الا على ما نريد * ولو تشتتنا في اقطار البيد * وبعد ذلك ايها الملك السعيد لابد * لابنتك من زوج يكون لها بعلاً * وتكون له اهلاً فهل تلتقي رجلاً اعظم من

النعمان او اعلا * فلما سمع كلام عنتر انعم واجاب . وقد ساعدته جماعة من المحبين والاصحاب . وقال للوزير ايها السيد المنتخب . قد اجبت الملك النعمان الى ما طلب . فابنتي لهُ امة . وانا لهُ من جملة الخدمة . ففرح الوزير واستبشر . بذلك الخبر وقد سرت السراير . وابتهجت الضماير . ودقّت في عساكر النعمان البشاير * واجتمع الملك زهير بالملك النعمان . واصلح الحال بعد النفور والعدوان . واطلق بنو عبس من كان عندهم في الاعتقال . من السادات والابطال

قال ومن شدة غيظ الملك الاسود التهب فواده وتوقّد . وقال كما ان اخي اعتز ببني عبس واركن اليهم . وطلب مصاهرتهم واعتمد في اموره عليهم . فانا اصاهر بني فزارة معدن الجود والفخر . ثم انه خطب اخت سيدهم الامير حذيفة بن بدر . وكانت موصوفة بالحسن والجمال . والادب والكمال . فاجابهُ الى ما طلب . لانهُ كان يحبهُ وفيه يرغب . فخلع واوهب . وفرق الفضة والذهب * وقد اصلح النعمان بين بني عبس وفزارة . وبين عنتر والربيع وعمارة . واستمال قلوب الفرسان وقواد العسكر . وخلع عليهم من نفائس الاموال والجوهر . ونوادر البدو والحضر . ما ادهش البصر . وابهت النظر . وبعد ذلك تفرقت سادات العربان . وفي قلوبها على بني عبس النيران . وقد اوعدها الاسود بمكاتبة كسرى انو شروان . ثم ارتد الملك النعمان . راجعاً الى الاوطان . وهو فرحان .

Digitized by Google

بمصاهرة بني عبس وعدنان

قال الراوي) واما ما كان . من عساكر خراسان . الذين انكسروا في وادي السيل بعد قتلة وردشان . فانهم تفرقوا في البراري والقيعان . وما زالوا في هزيمتهم حتى وصلوا الى المداين ودخلوا علي كسري . واخبروهُ بما جري . فسالهم عن النعمان . وما بدي منهُ وكان . فقالوا انهُ ما دخل معنا الى الوادي . ولا مكّن العرب ان تساعدنا على حرب الاعادي . وما كان الناصح معنا ايها الملك المويَّد . الّا اخاه الاسود

فلما سمع كسري ذلك الخبر . استشاط غضبًا وتكدر . وسجد الى النار ذات الشرر . وقال وحق الشمس والنور . وتربة جدي سابور . لا بد من قتل النعمان . ومن يتحشد لهُ من طوايف العربان . فبينما هو علي مثل ذلك اذ قد ورد اليه كتاب . من عند الملك الاسود صحبته نجاب . يقول لهُ اعلم ايها الملك العادل . والسيد الجليل الفاضل . اطال الله بقاك . وحفظ وجودك وسناك . ان اخي النعمان الذي وليته على رعيتك . قد خامر عليك وعلي دولتك وباع الدوله الكسروية . لاجل شهوة دنية . لانهُ استجار بنو عبس وخطب ابنة سيدهم زهير . وباداهم بالاحسان والخير . واجارهم بعد ما ذلّوا . وصالحهم بعد ما ضعفوا وقلّوا . وقد اوقفتك على حقيقة الخبر . فكن على حذر . فلما قُرِيَ الكتاب علي راس الملك كسري . قامت عليه القيامة الكبرى . وصار من شدة الغيظ لا يسمع

ولا يري. وقال الي من حوله من الغلمان. كاننا ما اهلكنا الابطال والفرسان الاّ لاجل قضا حاجة النعمان. والراي الاصوب. هو ان يهان ويؤدّب. والا طمعت فينا شلوح العرب. ثم انهُ استدعى بختاوند ولده. وهو الموصّى لهُ بالملك من بعده. وكان اشد اولاده باسا. واعظمهم مراسا. عالي الهمة. كثير الحكمة. فلما حضر بين يديه. اعاد القصة عليه. وقال لهُ ان الملك يريد لهُ هيبة وناموس والا اصبح صاحبه بين الملوك موكوس. ولا آمن من النكد والبوس. وان لم يكن لدولتنا هيبة داخل الملوك فينا الطمع. واندرس ملكنا وانقلع. واريد منك الان ان تركب في جيوش كثيرة. وتسير الى الحيرة. وتقبض على النعمان. وتضع السيف فيمن احتمي لهُ من الفرسان. ولا ترجع الى هذا المقام. حتى تنتقم من بني عبس غاية الانتقام. وتعلق روس ساداتهم على اركان البيت الحرام. واما الاسود اخلع عليهِ الخلع الحسان. واشملهُ بالفضل والاحسان. ووليه مكان اخيه على مملكة العربان. فلما سمع من ابيهِ ذلك المقال. نهض في ساعة الحال. مبادرًا الى قضاءِ الاشغال وامر كسرى الى قايد من القواد. يقال لهُ زرد كمال بن قباد. وكان رفيع النجاد. قويّ العماد. ان ينتخب مائة وخمسون الفا من ابطال العجم. وفرسان الديلم. ويسير مع ولده ليرتب قواعد الملك مع العرب. ويساعده على بلوغ الارب. وكان المذكور اخو وردشان الذي قتلهُ عنتر. كما تقدم الخبر. فامتثل امرهُ فيما حكم. وانقاد الى

جميع ما رسم. وفي ثلاثة ايام. انتخب من عساكر الاعجام. كل بطل همام. واسدٍ ضرغام. وفي اليوم الرابع رحلت العساكر كانها الغمام. قاصدة الحيرة وتلك الرسوم والاعلام

قال الراوي واما ما كان. من الملك النعمان. فانهُ لما وصل الى الحيرة اخذ في تجهيز المهر. والنهي عن نوايب الدهر. وكان يظن انهُ يحظي من كسرى بكتاب. او بخطاب. فلم تكن الا مدة يسيرة. وبرهة قصيرة. حتى شرف عليهِ خداوند بجيش العجم. فايقن بالهلاك والعدم. وركب في جماعة من سادات العشاير. وقصد تلك العساكر. وترجل امام خداوند. ودعا لهُ بالعز ودوام السعد. فتقدم الحاجب زرد كمال وقبض عليه. واحاطت ابطال الفرس حواليه. فقال لهُ خداوند قد غرّك الزمان يانعمان. حتى جازيتنا بالقبيح بعد الجميل والاحسان. فلما سمع منهُ ذلك الكلام. التجم لسانهُ بلجام. وندم على ما فعل. وحل في قلبهِ الخوف والوجل. ثم امر بسجنهِ مع من يلوذ بهِ من حماة القبايل. وكماة الجحافل. وان تضع في ارجلهم القيود والسلاسل. واستدعى بالاسود فحضر وامتثل وعلم ان برج سعده قد اكتمل. فوضع على راسهِ تاج من تيجان الاكاسرة. واخلع عليه الخلع الفاخرة وقال لهُ اعلم ان الملك العادل كسرى انوشروان. قد بلغهُ نصحك لنا ومخامرة اخيك النعمان. وقد اختارك ان تكون نائباً لهُ على مملكة العربان. وقد امرنا ان نسير من هذا المكان. الى قتال بني عبس وعدنان .

فلما سمع الاسود ذلك الخبر. قبّل الارض وتأخّر. وقال وحق النور والنار. لقد انكرت على اخي غاية الانكار. ونهيته عن ذلك جملة امرار. فلم يلتفت الى خطابي ولم يراعي جنابي. فقال خداوند قد مضى ما مضى. وانتهى الامر وانقضى. وما وقع النعمان الّا بجريرتهِ. والملك العادل قد اختارك نائبًا على رعيتهِ. فكاتب قبايل ربيعة ومضر. وساير عرب البر الاقفر. واعلمهم بهذا الخبر. فمن اطاع احسنا اليه ومن ابى قلعنا منهُ الاثر. فلما سمع الاسود ذلك الكلام. دعا للدولة الكسروية بالبقا والدوام. وقال يامولاي ما دمت تحفظني وترعاني. فجميع اهل الارض تهابني وتخشاني. ثم انهُ كتب الكتب وانفذها الى قبايل العرب. ممن بعد منها ومن اقترب. يعلمهم بوصول الملك اليه. ويامرهم بسرعة القدوم عليه. وارسل الى معدي كرب الزبيديّ. والى حجّار بن عامر الكنديّ. واوقفهما على جليّة الاخبار. واوعدهما باخذ الثار. وكشف العار. ثم تمكّن من خزاين اخيه النعمان. وفرق الفضة والذهب واستمال قلوب الفرسان. وذبح الذبايح واولم الولايم. ومد الاسمطة للاعاجم والديالم. وتولّى بنفسهِ خدمة ابن الملك كسرى. وقد فرح بما تم لهُ من ذلك الامر الذي جرى

قال الراوي هذا ما جرى لهولاي من الاخبار. واما ما كان من الامير حجار. فانهُ بعد ما اطلقهُ عنتر من الاسر والاعتقال. سار الى الاطلال. وهو يتقلب في الغم والكدر. وقد حاط بهِ

الغبر. وصارت نفسه في غاية القلق والضجر . من شدة حنقه على عنتر . ومثل ذلك جرى على معدي كرب . حتى لم يبق له اسم يذكر بين العرب . ومن عظم ما حلَّ بهِ من الذل والهوان . آلى على نفسهِ انهُ لا يركب ظهر حصان . ولا حربٍ او طعان . حتى ياخذ من عنتر ثارهُ ويكشف عنهُ عارهُ . وكانت الفرسان تاتي اليه . وتتوجع لهُ مما جرى عليه . وكان من جملة من قصد اليه دُرَيد بن الصمة . صاحب العزيمة والهمَّة . وكان سيدًا جليلاً . وشجاعًا كاملاً نبيلاً . قد عاش عمرًا طويلاً . وكان مع كبر سنه ذا فكرٍ ثاقب . ورايٍ صايب . وهمة تباري الافلاك . وثباتٍ يجاري السماك . وكانت العرب تسميه رحاة الحرب . وتطيعهُ في كل امرٍ صعب . وكان معهُ زوج ابنته . وفارس قبيلته . الليث الكرار . والبطل المغوار . سُبَيع بن الحارث الملقب بذي الخمار . وكان من جبابرة الجاهلية . ومن اقران عنتر في الشجاعة والفروسية . فتلقاهما معدي كرب بالترحيب والاكرام . والتعظيم والاحترام . ونحر لهما النوق والاغنام . واقاما عندهُ مدَّة ثلاثة ايام . فلما كان في اليوم الرابع اخذ دريد يمزح مع معدي بالكلام . ويذمهُ كيف ترك مثل عنتر ياسرهُ في معركة الصدام . واكثر له من العتب والملام . فلما سمع منهُ ذلك المقال . عظم عليهِ وهاج في قلبهِ البلبال . وحدثهُ بما فعل عنتر بالفرسان والابطال . وكيف اسر مثل الامير حجار بن عامر . وفرق شمل العساكر

قال فتبسّم ذو الخمار عند سماع هذه الاخبار. وقال والله يامعدي انك تعتذر بهذا القول. من كثر ما وقع في قلبك من الخوف والهول. ولكن اذلّ الله رقبة من لا يذل عنتر. ويفضحه بين البشر. فقوّي عزمك وكن طيّب النفس. واستعدّ لقتال بني عبس. حتى اسير في صحبتك. وابلغك سوالك وامنيتك. واريك ما افعل بعبدهم عنتر. ومن يكسب منا ومن يخسر. ففرح معدي واستبشر. وطاب قلبه بذلك الخبر. واقاما عنده كل ذلك النهار. ثم رجعا الى الديار. وارسل معدي الى الامير حجّار. يعلمه بما اوعدهُ بهِ ذو الخمار. ويحثه على اخذ الثار. وكشف العار. فاجابه الى ما طلب. وتحالفا على قتال بني عبس من دون العرب *

قال الراوي وما زالت الكتب تتوارد بين معدي وحجار بن عامر. حتى وصلت اليهما البشاير. بتنصيب الملك الاسود على مملكة العريان. والقبض على اخيه النعمان. ومسير عساكر خراسان. مع خداوند ابن الملك كسرى انوشروان. الى قتال بني عبس وعدنان. فداخلهما الفرح والطرب. وايقنا بنوال القصد وبلوغ الارب. وارسل الامير حجار يقول الى معدي. ها انا سابقك الى ارض الشربّة والعلم السعدي. ثم انهُ ركب في ستة الاف فارس من بني كندة. اهل الباس والنجدة. وسار يقطع البر الاقفر. وقلبه يقدح بالشرر. على بني عبس وعنتر *

قال الراوي واما ما كان من بني عبس وعدنان. فانهم كانوا

Digitized by Google

قد رجعوا الى الاوطان ، وهم افرح الناس بمصاهرة الملك النعمان فلما وصلوا الى الديار ، وقرّ بهم القرار * اخذوا في اصلاح احوالهم . وقد كثرت نوقهم وجمالهم . الّا انهُ لم يمضِ على ذلك الا ايام قلايلة . حتى وصل اليهم كتاب من عند الوزير عمرو بن نفيلة . يعلمهم بما جرى وتجدد . وكيف ان كسرى قبض على النعمان واقام مكانهُ اخوهُ الاسود . وقد حلف بالنار ذات اللهب . انهُ لايبقي منكم راس ولا ذنب . فلما وقفوا على حقيقة الخبر ، اخذهم القلق والضجر ، وتبدّلت افراحهم بالكدر ، خصوصاً عند ما راوا ارض بني فزارة قد انقلبت بالافراح . وارتجّت من كثرة الصياح . لان الاسود كان قد ارسل اليهم كتاب . مع نجّاب . يعلمهم بتلك الاسباب . فصنع حذيفة الولايم للفرسان . ومن يعتمد عليهم من الاهل والخلاّن وقال سوف نستوفي من بني عبس . ما فاتنا بالامس . ولا بدّ من قلع اثارهم . وقتل كبارهم وصغارهم . فقال لهُ الربيع بن زياد . واخيهِ عمارة القوّاد . وكانا عندهُ بمنزلة عظيمة . يلازمان حضرته كندماني جذيمة . كن يا ابن العم على اهبة الحرب . واستعد للطعن والضرب . وبادر اعداك بالسلب والنهب . وامسك عليهم كل طريق ودرب *

قال الراوي وكان الملك زهير قد احضر بنو عبس الى بين يديه . واعلمهم بما وصل من الاخبار اليه . وقال لهم ان حضرة الوزير المحترم . قد ذكر لنا في كتابه الذي تقدم . ان خداوند سائر

الينا في عساكر العرب والعجم . وقد اتفق الاسود معهم على اهراق دمانا . ونهب اموالنا وسبي نسانا . فلما سمع عنتر ذلك الكلام . صار الضيا في عينيه كالظلام . وقال لهُ علم ايها الملك السعيد . اننا قد ضيعنا الراي السديد . برحيلنا من تلك الجبال . قبل ان نقف على اي شي ينتهي الحال . والان فما عاد يخجينا من الاهوال . ويحمي حريمنا والعيال . الا الضرب بالسيوف الصقال . والطعن بالرماح الطوال . فارحل من هذه الاطلال . واطلب بنا عساكر العرب والعجم . وكل من يمشي على الارض بقدم . حتى ننثر منهم القمم ونبدل وجودهم بالعدم . وتبصر ما افعل بهذا الملك الجديد . وكيف احوّل صفو عيشه بتنكيد . واترك بنو فزارة بعد السرور والافراح . بالهم والاتراح . واقيم في ديارهم البكا والنواح . في المسا والصباح . فلما سمع الملك زهير كلام عنتر . فرح واستبشر . وقال لهُ يا ابا الفوارس . وزين المحافل والمجالس . اذا كان الامر على هذا الحال . قل الى شيبوب ان يعلم الرجال . باخذ اهبة الارتحال . حتى نسير من هذه الديار . تحت ستور الاعتكار . ونقصد جبلَي اجا وسلمى . وصخرة بني علما . ونقيم في تلك الجبال . حتى نرى على اي شيء ينتهي الحال . لانها مثل جبال الردم واصعب منها ملقى . واعظم ذروة واعلا مرقى . عظيمة المسالك . كثيرة الاوعار والدكادك . فامر عنتر الى شيبوب ان يعلم الابطال . باخذ اهبة الارتحال . ففعل شيبوب ما امرهُ بهِ عنتر . وتجهز القوم للسفر . ثم

Digitized by Google

ان عنترًا استدعي برجلين من اهل القوة والشطارة • وامرهما بالمسير الى ديار بني فزارة • وقال لهما اقيما في ديارهم. ولا تعودا الينا الاَّ بحقيقة اخبارهم • فامتثلا امرهُ وسارا من ذلك اليوم. الى ديار القوم • ورحلت بنو عبس بالحريم والعيال • وحملت الهوادج علي ظهور الجمال • حتي وصلت الى تلك الجبال • فنزلت فيها • ونصبت خيامها في نواحيها *

قال الراوي • واما ما كان من بني فزارة الانذال • فانهم لما سمعوا برحيل بني عبس من الاطلال. صعب عليهم ذلك الحال. وكتب حذيفة الى الملك الاسود • يعلمهُ بما جرى وتجدد • وما مضي الاَّ ايامٌ قلايل • حتي وصل الى حذيفة الامير جبار بستة الاف مقاتل . فتلقاهُ بالترحيب والاكرام ونصب لهُ الخيام • وقدم لهُ من افخر الطعام والمدام • واقاموا بعد ذلك ينتظرون معدي كرب • ومن معهُ من طوائف العرب

قال الراوي ورجع العبدان اللذان ارسلهما عنتر • واخبراهُ بما حققاهُ من الخبر • فتشوَّش فكره . وضاق بالهمّ صدره . واجتمع بالملك زهير وولده مالك • واخبرهما بذلك • وقال الراي عندي ان نسير من هذا المكان . الى من هو قاصد الينا من العربان • فلما سمع الملك زهير منهُ ذلك الخطاب • راهُ عين الصواب • ثم انهم تاهبوا للسفر • في ثلاثة الاف فارس غضنفر • وتركوا قيسًا في الجبال . لحفظ المال والعيال . بخمسماية من الابطال . وساروا

Digitized by Google

من ذلك النهار. يقطعون المفاوز والاوعار. هذا وعنتر قد اشتعل فواده بلهيب النار. واخذه الغيظ والحقد على حجار. كيف منّ عليه بالاطلاق. بعد الاسر والارتاق. واتى يكافيه مكافاة التمساح. ويجازي حسناته بالسيات القباح. فتذكّر ما له من الوقايع. ومن اسر وقتل من فرسان المعامع. فجاش الشعر في خاطره. فباح بما اكتتم في ضمايره. فانشد وقال

عفت الديار وباقي الاطلال ... ريح الصبا وتقلب الاحوال
وعفا مغانيها فاخلق رسمها ... ترداد وكيف العارض الهطال
فلين صرمت الحبل يا ابنة مالك ... وسمعت في مقالة العذّال
فسلي لكيما تخبري بفعائلي ... عند الوغى ومواقف الاهوال
والخيل تعثر بالقنا في حاجم ... تهفو به ويجلن كل مجال
وانا المجرّب في المواقف كلها ... من آل عبس منصبي وفعالي
منهم ابي شداد اكرم والد ... والام من حام فهم اخوالي
وانا المنية حين تشتجر القنا ... والطعن مني سابق الاجال
ولربّ قرن قد تركت مجدّلاً ... بلبانه كنواضح الجريال
تنتابه طلس السباع مغادرا ... في قفرة متمزّق الاوصال
ولربّ خيل قد وزعت رعيلها ... باقبّ لاضغن ولا مجفال
ومسربل حلق الحديد مدجّج ... كالليث بين عرينة الاشبال
غادرته للجنب غير موسّد ... متثنّي الاوصال عند مجال
ولربّ شرب قد صبحت مدامة ... ليسوا بانكاس ولا اوغال

Digitized by Google

وكواعبٍ مثل الدمى اصبيتها ينظرن في خفرٍ وحسن دلالِ
فسلي بني علكٍ وخثعم تخبري وسلي الملوك وطيّ الاجبالِ
وسلي عشاير ضبّةٍ اذ اسلمت بكرٌ حلايلها ورهط عقالِ
وبني صباحٍ قد تركنا منهمُ جزرًا بذات الرمث فوق اثالِ
زيدًا وسودًا والمقطّع اقصدت ارماحنا ومجاشع بن هلالِ
رعناهمُ بالخيل تردي بالقنا وبكل ابيض صارمٍ فصّالِ
من مثل قومي حين يختلف القنا واذا تزلّ قوائم الابطالِ
يحملن كل عزيز نفسٍ باسلٍ صدق اللقاء مجرّب الاهوالِ
ففدى لقومي عند كل عظيمةٍ نفسي وراحلتي وسائر مالي
قومي الصام لمن ارادوا ضيمهم والقاهرون لكل اغلب صالِ
والمطعمون وما عليهم نعمةٌ والاكرمون ابًا ومحتدَ خالِ
نحن الحصى عددًا ونحسب قومنا ورجالنا في الحرب غير رجالِ
منّا المعين على الندى بفعالهِ والبذل في اللزبات بالاموالِ
انّا اذا حمس الوغى نروي القنا ونعفّ عند تقاسم الانفالِ
ناتي الصريخ على جيادٍ ضمّرٍ خمص البطون كانهنّ سعالِ
من كل شوهاء اليدين طمرّةٍ ومقلّصٍ عبل الشوى ذيّالِ
لا تأبنّ على خليطٍ زايلوا بعد الاولى قتلوا بذي اغنالِ
كانوا يشبّون الحروب اذا خبت قدمًا بكل مهنّدٍ فصّالِ
وبكلّ محبوك السراة مقلّصٍ تنمو مناسبهُ لذي العقّالِ
ومعاود التكرار طال مضيّةٌ طعنًا بكل مثقّفٍ عسّالِ

Digitized by Google

من كل اروع للكماة منازل ٍ ناج ٍ من الغمرات كالرئبال ِ
يعطي المئين الى المئين مرزًّا حمّال مقطعةٍ من الاثقال ِ
واذا الامور تحوّلت الفيتهم عصم الهوالك ساعة الزلزال ِ
وهم الحماة اذا النساء تحسّرت يوم الحفاظ وكان يوم نزال ِ
يقصون ذا الانف الحميّ وفيهم حلمٌ وليس حرامهم بحلال ِ
والمطعمون اذا السنون تتابعت محلاً وضنّ سحابها بسجال ِ

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعرهِ. طرب الملك زُهير من محاسن نظمهِ ونثرهِ. وقال والله يا حامية عبس وعدنان. ونادرة هذا الزمان * لقد فقت بفصاحة اللسان * على شعراء العربان * وارباب المعاني والبيان . ففصاحتك يعجز عنها كل شاعرٍ لبيب * وعذوبة الفاظك تفوح منها روائح الطيب * فشكرهُ عنتر واطنب في الثناء. واطال في الدعاء. ثم اعجلوا في السير. واشتهوا في سيرهم الطير. حتى بقي بينهم وبين بني فزارة مسافة فرسخين لا غير. فقال لهم شيبوب الراي عندي ان تنزلوا ها هنا. وتعطوا لخيولكم الراحة من التعب والعنا. حتي اسير واكشف لكم خبر اعداكم. واعود اليكم بما يكون فيهِ رضاكم. فاجابوهُ الى ذلك. ونزلوا بين تلك الروابي والدكادك. وسار شيبوب طالب ديار بني فزارة. وهو يقطع الارض كانهُ بعض العفاريت الطيّارة. الى ان وصل الى ديارهم. ووقف على حقيقة اخبارهم. ثم رجع على الاثر. واخبرهم بما شاهد ونظر. وان عدد العسكر. ما ينوف عن

ثمانية عشر الف نفر. اكثرهم من بني كندة. اهل الباس والنجدة * وان الربيع بن زياد عندهم في محل خطير. لا يخالفوهُ فيما يشير * وقد عوّلوا على قتالكم. ونهب اموالكم * وسبي عيالكم * فلما سمع عنتر من اخيهِ ذالك الكلام * صرخ فيهِ صوت كانهُ صاعقة الغمام * وقال وحق الملك العلّام * الذي لا تدركهُ عقول الانام * لابد من تمزيق هذه العساكر * تحت ظلام هذا الليل العاكر * فقال شيبوب اعلم ايها البطل الفريد * ان الراي السديد * والفكر الرشيد * هو انك تقسم الفرسان الى ثلاثة مواكب * حتى اذا وصلنا اليهم تقصد كل فرقة الى جانب * تحت ظلام الغياهب * وتحمل انت ايضا بمن تعتمد عليهم من الرجال الأطايب * ونبذل فيهم السيوف والرماح * وحينئذٍ يتفرق شملهم في الروابي والبطاح * فاعجب هذا الراي الملك زهير وعنتر * وكل من حضر * وايقنوا بالنصر والظفر * ثم انهم ركبوا الخيول الاعوجيّة * واستلبوا الرماح السمهريّة * وساروا بهمّةٍ وحميّة * فاشرفوا على بني فزارة وقت الغسق * وقد انقسموا الى ثلاثة فرق * واحاطوا بهم من كل جانب وجرّدوا القنا والقواضب * وكان بنو فزارة في غاية الامن والامان * غير مكترثين بطوارق الحدثان * فلم يشعروا الا وقد احاطت بهم موج النوايب * ونادى في ارضهم منادي المصايب * فثاروا من الخيام والمضارب * وركبوا على ظهور الجنايب * وكان اكثرهم خالي

من الورد . فتفرق شملهم وتبدد . وحلَّت ببني كندة المعبر . وركب الامير مجار جواده ونفر . وخفق فواده واندعر . وقد خاف من وقوع الخطر . فسمع صياح عنتر . كانه الرعد اذا هدر . فصاح في بني كندة . ومن يعتمد عليهم من الفرسان في وقت الشدة . معاشر الابطال . لا يهولنكم هذا الحال . فما امامكم الاّ عنتر الكشحان . ومعه قومه انذال العربانِ . فاثبتوا وجدوا لهم في الطلب . واياكم ان تحدثوا انفسكم بالهرب . فيحل بكم الهلاك والعطب . وتضرب بكم الامثال في كل جيل . وما هو الا في نفر قليل . وقد ظن انه سينال منا في هذا الليل . ما ناله في ليلة وادي السيل . ثم ان مجارًا هجم وصاح . وتبعته ابطال المعارك والكفاح . وعملت السيوف والرماح . ووقع بينهم القتل والجراح . وما في الفرسان الا من تعب وتقهقر . الا ابو الفوارس عنتر . فانهُ فعل في تلك الليلة ما لم يفعلهُ بشر . وكانت الرجال تهوي من طعناته وتقع . وما زالوا على ذلك الحال الاشنع . حتى انفجر الصباح واتشع . وكانت بنو فزارة قد تفرقت في ظلام الليل . وحلَّ بها من سيف عنتر الويل . واشفت بنو عبس منها الغليل . حتى لم يبقَ غير الربيع وحذيفة في نفر قليل . واصاب بنو كندة العذاب والتنكيل . وقتل منها في تلك الليلة اوفى من الفين قتيل *

قال الراوي ولما حميت الشمس واشتد الحر . وتلهبت جنبات البر . نزلت الابطال لاخذ الراحة . في تلك الساحة . فركب

الجواد . وبرز الى معركة الطراد . وطلب قتال عنترة بن شداد .
وانشد وقال

لا تقتضي الدين الا الطعن بالاسل
والضرب بالسيف فوق الهام والقلل

الدهر يومان يوم علقم كره | واخر طعمه احلا من العسل
البستني العار يا عبد اللئام ولو | انصفتني بت من خوفي على وجل
اسرتني وظلام الليل معتكر | في وادي السيل بالعدوان والحيل
فاستيقظ اليوم والقاني ترى بطلاً | ماضي العزيمة لا يخشى من الوجل

قال الراوي فلما سمع عنتر ابيات محجار . صاح بصوت ارتجت منه السهول والاوعار . وبرز اليه في الحال . واجابه على شعره وقال

من لي برد الصبا واللهو والغزل | هيهات ما فات من ايامك الاول
طوي الجديدان ما قد كنت انشره | وانكرتني ذوات الاعين النجل
وما ثنى الدهر عزمي عن مهاجمة | وخوض معمعة في السهل والجبل
في الخيل والخافقات السود لي شغل | ليس الصبابة والصهباء من شغلي
لقد ثناني النهى عنها وادبني | فلست ابكي على رسم ولا طلل
سلوا جوادي عني يوم يحملني | هل فاتني بطل او حلت عن بطل
انا الذي خضعت اسد الدحال له | وبات من خوفه كسرى على وجل
فدونك اليوم يا محجار وابرز لي | في جحفل كي ترى ليثاً بلا مثل
اما شهدت بوادي السيل ما فعلت | ارماحنا في اعالي البيض والقلل

Digitized by Google

لما اتى وردشان الفرس تتبعهُ ابناك فارس مثل العارض الهاطل .
بادرتهم وسيوف الهند بارقة بالضرب والطعن بين البيض والاسل
وانت تنساق في قيد الوثاق ولا والٍ يواليك في قولٍ وفي عمل .
لاتشرب الخمر الا من له ذممٌ ولا يبيت له جارٌ على وجل .

قال الراوي ثم انهما تقاربا وتحاربا . وتقاتلا وتضاربا . وجرى بينهما من الهزل والجد . والاخذ والرد . ما حيَّر الافكار . وادهش الابصار . ولم تكن الا ساعة من النهار . حتى وقع التعب في مناكب الامير حجار . وقد راى من عنتر ما لم يراهُ قط من جبَّار . فخاف من حلول البوار . ونزول الدمار . فندم على مجيئهِ الى تلك الديار . واراد ان يشير الى قومهِ بني كندة . ويطلب منهم نجدة . فما امهلهُ عنتر . بل اطبق عليهِ مثل لمح البصر . واقتلعهُ بيده من ظهر الحصان . والقاهُ على بساط الصحصحان . فهجم عليه شيبوب مثل السرحان . فشد كتافهُ . وقوَّى سواعدهُ واطرافهُ . وسار بهِ الى ناحية بني عبس . وقد طابت من عنتر النفس . وحلَّ ببني كندة وفزارة التعس والنحس . وكان حجار قد اشتعل فوأده والتهب . وكاد يتمزق من الغيظ والغضب . فبكى وانتحب . لانهُ علم ان عقد امره انفرط . ونجم سعده من فلك السعد قد سقط . فقال لهُ شيبوب ما الذي اعتراك . حتى اوجب الى بكاك . قال وحق علام الغيوب . العالم بسرائر القلوب . لست ابكي خوفًا من من الاسر والهوان وانما بكائي من تقلبات الزمان . لانهُ ما زال

يهدم اللذات. ويفرق الجماعات . وان اضحكك يوماً ابكاك سنة.
وليس له على احد جميلٌ ولا حسنة . فلما وقف شيبوب على
مقاله . رق له ورثى لحاله . وقال ما معنى هذا الكلام . ايها
البطل الهمام . فقال اعلم اني كنت قد هويت في هذا العام. جارية
كانها بدر التمام . يقال لها امامة بنت اسد بن دودان . صاحب
ارض الحيوان . وسيد بني الريان . وقد القيت روحي من اجلها
في الشدائد مع الفرسان . وما سمح ابوها بزواجها لي الا بواسطة
الملك النعمان . ولما انتهى الحال . ودنت ايام الوصال . وحملت
الى ابيها النوق والجمال . امرني بالمسير الى قتال اخيك عنتر. فسرت
اليه بكل ليثٍ غضنفر . واسدٍ قسور . فاسرني وبدل افراحي
بالكدر . واطلقني بعد ما جعلني عبرة للنظر . وآية للبشر . فقصدت
حلتي . وارسلت في طلب زوجتي . فارسل عمي يقول لي يا جبار.
قد علاك الذل والشنار . لانه قد اسرك عبد بني عبس وعدنان .
والبسك ثوب الذل والهوان . فما بقيت اسلم ابنتي اليك . ولا
ازفها عليك . حتى تاخذ منه ثارك * وتكشف عنك عارك * فبينما
انا متفكر في ذلك الشان . اذ قد بلغني الخبر بالقبض على الملك
النعمان . فلما سمعت هذا الخطاب . اشتعل قلبي بنار الالتهاب .
واسند في وجهي كل باب . وما صدقت ان ياتيني من الملك
الاسود كتاب . حتى سرت اليه بمن معي من الاصحاب . وقلت في
نفسي لعل وعسى . فعاندني دهري وعلي اسا . وجرى لي ما جرى .

وها انا قد وقعت في يد اخيك مرة اخري. وانني خايف من ضرب رقبتي. وعدم الاجتماع بزوجتي ❁

فلما سمع شيبوب كلامه. وعرف مرامه. قال له ويلك عوض ما كنت تسير مع الملك الاسود. وتساعده علي ذلك الامر الذي تجدّد. وانت في هذا الجمع والعدد. كنت ساعدت النعمان. لانهُ صاحب الجميل والاحسان. واتيت الى اخي عنتر. فكنت تري وتبصر. ما يفعل معك من الجميل الذي يذكر. وكان يبلغك من نجب اوطارك. وياتيك الامر علي حسب اختيارك. ولكن لما كافيت النعمان بقبيح افعالك. اوقعك الغدر في شر اعمالك.

فلما سمع حجار من شيبوب. ذلك المقال. بان له الصدق من الحال. وقال والله لقد صدقت ياشيبوب. فان سبّب لي الخلاص علّام الغيوب. ارجع وانوب. واريد ان تتولّى مع عنتر نوبتي وان يصطنعني ويرغب في صحبتي. وانا ابذل في خدمته جهدي وطاقتي. واكون عونا لهُ مع اهلي وعشيرتي. وان انا خنته بعد هذه المرّة تكون امي زانية غير حرّة. واكون قد كذبت في قولي ونسبي. وتعلم ساير العرب انني من غير ظهر ابي. فلما سمع شيبوب مقالهُ. رق لهُ. وقال ياسيد بني كندة. انا ازيل عنك هذه الشدة. وادع اخي ان يكرمك. ولا يرجع من اجلو ان يكلمك. ولكن ياواجه العرب. ان كنت تعرف ما وراءك من الحسب والنسب. احلف لي برب السماء. الذي بسط الارض على ثبار الماء. وعلّم

آدم الاسماء . وحكم على عباده بالموت والفناء . وتفرّد بالدوام والبقاء انك لا تعود الى الغدر والخيانة . بل تحفظ الزمام والامانة . فحلف له بفالق الاصباح . وخالق الارواح . ورازق الاشباح . واكد عليه في الاقسام والايمان . انهُ لا يكون لا غادر ولا خوّان . ولا ناكث ولا متوان . فلما استوثق شيبوب منهُ باليمين . واشهد عليه بذلك رب العالمين . اطلقهُ من شداده . ورد اليه آلة حربه وجلاده . واركبه جواده . فانذهل حجار وتحيّر . وعاد راجعاً على الاثر . حتى وصل الى عنتر . فنادى باعلى صوته وقال . كفوا ايديكم يابني كندة عن القتال . فقد اصلح الله الحال . وقد حلفت بمن ارسى شوامخ الجبال . اني اكون في خدمة عنتر من جملة الرجال . ولا اخونه في مقال . ولا فعال . فمن كان منكم يحبني ويسمع مقالي . فيطيعني ويتبع فعالي . لاني عولت ان ابذل في خدمته الجهد . وابلغ فيها غاية الكد . ولو اتلفت في ذلك روحي ومالى * وخيلي ورجالى * فلما سمع بنو كندة من اميرها ذلك الخبر . فرحوا بخلاصهم من حرب ابي الفوارس عنتر . وانعطفوا من ساعتهم على بني فزارة . وانزلوا بهم الذل والخسارة . فانذهل عنتر وحار * من فعال الامير حجار * خصوصاً عند ما رآهُ يكافح الفرسان * تحت الغبار . ويجندل الابطال بالصارم البتار . فطلبهُ عنتر . ليقف على حقيقة الخبر . فلما نظر حجار الى عنتر وقد وصل اليه . ترجّل وقبّل في الركاب قدميه . وقال لهُ ايها الفارس الامجد . والبطل

الاوحد . قد مضى ما مضى . من البغض والحسد . وزال الحقد والكمد . وقد عرفت ما وصل اليّ . بعد المقدرة عليّ . فلعن الله أمر حجار . ولا اقالها من النوائب والاخطار . ان عدت من اليوم وصاعدا . اضمر لك شرا او غدرا ابدا على طول المدى . وقد اتخذتك عوني وعمدتي . ونصيري في ضيقي وشدتي . ثم اعلمهُ بما جرى لهُ مع شيبوب . وانهُ قد اعطاهُ ذمامهُ وازال عنهُ الكروب . فلما سمع عنتر كلامهُ تبسَّم . وفرح بما جرى وتقدم . ثم ترجَّل اليه . وضمَّهُ الى صدره وقبلهُ بين عينيه . وزال من بينهما الحقد والخصام . وتحالفا على الوفا وحفظ الذمام ❋

هذا ما جرى لهولاء من الاحوال . واما ما كان من بني فزارة الانذال . فلما وقفوا على جلية الخبر . وان حجارًا قد اصطلح مع عنتر . زادت بهم المصايب والحسرات . وقالوا لعن الله كل كندي اذا ما مات . ثم ولوا الادبار . واركنوا الى الهرب والفرار . وقد حل بهم البلا والدمار . ورجعت بنو كندة الى طاعة سيدها الامير حجار . وقد طابت منها النفس . واختلطت ببني عبس . فاكرمهم الملك زهير واكثر لهم من التعظيم والتبجيل . واوعدهم بكل خير وجميل . ثم انهم اخذوا في المشورة والخطاب . والخروج من تلك الهضاب . فقال حجار الراي عندي ياسادات العرب . ان نقيم هاهنا حتى نصل الينا بني زبيد ومعدي كرب . مع دُرَيد بن الصمَّة . وسبيع بن الحارث صاحب الشجاعة والهِمة . حتى اذا التقينا مع

بعضنا هنا ٠ اشرت عليهم بالصلح وقد استرحنا من التعب والعنا ٠ ولئن اجتمعوا قاتلناهم وانزلنا بهم العظايم ٠ وبذلنا فيهم القنا والصوارم ٠ فلما سمع عنتر من مجار ذلك الكلام ٠ قال يا اخي ما لنا سبيل الى المقام ٠ لاننا تركنا اهلنا في الجبال ٠ وما عندهم غير قيس في نفر قليل من الرجال ٠ واخاف ان توانينا عنهم يتسبب لهم شياً من اسباب الردى ٠ او يدهمهم في غيبتنا احد من العدى ٠ ثم انهم عادوا على الاثار ٠ وهم في غاية الفرح والاستبشار ٠ بصاحبة الامير مجار ٠ الا انهم ما ابعدوا عن تلك الديار ٠ وسلكوا البر والقفار ٠ حتى تذكر عنتر تلك الوقعة وما جرى فيها من الاهوال ٠ فانشد وقال

أَلَا يا عبلَ ضيَّعتِ العهودا ‏ وامسى حبلكِ الماضي صدودا
وما زال الشباب ولا اكتهلنا ‏ ولا ابلى الزمان لنا جديدا
وما زالت صوارمنا حداداً ‏ تقدُّ بها انامِلنا الحديدا
سلي عنا الفزاريين لما ‏ شفينا من فوارسها الكبودا
وخلّينا نساءهُمُ حيارى ‏ قُبيل الصبح يلطمن الخدودا
ملأنا ساير الاقطار خوفاً ‏ فاضحى العالمون لنا عبيدا
وجاوزنا الثريا في علاها ‏ ولم نترك لقاصدنا وفودا
اذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ ‏ تخرُّ لهُ اعادينا سجودا
فمن يقصد بداهيةٍ الينا ‏ يرى منا جبابرةً اسودا
ويومَ البذل نعطي ما ملكنا ‏ ونملا الارض احساناً وجودا

Digitized by Google

الكتاب الثالث والعشرون
من سيرة عنتر بن شدّاد العبسي

ونَنعل خيلنا في كل حربٍ عظاما داميَـا او جلودا
فهل من يبلّغُ النعمـان عنّا مقالاً سوف يبلغهُ رشيداً
اذا عادت بنو الاعجام تهوي وقد ولّت ونكّست البنودا
وسمر الخط نعمل في قفاها كما عملت في أحلفا الوقودا
ويسمو ملكنا ويبات كسرى يقاسي مثل ما قاسى ثمودا

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . طرب الملك زهير وكل من كان حوله من السادات . واما الامير حجار . فانهُ اندهل وحار . وقال لهُ والله يا ابا الفوارس . وزين المحافل والمجالس . لقد جمع الله فيك الف مكرمه . لان جميع خصالك على خصال غيرك مقدّمه . وقد سدت بالفروسية والكرم . والفصاحة وحسن الشيم . ومكارم الاخلاق وعلوّ الهم . على فرسان العرب والعجم . ومن مشى على وجه الارض بقدم . والذي يقول مثل هذا الكلام النفيس . لا يحتاج في الليل الى انيس . ولا في النهار الى نديم او جليس . قال وكانت فرسان العرب تسمّي هذه الابيات الانيسة . لانها رقيقة المعاني نفيسة . وكانت كثيراً

ما نتناشدها في وقت السفر • وتتمثل بها في كل محضر • وهي من جملة بدائع اشعار عنتر *

قال الاصمعي هذا ما جرى لهولا وتسبب • من الامور الغريبة التي تستحق العجب • واما ما كان من معدي كرب . فانهُ بعد ما كتب الى الامير جبار بن عامر • ان يبذل المجهود • بجمع العساكر انتخب ستة الاف من ابطال الحرب والجلاد . اكثرها من بني زبيد ومراد • وسار في عزم وهمة . الى ديار دُرَيد بن الصمْة . ولما اجتمع بهِ حدثهُ بحديث النعمان . وما جرى لهُ وكان . وان اخاهُ الاسود قد تولَّى مكانهُ على مملكة العربان . وقد جمع الجيوش . والعساكر والوحوش . وكيف ان خداوند قد جآء بفرسان العجم . وابطال الديلم • وهو عازم على قتال بني عبس في هذه الايام • وصلب ساداتهم على اركان البيت الحرام . فلما سمع دريد منهُ ذلك الكلام • اشتد بهِ الغضب • واشتعل فواده والتهب • وقال والله ان تم هذا الامر على العرب . طمعت فينا عباد النار ذات اللهب . وباعت حرايرنا في بلاد العجم • ولا تبقي منا من يمشي على قدم . وهذا الامر لا ادعهُ يتم على العربان • من الهلاك والقلعان • ولا بد لي ان اكاتب قبايل ربيعة ومضر • ومن جاورهم من عرب البر الاقفر • واطلعهم على حقيقة هذا الخبر . لاجل ان يكونوا على حذر • وانظر بعد ذلك ما يجرى ويتجدد • على بني عبس من الملك الاسود • واذا علمت بان العساكر قد ثقلت عليهم •

تسببت في ارسال نجدة اليهم . ولولا عبدهم عنتر . الذي تمرّد وتجبّر . ورغب فيه ملكهم الملك زهير . كنت سرت اليهم بنفسي وكشفت عنهم الضنك والضير . ولكنني اخاف معيرة العرب . اصحاب الحسب والنسب . ان تتحدث فيّ بالعار وقلّة الادب . وتقول ان دُرَيدًا سيد بني هوازن وجشم . سار الى خدمة عبدٍ قريب العهد من رعي الجمال والغنم . وهذا الذي يمنعني الان . ان اسير معك الى قتال بني عبس وعدنان . خوفا من هجوم عساكر الاعجام . على البيت الحرام . لان عندي من المعلوم . بان مملكة الاسود لا تدوم . ولا ينجح معهُ . من يتحشد لهُ ويتبعهُ . ومع ذلك كلهُ بيني وبين النعمان . عهدًا من قديم الزمان . وها انا مقيم في هذه الاطلال . حتى ابصر على اي شيء ينتهي الحال . فلما سمع معدي ما ابداهُ دُرَيد بن الصمة . ضعفت عزيمته وفترت منهُ الهمة . واقام عنده بعد ذلك الكلام مدة ثلاثة ايام . ثم رحل من تلك المنازل . وجعل يطوف على الحالل والقبايل . ويجمع الفارس والراجل . حتى صار في عشرة الاف مقاتل . من كل بطلٍ حلاحل . وقرمٍ مخاتل . وسار بهم طالب بني عبس وتلك الديار . حسب ما اتفق عليه مع الامير حجار . فجاءَت طريقه على جبلي اجا وسلمى . وصحراء بني علما . فراى هنالك مضارب وخياما . ورايات واعلاما . ونوق وفصلانا . فسال بعض الرعيان . عن القوم النازلين في ذلك المكان . قال

هم بنو عبس وعدنان. قد رحلوا من منازلهم والاطلال. وتحصّنوا في هذه الجبال. وعندهم قيس بن زهير في خمساية من الابطال. واما باقي العسكر. فقد سار مع الملك زهير وعنتر لقتال بني فزارة. والربيع وعمارة. فلما وقف معدي على حقيقة الخبر. فرح واستبشر. وزال عنهُ الغم والكدر. وقال يا للعرب الاخيار. قد صح ما كنت اطلبهُ واختار. وسهّل الله عليّ اخذ الثار. وكشف العار *

ثم انهُ اخبر الفرسان الذين معهُ. بذلك الخبر الذي سمعهُ. وقال ابشروا ياوجوه العرب. بنوال الفضة والذهب. وبلوغ الارب. وبلغ قيس قدوم معدي كرب. فخفق فوادهُ والتهب. وايقن بالهلاك والعطب. فصاح في الفرسان. ومن يعتمد عليه من الشجعان. فضجّ الحي من كل جانب. وركبت الابطال ظهور الجنايب. واسرعوا الى خارج المضيق. ولهم همهمة وبريق. مثل نار الحريق. فراوا البر يلمع من لمعان الصفاح. واسنة الرماح. فتاهبوا للحرب والجلاد. وجردوا السيوف الحداد. ومدوا الرماح المداد. واطلقوا اعنة الخيل الجياد. وحملت عليهم بنو زبيد ومراد. واختلف بينهم القتال في تلك الوهاد. وارتفع الغبار وزاد. وانقلبت الدنيا بالصياح. وهبّت عليهم نسمات الموت مع عواصف الرياح. وتُثرت الجماجم من على هامات الاشباح. وخافت بنو عبس على الحريم من السبي والافتضاح * وكثر عليهم العدد * وزاد المدد *

وطلبتهم المواكب بتلك الكثيرة والعدد * واقبلت عليهم مثل موج البحر اذا ازبد * فعند ذلك وقع ببني عبس التعب والملل * فتاخروا الى ذيل الجبل * وقلّت منهم الحيل * ولم يزالوا على مثل ذلك العمل * حتى ولّى النهار وارتحل * واقبل الليل وانسدل * فافترقوا عن بعضهم البعض * بعد ما امتلأت بجثث القتلا جنبات الارض * ونزلت بنو عبس في باب الوادي * وقد خافت على المال والحريم من الاعادي * ثم ان قيسًا اجتمع بهم وقال * اعلموا ايها الابطال * ان الاعدا في خلق كثير * وجمع غفير * وما لنا غير مطاولتهم في البراز * الى ان ياتي ابي وحاميتنا عنتر فارس الحجاز * فلما سمعوا منه ذلك الخطاب * راوهُ غاية الصواب * وقالوا له لولا هذا الشيطان معدي كرب * ما كنا نبالي بكثرة من ياتي الينا من العرب * فقال قيس لو كنت اعلم ان فيكم من يخلفني في منصبي * كنت بارزتهُ واشغلتهُ عنكم الى ان ياتي ابي * ولكني اخاف ان يقضي عليّ الدهر بقضا * فيقع فيكم الفنا وتمضوا مع من مضى * وحينئذٍ نوخذ اموالنا * وتسبى حريمنا وعيالنا * وتشمت بنا الاعادي والحساد * ونصير احدوثة بين العباد * ثم انهم بعد ذلك الكلام * اقاموا لهم حرسًا تحت غسق الظلام * ودخلوا بين الجبال وغرقوا في بحر المنام * ولما انجلت ظلمة الغياهب * واشرقت الشمس على المشارق والمغارب * نهضت الفرسان من كل جانب * وركبت ظهور الجنائب * وبادرت الى

Digitized by Google

القتال مثل السلاهب * وكان اول من برز لى معركه الحرب * معدي كرب الفارس الندب * واخرج الى بني عبس يده * وابدى من الوقاحة ما عنده * وقال اين اسودكم الذي تطلبون حمايته * وتفتخرون على جميع العرب بشجاعته * فدعوه ان يحمي جنابكم * ويرد عنكم مصابكم * فوحق من امر الغيث فانسكب * وروى بو الارض فاعشب * لاتركنكم مثلاً بين العرب * فلما سمع بنو عبس كلام معدي كرب * تبادروا اليه من كل مكان * وارادوا ان يجولوا معهُ في الميدان * فردهم قيس من شفقتهِ عليهم * وفداهم بنفسهِ خوفاً من ان تصل الاذية اليهم * وتقدم الى معدي بقلب اقوى من الحجر * وجنانٍ اجرى من تيار البحر اذا هاج وزخر * وكان قيس من الفرسان التي تذكر. ولما قاربهُ ناداهُ ويلك يا معدي. لقد اكثرت علينا من كلام الجور والتعدي. واتيت تكافينا بالشر والضرر. ونسيت ما فعلهِ معك من الجميل حامينا عنتر * وقد اسات الادب * وانت تدّعي الحسب والنسب * فتبّاً لك من بين العرب * فوحق البيت الحرام * يا نسل اللئام * ان وقعت في يدهِ مرةً اخرى. لا تركناهُ يبقي عليك ولو جرى مهما جرى * ثم ان قيساً بعد ذلك حمل عليه * ومد سنان رمحه اليه * وصال وجال * ولعب برمحهِ العسال * وانشد وقال *

لو كنت تعرف يا معديْ احسانا ماجيت بالخيل والفرسان تلقانا
اسرك فارسنا والنقع مرتفعٌ وعفَّ عنك وظنَّ الكفر ايمانا

فعدت ضيعت ما اولاك من نعم ... وابن اللئام اذا استخونته خانا
لله درّ بني عبس لقد حملت ... من الفخار اكاليلا وتيجانا
نحن الملوك وباقي الناس كلهم ... تراهم عند ضرب السيف غلمانا
اذا ركبنا متون الخيل واشتبكت ... رماحنا قدحت في الجوّ نيرانا
وبات من اجلنا كسرى على وجل ... يخافنا وملوك الارض تخشانا
وان وهبنا نفيض الارض من كرم ... حتى تظن عطانا موج طوفانا
فمن يحاربنا يمسي بذي خجل ... اذا راى فعلنا سرًّا واعلانا
ومن يفاخرنا يضحى وجثته ... نهبًا الوحش الفلا من قبل يلقانا

قال الراوي ثم انهما تقاتلا القتال الشديد . حتى تثلمت في ايديهما صفايح الحديد . وطحنت ارجل الخيل من تحتها حصى الجلاميد . الا ان قيسًا لم يكن من طبقة معدي في الشجاعة والفروسية . لان معدي كان من الجبابرة الالفية . المعدودة في زمن الجاهلية . فسطى على قيس واستطال . واعجبته نفسه في القتال فلما نظرت بنو عبس ما حل بقيس من الخبال . تغيرت منها الاحوال . وارادت ان تحمل بعض الاثقال . وتلقي انفسها على الهلاك والوبال * واذا بالعرب قد حملت * والارض من ركض خيولهم تزلزلت . ومدت الى بني عبس الرماح السمهرية * وجردت السيوف المشرفيه * وافترق قيس عن معدي كرب . وانفرجت عنه الهموم والكرب * لانه كان قد اشرف على العطب ومن عزة نفسه لم يطلب الهرب . بل انه صبر حتى حملت

العرب * وما زال القوم في اشد القتال * وحرب ونزال * الى ان صار نصف النهار * وكان قد فل من بني عبس الاصطبار * فتاخرت الى باب الوادي. خوفاً على الحريم والاولاد من الاعادي. وثبتت عند باب المضيق * وحملت انفسها ما لا تطيق * واعانتها العبيد بطعن الحراب والمزاريق * واستدام القتال على مثل ذلك الحال * ان ولّى النهار بالارتحال * واقبل الليل بالانسدال * فعند ذلك رجعت كل طايفةٍ الى مقامها ٠ وقد ايقنت بنو عبس بشرب كاس حمامها ٠ وافتقد قيس رجاله فوجد قد فقد منهم خلقٌ كثير. فخاف من الهلاك والتدمير ٠ وقال والله ان ابطا علينا ابي وعنتر. الى يوم اخر. انقلع منا الاثر. وما بقي في الامر الا اننا نحفظ باب هذا المضيق * حتى ياتينا الفرج وينكشف عنا الضيق *

هذا ما كان من بني عبس وما حل بهم من الكرب * واما ما كان من معدي كرب * فانهُ عاد وهو في غاية الفرح والطرب * على ما اصاب بني عبس من النوب. وقد حدثتهُ نفسه انهُ في ثاني الايام * يبذل فيهم سيوف الانتقام * ويسبي النسآء الكواعب * وياخذ بثار ابن عمه خالد بن محارب * ولما اصبح الصباح * واضا بنورهِ ولاح. صاح معدي على من يعتمد عليه من الفرسان الوقاح. وقال دونكم وهذا المال المباح * قبل ان ياتيكم احد من عرب البرو البطاح * ويسبقكم عليه ويقاسمكم فيه * ولا يعود ينال

احد منكم ما يشبهه ٠ ثم انهُ زحف بكل فارسٍ وبطل ٠ طالب ذروة الجبل ٠ فالتقتهُ بنو عبس وتطاعنوا باطراف الاسل ٠ وتضاربوا بالسيوف على اعالي القلل ٠ هذا وقد تصايحت النسا والاطفال ٠ وطاب الموت لمن دونهم من الرجال . وقاتلوا دون المال والعيال ٠ فلما راى معدي ان الامر قد طال ٠ ترجل وترجلت معهُ الفرسان والابطال ٠ وفعلت كذلك بني عبس الاقيال ٠ وتكافحوا بالدرق والسيوف الصقال ٠ الى ان دنت منهم الاجال ٠ وكان لهم يوماً من الايام الطوال . يذكر على مدى الايام والاجيال ٠ ولم يزالوا على ذلك الحال . الى ان اقبل الليل بالانسدال ٠ فعند ذلك انفصلوا عن بعضهم البعض ٠ ونزلت كل طايفةٍ منهم في ناحية من الارض ❁

قال هذا ما جرى لهولاء من الحديث والخبر ٠ واما ما كان من الملك زهير وعنتر . ومن معهم من العسكر ٠ فانهم بعد ما ظفروا بتلك العساكر . وطابت قلوبهم بصحبة الامير مجار بن عامر ٠ رجعوا طالبين الجبال . وهم في غاية الفرح ببلوغ الآمال . ولما اقتربوا الى تلك الاطلال . التفت مجار على ابي الفوارس عنتر ٠ وقال لهُ يافارس البدو والحضر . قد زاد غمي ووجدي ٠ وانكرت غيبة الامير معدي ٠ لانهُ كان قد كتب لي باوضح عبارة . واوعدني انهُ يلتقي بي في ديار بني فزارة ٠ وكذلك دُرَيد بن الصِمَّة البطل القسوَر ٠ وسُبَيع بن الحارث فارس بني حِمْيَر ٠ ولحد الان لم اقف

لهم على خبر . ولا ظهر لهم اثر . وانا خايف ان يكونوا قد سمعوا
بمسيركم من الجبال . فساروا الى هناك وسطوا على حريمكم والعيال
والراي عندي ان تنفذ شيبوبًا اخاك . ويأتينا باخبار من خلَّفته
وراك . فلما سمع الامير عنتر . من حجار ذلك الخبر . تحركت في
قلبه الوساوس والفكر . وقال قد صدقت . وصوابًا نطقت .
وارسل اخاه من تلك الساعة . ليكشف لهُ خبر الجماعة . فسار في
الحال . الى ان اشرف على الجبال . ووقف على حقيقة الاحوال
ثم رجع على الاثر . وجد في قطع البر الاقفر . حتى التقى بالملك
زهير واخيهِ عنتر . واخبرهم بحقيقة الخبر . فلما سمع عنتر ذلك
الكلام . صار الضيا في عينيهِ كالظلام . وقال لعنك الله يا معدي .
على هذا الجور والتعدي . ولعنت اللات والعزى ابي وجدي .
ان لم ادع لي ولك حديث تذكرهُ الخلق من بعدي . ثم انهُ عزم ان
يطلق عنان الجواد . ويلحق اهله قبل ان تتشتت في اقطار البلاد .
فاقبل عليه حجار وقال لهُ يا ابا الفوارس . ازل عن قلبك هذه
الوساوس . وانا اسالك بحقّ الصحبة والحرمة . ان تندبني لهذه
الخدمة . وانا اسير الى معدي كرب . وابصر من تبعهُ من فرسان
العرب . واحرص على ان اجعل بينك وبينه مودة ونسب . وان
لم يجبني الى ذلك قدتهُ اليك . واجعلك تحكم فيهِ وهو ذليل بين
يديك . فقال عنتر افعل ما تريد . ايها البطل الفريد . فسار
الامير حجار في بني كندة الاخيار . حتى اشرف على الجبال . وسمع

صياح النسا وبكا الاطفال. فقال واحرباه هلكت بنو عبس *
وحل بها التعس. والنكس* فيالها من نوبةٍ ما ايشمها. ومصيبةٍ
ما اعظمها. فوحقّ البيت الحرام. وما عليهِ من الالهة والاصنام.
لو ابصر عنتر اليوم ما حل بقومهِ من المصايب. والمحن والنوائب.
ما كان يبقي من بني زبيد لا ماشٍ ولا راكب. ثم انهُ في عاجل
الحال. طلب معركة القتال. فلما نظر معدي الى تلك المواكب.
التي قد اقبلت وملئت تلك السباسب. ففرح بقدومها لما راى
راياتها قحطانية. وقال لقومه ابشروا بالخير واشكروا ربّ البريّة.
فما طرقكم عدو. ولا من يريد لكم سو بل هو الامير حجار. وانني
والله كنت له في الانتظار *

ثم انهُ سعى اليه. وتقرّب منهُ وسلّم عليه. وقال اهلاً بالاخ
الشقيق. والصاحب الصديق. فوالله ما اتيت الاّ في وقتك انت
وبني عمك. حتى تاخذ من هذه الغنيمة قسمك. فقال حجار لقد
خاب ظنّك يامعدي. وقد نسبتني الى غير ابي وجدي. لان
فعل الجميل والاحسان. لايضيع الاّ مع من لايكون لهُ قدرٌ ولا
شان* وايٌّ من كان لهُ نسبٌ رفيع * لايفعل فعل اللئيم الوضيع *
قال الراوي فلما سمع معدي منهُ ذلك المقال. تعجب واعتراهُ
الاندهال. وقال كيف هذا الحال. اما انت على العهد الذي
عاهدتني عليهِ مقيم. قال نعم وحق رب زمزم والحطيم. ان انت
اطعتني ومشيت على الصراط المستقيم. وسمعت ما اقولهُ لك

من نصحي . وطلبت مودتي وصلحي . والا قاتلتك بسيفي ورمحي .
فقال يا اخي ما الذي بلغك عني من فسخ الزمام . حتى غيرت ما
بيني وبينك من الوداد وكلمتني بهذا الكلام . الذي هو اشد من ضرب
الحسام . فعند ذلك حدثه حجار بما جرى بينه و بين عنتر . من
الحديث والخبر . ووصف له كرمه . وحسن شيمه . وذكر له ما
فعل معه من الاول الى الاخر . وكشف له عن الباطن والظاهر .
وقال له بعد ذلك . وحق مالك المالك . لو اعطاني عنتر
اليوم جماله . لخدمتها ورعيتها له . فان كنت يامعدي ترضى بما
رضيته انا من هذا الحال . فعاهدني ووافقني على هذا المقال .
واكون انا وانت بين يدي عنتر من جملة الابطال . والّا دونك
الحرب والقتال . ودع عنك المحال . قال فتغيرت من معدي
الاحوال . وزادت ناره في الاشتعال . وقال ويلك يا حجار
ذليت لعبد بني عبس . وذهبت عنك عزة النفس . فقال له
حجار دع عنك يامعدي الحماقة وكلام التعدّي . ولا ترجع بمثل
هذا الحديث في حق عنتر . لان ساير الخلق من انثى وذكر . ومن
رزقه رب السعادة فخرًا افتخر . وساد على جميع العباد والبشر .
والذي اعلمك به ان عنترا مخلوق للحرب وليس عليه عيار في
الثبات والقوى . وقتال الفارس والالف بين يديه بالسوى .
وانا كنت اقول في نفسي بانني فارس الفرسان . وقاهر الابطال
والشجعان . وان الجبابرة بين يدي شبه النشوان . الى ان التقيت

به في ارض بني فزارة . وطلبت منهُ الانصاف وبارزتهُ فعرفت الربح من الخسارة . ورايت سطوات الدهر اهون من سطواته . ومصائب القضا النازل اقل خطرًا من خطراته . وكنت كلما بذلت فيه المضارب . ابطلها عنهُ بضربٍ صايب . ويعفو عني كما يعفو الشجاعُ على اضعف النسآ والبنات الكواعب . ولما اسرني وايقنت انني معطوب . شكوت حالي الى اخيه شيبوب . وطلبت منهُ الذمام . فاذم لي على دمي من غير كلام . ووافقهُ عنتر على ذلك واجاد ذمامه . وابدى لي ابتسامه . واطلقني من العقال . حتى كانني ما خطرت لهُ على بال ولم يندم على ما فعل اخيه في حقي من الفعال . فلما رايت حسن صنيعه وبياض فعاله . هانت نفسي عندي وصرت من بعض رجاله . واتيت معه الى هذه الاطلال والمعالم . حتى اعينه على قتال الاعاجم . ونسعى في خلاص النعمان قبل ان تطمع في العرب عباد النيران . وتخرق حرمة البيت الحرام . وتكسر ما عليه من الاصنام . لان الملك الاسود يتبع كسرى في اعتقاده . لا سيما وقد ولاهُ على اقاليمه وبلاده . فاترك يامعدي ما انت عليه من نصرة العجم . ولا نتبع ما انت عليه من هذا الفكر فتندم . وبادر الى ما ذكرتهُ لك من هذا الامر قبل ان يحل بك العدم . لاني تركت عنتر سايرًا على اثري بمن معهُ من الفرسان . وفي هذه الليلة يكون في هذا المكان . ثم اوقفهُ على جميع الاسرار . واعلمهُ بان شيبوبًا اتى الى عنده وكشف

الاخبار . وكيف انهُ سال عنتر في المسير اليه . مشفقةً عليه . فقال معدي كيف يمكن الان ان تصفو لي قلوب بني عبس . بعد ما انزلت بفرسانهم التعس والنكس . وفعلت في حقهم ما فعلت . وقتلت منهم من قتلت . فقال حجار اذا انت صفيت لهم الوداد . زالت من قلوبهم الاحقاد . ولا يعتبون عليك فيما فعلت من الاخطار . لان فرسان العرب ما زالت تطالب بعضها بالثار . وان انت اطعتني اكون لك الواسطة في هذه النوبة من غير تنكيد . حتي يصير لك في هذه القبيلة ركنٌ شديد . وياتيك الامر كما تشتهي وتريد . ولا سيما اذا ساعدناهم على خلاص صهرهم النعمان . فتشكرنا على ذلك طوايف العربان . قال وما زال حجار يتحدث بمثل ذلك الكلام مع معدي كرب . حتي اجابه الى ما طلب . ولما اتفقا تعاهدا وتحالفا بالايمان . التي كانت تحلف بها العرب في ذلك الزمان . وبعد ذلك اختلطت بنو كندة ببني زبيد . وتمهدت الامور بينهم غاية التمهيد . قال وكانت بنو عبس الاخيار . قد زاد غمها من قدوم الامير حجار . فاشتد صياحها . وآيست من ارواحها . واعلنت بالصياح من داخل الوادي . وايقنت بالسبي على يد الاعادي * فلما علم حجار بحالها . ارسل اليها وطيب قلوبها واعلمها بمجي ابطالها * فزال عنها الغم والثبور * وحل عندها الفرح والسرور * وما اظلم الليل واعتكر * حتي وصل الملك زهير وعنتر * فالتقاهما حجار من تلك الساعة * واخبرهما

باجابة معدي كرب الى الطاعة . وكان معدي قد ركب الى جانبهِ وحوله مشايخ بني زبيد الانجاب . فلما راى الملك زهير ترجل عن جواده وقبل الركاب . وكذلك فعل عنتر . ورقَّ لهُ في الكلام واعتذر . وقال يا ابا الفوارس كل دم بيننا موهوب . غير مطلوب . والرب الكبير مطّلع على ما في القلوب . فقال عنتر يا سيد بني زبيد وحق من اوسع البيد . وانبع الماء من صمّ الجلاميد . نحن ما فعلنا هذه الفعال . عصبة منا للملك النعمان ومن معهُ من الرجال . بل خوفًا على البيت الحرام . ليلّا تطمع فيه طناجير الاعجام . لانهم لو ظفروا بالكعبة جعلوها بيتًا من بيوت النار . وانقلع من العرب الاثار . فصدقهُ معدي في كلامهِ . وشكرهُ على اهتمامهِ . قال ثم ان الملك زهير اخلع عليهم الخلع . والتمّ شمل القبايل واجتمع . وغمر الفرسان بالاحسان . ونحر لهم النوق والفصلان . ودخلوا الى داخل الجبال . وقد صار عددهم نحو خمسة عشر الفًا من الابطال . ممن تضرب بشجاعتهم الامثال . هذا وقد وقعت البشاير . وفرحت النسا الحراير . ونحرت الفرسان النوق والاغنام . واقاموا في اكل طعام . وشرب مدام . مدة سبعة ايام . وكان عنتر قد ارسل اخاهُ جريرًا الى ارض الحيرة وتلك المعالم . ليكشف لهُ اخبار الاعاجم . فلما كان في اليوم الثامن اقبل جرير من الحيرة . واخبرهم ان عساكر العجم والعرب قد اجتمعت في امم كثيرة . فقال لهُ عنتر ومن اجاب الاسود . من عرب

البر والفدفد . قال آل باغض والاشتر . وآل باهض ومنقر . وآل طي وشيبان . وكل من يبغض دولة الملك النعمان . ووصل اليه بني فزارة مع الربيع وحذيفة بن بدر . واشعلوا قلبه عليكم بلهيب الجمر . وما فيهم الا من بكى وانتحب . واكثر من الشكوى والعتب . وكان خداوند بن كسرى عول ان يقسم العساكر قسمين . ويجعلها فرقتين . الفرقة الواحدة يرسلها اليكم لاجل الانتقام . والفرقة الثانية الى البيت الحرام . فلما وقف على حقيقة الاخبار . وعلم ان معدي كرب صار صديقاً لكم مع الامير حجار . امر العساكر جميعها ان تسير اليكم وتمحي منكم الاثار . وقد رحل من ارض الحيرة في هذه الايام . وترك فيها الفين فارس من الديالم والاعجام . مع حاجب رفيع المقام . لاجل حفظها من شياطين العربان . واوصاهم بالاحتراز على الملك النعمان . وقد انبهرت من كثرة جموعهم . ولمعان اسنة رماحهم ودروعهم ○

قال فلما سمع عنتر من اخيه ذلك الكلام . زاد به الوجد والهيام . وقال وحقّ من امر البرق فابرق . والظلام فاغسق . لافرقن كل موكب منهم عشرة فرق . ولا نثرنهم نثر الورق . ثم انهُ في ساعة الحال اجتمع بالملك زُهير واوقفهُ على حقيقة الاحوال . فقال زُهير يا ابا الفوارس نحن ما عندنا الا الحرب والقتال . والضرب بالسيوف الصقال . والطعن بالرماح العوال . والاختيار لمن صحبنا من هولاء الرجال . وساعدنا على هذه

Digitized by Google

الاهوال . قال عنتر وذمة العرب ما بينك وبين القوم . الا بمقدار ما تشرف الفرس فيبطل العتب واللوم . ولا كلام الى حتى تقع العين على العين . وتقتل عشرة فوارس من الطايفتين . فيطالبوا بعضهم البعض بالدما والدين . فعند ذلك يلزمهم ما يلزمنا . ويحتاجوا ضرورةً ان يقاتلوا بكلما يقدروا عليه معنا . ثم انهم اجتمعوا بحجار بن عامر ومعدي كرب . ومن معهم من فرسان العرب . واعلموهم بان عدد العساكر القادمة عليهم الى ذلك المكان . ماية وستون الف عنان . فلما سمع معدي كرب والامير حجار بتلك الاخبار . قالا والله ان هذه مصيبة عظيمة . وداهية جسيمة . ونحن ليس لنا صبر على هذا الشان . ان لم يرجع الملك الى النعمان . فماذا عوّلت ان تفعل يافارس عدنان . قال عوّلت على لقاهم . والصبر على ما ياتي من بلاهم . ولا ارجع عنهم حتى ابيد اقصاهم وادناهم . واهلك شيخهم وفتاهم . فقال حجار يا ابا الفوارس هل نحل هم طناجير الاعجام المخرقين الاذان . التي نسا العرب اشد منهم باساً في معركة الطعان . فوحق الكعبة الغرا والحرم . ومن اوجد الاشيا من العدم . لاتركنا من العجم . من يمشي على قدم . فقال معدي الراي ان نحسن التدبير . وننظر كيف يكون العبور في هذا الامر الخطير . لان جريراً تحدث بكلام العارف الخبير . واعلمنا بان القوم في عدد كثير . والراي عندي ان نرسل الى الحيرة جماعة من الفرسان . لاجل خلاص ملك العربان . فاذا

Digitized by Google

بلغنا المقصود حصل لنا وجه الامان . لان هذه العساكر لاتصل
الى هذا المكان . الاّ بعد مدة من الزمان . حتى اذا قدمت نلتقيها
بمن معنا من الشجعان . الى ان يصل الينا الملك النعمان . فمتى
وصل وصرنا حواليه . عادت طوايف العرب كلها اليه . قال
فلما سمع الحاضرون من معدي ذلك المقال . استصوبوا رايه
وقالوا ما بقي بعد هذا القول الاّ الفعال . فقال عنتر انا اسير
في ماية فارس من الابطال . واقضي هذه الاشغال . قال الملك
زهير ايها البطل المهاب . ان مسيرك عنا الى الحيرة ليس بصواب .
ولاسيما اذا اشرفت علينا العساكر الى هذه الربى . كانت والله
الرجال تسقى عطبا . والاموال تتبدد شرقًا وغربا . والعيال
تذهب وتسبى . فقال حجار ايها الملك لاتخف من بوس ولا
ضرر . فوحق من خلق الشمس والقمر . وجعلها آيتين للبشر .
لا بد ان نقاتل بين يديك حتى نعدم السمع والبصر . ان غاب
ابو الفوارس او حضر . ومن حيث الحالة هذه فمقامه في بني عبس
اصوب . ومسيري انا في هذا الامر اوجب . ثم انه حلف واقسم
باجل الايمان . انه لايسير احد غيره الى خلاص النعمان . الاّ هو
وحده وجماعة من الفرسان . ثم امر من يومه . الى ماية فارس من
ابطال قومه . ان يستعدوا للمسير . ويتاهبوا لسرعة الجد
والتشمير . فلما نظر عنتر الى حجار وما فعل . شكرهُ على ذلك
العمل . وانتخب لهُ في ساعة الحال . ماية فارس من بني عبس الابطال .

Digitized by Google

وقدم عليهم عروة الفارس المغوار . واضافهم الى الامير حجار . ثم انهم انتخبوا لهم نجبٌ عبسيةً . تسابق الرياح الغربيةّ . وجدوا في قطع القفار . والفرسان من خلفهم مثل شعل النار . هذا ما كان لهولا من الحديث والخبر . واما ما كان من ابي الفوارس عنتر . فانهُ بعد مسير القوم . كان يركب هو ومعدي كرب في كل يوم . ويوسعا في البراري والاكام . ليكشفا اخبار عساكر الاعجام . وما زالا على مثل ذلك الحال ثمانية ايام ولما كان في اليوم التاسع . ظهرت عليهم غبار الطلايع . وهي التي لابن كسرى خداوند . وكان المقدم عليها حاجب يسمى شاه برد . وكان شيطانٌ لا يُمارَس . وجبارٌ لا يقايس . وكانت عدتها عشرة الاف فارس . من كل بطل ممارس . وليث مداعس . فالتفت معدي على عنتر . وقال لهُ يا ابا الفوارس هذا جيش الاعجام قد اقبل وبدر . فدبر نفسك واصنع . ما شيت ان تصنع . وان اردت ان ترجع فارجع . فقال والله يا معدي لا نعود الى اهلنا ونخبرهم بهذا الخبر . الاَّ حتى نوثر في هولا الاعدا ايشم اثر . ثم انهُ في ساعة الحال ايقظ فرسانه ورجاله . وفعل الامير معدي ايضاً مثل فعاله . وتاهبوا لذلك الجيش وقتاله . فلما نظر مقدم الطليعة الى فعالهم . انكر عليهم امرهم وحالهم . وقال ما هولا الاَّ من عساكر العربان . وقد سمعوا باخبارنا ووصولنا الى هذا المكان . واتوا يطلبون منا الامان . ثم انهُ التفت الى من حولهِ من الفرسان . وقال لهم تقدموا اليهم واقتفوا اثارهم . وعودوا

الينا بحقيقة اخبارهم . فانفرد منهم الفين فارس. وساقوا الى نحوهم مثل الابالس . فصاح معدي في المائة فارس التي معه من بني زبيد . واراد ان يحمل عليهم ويفرقهم في اقطار البيد . فنهاهُ عنتر عن ذلك الامر. وقال لا تفعل ذلك فيشمت فينا زيدٌ وعمرو. والراي ان نلقاهم انا وانت في هذه النوبة . حتى تقع لنا في قلوبهم الهيبة. فلما سمع معدي ما ابداهُ في مقالهِ. عرف ما قد خطر ببالهِ . فقال لهُ يا ابا الفوارس انا وحدي القاهم . واعجّل هلاكهم وفناهم . وما قصدت بكثرة الرجال . الى السرعة في نجاز الاشغال

فعند ذلك حمل عنتر وطلب الميمنة ومعدي طلب الميسرة. وصاحا صيحاتٍ منكرة. ولكل منهما هدير وزمجرة. ونظر الحاجب شاه برد الى فعالهم . فانكر امرهم وحالهم . وعظم ذلك الامر عليه . وسجد للشمس لما راى عنتر قد مال اليه. ثم التفت على من حواليه من جبابرة الديلم. وقال لهم ويلكم هل سمعتم بان فارسين من رعاة الغنم . تحمل على الفين من فرسان العجم. فقالوا نعم ايها السيد المحترم . والبطل الغشمشم. ان هذا من جملة بغي العرب وجهلها. وانهُ مما يقودها الى هلاكها وذلّها. فبينما هم كذلك واذا بجماعة من رفقاهم. قد اقبلوا عليهم وهم لا يلتفتون الى وراهم. فقال لهم شاه برد ما وراكم. وما الذي تم عليكم ودهاكم. قالوا ورانا سباع الاجام . وفهود الاكام. وان لم تدركنا والا شربنا كوس الحمام . وحل بنا الانتقام. فلما سمع منهم ذلك الكلام. صار الضيا في عينيه كالظلام.

وقال لهم ويلكم يا ليئام . افارسيني من رعاة الاغنام . تلقى الفين
من ابطال الاعجام . ثم انهُ حمل بمن معهُ من الابطال . وقد
تغيرت منهُ الاحوال . الى ان التقى بعنتر ومعدي كرب . وكانا
قد انزلا بعساكره الويل والحرب . فلما التقوا صاح معدي في
بني زبيد فحملت . وهجمت بنو عبس وقاتلت . ودارت بينهم
الحروب واتصلت . وعملت السيوف في رقابهم وفصَّلت . وارتجت
اقطار الارض وتزلزلت . وحوسبت النفوس فسئلت . باي
ذنب قتلت . واظهر معدي العجايب . وفرَّق عنتر المواكب .
ومزَّق الكتايب . ونكس الاعلام . واهلك فرسان الاعجام . والتقى
بشاه برد مقدم الطليعة . وهو يصيح على رجالهِ باصوات مريعة .
ويطلب اخذ الثار . وينادي باسم النور والنار . فاعترضهُ عنتر .
وصاح في وجههِ فانذعر . وطعنهُ بالرمح الاسمر . وهو يزمجر كأنهُ
البحر اذا هدر . فوقع الرمح في احشايهِ . فسقط الى الارض يتخبط
بدمايهِ . ثم ارتد على صاحب العلم . وضربه بالسيف انزل بهِ
العدم . وزعق في فرسان العجم . فاحل بهم البوس والنقم . فولوا
مدبرين يقودهم الخجل . ويسوقهم الخوف والوجل . وجدوا في
مسيرهم كل الجدّ . حتى التقوا بابن كسرى خداوند . فسالهم الحاجب
الاكبر . عن حقيقة الخبر . قالوا لهُ التقانا عنتر وفرق شملنا في
البر الاقفر . وقتل مقدمنا شاه برد . وطعن فينا طعناً لا يردّ .
فانذهل الحاجب وتحير . واضطرب جميع العسكر . ولولا هيبة

Digitized by Google

خداوند بن كسرى . كان تفرق في اقطار الصحرا . وخاف الملك
الاسود من الكبسة في الليل . كما فعل عنتر بوادي السيل . فامر
الفرسان بالتيقظ والاحتراز وان لا تنام الا على ظهور الخيل . قال
هذا ما جرى لهولاء من العبر . واما ما كان من معدي كرب
وعنتر . فانهما بعد ما تفرقت العجم في الروابي والشعاب . جمعا
العدد والاسلاب . ورجعا على الاعقاب . وكان الملك زهير قد ابطى
عليه قدوم عنتر ومعدي كرب . فركب في الف فارس من ابطال
العرب . وسار خلفهما ليقتفي منهما الاثار . وينظر ما جرى لهما من
الاخبار . الا انه ما ابعد عن الجبال . حتى التقى بهما ومن معهما من
الرجال . فسلموا على بعضهم البعض . وفرحوا بما وقع لهم من اللقا
في تلك الارض . وحدّث عنتر الملك زهير بما جرى بينهم وبين
العجم . ففرح بذلك وتبسم . وقال قد وجب علينا الشكر العميم
لرب زمزم والحطيم . الذي منّ علينا بهذا الفارس العظيم ثم اشار
بيده الى معدي كرب . فقال معدي ايها الملك المنتخب . ما دام
معك ابو الفوارس عنتر . فلا تذل ولا تقهر ثم انهم رجعوا على
عجل . حتى وصلوا الى الجبل . واخبروا رجالهم . بما جرى لهم .
فكثرت منهم الافراح . وزالت عنهم الاتراح . وتباشروا بالنصر
والنجاح . وباتوا تلك الليلة على احسن حال . وانعم بال . وقد
طابت قلوب النسا منهم والرجال . ولما اصبح الصباح . خرجوا
من داخل الجبال . وهم متاهبون للحرب والقتال . فبينما هم كذلك

Digitized by Google

اذ طلع عليهم غبار عساكر العجم . وارتفع على اقطار الارض وخيّم . واسود الجو منهُ واظلم . ونفرت الوحوش من الغابات . وبانت الاعلام والرايات . وكان كلما ظهر جحفل . ونظر الى بني عبس وهم وقوف امام الجبل . صاح فيهم وحمل . وعمل الحرب بينهم واتصل . ولما نظر عنتر الى ذلك العمل . هان عليهِ فروغ الاجل . وكان كلما راى كتيبة من فرسانه تضعضعت . يحمل معها حتى يكسر اعاديها فتقوى قلوبها اذا سمعت صيحاته قد ارتفعت . ثم يعود الى مكانهِ . ويفني الفرسان بشدة جولانهِ . هذا ومعدي قد تعجب من فعالهِ . فصار يقتبس منهُ ويعمل كاعمالهِ . وما زالت العساكر تحمل وتتقدم . حتى اشرف خداوند في بموكبهِ الاعظم . فصاح في نقباه وحجابه . وامرهم ان يردوا عساكره واصحابه . وقد رُفِعَت الاعلام . وضُرِبت الخيام . وامتلأت منهم تلك الساحة . ونزل خداوند في خيامهِ لاجل اخذ الراحة *

ثم امر وزيره ان يكتب كتاباً الى بني عبس من تلك الساعة . يامرهم بالتسليم والطاعة . فكتب الوزير بزرجمهر كتاباً الى الملك زهير وعنتر . يقول فيه الذي نعلم بهِ الملك زهير ملك الطايفة العبسية . التي قد بغت على المملكة الكسروية . واوصلت اذيتها الى الدولة الفارسية . يجب عليك ايها الملك ان تعرف قدرك . ولا تتكبر على من امره فوق امرك . فان لم تنتهي عن ذلك يحل بك الندم . وتصبح مع قومك مثلاً بين الامم . والا وحق الشمس العليّة

والانوار الشعشعانيَّة . اهلكتكم مع من يلوذ بكم بالكلية . لان قوتنا قاهرة . وسطوتنا باهرة . وعساكرنا منصورة ظافرة . والسلام على من عرف قدر النار . وسجد لها في الليل والنهار . ثم سلم الكتاب * الى حاجب من الحجاب * واضاف اليه جماعة من الخدم . مع ترجمان يقال له عقاب بن ترجم . حتى انه يترجم لهُ ويتكلم . فانطلق وسار . وهو في زي الملوك الكبار *

قال الراوي وكانت بنو عبس قد نزلت عن ظهور الخيل وتحصَّنتْ في الجبال . وما بقي راكب سوى عنتر ومعدي كرب في عشرة من الرجال . فلما نظر عنتر الى الحاجب ومن معهُ وهم مقبلون على تلك الخيول . قال يا معدي ان صدقني حذري فهذا القادم علينا رسول . يريد منا تقديم الطاعة لمولاه . والانقياد لاوامر من انشاه فقصده عنتر حتى يسالهُ عن فحوى الرساله . وما فيها من تهديد وساله . فلما قاربهُ وحاداه . قال له اعلمنا عن سبب مجيئك وفحواه *

فلما سمع الرسول من عنتر ذلك الخطاب . لم يعتبرهُ ولم يرد عليه جواب . فقال لهُ الترجمان نحن نريد الملك زهير وعنتر . حتى نبدي لهما ما معنا من الخبر . لان هذا الحاجب قد اقبل بكتاب لكم فيه الحظ الاوفر . والسعد الاكبر . يفهمهُ كل من لهُ عقل ونظر . قال عنتر قد قرات كتابكم قبل ان تصلون الينا . وتقدمون علينا . واعددت لكم الجوايز من الخلع الفايقة . والتحف

الفاخرة الرايقة *

ثم انه في ساعة الحال. صاح على شيبوب ومن معهُ من الرجال وقال لهم دونكم وهولآء الانذال. رجلوهم عن خيولهم وقيدوهم بالسلاسل والاغلال. وتقدم هو الى الحاجب وطعنه بعقب الرمح كسر لهُ ثلاثة اضلاع. والقاه الى بساط البقاع. واستقبل بعد ذلك الباقين وانقض عليهم مثل الشاهين فسلموا انفسهم لهُ وقد خافوا من الهلاك المبين. فشدهم شيبوب بالكتاف واوثق منهم السواعد والاطراف. فلما نظر الترجمان. الى ما حل باصحابهِ من الهوان. التفت على عنتر. وقد انذهل وتحيَّر. وقال لهُ جزاك الله خيرًا *ولا اراك سوءًا ولا ضيرًا فقد اعطيت الجواب. قبل ان تتعب نفسك بقرآءة الكتاب. ولكن اذا كانت هذه الطعنة هي خلعة الحاجب الكبير *فما هي اذن خلعة الترجمان الفقير. فضحك عنتر وابدى الابتسام. وقال لهُ بحرمة البيت الحرام. اما انا صادق في الكلام. قال اي نعم. وحق البيت المعظَّم. وانا اطلب من الله ان ينصرك على العرب والعجم. ويوقيك شر الرزايا والنقم. ان انت عفوت عن عبدك عقاب بن ترجم * لانني قليل المال. ذو عيال واطفال. لانوق لي ولاجمال. وما سرت مع هذه العساكر ياوجه العرب. الا طمعًا في المال والمكسب. والان قد دني اجلي واقترب. وما بلغت الارب. ثم انهُ بكى وانتحب واشتعل فوادهُ والتهب. وانشد يقول. من فوادٍ متبول *

Digitized by Google

يا فارس الخيل والابطال تَصطَدِمُ ... وايّها وَهيْ مِثلَ البحر تلتطمُ
ذلّتْ لهيبتك العربان وانخذلت ... لما راتك وذلّتْ بعدها العجمُ
فلو دنو منك او مدّوا رماحهم ... الى لقاك لَما عادوا ولا سلموا
مولاي ذنبي عظيمٌ قد علمت به ... وقد نَدِمْتُ وعذر المذنب المندمُ
فارحم فديتك شيخًا قل ناصرهُ ... عند المشيب وذلّت بعدهُ الحرمُ
فما طعان القنا في الحرب من شيمي ... ولا القراع ولا لي صارمٌ تلمُ
اسمي عقابٌ ولولا انني رجلٌ ... والسيف في راحتي لاصطادني الرخمُ

قال الراوي فلما سمع عنتر شعر عقاب بن ترجم ٠ شفق عليه وتبسم ٠ وكذلك معدي كرب ٠ تعجب من كلامهِ واخذه الطرب وقال لعنتر والله يا ابا الفوارس ما دام هذا الرجل قد اقر بذنبهِ ٠ لا يجوز ان تامر في صلبهِ ٠ ثم دنى منهُ واطلقهُ ٠ واجارهُ من القتل واعتقهُ ٠ وقال له ارجع لاهلك ٠ ولا تعود الى العجم فتهلك ٠ لانهم اذا علموا بصلب اصحابهم وراوك قد سالمًا اليهم ٠ اتهموك بانك قد خامرت عليهم ٠ فقال عقاب لقد صدقت ٠ وصوابًا نطقت ٠ لو كنت اعلم بانكم تفلحون ٠ وفى قتالكم مع هذه العساكر ٠ تنجحون اقمت عندكم طمعًا في المال والمكسب ٠ واستخلاص ما قدرت على جمعهِ من الفضة والذهب * فقال لهُ معدي كرب ٠ وقد داخلهُ من كلامه العجب ٠ اعلم يا وجه العرب ٠ ان هذا الامر عليك يطول فخذ الان سلب هذا الرسول ٠ واذهب الى اهلك وخلي عنك الفضول *
ثم ان عقابًا دنى من الرسول واخذ ثيابه وعمامته * وسيفه وعدته *

وكان في وسطه منطقة من الذهب الاحمر * مرصّعة بنفائس الدر والجوهر * فلما راها اندهش وانبهر * فتناولها ورفعها * وفي جيبهِ وضعها * وقد داخله الطمع * وزال عنهُ الخوف والفزع * وتقدم الى عنتر وقبل يداه * ودعى لهُ بالنصر على اعداه * وقال لهُ والله يامولاي ما بقيت افارقك ابداً * وانا اطلب من الله ان ينصرك على العدى * حتى اذا اتاك رسول آخر تقتله وتصلبه * وانا اخذ جواده وسلبه * فضحك عنتر * وكل من حضر * ثم امر عنتر الى شيبوب في الحال * بصلب الرسول ومن معهُ من الرجال * فقال لهُ معدي ياصاحب الاخلاق الكريمة . والافعال الحميدة المستقيمة . اتصلب الرسول ولا تشاور بذلك الملك زهير بن جذيمة . قال عنتر اعلم ان المشورة . لا تنفع في هذه الساعة . والجسارة على فعل المحذورات هي غاية القوة والشجاعة . لانهُ اذا وقع احد منا في ايديهم لا يقبلون فيه شفاعة . والذي يطلب منا تسليم نفوسنا . ويريد هلاكنا وقطع رؤسنا . لا يكون لهُ جواب غير الصلب والعذاب . وهذا الامر لا اكتمهُ عن الملك زهير ولا بد لي ان اعلمهُ بهذه الامور والاسباب . ثم امر بصلبهم على روس الهضاب . وابقى منهم ثلاثة انفار ليرجعوا الى اصحابهم بالجواب . واجتمع بعد ذلك بالملك زهير واخبرهُ بحديث الرسول واعطاهُ الكتاب . فلما قرا ما فيهِ من غليظ الخطاب . زاد بهِ الحنق والغضب . واشتعل من شدة الغيظ والتهب . وشكر عنتر على ما

Digitized by Google

فعل . وما ابداهُ من حسن العمل ثم امر بقطع اذان الغلاثة الباقين .
بعد ما تكلم معهم باشد الكلام المهين . وقال لهم ارجعوا الى صاحبكم
خداوند بن كسرى . واخبروهُ بما تم لكم وجري . وقولوا لهُ ان يجهد
جهده . ويطبخ احمض ما عنده . فخرجوا من بين المضارب
والابيات . مشاة حفاة . اذلا عراة . هذا وصياح الاولاد قد علا خلفهم
فزاد ذلهم ووكف طرفهم . ومات منهم اثنان . من شدة الذل
والهوان . واما الثالث فانهُ جد في قطع القفر . حتى وصل الى
عساكر العجم عند العصر . فتبادر الرجال اليه . وداروا من
حواليه . وسالوهُ عن حقيقة الخبر . فحدثهم بما شاهد ونظر . فلما سمع
زرد كمال . ما حل على الرسول من النكال . وصلب اصحابه على
روس الجبال . تغيرت منهُ الاحوال . وخرج عن دايرة الاعتدال .
ودخل على خداوند بن كسرى . وحدثهُ بما تم وجرى . فاخذهُ
الحنق . واشتد بهِ الارق . ونزل من على السرير وهو في غاية
القلق . وصاح على من حولهِ من الحجّاب . ومن يعتمد عليهم من
الروساء والنوّاب . وقال لهم قد استخفت فينا الانذال . والاوغاد
الارزال . وطلبت قتالي . واستهونت مقام جلالي . وقصدت
انتهاك حرمتي . واخراق مقامي وعظمتي . واريد منكم في الصباح .
ان تبادروهم باشد كفاح . وتاتون لي بساداتهم . وابطالهم وقاداتهم .
حتى انتقم منهم جزاء على جهلهم الفظيع . وفعلهم الشنيع . والا
تركتكم عبرةً للنظر . وآيةً للبشر . فاستعدوا لقتالهم وكونوا على

حذر . فاجابوه الى ذلك الشان . واوعدوه بهلاك العربان .
ثم خرجوا من عنده في الحال . ونادوا على العساكر والابطال .
ان تكون مستعدة في الصباح للمصادمة . متاهبة للمقاحمة والمقاومة
قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضاء بنوره ولاح . صاحت
النقبا في العساكر والمواكب * ونادت في الفرسان والكتايب *
فاستوت الرجال على ظهور الجنايب . وجردت السيوف القواضب
هذا وقد اصطفت العساكر . وتعدلت الميامن والمياسر . ورُفعت
الاعلام الكسروية ودقت الطبول الخراسانية . وارتجت الفلوات .
وعلت الاصوات . من ساير الجهات * ورقصت الخيل بركابها *
وهزت الديالم مزاريقها وحرابها * فلما نظرت بنو عبس الى ذلك
الحال . ايقنت بالزوال . واستعدت للحرب وطلبت القتال * الا
انها لم عن الجبال * خوفًا من الهلاك والوبال . هذا وعنتر في
اوايلها ينخي الفرسان . ويحرضها على الثبات في ميادين الطعان *
ولما تقابل الفريقان * والتقى الجمعان . انطبقت العساكر على
العساكر كانها البحور الذواخر او الليوث الخوادر وعملت البواتر
في الضلوع والخواصر . واسنة الرماح في المقل والمحاجر . وكان
يومًا مهولاً كثير الاهوال والمخاطر . تفطرت فيه المرائر . وعميت
النواظر . وولى الجبان الخاسر . وثبت الشجاع القادر . والشاطر
النادر . هذا وعنتر يهدر كانه الاسد الكاسر . ويجول على الميامن
والمياسر . ويطعن فيهم طعنًا يذهل البصاير . واشتد بين القوم

القتال. وعظمت الاهوال. وارتفع العجاج. وحمي الشجاع وهاج. ونادى ملك الموت في الارواح بالهجاج. وقبضت الانفس بغير احتجاج. وتقطعت من الفرسان الظهور. ونزل عليهم قدر الله المقدور. وحامت العقبان والنسور. وحمي زمهرير الموجل. وثار الغبار وتقسطل ودام الحرب بينهم واتصل. وسقطت الروس من اعالي القلل. ووقع بهم الضجر والملل. وضرب في ذلك اليوم المثل. وانحطت المصايب على الفرس وزلت. وقاتلت العبسيون قتال الاسود اذا استقتلت. وزادت نيران الحرب واتصلت * ومدت الايادي الى مطالب الاجل فوصلت وما زالوا على مثل ذلك الحال. الى ان عول النهار على الارتحال. واقبل الليل بالانسدال. فافترقوا عن بعضهم البعض. وقد امتلأت بالقتلا جنبات تلك الارض. ورجع عنتر من معركة الطعان. كانه شقيقة ارجوان. مما سال عليه من ادمية الفرسان. وهو ينشد ويقول *

قف بالمنازل ان شجتك ربوعها فلعلّ عينك تستهلّ دموعها
واسال عن الاظعان اين سرت بها اباؤها ومتى يكون رجوعها
دارٌ لعبلة شط عنك مزارها وناتْ ففارق مقلتيك هجوعها
فسقتك يا ارض الشربة مزنةٌ منهلّةٌ يروي ثراكِ هموعها
وكسا الربيع رباكِ في ازهاره حللاً اذا ما الارض فاح ربيعها
كم ليلةٍ عانقت فيها غادةً يحيي بها عند المنام ضجيعها

شمسٌ اذا طلعت سجدت جلالةً لجمالها . وجلا الظلام طلوعها
ياعبلَ لا تخشي عليَّ من العدا يوماً اذا اجتمعت عليَّ جموعها
ان المنيَّة ياعبيلة دوحةٌ وانا ورمحي اصلها وفروعها
وغدا يمرّ على الاعاجم من يدي كاسٌ امرُّ من السموم نقيعها
واذيقها طعناً تذل لوقعهِ ساداتها ويشيب منهُ رضيعها
واذا جيوش الكسرويّ تبادرت نحوي وابدت ما تكنُّ ضلوعها
قاتلتها حتى تملَّ ويشتكي كرب الغبار رفيعها ووضيعها
فيكون للاسد الضواري لحمها ولمن صحبنا خيلها ودروعها
ياعبلَ لو ان المنيَّة صوّرت لغدا اليَّ سجودها وركوعها
وسطت بسيفي في النفوس مبيدة من لا يجيب مقالها ويطيعها

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . وثب كلا العسكرين الى البراز والكفاح . ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضرباً بالسيوف البواتك . وطعناً بالرماح الفواتك . ورضاً للهام من تحت الترايك . وما زال الامر على مثل ذلك . حتى جد الامر . واحتد الجمر . فعند ذلك التفت الاسود على الربيع بن زياد . وقد انصمت مسامعه . من وقع السيوف الحداد . فقال لهُ والله ما هذا الامر الاَّ يوم عظيم . وخطب جسيم . يشيب من هولهِ الطفل الفطيم . وقد قاتلت بنو عبس وما قصرت * وثبتت وما تأخَّرت . فقال الربيع وقد استشاط غضباً وتكدّر . وحق نعمتك التي تروي وتذكره ما صانها الا عبدها عنتر * فاسمع ايها

الملك صياحه في العسكر . وانظر الى طعنه الذي لا يبقي ولا يذر هذا وقد نظر خداوند الى حملات بني عبس وضرباتها . فصعب عليه هجومها وثباتها . وكان حوله نحو عشرة الاف من الفرسان المسترحجة . فامرها بالحملة فحملت عليهم بنيات صحيحة . فما لتقمت بنو عبس وعدنان * وحملت الفرسان على الفرسان *

وقام الحرب على ساق وقدم . وجار السيف لما حكم . واصفرت الوجوه خجلا . وارتفع الصياح وعلا . وارتجت اقطار الفلا . وعظم الويل والبلا . وصارت الرجال قتلا . ولبست من الدما جللا . وعاد السهل في اعينهم جبلا . وتفتتت الاكباد والكلا . وبطل منهم قول نعم ولا . ووقع الطعن صوابا وخللا . وملت الرجال من الحرب مللا . وصالت الابطال . وعظم الزلزال . واشتد القتال . فلله در معدي كرب وعنتر . فانهما قاتلا القتال المنكر . وطعنا في الصدور والترايب . واظهرا الاهوال والعجايب . وكان شيبوب يدور من حولها مثل النار الموقدة . وكان كلما قتل من تحتها جوادا ياتيها بغيره من الخيول الشاردة . ويدافع عنها بالنبال * ولا يمل من القتال * وما زال الحرب يعمل * والرجال تقتل * الى ان اظلم الليل واعتكر * فعند ذلك رجع الامير عنتر * وتبعته الفرسان على الاثر * وهو لا يصدق ان يصل الى الجبال * حتى يرى الملك زهير وبقية الرجال * لانه كان مشوقا لمشاهدتهم ورؤية ابنة عمه عبلة * فوجد قد جرح

Digitized by Google

من اولاد الملك زهير . ثلاثة انفار وأُصيبت عين ابنه ورقا بنبلة . فتكدر وتألم . وقال لعن الله العجم ونبال الديلم . فما امر قتالهم بالسهام . ولولا ذلك لكنا محقناهم بضرب الحسام . واسقيناهم كؤس الحمام . وبلغنا منهم غاية المرام . ثم تحصنوا في الجبال . واوثقوا الاسارى من العجم بالحبال . هذا وعنتر قد ازداد غيظاً وحنقاً . وقال والله لا بد لي ان اضرب عنق خدواند عوضاً عن عين مولاي ورقا *

قال الراوي وتحارس العسكران . واوقدوا النيران . وكانت بنو كندة . قد باتت في غاية التعب والشدة . حيث لم يكن لها من يحميها تحت الغبار . فكانت قتلاها اكثر من قتلا بني زبيد لاجل غيبة اميرها حجار . فباتت تلك الليلة وهي تلوم بعضها البعض وتدبر في خلاص نفوسها من تلك الارض . ولما اصبح الصباح * واضا بنوره ولاح . تبادرت العساكر الى ميدان الكفاح . فاصطفت الصفوف . وترتبت المئات والالوف . وتاهبت العجم للحرب * واستعدوا للطعن والضرب . وقد اخذتهم الحمية . وعصبتهم العصبيّة ونادوا يا للغارات . وطلب الثارات . وتناخى منهم الشجعان . واعيان الفرسان . وابطال المعارك والطعان . وفعلت بنو عبس مثل ما فعلوا واستعدوا . وقاتلوا . والتقت الرجال بالرجال . وارتجت السهول والجبال . وطاع القتام والغبار * وعمل الصارم البتار . وتصادمت الابطال مثل موجات البحار * واندهل الجبان وحار . ودام الامر كذلك الى اخر النهار . وهم في

قتال اشد من لهيب النار . فلله در الامير عنتر . وما فعل في ذلك اليوم المنكر . فانه خاض الصفوف . والتقى بصدره الاسنة والسيوف . وملا الوجود بالعدم . وفتك في عساكر العجم . واوسع البحار بامطار الدم . ولما اظلم الظلام . عاد بمن معهُ الى الخيام * وبعد ما اصاب منهم غنيمة جسيمة . وقتل منهم مقتلة عظيمة * وبات تلك الليلة في سرور وافراح . ولما اصبح الصباح . واضاء بنوره ولاح . حصن الصفوف . ورتب الميات والالوف . وبرز الى معركة القتال . وتبعته الفرسان والابطال وتاهبت عساكر خراسان للضراب والطعان . فعند ذلك قال معدي كرب يا ابا الفوارس . وزين المجالس . لو بارزتنا هذه الطناجير كان اهيب لنا . واحسن لحالنا * فقال عنتر ان قاتلونا او بارزونا فلا بد لنا من فناهم . وهلاك شيخهم وفتاهم . ولو انهم في عدد قوم ثمود او رمل زرود *

فبينما هما في الكلام . واذا بفارسٍ قد ظهر من عساكر الاعجام . وهو راكب على جوادٍ كانهُ قطعة من غمام . وعليه درع قصير الاكام . لا يعمل فيهِ الحسام . وعلى راسهِ خودة من خود الاكاسرة . لا يلبسها الا العتاه الجبابرة . متقلد بصفيحة ماضية . وفي يدهِ حربة على النفوس قاضية . فلما توسّط الصفوف استقبل الشرق . وسجد للشمس من دون خالق الخالق . ثم دار وجهه نحو طوايف العربان . وطلب منهم البراز في ساحة الميدان . فلما راهُ معدي كرب .

Digitized by Google

داخلة الفرح والطرب . وقال لعنترها قد اجاب الله دعوتي . وقضي لي شهوتي . ثم طلب ذلك الفارس وانقض عليه . ومد سنان رمحه اليه . واراد ان يظهر شجاعته للصفوف . فلم يطيل معهُ الوقوف . بل طعنه في صدرهِ . خرج الرمح يلمع من غفارة ظهرهِ . فانقلب من على ظهر الحصان . الى بساط الصحصحان . وقد تعوذت من تلك الطعنة سائر الشجعان . ثم صال وجال . وطلب البراز والقتال . فبرز اليه فارس ثاني من ميمنة العجم . وكان من عمدة ابطال الديلم . فثار وفار . وصدم معدي صدمة جبار . فتلقاه معدي بقلبٍ اقوى من الحجر . وجنانٍ اجرى من تيار البحر اذا هاج وزخر . وضربهُ بالحسام الابتر . فوقع السيف على راسهِ . شقهُ الى تكة لباسهِ . ووقع الى بساط الارض . يختبط بعضهِ البعض . فتتابعت اليه الفرسان . وتكاثرت عليه من كل جانبٍ ومكان . وهو ينهب ارواحها . ويمزّق جثثها واشباحها . وقد قتل منها نحو خمسة وستون . واسر ثلاثون . فتعجبت الفرسان من فعالهِ . وانذهلت من هول قتالهِ . ولما بلغ خداوند بن كسرى . ما قد حدث وجرى . قامت قيامته وتعوّجت بالحزن قامته . والتفت الربيع بن زياد على الملك الاسود . وقد زاد بهِ الوجد والكمد . وقال لهُ هذا التدبير لا نبلغ بهِ قصد ولا غرض . ولا نشفي من اعدانا المرض . وكان الصواب ان تترجل فرسان العرب والعجم . وابطال الفرس والديلم . وتزحف الى ذلك

الادهم . والاّ طال علينا الحال . وعدنا بخيبة الامال . فلم يجبه الاسود الى ذلك المقال . وقد تغيرت منه الاحوال . وما زال معدي يبارز الرجال . ويقتل الابطال . الى ان ولّى النهار بالارتحال . واقبل الليل بالانسدال . فرجع عن القتال . وقد نال من الفخر اوفى منال . فالتقاهُ عنتر . وهناهُ بالنصر والظفر

قال الراوي ولما اصبح الصباح . تواثبت الفرسان تطلب الحرب والكفاح وتقدم من العجم كل ليث اغلب . وشجاع منتخب . وجردوا كل عضبٍ مشطب . وكانت قلوبهم تغلي من شدة الغيظ بالويل والحرب . على ما جرى عليهم بالامس من معدي كرب . وتواعدوا ان يبرزوا اليهِ ويسقوهُ كاس العطب . الا انها ترتبت العساكر . وتقاربت الدساكر . حتى برز منهم جبارًا عظيم الشان . كانهُ من عفاريت سليمان . وطلب مقام الحرب والطعان . فاراد عنتر ان يبرز اليه . فمنعهُ معدي واقسم عليه . فامتثل منه عنتر . ورجع عنه وتاخر . وتقدم معدي الى ساحة الميدان . وبرز الى ذلك المرزبان . وهجم عليه هجمة الاسد . وصاح فيه بغيظٍ وحرد . وطعنهُ في فوادهِ . اقلبهُ الى الارض عن ظهر جوادهِ . فتتابعت اليه الفرسان . وتصايحت عليهِ الشجعان . وطاب لمعدي الحرب والطعان . وظهر منه ما حير العقول والاذهان . وجاز عن حد وصفهِ اللسان . فتوقفت عنه الرجال . وهابته الابطال . وكان جواده قد كلّ . وملّ . وضعف عزمه

والخل . فنزل عنه وركب غيره من الخيول الجياد . وبرز الى ميدان الطراد . ونادى باعلى صوته ويلكم يا عباد النار . ابرزوا لي واطلبوا اخذ الثار . وكشف العار . قبل ان يذهب النهار . فراد لخداوند البلبال . وتغيرت منهُ الاحوال . وعظم عليه ذلك الامر . واحمرت عيناه من شدة الغيظ مثل الجمر . واراد ان يبرز اليه . فمنعهُ الوزير شفقةً منهُ عليه . فقال خداوند هل لا يوجد في عساكر خراسان . من يقدر على قتال هذا الشيطان . حتى لا يقول الاسود اخو النعمان . انهُ لا يوجد في عساكر العجم من يبرز الى فارس من العربان . قال لهُ الحاجب زردخان . اخو وردشان . يا ملك الزمان . وحق بيوت النيران . ما عساكرنا الَّا ابطال وشجعان . ولكن لا يلقي هذا الفارس في الميدان . الا قليل من الفرسان . واني ما تاخرت لحد الان عن البراز . الَّا لملاقات اسودهم عنتر فارس الحجاز *

فلما سمع خداوند من حاجبهِ ذلك المقال . خفق فؤاده واعتراه الانذهال . وقال اليس هذا هو عنتر الذي قتل واسر . وفعل ما فعل من الامر المنكر . فقال لا وحياة راسك ايها الملك السعيد ما هذا الا معدي كرب فارس بني زبيد . وقد التجى الى بني عبس وعدنان . لاجل خلاص النعمان . وما هو الا نقطة في بحار عنتر . وان عنترًا افرس منه واقدر . ومرادي ان ابرز الان الى الميدان وانجز امر هذا القرنان . ولو اني من الاول تواليت امر القتال ..

كنت قضيت الاشغال . ثم برز الى معركة الحرب . ومقام الطعن والضرب . وهو متقلد بسيف ابتر . وفي يده رمح قصير قليل سمهر . وتحت فخذه ثلاثة حراب من النحاس الاصفر . وبين يديه عشرة من الغلمان يشابهوه في الزي والمنظر . فعند ذلك تقدم عتاب الترجمان الى عنتر . وقال له ايها السيد الجليل . والفارس النبيل . ها انا مقيم على الوعد . فلا تنقض ما بيني وبينك من العهد فضحك عنتر وابدى الابتسام . وقال ما معنى هذا الكلام . قال اما عاهدتني يا ابن الكرام . بان من اتى الملك رسولاً من الاعجام . تضرب رقبته . وتعطيني جواده وعدته . فقال عنتر ليس هذا برسول * وانما هو فارس مهول يريد قتالنا فاترك عنك الفضول . وهولا الغلمان من بعض اعوانه . يمشون امامه تعظيما لشانه . اما كفاك ايها الترجمان ما وصل اليك منا من الجميل والاحسان . قال نعم قد غمرتموني بجزيل النعم . ولكني اريد ان اجمع ما اقدر عليه من سلب هولا الاوغاد * حتى اخطب عبلة بنت مالك بن قراد * واتزوج بها واقيم في هذه البلاد * لاني سمعت بانها بديعة المنظر . وابهى من الشمس والقمر * ولها عبد يقال له عنتر . وهو اسد غضنفر يفترس الفرسان . ولا يلتقي في الميدان . فابعده الله ولا ابقاه واماته ولا احياه *

فقال له عنتر ابشر يا وجه العرب . ببلوغ الارب . فانا عبد لعبلة وراعي جمالها . وانها تسمع لي مما اقوله لها . فان شيت كنت

الواسطة الك في الزواج بها . لانهُ ليس يوجد الان احد يريد ان يخطبها . فاجتهد واجمع المال . حتى ابلغك الامال . وتحظى بذلك الحسن والجمال . ففرح عند ذلك عقاب . وانشرح قلبه وطاب . وقال والله ما انت الا عبدٌ عظيم اخير من حرٍ كريم . فان فعلت معي ما ذكرت . و بلغتني ما احببت واخترت . لم اقطع لك ذكرًا الى الابد . وافعل معك من الجميل ما لا يفعلهُ احد مع احد . فقال عنتر جزاك الله عني كل خير * واوقاك من كل بؤسٍ وضير * وانا اجعلك ان شاء الله في مكان الملك زهير * حتى تفتخر على اقرانك * وترتفع على ابناء زمانك * وتعيش باقي عمرك منشرح البال * طيب الحال * فايزًا بالمطلوب * ظافرًا بكل مرغوب * فضحك الناس من عقاب ومقالهِ * وتعجبوا من افعالهِ * هذا ما كان من عنتر وعقاب * وما دار بينهما من الجواب والخطاب . واما ما كان من الحاجب زرد كمال * فانهُ رد كل من كان معهُ من الرجال * وحمل على معدي كرب من غير مطال * وكان معدي قد تعب مما لاقى ذلك اليوم من براز الابطال * فتلاحما وتناضلا * وتصادما وتقاتلا * وتماسكا وتقابلا * والتصقا وافترقا * وانبسطا وانطبقا . وامتلئا غيظا وحنقا * وتباعدا وتقاربا * وتطاعنا وتضاربا * واخذا في الشد والكد * والصد والرد * والسوق والطرد * والهزل والجد * حتى سبحت الخيل من تحتها بالعرق * وصارت كالملق * وتمنى الفارس منهما انهُ

لم كان يخلق * ولم يزالا على مثل ذلك الحال * حتى اقبل الليل بالانسدال * فعند ذلك افترقا عن بعضهما البعض * وانفسحا في تلك الارض * الا انه لم يتمكن احدٌ منهما على صاحبه بطعنة او بضربة * وقد تعجبت الحاضرون مما جرى لهما من تلك الامور الصعبة * هذا وقد عاد زرد كمال * وهو في غاية الحزن على تلك الحال * وقد اشتعل من شدة الغيظ فواده . اذ لم ينال من معدي غاية مراده * ورجع بعد ذلك معدي كرب الى ناحية عساكر العرب *

فعند ذلك غدره فارس العجم * وصاح فيه وثهم * ورجع اليه * وانطبق عليه * وطعنه بحربة ماضية كانت تحت فخذيه * وكان معدي لما سمع زعقته * القى على ظهره درقته * فوقعت الحربة على الدرقة . اسد من وقوع الصاعقة فاخرقتها ونفذت منها الى الحديد . فاخرقته ووصلت الى جسده فجرحته فقل قواه وجلاده . وغاب عن الدنيا رشاده . ووقع على وجهه ويديه وغشي عليه * وهم الحاجب ان ينرجل اليه * واذا بفارس قد فاجاه . وانحط عليه انحطاط الباشق حتى حاداه * وطعنه بالرمح في صدره * خرج من يلمع من غفارة ظهره * فوقع الى الارض يختبط بدمه ويبحث في يديه وقدمه * قال وكان الذي قتل الحاجب زرد كمال . هو عنتر الفارس الريبال . لانه لما نظر الى الحاجب وقد غدر بمعدي جازاه على ذلك الغدر والتعدي . ثم تقدم وقلع الحربة من ظهره .

الكتاب الرابع والعشرون
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

واركبهُ على جواده واحتار في امره . حتى اوصلهُ الى اصحابه . وهو في غاية الضر مما حل بهِ . وكان الليل قد اقبل بظلامهِ وخيّم على الدنيا بخيامهِ . فرجع عنتر الى مقامهِ . واشتدت على معدي جراحه والامهِ . واما خداوند بن كسرى . فانه لما راى ما تم وجرى . زاد غيظهُ وحنقهُ . وكادت تنشق مرارتهُ من عظم ما لحقهُ . وسل سيفهُ من غمده . وقال لمن حولهِ من خدمه وجنده . اتوني باسرى العرب . حتى اسقيهم كوس العطب . لاني حلفت بالنار ذات اللهب . اني لا ابقي منهم راس ولا ذنب . فلما سمعت الوزرا منه ذلك المقال قالوا لهُ ايها السيد المفضال . لا تعجل بهذه الفعال . واصبر حتى ندبر امورنا ونبصر . لاننا من هولا العرب على خطر وقد اسروا منا نحو اربعة الاف اسير . من كل سيد كبير . ومقدم خطير . فان قتلت اسراهم انزلوا باسرانا الفنا والتدمير . فبينما هم كذلك واذا بالملك الاسود قد اقبل . وطاطى براسهِ الى الارض ثم وقف امام خداوند وامتثل . وقال ايها الملك المبجّل * ما هذا امر نبلغ به الامل . وانت تعلم اننا من امر ابيك على عجل

Digitized by Google

لان هذا الذي امرت به من امر البراز . هو غاية مقصود عرب الحجاز . لانهم طايفة قليلة . وكل واحد منهم يلقي قبيلة ولهم وقايع مذكورة * وغارات مشهورة . فان لم تدعنا نحمل عليهم من كل جانب ونبادرهم بالقنا والقواضب . فما نفوز بالمطلوب . ولا نظفر بالمرغوب . فلما سمع خداوند من الاسود ذلك الكلام . التهب فواده بنار الاضطرام . وقد زادت به الهموم والساوس . وقال اني لا اقاتلهم الا فارساً لفارس . وان لم تاتوني منهم واحدًا بعد واحد . فما اريد منكم معين ولا مساعد . قال واقام خداوند على ذلك اللجاج والطغيان . وخرج الاسود من عنده وهو غضبان . واعلم بذلك الحديث مقدمين العربان . فلما سمع الربيع بن زياد بذلك الخبر . استشاط غضبا وتكدر . وقال انا اعلم ان هذا الامر كله من سعادة عنتره حتى يبلغ منا ما يريد ويختاره ونبقى احدوثة بين عرب القفار . قال ولم تزل الطوايف تحدث مع بعضها البعض . وتموج في تلك الارض . حتى مضى الليل الحالك واقبل الصباح الضاحك . فعند ذلك تبادرت العساكر * واصطفت الدساكر . وتقدمت حماة العشاير . واذا بفارس قد ظهر . كانه الاسد الغضنفر . وكان ذلك الفارس الامير عنتر * فصال وجال . وطلب القتال . ولعب على اربعة اركان المجال . وتقلب على ظهر الحصان . ولعب بالسيف والسنان . حتى حير عقول الشجعان . ثم لوى العنان . وطلب حرب عباد النيران .

ووقف برهة من الزمان. فلم يبرز اليه احد الى الميدان. فعند ذلك صاح بصوت يفلق الاحجار. ويبلخ الاشجار. وقال ابرزوا الي يا عباد النار. وخذوا بالثار. واكشفوا عنكم العار. ولا وحق ذمة العرب الاخيار. صدمت جمعكم بهذا الرمح الخطار. والسيف البتار. واهلكت منكم الكبار والصغار. ثم صاح وهجم. واطبق على ميمنة العجم. وطعن بالرمح العسال. في صدور الرجال. فاهلك جماعة من الابطال. وفي دون ساعة من الزمان. اهلك منهم ما ينوف عن المائة والعشرين من الفرسان. ثم ارتد راجعاً الى الميدان واشار الى عساكر العجم براس السنان. ابرزوا لي يا ابطال خراسان حتى اريكم كيف يكون الحرب والطعان. فعند ذلك برزت اليه الشجعان. وتبادرت الى نحوه الاقران. فجعل ينهب ارواحها * ويعدم صلاحها. ويرمي على وجه الارض اشباحها. وما زال على ذلك الحال. حتى اهلك نحو مائة من الابطال. ثم حمل على الميسرة. كانه النار المسعرة. وكانت فيها قبايل العرب. فاوردها موارد العطب. وقد تضعضعت احوالها وايقنت بالهلاك. وما زال يطعن فيها الى ان وقفت الشمس في قبة الافلاك. فرجع بعد ذلك عنها. بعد ما اشفى غليل فواده منها. هذا وشيبوب امامه كانه البرق اذا لمع. او الشهاب اذا سطع. وقد اهلك منهم كل فارس سميدع. وبطل غشمشم. ونكس رايات بني غيلم * ونثر منهم القمم * وحير بفعاله ذلك اليوم جميع الامم. وهزم

اكثر الاعداء . وفرقهم في جنبات البيداء . ثم وقف بين الصفين . واشتهر بين الفريقين . وجعل يصول ويجول . وينشد ويقول *

سلي يا عبلة الجبلين عنا | وما لاقت بنو الاعجام منّا
ابدنا جمعهم لمّا اتونا | تموج مواكب انسًا وجنّا
وراموا اكلنا من غير جوعٍ | فاشبعناهمُ ضربًا وطعنا
ضربناهم ببيضٍ مرهفاتٍ | تقد جسومهم ظهرًا وبطنا
وفرّقنا المواكب عن نساءٍ | يزدن على نساء الارض حسنا
وكم من سيدٍ اضحى بسيفي | خضيب الراحتين بغير حنّا
وكم بطلٍ تركتُ نساهُ تبكي | يرددّن النواح عليهِ حزنا
وحجارٌ راى طعني فنادى | تأنّى يا ابن شدادٍ تأنّى
خلقتُ من الجبال اشد قلبًا | وقد تفنى الجبال ولست افنى
انا الحصن المشيد لآل عبسٍ | اذا ما شادت الابطال حصنا
شبيه الليل لوني غير اني | بفعلي من بياض الصبح اسنى
جوادي نسبتي وابي وامي | حسامي والسنان اذا انتسبنا

قال الراوي ولما انتهى عنتر من هذا الكلام . خرج الملك الاسود من تحت الاعلام . وصاح صيحة الغضب . وتبعتهُ قبايل العرب . وماج البر من ركض الخيل وانقلب . ونادى الربيع بن زياد . على من حولهِ من الجنود والقوّاد . وقال لهم دونكم وهذا العبد الاسود . الذي قد طغى وتمرّد . فلما سمعت الرجال كلام الربيع اخذتها الحمية . وعصفت في روسها نخوة الجاهلية .

وانضمت بعضها الى بعض . وحملت حملة تزلزل الارض . والتقت الفرسان بالفرسان . وتبادرت الاقران . وكرّت الابطال والشجعان . وعلا الصياح من كل مكان . وعمل الطعن بالسنان . والضرب بالسيف اليمان . وتقدم الشجاع وفر الجبان . وارتفع القتام الى العنان . وازدحمت الخيل في الميدان . وجرى من الدما طوفان . وكان يوماً مهولاً عظيم الشان . لم يسمع بمثلهِ من قديم الزمان . قد زاد فيهِ الضجيج والصياح . وفار الدم وساح . وتقصّفت من شدة الطعن الرماح . وهبّت نسمات السموم لقبض الارواح . وتخضبت بالدما الوجوه الملاح . وتكردست الاجساد على وجوه البطاح . وسمحت الفرسان بالانفس بعد ان كانت بها شحاح . وهطلت سحايب الموت بالغدو والرواح . وماجت الخيل كما يموج البحر اذا لعبت بهِ عواصف الرياح . قال فبينما القوم في اشد قتال . وعراك وجدال . واقدام واقبال . واذا بصايح قد خرج من معركة الحرب . ومقام الطعن والضرب . وهو يهدر كالبعير . وفي يدهِ اسير . ومن خلفهِ رجلاً يسابق بسيرهِ الطير الذي يطير . وكان ذلك الفارس هو عنتر البطل الامجد . والليث الاوحد . الذي نارهُ في الحرب لا تخمد . والرجل هو شيبوب والاسير الملك الاسود ❋

قال نجد بن هشام وسعيد بن مالك . وكان السبب في ذلك . ان الاسود لما حمل مع قبايل العرب . اطبق على عنتر

الفارس الانجب. وصمم النية على قتله من شدة ما لحقه من الغيظ والغضب. وامل في نفسه انهُ يسقيه كاس العطب. فالتقاه عنتر بقلبٍ اقوى من الحجر. وصدمهُ صدمة الاسد الغضنفر. وضربهُ بالترس على صدرهِ. القاهُ الى الارض على ظهرهِ. فادركتهُ الفرسان. وقاربته الشجعان. فقاتل ومانع عنه. ولم يدع احدا منهم يدنو منه. ولم يزل على مثل ذلك الحال المنكر. حتى وصل اليه شيبوب اسرع من لمح البصر. فسلمهُ اليه. فكتفهُ وساقه بين يديه. وسار عنتر من خلفهِ يرد عنه الابطال. ويصارع صناديد الرجال حتى اخرجهُ من عرصة المجال. وامرهُ ان يسوقه الى الجبال. ورجع عنتر في الحال الى معركة القتال. والتقى الفرسان والاقيال. وكان معدي من الم الجرح مكروب. فلم يمنعهُ ذلك عن الركوب. بل انه ركب في ذلك اليوم على ظهر الجواد. وبذل غاية الاجتهاد. في القتال والجهاد. وقد حرَّض بنو عمه على الحرب والجلاد * وحثهم على اتباع عنتر بن شداد. وكان خداوند قد ضاق صدره وتكدَّر. وتنغص عيشه وتمرمر * واعتراهُ القلق والضجر * وقال لمن حولهِ من الفرسان * لا تدعوا احدًا منكم يقاتل مع العربان * لاننا ان ساعدناهم يصير لهم الذكر * وعلوّ الجاه والفخر * وحينئذٍ يقول الاسود قد فعلت العرب مع قلة عددها * ما لا فعلتهُ العجم بكثرة مددها *

قال نجد هشام. كل هذا يجرى والقوم في اشد قتال

وصدام * وتجريع الموت الزوام * وما زالوا على مثل ذلك الى ان مضى النهار واقبل الليل الحالك * فرجع عنتر ومن معهُ من فرسان المعارك * والى جانبهِ الملك زهير * وقد استبشر با لنجاح والخير * وهو ينشد ويقول

تناءَت دار عبلة عن امامي . وامسى حبها خلف الذمام
وقفت وصحبتي ياعبل فيها . اسايلها فلم تسمع كلامي
لقد منتك نفسك يوم قوٍ . احاديث الفواد المستهام
ومرقصةٍ رددت الخيل عنها . وقد همّت بالقاء الذمام
فقلت لها اقصري عنهُ وسيري . فان شرب الدماء اقصى مرامي
وخيل تحمل الابطال شعثًا . غداة الروع امثال الزلام
عناجيجٌ تخب على رحاها . تثير النقع بالموت الزوام
الى خيلٍ مسوَّمة عليها . حماة الروع في رهج القتام
عليها كل جبارٍ عنيدٍ . الى شرب الدماء تراه ظامي
بايديهم مهندةٌ وسمرٌ . كان ظباتها شعل الضرام
فجاول عارضًا بردًا وجئنا . حريقًا في غريف ذي اضطرام
واسكت كل صوتٍ غير ضربٍ . وعترسةٍ ومرميٍ ورام
وزعت رعيلها بالرمح شزرًا . على ربذٍ كسرحان الظلام
وكم بطلٍ تركت بها طريحًا . باكناف المعامع والخيام
وخلفتُ الطيورَ عليهِ تهوي . كما تهوي البزاة على الحمام

قال فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام . اخذه الطرب

والهيام . وقال له لله دركَ يافارس الصدام وفايض الظلام . فوالله
لقد فقت على الاقران . في فصاحة اللسان . وقوة الجنان . ومثل ما
قالت ساير الفرسان . وكانت بنو عبس وبنو زبيد . قد ملاوا
بالقتلا جنبات تلك البيد . وثروا الايادي والقمم . واشفوا غليل
قلوبهم من العرب والعجم . ولما نظر خداوند ما حل بعساكره من
البليَّة . ضاق صدرهُ وايقن بحلول المنيَّة . وقال وحق النار
الحمية . والشمس المضية . لقد انخرقت حرمة الدولة الكسروية .
ومن بعد الان . ما عدنا نلوم الملك النعمان . الذي صاهر هولاء
العربان . لان فارسهم الاسود قد عمل اليوم عملاً في الحرب . ما
لا يعملهُ احد من اهل الشرق والغرب . واهلك عساكرنا وافناهم
بالصارم العضب . فقال له بعض الحجَّاب . اعلم ايها الملك المهَاب
ان لم تدعنا وقت القتال . نحمل عليهم بساير الابطال . ونرميهم
بالحراب والنبال . ونحاصرهم في هذه الجبال . والا ما ننال منهم
غاية الامال . فلما سمع خداوند منهُ ذلك المقال . اقبل على من
حولهِ من الرجال . وقال لهم افعلوا ما تريدون . ودبروا ما تشتهون .
وانا اكون في اوايلكم عند ما تحملون . ثم امر النقبا والاعيان . ان
تعلم بذلك ساير الفرسان . ففرحت ابطال العجم وعرب العراق .
وقالوا قد استرحنا من براز ذلك العبد المر المذاق . ولما اصبح
الصباح . واضاء بنوره ولاح * تبادرت عساكر الاعجام * الى معركة
الصدام * فاستقبلتها بنو عبس مثل سباع الاجام * وفي مقدمتهم

عنتر كانهُ مارد من مردة الجان • او من عفاريت سيدنا سليمان •
وانطبقت العساكر مثل البحور الزواخر • وارتفع الغبار والعجاج •
واختلطت الافواج بالافواج • وضاق بالعسكرين الفجاج • وكثر
بينهم الخوف والانزعاج • ووقعت النبال في النحور والاوداج •
وعاد بياض النهار كسواد الليل الداج *

قال الراوي ولقد بلغني ممن اثق به من اهل التحقيق • وذوي
الفهم والتدقيق • انهُ جرى للقوم • في ذلك اليوم • من الاهوال •
ما لم يجرِ مثلهُ في سالف الاجيال • وكان عنتر قد اختار الف
رجلاً من نجوم الابطال • ورجوم المعارك والقتال • وصفها على
صفٍّ واحد • فكان يلتقي بها النوازل والشدايد • وقد حمى
المضايق • وانزل بالفرس البلا الطارق • وقد وقعت هيبته في
قلوب العجم • لاجل ما ابصروا من هول قتاله في اليوم الذي تقدم •
فصار اذا صاح في جوانبها تفرقت • واذا حمل على كتايبها تمزَّقت •
وابصر خداوند ثبات العرب وفعال فارسها عنتر • فاندهش
وانبهر • واستغاث بالشمس والقمر • وترجل عن ظهر فرسهِ •
وزحف امام العجم بنفسهِ • وقصد الى نحو العرب بسيفهِ وترسهِ •
فضجَّت الوزرا والحُجَّاب • ومقدمين العساكر والنوَّاب • والقوا
انفسهم على الهلاك والعذاب • فعند ذلك ارتجَّت الافاق • ووقع
بين القوم المحاق • وكثر بينهم الصياح والزعاق • ووقعت نبال
العجم في المحاجر والاحداق • وزاد الامر عن حد وصف السنة

Digitized by Google

الحذاق . وخاضت في الدما الخيول العتاق . ولعبت في بني كندة وبني زبيد السيوف الرقاق . والحراب الرشاق . وقتل من دنى اجله في ذلك اليوم المر المذاق . ولما راى عنتر الى ذلك الحال . صاح على الفرسان والابطال . ومن يعتمد عليهم في مواقف الاهوال . فخاضوا الغبار والقسطل . وضربوا الرقاب وابروا القلل . وطعنوا الصدور باسنة الرماح الذبّل . وقاتلوا قتال الجبابرة الأُوَل . وسطى ابي الفوارس عنتر سطوة الشجاع البطل . فلله دره في ذلك الوقت وما فعل . فانه قاتل قتال من قد استقتل . فنكّس الاعلام . ومزّق جيوش الاعجام . وما زال الدم ينزل . والرجال تقتل . ونار الحرب تشعل . الى ان غاب نور الشمس واسودت الافاق . واقبل الليل بظلام الاغساق . ونادى المنادي بين الطايفتين بالافتراق . فرجعت عن بعضها العساكر والجيوش . وقد تعجبت من هول تلك المعمعة الوحوش . ورجعت بنو عبس الى الجبال . وقد قتل منها جملة فرسان وابطال . واما بنو كندة فقد حلّ بها العدم . لانها كانت بدون مقدم . فقتل منها من قتل وانهزم من انهزم . وتفرقت جموعها في البراري والاكم . وكذلك بني زبيد قد قل نشاطها لاجل جرح مقدمها معدي كرب . وهي متحسرة على النجاة خايفة من وقوع العطب *

قال هذا ما كان لهولاء من الحديث . واما ما كان من الربيع

الخبيث . فانه فرح بذلك الامر . وبات منشرح الصدر . وهو يبشر حذيفة بن بدر . بالغلبة والنصر . ويقول والله يا ابن العم * ويا كاشف الهم والغم . ان تم على بني عبس يوم اخر مثل هذا انقلعت اثارهم . وسبيت حريمهم وخربت ديارهم . فقال حذيفة والله ياربيع ما هم الا جبابرة عتاه . وما يغلبون ما دام عبدهم في قيد الحيوه . على انهم ما خسروا اليوم في ميدان المعمعة . وما قتل منهم فارس حتى قتل منا اكثر من ثلاثة او اربعة . قال وباتت بنو عبس في اسوحال . لانه كان قد جرح منها اكثر الرجال * واستشار الملك زهير . عنتر في الدخول الى الجبال . لاجل المدافعة عن الحريم والعيال . فقال عنتر لا وحق الملك المتعال . لا دخلت الى بين هذه الشعاب والتلال . ولا اختار لنفسي الهزيمة . الا بعد الغلبة العظيمة *

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . وثب كلاً من العسكرين الى البراز والكفاح . فعند ذلك جردت الفرس سيوفها وحملت . وفعلت بنو عبس مثل ما فعلت . وتقدم عنتر في اوايل الابطال . وطلب معركة القتال . وانشد وقال *

يا لقومي ساعدوني　　في اللقاء عند الزحام
اين طعان الاعادي　　اين ابناء الكرام
فانا عنتر حقاً　　بطل عند الصدام
اروع قرمٌ همامٌ　　باسلٌ حامي الذمام

ضاربٌ بالسيف ضربًا بين عربٍ وعجامِ

قال الراوي ثم انهم اقتتلوا واصطدموا . وابتعدوا والتحموا . واقتربوا وهجموا . واصطلحوا . والتطموا . وصاحوا ونهموا . حتى خملت المعركة سماء غمامها غبار الكفاح . وبريقها بريق السيوف والرماح . ورعودها صليل السلاح . ومطرها صيب الجراح * ودام القتال . على مثل ذلك الحال . الى ان ولى النهار واستحال فرجعت بنو عبس عن معركة الحرب . ومقام الطعن والضرب وباتت تلك الليلة في قلقٍ عظيم . وغم جسيم . ولما كان الصباح رجع القوم الى ما كانوا عليه من الحرب والكفاح . وقد امتدت بهم الحال . في هذا الصدام والقتال . سبعة ايام مع الليال . وفي اليوم الثامن ضعفت بنو عبس وتقهقرت . ولطمتها امواج الفرس فتأخرت . وقاتلت بين الشعاب والمقاطع . وفي اوايلها حاميتها عنتر فارس المعامع . وكان قد جرح فى ثلاثة مواضع . وهو يدافع عن نفسه ويمانع . وضجت النسا خوفًا من السبي والفظايع . ومزقت من على وجوههنّ البراقع . وانهملت من اجفانهنّ المدامع . ولاحت للعجم فيهن وجوه المطامع . فعند ذلك صاح الربيع بن زياد . على من حوله من الجنود والقواد . وقال لهم دونكم ياقوم وسبي البنات الكواعب . التي هن ازهى من البدور والكواكب . وقطعوا هذا العبد بشفار القواضب . وانهبوا جسده على اسنة الرماح الكواعب . لانه قد طغي وتكبر . وبغي وتجبر . واقلق بفعاله قبايل

البدو والحضر. قال واذا بغبار قد ظهر وارتفع. وبعد تفريقه اجتمع ثم انكشف المعيان. وبان من تحته ابطال وفرسان * كانها مردة الجان * فاندهش الربيع واندهل. من قدوم ذلك الجحفل. والتفت على حذيفة وقال له ايها الامير * والسيد الخطير * لا شك ان هذا غبار الملك كسري * وقد بلغه ما حدث وجرى. فاتى يكشف اخبار ولده. وانا اعلم انها سوف تكون واقعة ميشومة على بني عبس وينقلع اثرها. ولو بلغت الى مطلع الشمس *

قال نجد بن هشام. ثم ان ذلك الجيش افترق في تلك البراري والاكام. ونادت فرسانه يا لخم يا جرام. وتسابقت الى الحرب مثل اسود الاجام. وهي تقول ابشروا بالويل والارغام * يا بني الاعجام. فقد جاءكم الملك النعمان * سيد قبايل العربان * فلما سمع الربيع ذلك المقال * اعتراه الخبال. وذهب ما كان عنده من الفرح * وحل به الترح * وضاق صدره بعد ما كان انشرح * والتفت على حذيفة بن بدر. وقد تعجب من تقلبات الدهر * وقال والله لقد تخلص النعمان. واتى الى نصرة بني عبس وعدنان بالابطال والفرسان. وسوف يعتب علينا ويقول لما علمتم بغيابي * اتيتم الى نصرة اخي وقتال انسابي. وان لم نتلافى امرنا ونحسن في التدبير حل بنا الهلاك والتدمير. ثم رجع الى خبثه ومكره. وقد احتار في امره. وصاح على قبايل العربان. يا ويلكم كفوا عن الحرب والطعان. فقد اقبل عليكم الملك النعمان. وتخلص من الاسر

والاعتقال . على رغم انوف اعداه الانذال . فلما سمعت العرب بذلك الندا . ونظرت الى جيش النعمان قد ملا اقطار البيدا * اخبرت بعضها بذلك الحال . فتأخرت عن الحرب والقتال * وعادت وهي تنادي نعمان يامنصور . ادم له يا الله الفرح والسرور . والغبطة والحبور . مدى الايام والدهور . ثم ترجلت عن ظهور الخيل ووفدت عليه . وتمثلت بين يديه . لانها كانت قد ذلت بعد اسر الاسود وصارت بلا مقدّم . ورات الهوان من عساكر العجم والديلم . ولولا طمعها في نهب الاموال . وغيظها على عنتر سيد الابطال . لما كانت ثبتت في معركة القتال . هذا وقد ارتفع الخلاف . وحصل بين القبايل الاتفاق . والائتلاف *

قال الراوي وكان السبب في خلاص النعمان . من الاسر والهوان . الامير حجار بن عامر . وعروة بن الورد الاسد الكاسر . لانهما سارا بمايتين فارس كما تقدم الكلام . حتى اشرفا الى ارض الحيرة وتلك الاعلام . فعرجا بمن معهما الى المراعى والوديان . ووضعوا السيف في العبيد والرعيان . ونهبوا الاموال . واخذوا النوق والجمال . ثم ركبوا على ظهور الخيول . وتسربلوا بالحديد وتقلدوا بالنصول . واحاطوا بالبلد من ساير الجهات . وارتفعت منهم الاصوات . وعلت الضجات . فطلبتهم الفرسان . وزعقت عليهم الشجعان . من كل جانب ومكان . وخرج الحاجب الذي ركبه خداولند لحفظ النعمان . فالتقى به الامير حجار . وهو يبربر

بلغته ويذكر النار . فهجم عليه وصوَّب سنان رمحه اليه . وطعنهُ
بين ثدييه . خرج السنان يلمع من بين كتفيه . فوقع على بساط
المهاد . كانهُ طود من الاطواد . فعند ذلك ماجت فرسان
العجم . وما منها الا من حمل وهجم . وبربر وطمطم . ولعن العرب
وشتم . فصاحت بنو عبس وكندة بانسابها . وطعنت الفرس في
ظهورها واجنابها . وسطا عليهم عروة وجبار . وطعنا فيهم طعنا
يذهل الابصار . ويحير الافكار . ولم تكن غير ساعة من النهار .
حتى انزلوا بهم الويل والدمار . وشتتوهم في البراري والقفار .
ودخل الامير جبار الى البلد بمن معهُ من الفرسان والجنود .
وخلص النعمان من الاغلال والقيود . وهناهُ بالسلامة من
الخطر . واخبرهُ بما فعل عنتر . فانشرح صدره وطاب . وزالت
عنهُ الهموم والاوصاب . وكاتب سادات العشاير . يطلب منهم
جنود وعساكر . وما امسى المسا حتى صار في سبعة الاف فارس .
من كل ليثٍ عابس . وبطلٍ مداعس . ومن شدة خوفهِ على
بني عبس الكرام . من سطوة الاعجام . ركب في ثاني الايام . وجدَّ
في قطع السهول والاكام . وكانت فرسان العرب تتلاحق بهِ
من ساير الاقطار . الى ان صار في جيشٍ جرار . وما زال يوصل
السير . ويسابق في مسيرهِ الطير . حتى وصل الى معركة الطراد .
بمن معهُ من العساكر والقواد . كما تقدَّم الايراد . وتقدمت العرب
الى خدمتهِ * واذعنت الى طاعتهِ . واجتمع بهِ الربيع وحذيفة بن

بدر . وهنياه بالخلاص من الاسر . ودعيا له بالارتقا والنصر
قال ولما سمع خداوند بذلك الخبر خاف من الهلاك والخطر
فاضطرب وتحير . والتهب فواده وتفطّر . واخذه القلق والضجر .
وجرى عليه من الخوف ما لم يجرّ على قلب بشر . وامر بكف القتال .
وتاخر عن الجبال . وكان قد بقي معهُ نحو خمسين الف عنان *
وحل لباقي عساكره الهوان . فعند ذلك ظهرت بنو عبس من
الشعاب . مثل الاسود اذا خرجت من الغاب . وفي اوايلها حاميتها
عنتر . وهو يهدر كانه الاسد القسور . ولما رات العرب تملل العجم
واجتماعها . طمعت في نهب اموالها ومتاعها فتصايحت عليها من
كل جانب . وقصدتها باسنة الرماح الكواعب . فمنعها النعمان .
عن ذلك الشان . لانه كان حسن السياسة والتدبير . وفي عواقب الامور
خبير . رشيد السيرة . حميد السريرة . ذو فكر ثاقب . وراي صايب .
وخرج من تحت الاعلام . بسرعة واهتمام . والى جانبه الامير مجار .
وعروة بن الورد الفارس الكرار . وجماعة من كبرآء دولته *
وروساء مملكته . وقصد خداوند بن ملك العجم . ولما وصل اليه
قبل الارض وسلم . ودعا له ولابيه بدوام العز والنعم . وازالة البوس
والنقم . وقال لهُ لا تخف ايها السيد المحترم . من قدومي عليك
بهذه الامم . فانحن الا عبيد الدولة الكسروية . وخدام المملكة
الفارسيّة . عبيدها ان وصلتم او قطعتم . وخدامها ان وهبتم او منعتم .
وانا لا اعلم ان لي ذنب بالكلية . يستحق القصاص والاذية . غير

مصاهرتي لهذه القبيلة العبسية . والطايفة العدنانيّة . اما شاهدت في هذه الايام فعالها . وذقت حربها وقتالها . ولاجل ذلك طلبت انا قربها ايها الملك السعيد . لانه ما يقتل منها فارس حتى يقتل جماعة من الفرسان الصناديد . وما رايت اني لاجل قبيلة واحدة اهلك الجمع الغفير . والعدد الكثير . بل تلافيت الامر وفعلت فعل الرجل الخبير . واحسنت في سياستي التدبير . فسمع ابوك فيّ كلام الحساد . والاعدا والاضداد . وقبض عليّ ظلمًا وعدوانًا * لاجل شي لم يحط به علمًا وبيانًا . وما تسببت لي الخلاص واتيت الى هذا المكان . الا خوفا عليك من جهل العربان . لانهم لا يعرفون قدر الملوك . ولا يفرقون بين المالك والمملوك . وليس لهم داب الا الرحيل من ارض الى ارض والتفاخر على بعضهم البعض والان فقد كان الذي كان . ونظر العين اوفى من سماع الاذان . وقد نظرت بعينيك ما قد كفى . وانا لا اعرف لي ذنبًا يستوجب النفور والجفا . في المعهود من اوصاف دولتكم المروة والوفا . وكرم الاخلاق والصفا . فان رضيتموني لمملكتكم مُمام ومدافع . كنت لكم سامع وطايع . وان كرهتموني فالبر بين يدي واسع . فلما سمع خداوند من النعمان . هذا الكلام * تكلل وجهه بالعرق من شدة الحيا وابدى الابتسام . وتلقاه بالترحيب والاكرام * والتعظيم والاحترام . واجلسه بالقرب من حضرته * وقابله بما يليق بحشمته لانه كان جميل الخلق حميد الخصال * ذو فكرٍ ثاقب في سياسة

الرجال * وقد ارتفع الخلاف وانصلح الشان . وحصل الاتفاق وتبدل الخوف بالامان * وقال خداوند وحق بيوت النيران * لا سرت الى بلاد خراسان * الّا وركابي بركابك . حتى ادخل بك على ابي وترى ماذا افعل معك ومع اصحابك * لاننا ما عرفنا قدرك حتى حققنا امرك . وقد قبلنا عذرك * واريد منك ان تأتني بعنتر الى هذا المكان * حتى اخلع عليه اخلع الحسان * واجعله عمدتي على نوائب الزمان *

فلما سمع النعمان ذلك الخبر . فرح واستبشر . وقال وحق من خلّد سلطانك . وشيّد اركان ملكك وبنيانك . ما عنتر الّا وحيد دهره . وفريد عصره . وفي هذه الساعة ياتي هو وساير قومه الى خدمتك . ويقروا بانهم عبيد دولتك وغرس نعمتك . ويقبلون يديك ورجليك . ويعتذرون عن افعالهم اليك . ثم التفت النعمان على عروة بن الورد . بعد ما استاذن من خداوند . وامره ان يسير في الحال . وياتي بعنتر والملك زهير ومن معهما من الابطال . فسار عروة واجتمع بعنتر . واوقفه على حقيقة الخبر . وكانت بنو عبس قد كفت ايديها عن القتال والصدام . لما رات الملك النعمان اجتمع بخداوند بن كسرى . ملك الاعجام . فعند ذلك التفت الملك زهير على عنتر بن شداد . وقال له ما عندك من الراي يافارس الطراد . فقال وحق الاله الدايم . ما كان عندي من الراي الحازم . الّا قتل خداوند بهذا الحسام الصارم .

Digitized by Google

وقتل كل من معهُ من الاعاجم . وسلب الاموال والغنايم . غير
اني لا اخرج عن راي الجماعة . ولا اضيّق صدر النعمان في مثل
هذه الساعة . بل اجيب بالسمع والطاعة . ثم جمعوا الفرسان
الفحول . وساروا على ظهور الخيول . وعروة يحدثهم بحديث
النعمان . وبما جرى وكان . هذا وعنتر يسمع وهو ساير معهم كانهُ
ساير الى شهادة زور . لان نفسه تابى الذل وتطلب العلا في ساير
الامور . ولما قربوا من عساكر العجم . دارت بهم الحجاب وفرسان
الديلم . ونظروا بعين الحقد الى عنتر . وتواصفوا ما نظروا منهُ في
مقام الخطر . وهو يشق المواكب امام الملك زهير واولاده . وقد
جعل سنان رمحه بين اذان جواده . واخويه في ركابيه كانهما
ذيبان . وهو ينظر الى عساكر الفرس . بعينين كانهما شعل
النيران . ولم يزالوا سايرين والجيوش تنظر اليهم وترى . حتى اقتربوا
من صيوان ابن الملك كسرى . فامرهم النعمان ان يترجلوا .
ويلثموا الارض امام خداوند ويقبلوا . فنزلوا عن ظهور الخيل
وامتثلوا امرهُ وفعلوا . ورفعوا بالمدح اصواتهم ودعوا . وعرفوا
عظمة جنابه ورعوا . فترحب بهم وعظمهم . واكرمهم واحترمهم .
واذن لهم بالجلوس . وان تدار عليهم الكوس . وقد تعجب من
افعالهم . وغريب اعمالهم .

ثم قال لهم يا وجوه العرب الاجواد . ان العتب في مثل هذا
الوقت مما يجدد الاحقاد . وذكر ما قدفات يجلب البغضة

والعناد . وما احضرتكم الاّ حتى اهب لكم دم رجالي . واستوهب
منكم ما قد مضى من قبيح افعالي . وانخذكم لي كالاخوان . وتكونون
الي دولتي من جملة الاعوان . لان ابي قد جعلني وليّ عهده *
واوصى لي بالملك من بعده . ثم احسن اليهم . وانعم الخلع عليهم *
فصفت منهم القلوب . وانجلت عنهم الكروب . لان حطام الدنيا
محبوب . ونعيمها مرغوب ومطلوب . ثم ان الملك زهير اقبل عليه
وقال له ايها الملك الكريم . والسيد العظيم . وحق زمزم والحطيم
ما نحن الا عبيد دولتكم من جديد وقديم وانما الانسان . اذا راى
بعينه الذل والهوان . مانع عن نفسه على قدر الامكان . ثم اشار الى
عنتر . فخدمهُ وقبل الارض بين يديه واعتذر . فشكرهُ خداوند على
حسن معانيه . ولم يعد يعلم باي شيءٍ يكافيه . وقال لهُ وحق النار
والمعبد ما انت الا فارس المجد . وبطل واحد . ثم لقبه بسبرسياه يعني سبع
اسود . وامر لهُ بالخيول الضوامر . والتحف والجواهر . والتفت على
النعمان وقال لهُ ياشاه تيزان . اي ياملك العربان . خذه معنا الى
بلاد خراسان . لاني اريد ان اتملى من نظرهِ . والتذ بحديثهِ وخبرهِ
فقال السمع والطاعة . ويكون هو المسعود بهذه البضاعة . قال
وكان قلب النعمان من كسرى غير آمن . وكان يشتهي ان ياخذ
عنترًا معه الى المداين . فاتاه الامر كما اراد . واصطلح امره بعد
الفساد . وما اقبل الليل حتى تمهدت الامور . وانشرحت الصدور .
وعم السرور . وعملت الولايم والدعوات . وكثرت الافراح والمسرات

ثم سعى النعمان . في خلاص اخيه الاسود ومن معهُ من الرجال .
فاطلقتهم بنو عبس من الاعتقال . وتقدم الاسود الى عند اخيه .
وقبل راسه وبين عينيه . واعتذر اليه . واصلح النعمان . بين بني
عبس وعدنان . وفزارة وغطفان . وقال ان الصلح بين بني الاعمام
هو انعام علي انعام . ثم التفت علي ابي الفوارس عنتر . وقال لـه
يافارس ربيعة ومضر . وشاعر شعراء البدو والحضر . انا اعلم بان
عيشك قد تنغص عليك . من عاقة زفافك علي ابنة عمك
ووصولها اليك * وما بقي غير انجاز امرك * ودخولك عليها وصفاء
سرك * فقال عنتر اني لا ادخل علي ابنة عمي * ولا يزول همي وغمي .
الا حتى يصفا لك الزمان . ويرضى عليك كسرى انوشروان *
والا وحق خالق الاكوان * زلزلت علي راسه الايوان * وقتلت كل
من في خرسان * وجعلتك مكانه صاحب الملك والسلطان *

فلما سمع مقاله . تبسم في وجهه واستحسن فعاله * وشكرهُ ودعى
له * ثم اقاموا بعد ذلك الكلام * مدة ثلاثة ايام * وهم في فرح
وسرور * وغبطة وحبور * وفي اليوم الرابع تجهزت جميع العسكر .
واخذت اهبتها للسفر * وقال النعمان الى الملك زهير ارحل انت
الى حلتك . وانجز امر ابنتك * وبعد ذلك ابعث رسولاً الى
خدمتك * ومثل ذلك قال الاسود الى حذيفة سيد بني فزارة *
لانه كان قد خطب اخته ماوية كما سبقت الاشارة *

ثم رحلت قبايل العربان * طالبة الاهل والاوطان * ورحل

ايضاً خداوند بن معه من الابطال والشجعان * وفي صحبته الملك النعمان * وعنترة الفرسان * وجبار بن عامر وعروة بن الورد * الفارس الفرد * ولما تمادي بهم الترحال * زاد بعنتر الوجد والبلبال * فتذكر ارض الشربة * والاهل والاحبة . فجاش الشعر في خاطره . فباح بما اكتتم في ضمايره فانشد وقال *

ذنبي لعبلة ذنبٌ غير مغتفرِ   لمَّا تبلَّج صبح الشيب في شعري
رمت عبيلة قلبي من لواحظها   بكلِّ سهمٍ غريق النزع في الحورِ
فاعجب لهنَّ سهاماً غير طائشةٍ   من الجفون بلا قوسٍ ولا وترِ
كم قد حفظت ذمام القوم من وَلَهٍ   يعتادني لبنات الدلّ والخفرِ
مهفهفاتٌ يغار الغصن حين يرى   قدودها بين ميادٍ ومنهصرِ
يا منزلاً ادمعي تجري عليهِ اذا   ضنَّ السحاب على الاطلال بالمطرِ
ارض الشربّة كم قضّيت مبتهجاً   فيها مع الغيد والاتراب من وطرِ
ايام غصن شبابي في نعومتهِ   الهو بما فيهِ من زهرٍ ومن ثمرِ
في كل يومٍ لنا من نشرها سحراً   ريحٌ شذاها كنشر الزهر في السحرِ
وكل غصن قوامٍ راق منظرهُ   ما حظ عاشقها منهُ سوى النظرِ
اخشى عليها ولولا ذاك ما وقفت   ركائبي بين ورد العزم والصدَرِ
كلا ولا كنت بعد القرب مقتنعاً   منها على طول بعد الدار بالخبرِ
همُ الاحبة ان خانوا وان نقضوا   عهدي فما حلت عن وجدي ولا فكري
اشكو من الهجر في سرٍ وفي علنٍ   شكوى تؤثّر في صلدٍ من الحجرِ

قال الراوي فطرب لها النعمان * ومن حضر من الفرسان . وما

زالوا يجدون التسيار * ويقطعون المفاوز والقفار * حتى وصلوا الى الحيرة وتلك الديار * فنزل النعمان * في سرايته * وفرحت بقدومه اهله وعشيرته * ودقت الطبول وهتفت البوقات والزمور * وتباشرت الدور * حتى القصور والخدور . ونزل خداوند في الخيام ورفعت له الاعلام * وعمل النعمان لخداوند وليمة عظيمة * لها قدر وقيمة . واقام في الحيرة مدة ثلاثة ايام * في اكل طعام * وشرب مدام . وسماع انغام * وبعد ذلك رحل يطلب بلاد خراسان * بمن معه من العساكر والفرسان * وبقي عنتر واصحابه عند النعمان * وهم منتظرون اخبار كسرى انو شروان * وما زالوا في عز واكرام * ونعيم وانعام * مدة خمسة عشر يوما على التمام * ثم وصلت اليهم الخلع والتحف * والاموال التي لا تحد ولا توصف * لان خداوند لما وصل الى ابيه كسرى * حدثه بما تم له مع العرب وجرى * وقال له يا ابتاه وحق النار * وما يظهر فيها من الدخان والشرار * قد ظلمنا النعمان وافترينا عليه . ولو وصلنا اذيتنا اليه * وما كان الا على الراي الصايب * لما اتخذ العبسيون له انساب واقارب * وجعلهم له عصبة وحبايب * يتقوى بهم على ساير ملوك الاعارب * وقد رايت منهم في هذه الحروب العجايب * لان الحاضر الشاهد يرى ما لا يراه الغايب * ولا يصلح لدولتنا الا هو لانه صديق وصاحب . وله التدبير الحسن الذي لا يعيبه عايب * واريد منك يا ابتاه ان تنفذ له الخلع الحسان . وتعيده الى منصبه كما كان . وما زال يتحدث مع ابيه حتى

لان * وانفذ الخلع والهدايا الى النعمان . وكان في هذه الهدايا لعنتر * الحظ الاوفر . والقسم الاكبر *

قال الراوي ولما استامن النعمان من غدر كسرى انو شروان . استاذن عنتر بالمسير الى الاوطان . فقال له النعمان وحق النار والمعبد . ان فراقك عندي مثل فراق الولد . ولكني لا اقدر ان امنعك لاجل ما في قلبك من الشوق والكمد . ثم اذن لـه بالانصراف . بعد ما اعطاه من الهدايا والتحف ما تكل عنه الاوصاف وسار لوداعه يوماً كاملاً في جماعة من الابطال . فرده عنتر وحلف عليه بالرجوع الى الاطلال . واشار يمدحه بهذه الابيات *

كأنَّ بارض المزن هبت لنا الصبا
مساءً وقد جاءت بوكف الغمائم
فديتك يانعمان في كل جحفلٍ
اذا عدّدت رهط الرجال الاكارم
كريمٌ اطاعته الليالي وانما
اطاعت جريّ الناس غمر المكارم
أشدُّ أناسٍ من ثبيرٍ ويذبلٍ
واجرى وامضى من قنا وصوارم
همامٌ بعيد العزم تسبق خيله
واسيافه في العارض المتلاحم
ولا طعن الا من قضاءٍ ونازحٍ ولا ضرب الا في الكلا والجماجم

اطعت العلى لما غدوت لتاجها
مليكاً على طرد الخطوب الغواشم
فما زلت وهاب لكل جزيلة
من الحمد باق ذكرها في المواسم
وقد جاءك المدح المقيم حديثهُ
وجاءت الك الاقبال ذات الغنائم
وما زلت في عز فما طار طاير
وما غردت فوق الغصون حمايم

فشكره النعمان واثنى عليه . وقبلهُ في عارضهِ وبين عينيه * وبعد ذلك رجع النعمان الى الاطلال . وسار عنتر بمن معهُ من الرجال . طالب ارض الشربة وتلك الديار . وهم يتناشدون الاشعار . ويذكرون ما جرى لهم من الوقايع والاخبار . وما زالوا يجدون السير . ويسابقون بمسيرهم الطير . حتى خرجوا من بلاد العراق . ودخلوا الى ارض الحجاز وتلك الآفاق . فنزلوا على ماء يقال لهُ القوام . واكلوا الطعام وشربوا المدام . واقاموا هناك حتى اقبل الليل الحالك . واراد عنتر ان يحرسهم فما مكنهُ عروة من ذلك . وقال انا انوب عنك هذه الليلة في الحرس يا ابا الهيم * لاننا من حين خرجنا من ارض العراق لم يغمض لك جفن ولم تنم فاجابهُ عنتر الى سوالهِ . وانتخب عروة خمسة من ابطالهِ * وتولى بهم الغفر . في ذلك البر الاقفر . الى ان صار وقت السحر .

Digitized by Google

فاخذهم الملل والضجر . واستولى عليهم سلطان الكرى . فوقعوا على وجه الثرى . وغرقوا في بحر المنام كانهم القتلا . وما رفع احد منهم راسه الى الارض حتى طلع الفجر وانجلا . ولم يحسبوا حساب طوارق البلا . وكان عنتر تلك الليلة قد التذ في المنام . وزاره خيال عبلة في الظلام . فلما اصبحوا تاهبوا المسير . وطلبوا خيولهم فلم يروا منها لا قليل ولا كثير . فقال عنتر واحرباه طُرِقْنَا والله في ظلام الليل . وَنُكِبْنَا في جميع الخيل . ثم سال عروة عما جرى له في ليلتهِ . وقال اصدقني بالحديث على جليتهِ . فخجل عروة وقد احتار في قصتهِ . وقال والله يا ابا الفوارس لقد واظبنا على الحرس وسهرنا حتى مضى اكثر الليل وبدى ضو النهار يتنفس . فهبت علينا ريح الصبا . فنمنا على بعض الربى . وما قلنا ان هذه الارض يطرقها طارق . ولا يمر بها سلال ولا سارق . ثم اطرق براسهِ الى الارض من شدة الحيا والخجل . وتكدر على ما حصل . فقال عنتر والله ان هذا الذي جرى علينا في هذه الصحرآء . لا يجرى مثلهُ على النسآء . ولكن الذي يفرط في نفسهِ ويامن كيد العدى . يجازيه الزمان بايشم الردى . ثم انه امر الى جماعة من الرجال . ان تتفرق في البراري والتلال . لتقتفي الاثر . وتقف على حقيقة الخبر . فامتثلوا امره وغاصوا في جنبات القفار . ورجعوا في اخر النهار . من دون فايدة ولا اخبار . فزاد بعنتر القلق . واضطرب فوادهُ وخفق . من شدة الغيظ والحنق وقال ان فراق

روحي عندي اهون وايسر . من فقد جوادي الابجر . ثم انه التفت على اخيه جرير . وقال له ايها الاخ الامين . اقصد جوانب هذا البر ولا تعود الينا الا بالخبر اليقين . وان وقعت بجلة من حلال العرب سُلّ لي منها جواد حتى اركب *

قال وكان شيبوب في الاطلال . لما جرت لهم هذه الاحوال لان عنترًا كان قد ارسلهُ مع الحريم والعيال . خوفًا على عبلة من غدر بني زياد الانذال . واراد جرير ان يسير ويقتفي الاثر . واذا بعنتر قد سمع صهيل جواده الابجر . وهو مقبل من صدر البر الاقفر . فلما راهُ فرح واستبشر . ونادى وافرحاه . بعد ترحاه . هذا والله جوادي . وقد بلغني الله غاية مرادي . ولا بد لي اليوم ان احلق عليه ررس الاعادي . واشفي منهم غليل فوادي . ثم زعق عليه . فاقبل الجواد اليه . ووقف بين يديه . وهو يصهل فرحًا بصاحبهِ ويحن شوقًا الى صوت راكبهِ فشد عنتر عدته وركب على ظهرهِ في الحال . واقبل على عروة ومن معهُ من الرجال . وقال له يا ابا الابيض اركب انت ورجالك من هذه الجبال . وسوقوا على الاثر حتى اكشف لكم الخبر . ثم تقلد بسيفهِ البتّار . واعتقل برمحهِ الخطّار . وسار وهو يقتفي الرسوم والاثار . حتى حمي عليه الحر . وهوجر البر . وزعق الجندب وصر . فعول ان ينزل في تلك الساحة . وياخذ له راحة . واذا برجلٍ قد ظهر من بين البراري والشعاب . وهو يجري مثل السحاب . ويقطع الروابي والهضاب . لا يشعر بالتعب .

ولا يعي له عصب . وكانت يداه . مكتوفتان الى وراه . وفي عنقهِ حبل طويل . والخيل تجري من خلفهِ وقد اقلبت البر بالتصهيل فقصده عنتر بالابجر . ومال اليه بالرمح الاسمر . وحقق فيه النظر . واذا هو الليث الوثوب . اخيه الامير شيبوب . فتعجب من قصتهِ . وحل كتافهُ ونزع الحبل من رقبتهِ . وقال لهُ يا اخي ما هذا الحال . ومن هم هولاء الانذال . فتنهد شيبوب وتحسر . وقال له الحمد لله الذي وقعت بك في هذا البر الاقفر . والا كنت اصبحت قتيلاً في هذه البلاقع . وليس لي محام ولا مدافع . فاقتل هذه الفرسان . التي هي فرقة من بني زهوان . حتى احدثك بما جرى وكان . وبعد ذلك تجتهد في خلاص صديقك الحارث بن زهير . لانه ماسوراً عند هولاء القوم وهو في غاية الضنك والضير لان قصتي عجيبة . وامورها غريبة . فعند ذلك اطلق عنتر عنانه . وقوَّم سنانه . واستقبل الخيل . وانزل بركابها البلا والويل . وكانت نحو ماية بطل . فقتل منها ما قتل . وشتتت الباقين بين السهل والجبل *

ثم رجع الى اخيه على الاثر . وسالهُ عن حقيقة الخبر . فقال يا ابن الام ان قصتي شرحها يطول . فاخبرني انت بحديثك وما سبب وقوعك في هذه الطلول . فحدثهُ عنتر بحديث عروة وما كان من سرقة الخيول . فلما سمع شيبوب منهُ ذلك المقال . اخذهُ العجب واعتراهُ الانذهال . وقال والله ان سرقة خيولكم في هذه

الاطلال . كانت سببا لسلامتي من الهلاك والوبال . وان الذي سرق خيولكم في هذه الهضاب . اربعون رجلاً من سلالين الاعراب . قد تبعوكم من ارض العراق . وتلك المعالم والافاق . والمقدم عليهم رجل من المذاق . يقال لهُ اويس بن السعلا . وانا اعرفه دون كل احد من الملا . وقد التقوا عند الصباح ببني زهران . وهم القوم الذي كنت لنا عندهم في الاسر والهوان . فقتلوا منهم ثلاثون وهربت الباقون . وعند اشتغالهم ببعضهم البعض في تلك الصحرا . هربت انا كما ترى . حتى التقيت بك وحدثتك بما تم وجرى ✽

قال الراوي واعجب ما اتفق . من الاحاديث التي نورّخ في بطون الورق . وهو ان اويسًا المقدم ذكرهُ . كان قد اشتهر باللصوصية امرهُ . وكان كثيرًا ما يغزو القبايل . ويقطع الطرق على التجار والقوافل . وكان قد راقب عنتر وهو في بلاد العراق . وابصر ما نالهُ عند النعمان من الخيول والنياق . والتحف والنفايس . والاموال والملابس . وكان لهُ اربعون رجلاً يعتمد عليهم في اللصوصية . والامور القبيحة الرديية . فاتفق معهم واقتفى من عنتر الاثر . وقد امل باغتنام الفرصة وبلوغ الوطر . وكان في كل ليلة يراقبه تحت ظلام الغلس . فيراهُ على الحرس . فلم يقدر عليه ولم يجسر ان يقرب اليه . لان اخبار عنتر كانت قد شاعت في الغرب والشرق . وتحدثت بفروسيته ساير الخلق . وما زال

يترقب الفرص . كما يترقب الصياد القنص . الى ان كانت تلك التي تولى عروة فيها الحرس ونام . فاغتنم الفرصة مع من يلوز به من الاقوام . وسرقوا الخيل وبلغوا المرام . واوسعوا بها في البراري والاكام وكانوا قد خافوا ان يدركهم عنتر فيسقيهم كاس الحمام . ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . انكر الابجر . كثرة ذلك السوق المنكر وافتقد راكبه فلم يقف لهُ على اثر . فضرب الرجل الذي كان يقوده بحافره كاد ان ينزل بهِ العبر . فانذهل وحار . واطلقهُ خوفا من الهلاك والبوار . فرجع الجواد على الاثار فتبعتهُ الخيل وساقوا خلفه في القفار فلم يلحقوا منهُ غير الغبار وما زالوا يقتفون منهُ الاثر . حتى اشرف الجواد على عنتر . كما تقدم الخبر واجتمع باخيهِ شيبوب وخلصه من الاسر والهوان . وقتل جماعة من بني زهران . واراد ان يتبعهم في تلك البراري والقيعان . حتى ينجز امر الباقين ويخلص الحارث من اسرهم . ويقصر بسيفهِ ما طال من عمرهم فمنعهُ شيبوب من ذلك . وقال لا بد للقوم ان يتبعوني في هذه الدكادك . فاصبر قليلاً حتي يكون اقبل عروة بن الورد الى هنا . وحينئذٍ نبلغ منهم غاية المنا . فلما سمع عنتر كلامهُ قال لهُ صدقت . وصواباً نطقت . ثم انهُ نزل عن جواده ونزع عنه لجامه . وحل لهُ حزامه . وقد تعجب من قصة شيبوب وما كان من امرهِ وحزن على الحارث بن زهير واسرهِ *

قال الراوي وكان السبب في ذلك ان بنو عبس بعد ما
وصلت الى بلادها . واستقرت في ارضها ووهادها . عملت الولايم
والدعوات . وصفت لها الاوقات . واتفق من غريب الحوادث .
ان ابن الملك زهير الحارث . خرج ذات يوم الى الصيد والقنص
وانتهاز اللهو والفرص . وفي صحبته جماعة من اصحابه . وخلانه
واحبابه . فابعد بهم في البرية حتى وصلوا الى وادي اليعمورية .
فلاحت له غزالة في ذلك البر . فساق عليها وكر . فولت تطلب
الهرب . وما زال وراها في الطلب . حتى انتهى به المسير الى
غدير كبير . فوجد مضاربًا وخيامًا . ورايات واعلامًا . وهي
خالية من الرجال والفرسان . وما فيها سوى النسا والصبيان .
وعلى شاطيه جماعة من البنات الحسان . وبينهن جارية بديعة الجمال .
كانها الهلال . قد جمعت بين فنون الكمال . وتربّت يتيمة بالدلال .
وكان يقال لها لبنى بنت المعتمد الذي فاق بجوده وكرمه على كل احد
فلما نظرها الحارث غلب عليه العشق والجوى . واستولى عليه
سلطان الهوى . وكانت تلك الغزالة قد اعياها التعب . من
كثرة الجريان وشدة الطلب . فدخلت بين البنات طالبة
الخلاص . من شرك الاقتناص . فعرج الحارث اليهن . وسلم عليهن .
والتفت على لبنى وتكلم معها بافصح كلام . وقال لها دعي صيدي
يا بنت الكرام . حتى اخذه واذهب بسلام . لانه قد اتعب جوادي .
وابعدني عن اهلي واجنادي . فقالت له خلي عنه ايها السيد

الكريم . والبطل العظيم . فانهُ قد استجار بالحريم . وقد اعطيناه زمامنا وأمنّاه . فمهما طابت عوضهُ فنحن ندفعهُ فداه . وكانت ابنى عند ما وقع نظرها عليه رجفت كل اعضاها وزاد بلاها . وتمكن فيها العشق والغرام . واشتعل فوادها بنار الاضطرام . ومن كثرة شوقها ووجدها . باحت بما عندها . وانشدت تقول من فوادٍ متبول

ليت ان العين عنت عن فتى · مذ أتى يبغي من الصيد الظبا
جآء يصطادُ غزالاً في الملا · فاصاد الظبي من وسط الخبا
ظبيةٌ لم تدرِ ما ابوس ولا · رعت الشيح باكناف الربى
فدع الصيد فقد نلت المنى · وبلغت السول ثم الاربا

قال ثم انها بعد هذا الكلام . قالت لهُ ياوجه العرب الكرام . اكشف لنا عن لثامك . واخبرنا عن عربك واقوامك فابدى الحارث الابتسام . وكشف عن وجههِ اللثام . وقال لها ياقرة العين . والروح التي بين الجنبين . انا الحارث بن زهير سيد بني عبس وعدنان . وفزارة وغطفان . فقالت فتى كريم . وسيد عظيم . وها نحن مقيمون في دياركم واوطانكم . ملتمسون ذمامكم وامانكم . قال على الرحب والسعة . والكرامة والدعة . ثم سالها عن الرجال . وغيبة الابطال . قالت ساروا الى ديار بني فزارة وقت الفجر . ليحضروا وليمة دعاهم اليها حذيفة بن بدر . قال واقام الحارث معهن نحو ساعة

من النهار ۰ وبعد ذلك ودعهن وسار ۰ وقد اشتعل فواده من فرط الحب بلهيب النار . ولما زاد به القلق . والشوق والارق . باح لسانه بالشعر ونطق ۰ وانشد يقول *

سلامي على الوادي ومن حل دونه
فقد حملوني فوق ما انا حامله

مررت به ابغي من الصيد ظبية   فعدت وقد صادت فوادي حبايله
وابقيت قلبي عند سكان ارضهِ   وجسمي على نار الهوى ومراجله
فان يكُ جسمي قد مضى نحو اهلهِ   فان فوادي عندكم وبلابله

قال ثم انه جد في قطع البيداء ۰ حتى وصل الى ابياتهِ عند المساء ۰ وهو على غير الاستوى ۰ من تباريح العشق والجوى ۰ وبات تلك الليلة في قلق وضجر ۰ وغمٍ وكدر . وقد اصفر لون وجهه وتغير ۰ من شدة الوجد والسهر . ولما طلع ضو النهار . اجتمع بدايتهِ وكان اسمها ام ضرار ۰ وقال لها هل انتِ ممن تكتمين الاسرار ۰ قالت نعم وحق العزيز الجبار ۰ فاعلمها بامره ۰ وسالها ان لا تبيح بسره ۰ وقال لها انا اعلم ان خدماتك لنا وافرة . وحقوقك علينا متكاثرة . واريد منكِ الان ان تذهبي اليها في زي زايرة . وتقفي على حقيقة امرها . وتعلمي بما في ضميرها وفكرها . وما هو اسمها . واسم ابيها وامها ۰ واعلميها بحالي ووجدي وهل عندها من المحبة والشوق مثل ما عندي . فان تيسر المطلوب . زالت عني هذه الكروب . لان قلبي يحبها ويهواها . ولا يميل قط الى احدٍ سواها .

Digitized by Google

فلما سمعت كلامه اجابته بالسمع والطاعة . وقصدت مضارب القوم من تلك الساعة . ولما وصلت الى ابيات بني زهران . دخلت بين النسوان . واظهرت على نفسها بانها غريبة عن الاوطان . ثم اخذت تشاغلهن بالحديث والاخبار . وتسارق بالنظر البنات الابكار . وما زالت على تلك الصفة . حتى عرفت لبنى من بين النسا وحققتها حق المعرفة فبرد قلبها . وهمد كربها . وتقدمت اليها . وسلمت عليها . وحدثتها بحديث الحارث وما هو فيه من ذلك الحادث . فلما سمعت لبنى كلامها . اعلمتها بوجدها وغرامها . ثم قدمت لها الطعام . واكرمتها غاية الاكرام . وقالت لها اريد منك ان تحسني في هذا الامر التدبير . وتجمعيني به في هذه الليلة على جانب الغدير . بحيث لا يعلم بذلك جليل ولا حقير . خوفاً من الهتيكة والفضيحة . والسمعة الردية القبيحة . فودعتها ورجعت الى الديار . فوجدت الحارث لها في الانتظار . فتقدمت اليه . وقصت القصة عليه . وشرحت له واقعة الحال . كما ذكرنا . واعلمته بان اسمها لبنى . فطاب منه الفواد . وامل ببلوغ المراد . ولما اقبل الليل وذهب النهار . اخذ دايته وسار وجدا في قطع القفار . ولما وافيا الغدير اكمنا هناك . وجلسا يستتران تحت شجر الاراك . وكانت لبنى بعد رحيل الداية من عندها . قد زاد شوقها ووجدها . فدخلت الى خباها على انفراد . واخذت في النوح والتعداد . والصياح والشهيق . لان النسا على كل حال حجابهن

رقيق. وما زالت على مثل ذلك الحال. حتى ولى النهار واستحال فعند ذلك اخذت جاريتها وطلبت الغدير. كانها تريد النزهة والتسيير. فوجدت الحارث لها في الانتظار. وهو من اجلها على مقالي النار. فتقدمت اليه والقت روحها عليه. فضمها الى صدره. وقبلته في عارضه ونحره* ثم انه بكى* وان واشتكى. وانشد يقول *

اصبحت يا ابنى اسير هواكِ	والقلب يخفق ثم طرفي باكِ
قد بت ساهٍ من هواك ساهرًا	ارعى النجوم وارقب الافلاكِ
اصبحت يا لبنى نحيفٌ مغرمٌ	من فرط حبكِ فامنني بلقاكِ
لولاكِ يا لبنى لما امسى الهوى	بي حاكمًا متصرفًا لولاكِ
قد جيت اصطاد الظباءَ بارضكم	فاصاد قلبي الكحل من عيناكِ
فارعي عهودي واحفظي لمودتي	وتيقني اني قتيل هواكِ
مني السلام عليكِ ياشمس الضحى	فلقد رماني الحب بالاشراكِ
فابقي ودومي واسلمي وتعطفي	وارعي العهود فمهجتي ترعاكِ

قال ثم لعبا وانشرحا. وزادا سرورًا وفرحا. وتعانقا وتشاكيا. وتعاتبا وتباكيا. وما زالا في حظٍ وانشراح. الى ان اصبح الصباح. فعند ذلك تفارقا من ذلك المقام. بعد ما تعاهدا على المودة وحفظ الذمام. وكانا كثيرًا ما يجتمعان. في ذلك المكان. وكانت المودة بينهما صافية. والمحبة وافية. واتفق ان الحارث جاء حسب عادته في بعض الليالي. فوجد المكان من القوم

خالي . ليس فيه ديار . ولا من ينفخ بنار . فتنهد وتحسّر . وتبدّل صافي عيشه وتعكر . واخذهُ القلق والضجر . واظلم في عينيهِ ذلك البر الاقفر . وانشد يقول . من فوادٍ متبول

ما للديار تنكرت من اهلها وتغيرت جنباتها والوادي
ياويلها من بعد فقد احبةٍ فلمن اسايل ربعها واناد ي
فالبعد والهجران احرق مهجتي ورمى سهام الصد وسط فوادي
ما نالهم الا عيون حواسدٍ نالوا مناهم منهمُ ببعادِ
قد اصبحت اوطانهم قفرًا ولا فيها انيسٍ غير صوت النادِ

قال ثم انهُ رجع الى الديار . وهو في قلقٍ وافتكار . لا يقر لهُ قرار . ولا يطاوعهُ اصطبار *

قال الراوي وكان السبب في رحيل القوم من الاوطان . وقدومهم الى ديار بني عبس وعدنان . ورجوعهم الى الديار عن قريب . حديث غريب . وامر عجيب . وذلك انه كان لابي لبنى بكر بن المعتمد . ابن اخ يقال لهُ جرير بن معبد . وكان من الفرسان المشهورة . والابطال المذكورة . الّا ان صفاته كانت تعيسة . واخلاقه خسيسة . ازرق العينين . كبير الشفتين . عديم الذمام . كثير الانتقام . بحد الحسام . لا يشرب كاسهُ ولا يومن بجال سطوتهُ وباسهُ . فكان يحب لبنى ويهواها . ويتمنى ان يراها . ومن كثرة محبته فيها . خطبها من ابيها . وبذل لهُ في مهرها التحف والجواهر . والخيول الضوامر . ما عدا الفضة والذهب . ونوادر العرب . فابى

ولم يجبهُ الى ذلك الطلب. نظرًا لما يعهدهُ من خصالهِ وسوء افعالهِ. فلما سمع منهُ ذلك الجواب * تهددهُ بغليظ الخطاب * وحلف باعظم الاقسام * انهُ لا بد ان ينتقم منهُ غاية الانتقام * ويأخذ ابنة عمه جبرًا * ويتزوج بها قوةً وقهرًا * فساءَ ذلك ابو لبنى واحتسب * واستشاط بالغضب * وخفق فوادهُ واضطرب * وطلب المهرب * ورحل من يومهِ * في جماعة من قومهِ * خوفًا من عواقب الامر * والتجى بالملك زهير وحذيفة بن بدر. قال وما قرَّ بهم القرار. في تلك الديار * حتى اتاهم كتاب. مع نجاب * من عند ملكهم الاشعث بن ضرمة * وكان ملك عظيم ذو هيبة وحرمة * يستميل خاطرهم بالعودة والرجوع * الى الاطلال والربوع * ويقول لهم قد رحلتم عن اطلالكم * وما اعلمتموني بواقعة حالكم * ولما وقفت على حقيقة الخبر * وما تكلم بهِ ابن عمكم من الكلام المنكر * قبضت عليهِ في الحال * وقيدتهُ بالسلاسل والاغلال * فارجعوا الى الاطلال * وكونوا براحة بال * فلما سمع ابو لبنى هذه الرسالة * ووقف على فحوى تلك المقالة * برد نارهُ * وهدأ شرارهُ * ورجع من وقتهِ وساعتهِ * الى اهلهِ وعشيرتهِ *

قال الراوي هذا ما جرى واتفق من غريب الحوادث * ولنرجع الان الى حديث الحارث * فانهُ كان قد رجع الى الديار * وهو في غاية القلق والافتكار * لا يلتذ بطعام * ولا يصغي الى

كلام * ولما اشتدت عليه الغموم والكروب * وايس من لقاء المحبوب * اجتمع بابي رياح شيبوب * وقال لهُ ايها الصديق * والمحب الشفيق * اسمع قصتي * وساعدني على نوال بغيتي * لانك عالي الهمة * ومن طبعك الشفقة والرحمة * ثم بكى بين يديه * وقص قصته عليه * فقال شيبوب قل ما تريد * ايها السيد السعيد * حتى افديك بروحي ونفسي * وانوب في هذا الامر عن اخي عنترة العبسي * قال اريد منك يا شيبوب * ان تسير معي الى ديار المحبوب * عسى ان ابلغ القصد وانال المطلوب * فقال لهُ ازل الغصة * واكتم هذه القصة * وابشر باجتماع الحبيب * عن قريب * ثم انهما صبرا حتى اعتكر الظلام * فاخذا اهبتهما وخرجا من الخيام * وجدا في قطع البراري والآكام * مدة خمسة ايام * وفي اليوم السادس اقتربا الى حلة بني زهران * وقد لاح لهما وجه الامان * فقال شيبوب للحارث اقم هنا * حتى اقصد الحيّ وآتيك بخبر لبنا *

قال ثم انه سار حتى دخل الى ديارها. واجتمع بها بعد ما اخذ اخبارها. واعلمها بقدوم الحارث الى الديار. وانه لها في الانتظار. فقالت والله ما اتى الا في وقت اللزوم. لانه قد قل صبري وتراكمت عليّ الغموم. واحاطت بي الهموم. وايقنت بالويل والثبور. لان ابي كان مرادهُ ان يزوجني في هذه الايام بابن ملكنا الخيثعور. وانا لا اشتهيه ولا احبهُ. ولا اريد قربهُ. ثم غافلت

اهلها وصارت مع شيبوب • وقد حن قلبها الى لقاء المحبوب • ولما اجتمعت بالحارث خفق فوادها وتنهدت • و باحت بما عندها وانشدت *

لو علمنا مجيكم لفرشنا مهج القلب مع سواد العيونِ
ونشرنا خدودنا للقاكم ليكون المسير فوق الجفونِ

قال ثم انهما سلما على بعضهما سلام المشتاق . وتعانقا عناق العشاق • واظهرا ما عندهما من فرط الوجد والاشتياق • وما عاناه من الم الفراق فقال لهما شيبوب ما هذا وقت عتاب . ولا خطاب • هلموا بنا على قطع هذه الهضاب . قبل الغياب • خوفًا من حدوث امور واسباب • لم تكن لنا في حساب . قالت لبنى صدقت . وصوابًا نطقت * ثم انها ركبت من وقتها وساعتها * واخذ شيبوب بزمام ناقتها . وركب الحارث جواده وسار * وجدوا في قطع القفار *

قال هذا ما جرى لهولآء من الاخبار * واما ما كان من ابي لبنى فانه افتقد ابنته عند الصباح فلم يقف لها على خبر * فتنغص عيشهُ وتكدر * واستعظم تلك الامور * وبلغ ذلك بعلها الفارس المشهور * والبطل المذكور بن الملك الاشعث الخيثعور • فصعب عليه واسودت الدنيا فى عينيه * وركب من وقته وساعته . في خمساية فارس من ابطال عشيرته * قاصدًا اكتشاف اثرها * والوقوف على حقيقة خبرها *

Digitized by Google

قال وكان الحارث ومن معهُ قد جدوا في قطع الآكام. حتى وصلوا الى جبلٍ يقال لهُ السنام. فعولوا على النزول. واذا قد انحدر اليهم عشرة عبيد مثل الفحول. وفي ايديهم الجحف والنصول وفي اوايلهم عبدُ كانهُ الغول

الى هنا انتهى الكتاب الرابع والعشرون
وسياتي تمام الحديث عن هذه الواقعة
في الكتاب الذي
يليهِ

الكتاب الخامس والعشرون
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

قال الراوي وكان هول العبيد . من فتاك العرب وشجعانها الصناديد * الذين لا يسترون حرمة . ولا يرعون ذمة . لا يعرفون الا قتل الرجال . ونهب الاموال * وخطف البنات * وهتك المخدرات . وكانوا قد اختاروا ذلك الجبل وطناً . واتخذوهُ لانفسهم سكناً . وكان المقدم عليهم فارسا لا يطاق . وعلقما مرَّ المذاق . يقال لهُ حابس بن السحاق . لا يبالي بكثرة الفرسان * ولا يهاب لقاء الشجعان . فلما كان في ذلك اليوم . وقد ظهر لهم غبار القوم . فانحدروا وهجموا عليهم . وتفرقوا حواليهم . وتقدم المقدم على القوم اليهم . وصاح فيهم . يا ويلكم انزعوا ثيابكم وسلموا الجارية . والاَّ حلَّتْ بكم الداهية . قال وما انتهى من كلامهِ حتى رماهُ شيبوب بنبلةٍ من سهامهِ . فجاءَت في صدرهِ . خرجت تلمع من ظهرهِ . فوقع يختبط بدمهِ . ويبحث الارض بيدهِ وقدمهِ . فلما رات اصحابهُ الى فعال شيبوب . اندفعوا عليهِ كالريح الهبوب . وزعقوا فيهِ وصاحوا . وقد تأسفوا على فقد مقدمهم وناحوا * فالتقاهم شيبوب بقلب اقوى من الصوان . وجال معهم في ساحة

الميدان . وكانوا كلما ضايقوهُ ومالوا اليهِ *وداروا من حواليهِ *
خرج من بينهم وقصد الحارث خوفًا عليه . ثم رجع اليهم . في
الحال . اسرع من ريح الشمال . ويضربهم بالخنجر . ويرميهم بالنبال
وما زال يضرب فيهم ويرميهم حتى محاهم من بكرة ابيهم . ويرجع الى
الحارث *ليهنيهِ بالسلامه من تلك الكوارث *فراه يضحك ويتبسم
وهو يقول *ورب الحرم . من تشبه باخيه ما ظلم *فضحك شيبوب
من كلامهِ . وشكرهُ على حسن اهتمامهِ . وبعد ذلك ساروا طالبين
الاهل والاوطان . وقد انجلت عن قلوبهم الاحزان . وتبدل
خوفهم بامان . وبينما هم كذلك اقبل بنو زهران *في خمساية فارس
كانهم الاسود العوابس . يقدمهم ابو لبنى وفارسها المشهور . ابن الملك
الاشعث الخيثعور * فلما رات لبنى قدوم اهلها . علمت انهم لم
ياتوا الا لاجلها . خصوصًا عند ما رات اباها وبعلها . فخفق فوادها
والتهب *وفاض دمعها وانسكب *وايقنت بالهلاك والموت . وقد
تحققت انهُ ليس لها منهم فوت . وما كان الا القليل حتى ادركتهم
الابطال *بالسيوف الصقال . والرماح الطوال *فقبضوا عليهم
وكتفوا ايديهم *وتقدم ابو لبنى الى ابنتهِ *فراها ترتعد من هيبتهِ *
فسحبها من شعرها . واراد ان يعدمها الحيوة والسرور . فمنعهُ
بعلها الخيثعور . وقال دعها الان . ومتى وصلنا الى الاوطان .
قتلت هذا العبسي وطفيت من قلبي لهيب النيران *قال وباتوا
تلك الليلة في تلك الارض . ولما اصبح الصباح شدوا الحارث على

ظهر جوادهِ بالعرض. ووضعوا حبلاً في عنق شيبوب كالاسير. وامروا بعض العبيد ان يسحبهُ ويقودهُ كالبعير. ثم انهم ساروا من اول النهار. يقطعون الارض والقفار. وهم في غاية الفرح والاستبشار* ولما حميت عليهم الشمس. التقوا باويس بن السعلا الذي سرق خيول بني عبس. وهو يسوقونها في ذلك البر الاقفر بلا هدوٍ ولا مستقر. فلما راى الخيثعور الى تلك الخيول الحسان. ومن معها من الفرسان. التفت على من حولهِ من بني زهران. وقال لهم لاشك ان هولآء القوم. من شياطين العربان. وقد سرقوا هذه الخيل من ابعد مكان. وهم مجدون في قطع البراري والكثبان. خوفا ان يلحقهم لاحق. او يعيقهم عايق. فدونكم وهذه الغنيمة. لانها ثمينة القيمة. ثم انه صاح على من معهُ من الرجال وحملوا عليهم من اليمين والشمال. وقصدوهم باسنة الرماح الطوال. فلم تكن الا ساعة حتى فقدوا منهم ثلاثون. وهربت الباقون. لانهُ كان تحتها خيولٌ مثل شعل النار. فغاصوا بها في جوانب القفار. وطلبوا الاهل والديار*

قال الراوي وفي اثنآء تلك الحروب. التهى ذلك العبد عن شيبوب. فاغتنم شيبوب الفرصة وهرب. وجدت ورآءهُ الفرسان في الطلب. الى ان التقى باخيهِ عنتر. كما تقدم الخبر. وحدثهُ بحديث بني زهران. وما جرى لهم وكان. قال وما انتهى شيبوب من مقالهِ. حتى ادركها الخيثعور في ساير ابطالهِ. لانهُ كان قد

بلغهُ ما فعلهُ عنتر برجالهِ ولما وقعت عينه على عنتر. هدر وزمجر. وصدمهُ صدمة الليث الغضنفر. وانشد يقول

يا صاحب الوجه العبوس الادهمِ والسيف والرمح الاصمّ اللهذمِ
ان كنت انت فتكت في فرساننا فالدهر يغدر بالهزبر الضيغمِ
خبّر بما تلقاهُ واعلم انني سيفًا لصرف الدهر غير مثلّمِ
في كل ارضٍ قد تركت لوحشها ولطيرها بالسيف بحرًا من دمِ
واذا حضرت الحرب يوم طرادها ارديت منها كل نسرٍ قشعمِ

قال فلما سمع عنتر شعرهِ. وما ابداهُ في نظمهِ ونثرهِ. حمل عليهِ وانطبق. وزعق عليهِ زعقة الحنق. وصدمهُ صدمة السيل اذا اندفق. واجابه على شعرهِ يقول

أُنبيكَ اني قد تركت رجالكم بالسيف رزقًا للنسور الحُوَّمِ
وسنان رمحي قد شكى كرب الظما واذا التقينا اليوم يروى بالدمِ
اجهالهم باسي وقد شهدت لهُ ابطال فارس في بلاد الاعجمِ
كم وقعت لي قد تركت رجالها رزق السباع وكل نسرٍ قشعمِ
وفوارس الهيجاء في يوم الوغى تبدو بذكر فعائلي وتكرمي

قال الراوي ثم انهما بعد ذلك الكلام. التحما في معركة الصدام وانتشب بينهما القتال بطعن الرمح وضرب الحسام. وجرى بينهما عجايب تحير الاوهام. وتشيب من هولها الاطفال قبل الفطام. وما زالا بين انفصال والتحام. واشتباك واصطدام. حتى دنا منهما الحمام. وصار بياض النهار في اعينهما مثل الظلام. ورأى عنتر

Digitized by Google

خصمهُ بطلاً لا يرام. صبورًا على نوايب الايام. فانطبق عليهِ انطباق الغمام. وضربهُ بالسيف على راسهِ. شقهُ الى تكّة لباسهِ. فوقع الى الارض سريعا. يسح علقمًا ونجيعًا. ثم انهُ صال وجال. والتقى الفرسان والابطال. من غير اهمالٍ ولا امهال. بقلبٍ اقوى من الجبال. وطعن فيها طعنًا يسابق الاجال. ومدد اكثرها على بساط الرمال. فلما رات الى ذلك الحال. ايقنت بالهلاك والوبال. وكانت قد تقطعت ظهورها. وحارت فى امورها. عند فقدها خيشعورها. فوات الادبار. خوفًا من حلول البوار. ونزول الدمار. وطلبت الهزيمة والفرار. وتفرقت في السهول والاوعار. وخلص عنتر في ذلك اليوم. الحارث ولبنى من ايدي القوم* وهناها بالسلامة وطيب قلبها. وازال رعبها. وقال للحارث والله يامولاي ما خلقت الرجال. الا لمقاساة الاهوال. وانا اعلم ان العشق الذي اوصلك الى هذا الحال. لانهُ ما زال يهوّن على المرء الامور الكبار* حتى يلقي نفسهُ على المهالك والاخطار. وهو معذور عند الكبار والصغار. فشكره الحارث واثنى عليه وقبلهُ في عارضهِ وبين عينيه. وقال لهُ لاعدمتك من صديقٍ. ونصيرٍ ورفيقٍ. وانا اسال رب القدرة. ان يجعل ايامك تجري في المسرة. لانك سيفنا الصقيل. ورمحنا الطويل. وكان الحارث قد قطع رجاه. وايقن بهلاكه وفناه. فلما اجتمع بلبنى. زال عنهُ العنا. ونال ما كان يشتهي ويتمنى. لان لقاء الاحبابِ يجلب الافراح. ويزيل

الهموم والاتراح . ثم انهم نزلوا . في تلك الساحة . لاخذ الراحة *
قال وفي تلك الساعة . اقبل عروة ومن معهُ من . الجماعة *
وكانوا قد راوا اثار الخيول * في تلك البراري والسهول * فتعجبوا
غاية العجب . وقالوا ان هذا الامر لابد لهُ من سبب . وما علموا
بحقيقة الخبر . حتى التقوا بابي الفوارس عنتر *

قال الاصمعي وباتوا تلك الليلة في سرورٍ وافراح . وحظ
وانشراح . ولما اصبح الصباح * واضا بنورهِ . ولاح رحلوا من ذلك
المكان . قاصدين ديار بني عبس وعدنان . وعنتر قدامهم كانهُ
الاسد المهول . وهو ينشد ويقول *

لقد قالت عبيلة اذ راتني ومفرق لمتي مثل الشعاعِ
ألا لله دركَ من شجاعٍ تذلُّ لهولهِ أُسد البقاعِ
فقلت لها سلي الابطال عني اذا ما فرَّ مرتاع القراعِ
سليهم يخبروكِ بان عزمي اقام بربع اعداكِ النواعي
انا العبد الذي سعدي وجدي يفوق على السهى في الارتفاعِ
سموتُ الى عنان المجد حتى علوت ولم اجد في الجوّ ساعي
وآخر رام ان يسعى كسعيي وجدَّ بجدِهِ يبغي اتباعي
فقصّر عن لحاقي في المعالي وقد أُعيت بهِ ايدي المساعي
ويحمل عدتي فرسٌ كريمٌ أُقدّمهُ اذا كثر الدواعي
وفي كفي صقيل المتن عضبٌ يداوي الراس من ألم الصداعِ
ورمحي السمهري لهُ لسانٌ يلوح كمثل نارٍ في يفاعِ

Digitized by Google

وما مثلي جزوعٌ في لظاها   ولست مقصرًا ان جآء داعي

قال فلما فرغ عنتر من هذه الابيات. طرب لها الحارث ومن حضر من السادات. وقال له الحارث طيب الله الانفاس. فوالله لقد جمعت بين فصاحة اللسان وقوة الباس. ما لا يوجد في احد من الناس. فلفظك فصيحٌ وباسك شديد. وطالعك قويٌّ سعيد. فحمده عنتر واثنى عليه وشكر. ثم انهم جدوا السير. وسابقوا بسيرهم الطير. وما زالوا على مثل ذلك الحال. حتى قربوا من الاطلال. وبانت لهم ارض الشربة. وديار الاحبة. فعند ذلك زاد بعنتر الغرام. والوجد والهيام. فرفع راسه نحو السماوات. واستغاث برب الكاينات. وقال اللهمَّ اني اسالك بحق البيت الحرام. وزمزم والمقام. ان تسمع لي وتستجيب. وتجمع بيني وبين الحبيب. عن قريب. ثم بكى وانتحب. وخفق فواده والتهب. وهطل دمعه على خديهِ وانسكب. فقال له الحارث يا ابا الفوارس. وزين المحافل والمجالس. متى وصلنا الى الديار. وقرَّ بنا القرار. دخلت انا على ابي. مع من يلوذ بي. وادعه يوافق امرك. فقد طال صبرك. قال عنتر قد رفعت قصتي الى ربٍّ دنا في علوهِ. وعلا في دنوهِ. واني لا ازال صابر. الى ان يحكم بتيسير امري القادر القاهر *

وما زالوا يقطعون البراري والوهاد. الى ان وصلوا الى غدير ذات الاصاد فقال الحارث لعنتر * يافارس ربيعة

ومضر . انفذ اخاك شيبوب يبشر اهلنا بقدومنا . وانا اعلم انهُ لابد ما يركب ابي ويخرج لملتقانا مع اخوتي وبني عمنا . لانهم لنا في الانتظار . ولاشك ان قلوبهم تقدح بسبب فقدي شرر النار . فاستصوب عنتر ما بهِ اشار * وامر اخاه شيبوب بذلك فسار . حتى اشرف على الديار . ثم رجع وعاد . وهو طاير الفواد * فقال له عنتر ما وراك من الخبر . فاني اراك في قلق وكدر * قال وصلت الى الاطلال . فرايت الفرسان والابطال . متفرقة في البراري والتلال . وهي متاهبة للقتال . فسالت بعض الرجال . عن ذلك الحال . فاخبرني بان الملك زهير كان قد خرج في جماعة من السادات الاماجيد . الى ملاقاة اخيه اسيد . فالتقاهم بعض الفرسان فاسرهم . وقد ركبت ابطال الحي لتقتفي اثرهم . فلما سمع عنتر ذلك الكلام . صار الضيا في عينيهِ كالظلام . وقال لهُ اما سمعت في اي مكانٍ اقتنصتهم الاشراك . واوقعتهم في قبضة ذلك الفارس الفتَّاك . قال في وادي الظبا وتلال الاراك . فعند ذلك ارسل عنتر لبنى والحارث الى الاوطان . وعرَّج هو فيمن معه من الفرسان . قاصد ذلك المكان . قال وكان السبب في ذلك الحادث هو ان الملك زهير كان قد افتقد ولده الحارث . فلم يقف لهُ على خبر . فاخذهُ القلق والضجر . وتنغَّص صافي عيشه وتعكر . وارسل عبيده الى ساير الاقطار . لتكشف لهُ الاخبار . واقام لهم في الانتظار . وبينما هو يتقلب على جمر النار .

Digitized by Google

اذ قدم البشير اليه . واعلمه بقدوم اخيه اسيد عليه . قال وكان هذا اسيد من المتعبدين فى الجاهليَّة . وكان قد رفض المراتب العليَّة . والمطامع الدنياويَّة . وانعكف على عبادة الاصنام . ومجاورة البيت الحرام . وكان فصيح اللسان . كثير الخير والاحسان . يحب العدل والانصاف . ويكره الجور والاسراف . مشكور السيرة . طاهر السريرة . وكان يزور بني عبس مرةً في كل عام . ويبين لهم الحلال من الحرام . وينذرهم عن ارتكاب المعاصي والاثام . وكانت جميع العرب تحبهُ وتمثل امره . لكثرة خيره وقلة شره . فلما وصل في تلك الايام . كما تقدم الكلام . ارسل رسوله الى اخيهِ الملك زهير يخبرهُ بقدومهِ من البيت الحرام . فخرج الى لقاه في ثلاثين من الفرسان . وجماعة من الاهل والخلَّان ولما التقوا بهِ ترجلوا اليه . وسلموا عليه . فرد عليهم السلام . وقابلهم بالبشاشة والاكرام . ودعى لهم بطول البقا والدوام . وقال لهم لولا كثرة شوقي اليكم . ما كنت قدمت في هذه الايام عليكم . ثم انهم بعد ذلك الكلام . ساروا يقطعون الروابي والآكام . حتى اقبلوا الى ارض يقال لها الاعناك . وتلال الاراك . وكانت غزيرة المياه والاشجار . كثيرة النبات والثمار . وفي وسطها شجرة من البان قديمة . ذات اغصان عظيمة . فلما صاروا في ذلك المكان . نفرت من بين ايديهم الوحوش والغزلان . فساقت خلفها الفرسان . وكان اسيد قد قصد الى تلك الشجره . رضيها

Digitized by Google

الى صدرهِ وعلّق فيها يديه وظفره. واظهر التحرّق والتاسف . والتارّق والتلهف . ثم تنهّد وبكى . وتاوّه وشكا . وانشد يقول . من فوادٍ متبول

العمر فانٍ والزمان عجيبُ وكذاك في عقب الشباب مشيبُ
هيهات يرجع ما مضى من شملنا ويعود شملي با الشباب رطيبُ
لله اوقات بقربٍ قد مضت اذ غاب واشينا وزار حبيبُ
حيّاك يا وادِ الاراك تحيةً وسقاك هطال يسحّ صبيبُ
قد كان في عصر الشباب موانسي في ربعهِ رشا اغنّ ربيبُ
من آل اشجع طفلة عربية في ذا الفضا كانت اليّ نصيبُ
ما طاب عيشي في لقاها برهةً حتى رمينا با لفراق قريبُ
فتركت خلاني واهلي والحمى من بعد احبابي وصرت غريبُ
يا حبذا وادي الاراك وعصرهِ ولبا ليا مرّت وليس رقيبُ

فتعجب الملك زهير من اعمال اخيهِ غاية العجب . وقال لهُ بالله عليك ان تحدثني بقصتك فانها لا تخلو من سبب . فقال اسيد اني كلما نظرت الى هذه الشجرة البان . تجدّدت عليّ الهموم والاحزان . وانا اعلم اني اذا حدثتك بخبري . تستخفّ بمقامي وتزدري . على ان الانسان في اول عمرهِ . ومبدا امرهِ . اذا عشق وهام . ليس عليهِ من ملام . وقد اتفق لي تحت هذه الشجرة النجيبة . حكاية عجيبة . لو كتبت بالابر . على اماق البصر . كانت عبرة لمن اعتبر . وذلك اني كنت قصدت الحجّ مع ابي حذيمة . في الايام

القديمة . فلما قضينا حجنا . ورجعنا طالبين اهلنا . عبرنا من هذا المكان . فراينا من اجناس الوحوش والغزلان . ما لا يوصف بلسان . فتاخرت ساعة من الزمان . حتى سبقني ابي الى الاوطان . وطلبت الصيد في هذه البراري والقيعان . وما زلت في تعب وكدّ . وسير وجدّ . الى ان اشتدّ الحرّ . واوهج البرّ . ونفرت الافاع . وظهرت الضباع . فاعتراني الدهش . وزاد بي العطش . فرجعت على الاثر . خوفًا من وقوع الخطر . فوصلت الى هذه الشجرة وانا على غير الاستوا . لانهُ كان قد قلَّ مني الحيل ومن جوادي القوى . فقلت في نفسي انني انزل واستريح حتى يكون قد برد نسيم الهوا . فاويت اليها . ونزلت عليها . واذ قد ظهر لي شيخٌ كبير . وحوله من الابل والغنم شيء كثير . والى جانبهِ صبية كانها البدر المنير . او الظبي الغرير . فتقدمت اليه . وسلمت عليه . فرد عليَّ السلام . بافصح كلام . وسالني عن حالي . فحدثتهُ بما جرى لي . فتبسم عجبًا . واظهر سرورًا وطربًا . وقال اهلاً وسهلاً ومرحبًا . فانشرح صدري . واطمانّ فكري . ثم عزمت على النزول الى الغدير . لاشرب واسقي حصاني فمنعني عن ذلك ونهاني . وصاح على ابنتهِ وقال لها يا أسما . احلبي لنا الناقة الحاسا . فنهضت بسرعة ورشاقة . واخذت بيدها قصعة وقصدت تلك الناقة . فحلبتها وسقتني . وقد صادت فوادي بحسنها وسبتني . فتحيرت في امري . واشتغل بها خاطري وسرّي . هذا وابوها

يترحب بي ويلاطفني بالكلام . ويتخلق معي باخلاق الكرام . ثم
قدم لي شيأً من الطعام . واكرمني غاية الاكرام . وقال اعذر
عبدك في التقصير . لانني رجلٌ فقير . والكريم على كل حال
يسامح . اذا راى العذر واضح . فقلت لهُ يا شيخ والله ما هذه الاَّ نعمة
غزيرة . وبركة كثيرة . وان كنت تطاوعني على مرادي . وتسير
معي الى بلادي اغنيت فقرك . وجبرت كسرك . لان ابنتك قد
افتنت قلبي . واخذت عقلي ولبي . واريد ان اتخذها لي امراة .
والى بيتي سيدة ومدبرة .

فلما سمع كلامي تبسَّم بعدما كان مقطب * ونظر اليَّ
نظر المعجب . وقال ايها السيد المنتخب . صاحب الحسب
والنسب . اترضاها لنفسك وانت عمدة الكبراء . وتاج الامراء .
فقلت نعم ولو كانت من بعض الجوار والخدم . وها انا اعطيك
من نقدها الان ما حضر . ثم اعطيتهُ حمالة سيفي ومركبي وكانا
من الذهب الاحمر . ففرح واستبشر . وعاهدني على الزواج .
بدون احتجاج . ثم انهُ نهض من وقتهِ وساعتهِ . وعاد الى قومهِ وانا
في صحبتهِ . وعقد بيننا النكاح . وحصل الفلاح والصلاح . ونحر
ما كان يملكهُ من النوق والاغنام وفرح بقربي الفرح التام . واقمت
عنده مدة ثلاثة ايام . في عيشٍ هني . وامرٍ سني . وانا اتمتَّع كل ليلة
بذلك الحسن والرونق . واتقلب على اكسيةٍ خشنة واقول اني على
الحرير والاستبرق . وبعد ذلك اعلمتهم من هو انا . ورحلت من

عندهم طالب ارضنا . وعوّلت ان انفذ لهم المال الجزيل . واضمرت
لهم كل جميل . ولما قدمت الى الحيّ سالني ابي . عن سبب انقطاعي
وغيابي . فقلت لهُ اشغلني الصيد والقنص . وكتمت عنهُ ما بقلبي
من الغصص وما وقع في يدي من الفرص . وما حدث لي من
نوادر القصص . واقمت بعد ذلك برهة من الايام . وانا اقاسي
الوجد والغرام . . ثم اني ارسلت بعض العبيد لياتيني بالجارية *
واصحبتهُ بهدايا واموال واهية . واقمت لها في الانتظار . وانا اتقلب
على جمر النار . وما زلت في قلقٍ وافتكار . الى ان رجع العبد
بالخيبة . بعد طول الغيبة . فسالتهُ عن ذلك الحال . فقال والله
ما رايت في ديار القوم غير اثار الاطلال . والغربان تنعق على
الروابي والتلال . وما ابصرت فيها شي يلوح . سوى رجل مجروح
قد حلّ به الدمار . وهو ملقىّ على عرَصات القفار . فسالتهُ عن
سكان تلك الديار . قال اغارت عليهم قوم من اهل اليمن *
فابلوهم بالويل والمحن . وشتتوهم عن الوطن . وسبوا النسا والعيال
ونهبوا ما كان في الاطلال . قال اسيد فلما سمعت بذلك الخبر .
تنغص عيشي وتمرمر . واخذني القلق والضجر . غير اني كتمت
قصتي . عن ابي واخوتي . وارسلت العبيد الى احياء العرب *
وبذلت لمن يجمعني بها الفضة والذهب . فلم اقع لها على اثر . في
في قبايل ربيعة ومضر . واني لحد الان . اذكرها في كل وقت
واوان . لانها لا تبرح من فكري . وحبها قد تمكن في صدري *

Digitized by Google

وما جاورت البيت الحرام . وانعكفت على عبادة الاصنام . وهجرت الاهل والاوطان . الا من اجلها . وكثرة شوقي لها . وكنت سليتها ونسيت خبرها . حتى رايت في هذا اليوم اثرها . فتجددت احزاني . واشتعلت نيراني . وتذكرت ما جرى لي في زماني . واريد منك يا اخي . ان تنزل بنا في هذا المكان . حتى نجدد العهد الذي قد مضى من قديم الزمان . ويكون مسيرنا الى الديار . عند اقبال النهار . قال فلما سمع الملك زهير من اخيه ذلك الكلام . تعجب من تقلبات الدهر والايام . وقال له السمع والطاعة . وترجل من تلك الساعة . وهو يقول هكذا الدهر الغدار . يفعل باهله ما يشا ويختار . ان اضحك الناس يوما ابكاهم سنة . وليس له على احدٍ جميلٌ ولا حسنة ❃

ثم امر عبيده بتنظيف ذلك المكان . وان يفرشوا الطراريح تحت شجرة البان . ففعلوا ذلك المرام . وجاوا بالخمر العتيق . ووضعوا الكوس والاباريق . وكانت قد رجعت من الصيد جميع الفرسان . وما فيها الّا من جواده موقور بالارانب والغزلان . فعملوا وليمة عظيمة . لها قدر وقيمة . وزادت افراحهم بقدوم اسيد بن جذيمة . فاكلوا وشربوا . ولذوا وطربوا . وما زالوا في حظٍ وانشراح . وسرورٍ وافراح . وشرب راح . حتى صرعتهم اقداح المدام . ولم يبقَ منهم الا من رقد ونام وعند اقبال النهار . دهمتهم طوارق الاسحار . وقصدتهم فرسان غايرة . في تلك البراري

المقفرة . والمفاوز الموعرة . فراوا غنيمة ليس لها محام ولا مدافع . فداروا حولها من ساير المواضع . واحاطوا بها احاطة الخواتم بالاصابع . واخذوا الجميع اسارى . وشدوهم على ظهور الخيل وهم سكاري . وما فيهم من استيقظ وفاق . الا وراى نفسه في قيد الوثاق *

قال الراوي وكانت هذه الفرسان . من بني قحطان . وهم من عرب يقال لهم بنو القيان . وكان المقدم عليهم فارس عظيم . وسيد كريم . يقال له نازح بن سلمى اليتيم . فاخذوهم وساروا بهم الى الاوطان . وهم في حالة الذل والهوان . وكان الذين سلموا من اولاد الملك زهير ثلاثة . وهم زنباع وورقا وعلاثة . فطلبوا الديار . واعلموا قومهم بتلك الاخبار . فركبت الفرسان . وطلبت وادي البان . وانقلب الحي بالصياح والضجيج والنواح . وفي ذلك الوقت كان وصول عنتر من ارض العراق . كما تقدم السياق . فلما بلغه ذلك الخبر . تشوش خاطره وتكدر . ورجع من يومه . طالبا خلاص قومه *

قال الراوي وسارت بنو القيان * طالبة الاهل والاوطان وجدت في قطع القفار . الى ان تضاحى النهار . وكان قد اشتد عليها الحر في ذلك البر . فنزلت للراحة والمرعى . على غدير يقال له ذات الجرعا * وفي ذلك الوقت استيقظ الملك زهير من سكرته . مع باقي اولاده واخوته . فراوا انفسهم في الاسر

والهوان . مع بعض العربان . فندموا غاية الندم وايقنوا بالهلاك والعدم . وصاح الملك زهير من قلب احرقه اللهب . ويلكم يا انذال العرب . وقليلي العقل والادب . كيف تجاسرتم على ارتكاب هذه الامور . ولم تحسبوا عواقب الايام والدهور . اما فيكم من يعلم باننا ملوك آل عبس . الذين اشتهروا بشدة الباس وشرف النفس * فسوف يحيط بكم البلا ويحل عليكم النحس . ولو تعلقتم بحبال الشمس . فتلافوا امركم . واطفوا لهيب جمركم . وقدروا العواقب . قبل حلول النوايب * وان كان ايها الرجال * قصدكم المال * فنحن نعطيكم من الفضة والذهب ما لا يقدر عليه احد من ملوك العرب *

قال فلما سمع نازح ذاك المقال . ترنح على ظهر جواده ومال . ورفع راسه الى نحو السماء . ونادي اللهمّ يا اعظم العظما . واكرم الكرماء . لك ينبغي المجد والاكرام . والتعظيم والاحترام . على ما اوليتنا من جزيل الانعام . لانك مسبب الاسباب . ومسهّل الامور الصعاب . فبقدرتك زالت همومي واتراحي . وبعظمتك زاد سروري وافراحي . فقال الملك زهير وقد تعجب من مقالهِ وغريب اعمالهِ . ما معنى هذا الكلام . ايها الغلام . قال اني لم اكن اعلم ايها الجماعة . انكم من بني عبس الا في هذه الساعة . وبالحقيقة انكم من اهل القوّة والشجاعة . وفيكم تُضرَب الامثال في الفصاحة والبراعة . فشكرت الهي ومعتمدي الذي اوقعكم في يدي . حتى

Digitized by Google

ابلغ بكم غاية مقصدي * ومرادي الان * اسير بكم الى الاوطان. واسلمكم بيد البطل العظيم . والسيد الكريم . الذي له عليكم ثار من قديم * وهو مولاي عبَّاد بن تميم * الذي ربيت يتيماً في نعمتهِ * وانتشيت عزيزًا في مملكتهِ * ونلت هذه المنزلة العظيمة بعلو همتهِ * وكنت قد عشقت ابنته ضميا * التى ليس لها مثيل في ساير نساء الدنيا . فهام قلبي بها * وتعلق بحبها * وقاسيت من اجلها الاهوال والمحن * واظهرت شجاعتي في بلاد اليمن * واتيت لابيها بالمال والجواهر * والخيول الضوامر * وكان كثيرًا ما يقول لي ياسندي . ومن هو عندي اعز من ولدي . ان آل عبس وعدنان * قد قتلوا لي جملة من الابطال والفرسان * كانوا عمدتي عند نوايب الزمان . فاياك والقرب من اطلالهم . خوفًا من سطوة ابطالهم . وكنت كلما سمعت منهُ هذا الكلام . اعلم انكم غاية قصده والمرام . والان قد سبق السيف العذَل . وقد فعل القضا ما فعَل . وسوف ابلغ من زواج ضميا الامل . ثم انهُ بعد ذلك المقال . صاح على من معهُ من الرجال . وقال لهم جدوا بنا في قطع الطريق . قبل ان يلحقنا لاحق يعيق . ثم انه سار في اوايلهم وهو مسرور بذلك التوفيق . ولما تمادى بهِ الترحال . تذكر الاهل والاطلال * فانشد وقال *

بلغتُ المراد ونلت المُنى ... وما مسَّني في مسيري عنا

وقد كنت اخفي رسيس الهوى ... فاصبحتُ اظهرهُ معلنا

Digitized by Google

ولما اساء الدهر في عشرتي وكنت له محسنا احسنا
ولو كان دام على جهله جهلت وعرفته من انا
رعى الله ضيما وجيرانها ومن حلَّ في جانب المنحنا
بدورٌ أعزن لاغصانه قدودًا وغزلانه اعينا
وفي صدر ابياته ظبيةٌ محجّبةٌ في صدور القنا
اضمياء ريقك يشفي الظما وبرد ثنائك لذيذ الجنا
فمني عليَّ برد السلام اذا كنتِ في الخيف او في منًا
اياأمُّ لاتحزني وابشري بصدقِ الودادِ ونيلِ المنى
فقد صحَّ لي الانَ ما قلتِ لي وقد بان برهانهُ ها هنا

قال الراوي وما زالوا يقطعون البراري والاكم . الى ان اقبل الليل واظلم . فنزلوا على ماء لبني الاخرم . وكان الملك زهير قد آيس من السلامة . وندم حيث لاتنفعهُ الندامة . ومثل ذلك جرى على اخوتهِ . ومن معهُ من رفقتهِ . ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . ركب الامير نازح . بمن معهُ من الابطال الجحاجح . وجدّوا في قطع البراري والصحاصح . على الطريق الواضح . واذا بغبارٍ قد ثار . من جوانب القفار . ولم تكن الا ساعة من النهار . حتى انكشف عن خمسين فارس . كانهم الافات الطوامس . او الثعابين الهوامس . يقدمهم فارس اسود . على فرس اجرد . كانهُ البرج المشيد . متقلد بسيف مهند . معتقل برمح مسدد . وهو غايص في الحديد والزرد . وله همهمة مثل الاسد . والى جانبهِ رجل

كانه العقاب الكاسر . او الليث الخادر *

قال الراوي وكان ذلك الفارس الامير عنتر . والرجل هو شيبوب الثعبان الاغبر . وتلك الفرسان من بني عبس الكرام . قد جاوا في خلاص الملك زهير كما سبق الكلام . فالتقوا بهم في ذلك المقام . فلما راهم عنتر . فرح واستبشر . وحمل عليهم بمن معهُ من الفرسان . وهم يصيحون يا لعبس يا لعدنان . فاندهش نازح من ذلك الاتفاق العجيب . والحادث الغريب . والتفت على اصحابهِ . ومن يعتمد عليهم في وقت مصابهِ . وقال وحق ذمة العرب . وشهر رجب . ان قدوم هذه الطايفة العبسية في هذا الوقت من اعجب العجب . وما هم الا في نفرٍ يسير . وعددٍ حقير . وقد ساقتهم التقادير . الى الهلاك والتدمير . فلما سمع الدليل منهُ ذلك الكلام . ابدى الضحك والابتسام . وقال لهُ خاب والله املنا . وضاع عملنا . وضاعت طريقنا . وخاب توفيقنا . وما دام عبد بني عبس قد التقانا هلك شيخنا وفتانا . واما قولك كيف اهتدت بنو عبس وعدنان . الى هذا المكان . فانا اعلم سبب هذه المصيبة . وذلك انهُ يوجد لعنتر اخ اسمه شيبوب من امهِ زبيبة . قد اقام بارض اليمن مدة طويلة . وتربّى في عربٍ يقال لهم بنو جديلة . فلما غارت بنو عبس على تلك الحلة . اخذوا اموالها وجمالها وساقوا اته في الجملة . وكان شيبوب معها صغير . فاخذوهُ معهم كالاسير . ولما رجعت بنو عبس الى الاطلال .

اقتسمت بينها الاموال فوقعت زبيبة ومن لها من الاولاد . في قسم شداد بن قراد. ومنها رزق ولده عنتر. الذي فاق بشجاعته على جبابرة البدو والحضر . ولم يترك لفارسٍ اسمٌ يذكر . واما اخوهُ شيبوب فانهُ افة من الافات. واعرف اهل الارض بالبراري المقفرات. وها هو الان بجانب اخيه عنتر. كانهُ النمر اذا انذعر. او ذكر النعام اذا نفر . والراي عندي أن تطلق بني عبس من الاعتقال . وتريحنا من القتال . بعد ما تاخذ منهم الذمام . ولا تبارز ذلك البطل الهام . والليث الضرغام . لانهُ ليس كمن لاقيت من الابطال . ولا مثل من بارزت من الرجال . قال فلما سمع نازح هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام . واستولى عليهِ الغمّ . وقال ما هذا الكلام يا ابن العمّ . اكون في مايه فارس من بني القيان . واخاف من قتال هذا الشيطان . وانت قد شاهدت وقايعي في بلاد اليمن . وقتالي في مداين صنعا وعدن . وما اهلكت من خلايق وامم . فان كنت نسيت ما تقدم . فسوف ترى فعالي مع هذا العبد الادهم . وكيف امحي وجوده بالعدم . واترك جثته طعاما للعقبان والرخم . ثم انهُ بعد ذلك المقال اقبل على من معهُ من الرجال . وقال لهم اقسمت عليكم بمن ارسى شوامخ الجبال . ان لا يحمل احدا منكم معي الى القتال . حتى تروني قتلت عنتر. ويلوح لي وجه النصر والظفر. ثم انهُ طلب عنتر بن شداد . وهو على جوادٍ حالك السواد .

يلحق الغزال اذا نفر ويسبق الريح اذا هدر . ولما قرب منهُ
صال وجال . ولعب برمحه العسال . وانشد وقال

دع عنك عذلي فما اصغى الى العذلِ
ولا اعيبك في قولٍ ولا عملِ
موت الفتى وسيوف الهند تنهبهُ
خيرٌ لهُ من حيوة الذل والخبلِ
ليس الهجوم على الهيجاءِ يهلكني
ولا الفرار ينجيني من الاجلِ
من كان يكره ان يلقى منيتهُ
فالموت احلا على قلبي من العسلِ

قال فهجم عنتر عليه . ودنا اليه . وقال له ويلك يامجنون .
من انت ومن اي العرب تكون . فاني اراك تعجب بنفسك .
وتحتقر بابناء جنسك . ففي هذا اليوم اخمد حسك واسكنك
رمسك . واجازيك على ما فعلت في امسك . واعرفك شوم
تعرضك لبني عبس وعدنان . واسرك ملوك الزمان . فقال
نازح والله ياولد الزنا . وتربية الخنا . قد نلت من قومك غاية
القصد والمرام . واسرت منهم كل بطل همام . وسيد قمقام . فلو
كان لك عقل كنت في غنا عن هذا الكلام . فلما سمع عنتر كلامه
حمل عليه وطلب قتاله . واجابه على شعره يقول ❊

ياجاهلاً بمقام الفارس البطل فسوف تلقى حسامي ساطع الشعل

ظننت انك اسرت القوم مفتخراً * مهلاً ستجزي الذي اسلفت من زلل
فبادر الان والقاني ترى بطلاً * يلقى الجيوش بقلب قدّ من جبل

قال الاصمعي ثم انه بعد ذلك انطبق على نازح . وانقض عليه انقضاض العقاب الجارح * فاستقبله نازح استقبال البطل المكافح او الاسد الكالح. وتجالدا باطراف القنا والصفايح. والتطما كما تتلاطم امواج البحر المالح. حتي خدرت منهما المواكب والجوارح. وارتجت من وقع حوافر خيلهما الاباطح. وناح عليهما طير الحمام وصدح. ووكف العرق منهما ورشح. وصار النهار في اعينهما قوس قذح. وابصر نازح من عنتر. ما ادهش منه النظر. وحير الفكره فاخذه الملل والضجر. وطعنه بسنان الرمح طعنة اسرع من لمح البصر. فوقعت بين اذني الابجر. فراحت خايبة ولم يمسه منها ادنى ضرر. فزاد بعنتر الغيظ والحنق. وصاح على نازح وزعق. وعطف عليه وانطبق. وهاجمه مهاجمة الاسد. وطعنه بعقب الرمح طعنة الحرد. اقلبه عن ظهر الجواد. كانه طود من الاطواد فوثب شيبوب اليه. وكتف يديه. وبعد ذلك حمل على بني القيان . بمن معه من الفرسان. فانزل بهم الذل والهوان. وفرقهم في البراري والقيعان. بعد ما اسر منهم جماعة من الشجعان. ثم طلب الملك زهير وحل كتافه وكتاف اخوته. ومن اسر من اهل بيته وعشيرته. وهناهم بالسلامة والخلاص. من شرك الاقتناص. فشكره الملك زهير واثنى عليه. وقبله بين عينيه *

وحدثه بما جرى لهم وكان . في وادي البان . فقال عنتر يا ملك الزمان . يجب على كل انسان . ان يحترز على نفسه من غدرات الزمان . ولا يغفل عن نوايب الحدثان . وانا احمد الرب الكريم الخلاق . الذي سهل لنا هذا الاتفاق . والا كنا صرنا معيرة في ساير الافاق . ثم حدثه بما جرى له في ارض العراق . وما حدث لهم من الانعواق . وملتقاهم بشيبوب . وخلاص الحارث من الكروب . هذا والملك زهير يسمع . واجفانه تدمع . وما في الحاضرين الا من داخله الطرب . واخذة من فعال عنتر العجب فقال الملك زهير . يا ابا الفوارس . لقد ازلت عن قلبي الوساوس لاني كنت من والدي آيس . فهل هو الان في الاحيا . يعد من جملة الاحيا . قال نعم . ايها الملك المعظم . فقال لله درك يا حامية عبس وعدنان . وفارس هذا الزمان . لانك حصننا المانع . وسيفنا القاطع . اذا اشتدت الزعازع . وتأججت نيران المعامع . ثم استشاره بامر الاسارى والرجوع . الى الاطلال والربوع . فقال عنتر ان الصواب . ايها الملك المهاب قتل هولا الكلاب . قبل ان يفشى هذا الامر ويظهر . وتشمت فينا قبايل البدو والحضر . ثم امر رجال عروة فاتوا بالاسرى في الحال . واحاطوا بهم من اليمين والشمال . وجاء شيبوب بنازح . وهو من شدة الغيظ مثل السكران الطافح . واوقفهُ بين اصحابه . وجرده من ثيابهِ . فتعجبت الفرسان من فرط جماله . ورثت لحاله . وكان اسيد قد احدق

اليه بالنظر. فراى في ذراعه معضدة من العقيق الاصفر* منقوش عليها صورة صنمان من الذهب الاحمر. واعينهما من الزمرد الاخضر. فاندهش وتحير. وتقدم اليه في العجل. ونظر فيهِ وتامل ثم انهُ نزع تلك المعضدة من زنده. وقد كاد ان يذوب من شدة وجدهِ. فقبلها وبكى وان وشكا. وقال لهُ اصدقني بالكلام. ايها الغلام. قبل حلول الاجل وزلة الاقدام. من اين لك هذه المعضدة البديعة. التي لا يوجد على شكلها عند احد من ملوك مضر وربيعة. فقد شوشت خاطري وازعجت سرايري. فبكى نازح والتحب. وهطل دمعهُ على خديه وانسكب. وقال اهدتني اياها امي سلمى. وذكرت لي ان فيها اسماء عظيمة لرب الارض والسماء. الذي اجرى من الصخر الماء. وعلم ادم الاسماء*

فلما سمع اسيد من الشاب. ذلك الخطاب. تجددت عليه الاحزان. ووقف متفكرًا في تصرفات الزمان. ثم سالهُ عن حسبهِ ونسبهِ. ومن يقال لقومهِ وعربهِ. فقال والله لا اعلم من هو ابي. ولا اعرف من ايّ القبايل عربي. وما ربيت غير فقير يتيم. في نعمة مولاي عبّاد بن تميم. وكنت قد هويت ابنته ضميا وانا صغير. واصفيت في حبها الضمير. وكتمت عن ابيها تلك القضية. الى ان بلغت سن الرجولية. وقلت في سرّي ليس لي الّا ان اتقدم اليه. بكل ما اقدر عليه. فبارزت الفرسان والابطال. واسرت صناديد الرجال. والقيت نفسي على الشدايد

والاهوال. واتيته بالاموال. واتحف الغوال. واجتهدت في خدمته غاية الاجتهاد. املا بنوال القصد وبلوغ المراد. وما زلت مجتهدًا في خدمته * وكاتمًا في قلبي هوى ابنته. حتى زاد بي الغرام * واستولى على جسدي السقام * وصرت مثلاً بين الانام * فشكوت الى امي ما بي من الوجد والغرام. فلما سمعت مقالي * رثت لحالي. فقالت لي ليس لك شفاء. من هذا الداء * الا ان تقصد الى حي بني عبس وعدنان * وتجتهد في ارساداتهم والفرسان وتاتي بهم الى هاهنا. وقد بلغت المنى * وازلت عن قلبك اللهيب والعنا لان سيدك عباد له عليهم ثار * وكلما ذكر فعالهم اشتعل قلبه بلهيب النار * وقد قصدهم جملة مرار * ويعود من عندهم بالخيبة والانكسار وان كنت لم تقصد تلك البلاد * وتخاطر بروحك معهم في الحرب والجلاد * لا تنل من ضيا المراد. فلما سمعت كلامها زاد بي الطمع والوجد والولع * وقلت لها يا اماه اني ارى كل انسان. يصف بني عبس بثبات الجنان * واخاف ان سرت اليهم لا يسير معي احد من الفرسان * لاجل هيبتهم التي قد شاعت في كل مكان * فقالت يسير معك كل من طلب المعاش والمكسب * وله رغبة في الفضة والذهب * وان كنت من فرسان العرب * وتخاف من ابطال بني عبس وعدنان * وتقدر عواقب الزمان * وتريد بان امورك تكون موفقة ومشيدة * فخذ معك هذه المعضدة * فهي تحميك من الخطر وتوقيك من دواهي البشر * لان فيها اسما عظيمة

Digitized by Google

لرب السماء * خالق النور والظلام * وقد اعطاني اياها اباك وقال لي احفظيها * واياكِ ان تفرطي فيها * فاخذتها من امي وربطتها على زندي . واملت بنوال قصدي * ثم اني قصدت دياركم بماية من الفرسان * وما زلنا نقطع البراري والقيعان * حتى وصلنا الى وادي البان * وجرى من الامر ما قد جرى * واسرناكم وانتم سكارى وما فيكم من يسمع ولا يرى فزال همي وغمي . ولاح لي بركة هذه المعضدة وصدق ما قالته لي امي . الى ان التقينا بهذا الفارس الاسود . والبطل الامجد * الذي قل وجود مثله في كثير من الابطال . واعيان المعارك والقتال . وقد آيست من الحيوة وانكرت البقا . ووقعت في قيود الذل والشقا . وها انا قد فوضت امري اليكم . فافعلوا بي ما يحسن لديكم *

قال فلما سمع اسيد ذالك الكلام من نازح . وقد لاح لهُ من الحق برهان واوايح . سعى اليه وهو باكٍ متأسّفاً . وضمهُ كما ضمّ يعقوب يوسفاً . وقال لهُ وحق من انبت النبات مختلفاً . وانبع الماء من صمّ الصفا . ويعلم ما ظهر وما خفى . انت والله ولدي . ومهجة كبدي . وانا الذي قدّمت هذه المعضدة لامك ودفعتها اليها . والدليل على ذالك هو ان اسمي مكتوبٌ عليها . وما ارسلتك امك الى هذه الديار . ووصفت لك هذه الرسوم والاثار . الّا لكشف الاخبار . ثم انهُ التفت على اخيه زهير وقال لهُ يا اخي ها قد عاد الزمان بعد ما انقلب . وردّ عليّ ما كان

قد انتهب. وعلى ام هذا الغلام بكيت عند شجرة البان * وذكرتها في ذلك المكان * ثم انهُ بكي حتى ابكى كل من حضر * وما فيهم الاّ من تعجب من هذا الحديث والخبر * الذي لم يسمع بمثلهِ في قبايل ربيعة ومضر. ولما راى الامير عنتر. بان الامر قد اشتهر. ترجّل عن ظهر جواده الابجر * وتقدم الى نحو نازح وحل كتافه. وقبل وجهه واطرافه * فاندهش نازح وتحير. وفاض دمعه على خديه وانحدر * ولما هدأ جنانه. وسكن خفقانه * قال والله يابني عمي ما انتم الا معدن الجود والكرم * ومنتهى الفخر بين الامم * وقد فرحت بحسبكم. واتصالي بنسبكم. لانكم ملوك الزمان. وابطال عبس وعدنان. فما فخر الا وحزتموه. ولا شرف الا وقد نلتموه. وقد صرت منكم واليكم. ومن هذا اليوم اكون عبدًا بين يديكم. ثم انهم بعد ذلك فكوا الاسارى. وسلموهم الخيل والمهاره. وعادوا طالبين الطريق المستقيمة. ونازح الى جانب ابيه اسيد بن جذيمة * وهو يقول لهُ قد صح عندي بانك ابي * وما بقي لي عنك صبر ولا عن عربي * فكيف يمكنني ان اقيم في بني عبس وعدنان * وأُمي في بني القيان * تقاسي من شوقها الى لهيب النيران * لا سيما اذ سمع الامير عباد باني عبسي * فوالله ما كان يتركها تصبح ولا تمسي. بل كان يعجل مرتحلها من الدنيا * وكنت اموت بحسرتها وحسرة ابنته ضميا * لان في قلبي من حبها. وفي رجلي من اجلها. قيد لا ينفك ابدًا الا بوصلها. والاجتماع

Digitized by Google

بها * فقال اسيد وكاني اترك امك في ايدي الاعداء * وادع في قلبك غصة من ضحياء * لا يكون ذلك لا * حاشا وكلا. ولكن متى وصلنا الى الديار واجتمعنا بقومنا * فحينئذٍ اريك ما ادبر في اجتماع الشمل و بلوغ المنى * ثم انهم جدوا السير * وسابقوا بسيرهم الطير. ولما امسى عليهم المساء. نزلوا على بعض الامياه * حتى استراحت خيولهم واكلوا العشاء * وبعد ذلك ركبوا ظهور الخيل * وساروا تحت ذيل الليل * ولما اسفر الصبح وبان * اشرفوا على وادي البان * واذا هم برجالٍ وفرسان * على خيول اخف من الغزلان. وهم سايرون في تلك القفار * يقطعون المفاوز والاوعار. قال وكانت تلك الابطال من بني عبس الصناديد. قد جاءت في طلب الملك زهير واخيهِ اسيد. وكان في صحبتها الربيع بن زياد. واخيه عمارة الفواد. وكان قد بلغ الربيع ما قد حصل للملك زهير في الطريق. من الاسر والتعويق فجاء قاصدًا اليه. وامل ان يكون خلاصه على يديه. فخاب فكره وحظي بالفعل غيره. الا انه لما راى الملك زهير مع اخوتهِ. دنى اليه وهناه بسلامتهِ. وساله عن قصتهِ. فحدثه بما جرى وكان. وكيف كان خلاصهم عن يد عنتر فارس الفرسان. فتعجب الربيع ومن حضر. من ذلك الحديث والخبر. وما منهم الا من تقدم الى نازح وسلم عليه. وقبلهُ في عارضه وبين عينيه * وتقدم الربيع الى عنتر وهناه. وشكره على ما ابداهُ. وقد ذاب جسده من حسده.

كيف كان خلاص الملك زهير على يده . وقال له يا ابا الفوارس . وزين المجالس . لا كان يوماً فيه لا نراك * لانك ذخيرة لاصدقاك * فبلغك الله مناك . وحفظك لنا ووقاك . لانك سيفنا القاطع في النوايب . وحصننا المنيع في ايام المصايب . فلما سمع عنتر مقاله * استحي منهُ ودعى له * وقال لهُ ايها السيد الجليل * صاحب الفضل والجميل * ما انا الا عبدكم وبسيفكم اضرب . وبباسكم اغلب . ولولاكم ما كنت بين الناس مذكوراً . ولا عند احد من العرب مشهوراً *

قال الراوي وما امسى المساء حتى اجتمعت بنو عبس من اقطار البيداء * وباتوا تلك الليلة في تلال الاراك * ولما اصبح الصباح رحلوا من هناك * فقال اسيد لاخيه زهير . وقاك الله من الضنك والضير . ان قلبي لا يطيب بالعودة الى الاحياء . الا بعد خلاص زوجتي سلمى . وزواج ولدي نازح بضمياء . فاجابه الملك زهير وقال . متى وصلنا الى الاطلال . نسير في صحبتك بمن لنا من الابطال . ولا نعود من بلاد اليمن وتلك الحدود . الا بغاية المقصود . فقال عنتر لا وحق من انبع الماء من الصخر الجلمود . واهلك قوم عاد وثمود . لا يسير في هذا الامر غيري من فرسان العرب . ولا احوجكم الى تعب ولا نصب . فقال الربيع لله درك يا ابن العمّ . ومن هو كاشف الهمّ والغمّ . فانا واخوتي نسير في صحبتك . ونبذل مهجنا دون مهجتك .

قال وكان هذا الكلام تحريضاً لعنتر من الربيع في المسير . لانهُ لما عجز عنهُ وخاب منهُ التدبير . قصد ان يلقيه في بلاد اليمن و ينتظر لهُ نوايب الدهر والمحن . فحمدهُ عنتر على مقالهِ * وقد علم بمكرهِ ومحالهِ * فاقسم انهُ لا يتبعهُ الا عروة بن الورد برجالهِ فقال الملك زهير لا والله يا ابا الفوارس * لا نطاوعك على ذلك حتى لا تاخذنا من اجلك الوساوس * ولا ندعك ان تدخل الى بلاد اليمن بماية فارس * ولكن ان اردت تعاملنا على عوايدك القديمة * وتحمل عنا ثقل هذه النوبة العظيمة . فخذ معك الفين رجلاً من الابطال المشهورة * والفرسان المذكورة * حتى تكون قلوبنا عليك امنة * ونفوسنا مطمئنة ساكنة * قال عنتر ايها الملك العظيم * والسيد الكريم * وحق البيت الحرام وزمزم والمقام * والمشاعر العظام * لو كنت ساير لافتتاح بلاد الشام او الى قتال كسرى ملك الاعجام * ما اخذت معي اكثر من الفين فارس همام . وما اريد الا ان يقال عنكم بين الانام * بان عبدكم قد دخل الى بلاد اليمن . وتلك المعاهد والدمن * بماية فارس من الابطال * وقضى الاشغال . وعاد الى قومهِ بالغنايم والاموال . غير ان لا يطيب قلبي بالمسير الى هذا المعنى * الا حتى يدخل مولاي الحارث على زوجتهِ ابني *

قال الراوي ولما وصلوا الى الديار * وقع بقدومهم الفرح والاستبشار * ثم انهم نحروا النحور * وسكبوا الخمور * واخذوا في

الفرح والسرور * وداموا على تلك الحال * مدة سبعة ايام مع الليال * وفي اليوم الثامن دخل الحارث على زوجته لبني * ونال ما كان يشتهي ويتمنى . هذا وعنتر قد خلع ووهب * وفرق الفضة والذهب * ونثر النثار * من الدرهم والدينار . واخلع على السادات الكبار * قال وبعد ذلك عزم على الرحيل وقطع الصحاصح * لاجل قضا حاجة اسيد وولده نازح * فاخذ معهُ ابوه شداد . وعمه زخمة الجواد . وثلاثماية فارس من بني قراد . وسار في صحبته اسيد بن جذيمة . وولده نازح باوفى عزيمة . وخرج الملك زهير لوداعهم الى تلال الاراك . فحلف عليه عنتر ورده من هناك ورحل عنتر طالب بلاد اليمن . ورجع الملك زهير الى الاهل والوطن *

قال محمد بن هشام * واتفق بعد مسير القوم بثلاثة ايام * قدم على زهير رسول الملك النعمان * سيد قبايل العربان * ومعهُ من نفايس الاقمشة * والتحف المدهشة * وانواع الجوهر * وتخوت الوشي والحبر * ما يدهش البصر * ويبهت النظر * وتعجز عنه ملوك البدو والحضر . وكان من جملة الهدايا والمال الكثير . الف ناقة من النوق العصافير . وهي التي قد وقع عليها الاتفاق . من جملة المهر والصداق * فاستقبلهُ الملك زهير احسن استقبال * وانزله في ابياتهِ هو ومن معهُ من الرجال * وعقر لهُ ونحر * وفرح بهِ واستبشر وساله عن احوال النعمان * فوصف له ما هو فيه من العز

والسلطان وانه قد عاد اوفى ما كان * وهو يسلم عليك * و يقبل يديك ويقول لك ان ترسل لهُ زوجته المتجردة * لانه قد اشتاق الى طلعت تلك السيدة . فلما سمع زهير ذلك الكلام * شكر الله على ما وصل اليه من جزيل الانعام *

قال الاصمعي وكان ايضا قد وصل الى بني فزارة رسول الملك الاسود اخو النعمان . ومعهُ من التحف والهدايا الحسان . ما لا يصفهُ لسان . وطالب حذيفة بن بدر بانفاذ اخته مارية اليه . وسرعة قدومها عليه . لانهُ كان قد خطبها . فارسل وطلبها . فطار حذيفة بالفرح . وطاب قلبه وانشرح . وغنت المولدات . وانقلبت الاحيا بالافراح والمسرات . ودارت بينهم اقداح الراح . في المساء والصباح . وكسوا الارامل والايتام . واطعموا الطعام . وداموا على تلك الحال مدة سبعه ايام . وفي اليوم الثامن حملت الهوادج على ظهور الجمال . وجللوها بثياب الديباج الغوال . وَرُفِعَت الاهلّة على الكلل . ولبست العرايس افخر الحلل . وتقلدت بقلايد الجواهر . والعقود الفواخر . ونشرت على روسهن الاعلام والبنود . وركبت الرجال من حولهنَّ مثل الاسود . وسار حذيفة مع اختهِ في ماية وخمسين رجلاً من الابطال المشاهير . والفرسان المغاوير . وارسل الملك زهير مع ابنته المتجردة ابنهُ شاساً وكان من اشد الناس باساً . واعظمهم مراساً قال وما زال القوم يقطعون البراري والمنازل . والغدران والمناهل . حتى وصلوا

الى الحيرة • فخرج النعمان الى لقاهم في جيوش كثيرة • يتبعهُ اخوه الاسود • وجماعة من السادات العمد • مع بوقاتٍ تضرب • وفوارس تلعب • ولما التقوا ببعضهم البعض علا منهم الصياح• وزادت المسرّات والافراح. ولعبت الابطال بالسيوف والرماح. وتقلبت تحت الدرق والسلاح. وترجل شاس وحذيفة بمن معهما من الفرسان • الى خدمه الملك النعمان. والتقوه احسن ملتقا. ودعوا له بطول البقا. وبعد ذلك جدوا في المسير* حتى انتهوا الى القصر الكبير* وكان قصرًا عظيم البنيان* مشيّد الاركان بديع المنظر جميل الرونق• يقال له الخورنق. قد بناه جد الملك النعمان • واتقنه غايه الاتقان * وزخرفه بالتماثيل والصور. والتزاويق التي تخطف البصر *وتدهش النظر* فدخلوا القصر وقت العصر* وجلس النعمان على السرير * وقام في خدمتهِ الكبير والصغير* وجلست من حوله الامراء والاعيان والوزرا. وصفت بين ايديهم جفان الطعام* ودارت عليهم كووس المدام * وكان ذلك اليوم لايقاس بالايام *ولم يسبق مثله في السنين والاعوام فيه خلع النعمان ووهب* واظهر الطرب* ونثر الفضة والذهب• وفرش الارض بشقق الحرير* ومد الاسمطه للمامور والاميره وكسا الارامل واغنى الفقير * فانشرحت في ذلك اليوم الصدور • وعمّ الناس السرور* واستقروا في اوفر حبور* وما زال القوم في سرورٍ وافراح* وغبطة وانشراح* مدة عشرة ايام• وهم في اكل طعام

وترجل

وشرب مدام* وسماع انغام* وبعد ذلك زُفّت المتجردة على الملك النعمان* وقد صفا له الزمان* وزُفّت ايضاً مارية على الملك الاسود. وتمتع بمشاهدة وجهها الاسعد* وزال مابقلبه من الهم والنكد وبلغ كل واحد منهما مناه* ونال ما كان يتمناه* ثم تفرقت طوايف العربان* عن الملك النعمان* وطلب حذيفة الانصراف الى حلته. فخلع عليه الاسود وعلى اخوته* وكذلك فعل النعمان في حق شاس بن زهير* وافاض عليه من الخلع الثمينة واكثر له من الخير* فلما نظر شاس الى تلك الاموال* والتحف الغوال* بادر الى الملك في الحال. واقسم عليه وقال* وحق الملك المتعال لايصحبني من هذا المال قيمة عقال. لانك ارسلت الينا ما فيه الكفاية. وقد بلغنا من احسانك الغاية. ونحن ما طلبنا قربك طمعاً في انعامك. بل رغبة في علو قدرك ومقامك. فشكرهُ النعمان. وبالغ معهُ في اللطف والاحسان. وامر ان تحمّل الناقة التي اتت بالمتجردة. من البخر الاصناف ذات الرايحة الزكية الجيدة. وكان اكثرها من المسك الاذفر. والند والعنبر. وقال خذ هذه في صحبتك. ومتى وصلت الى حلتك. بخر بها المضارب والخيام. ليتشارك فيها الخاص والعام. وتطيب من رايحتها البراري والاكام. لان الناقة التي اتت بالحبيب. لايجوز ان ترجع الا وهي محملة من الطيب. ثم امر له بماية فارس ان تسير معهُ الى الاوطان. خوفاً عليه من نوايب الزمان. فابى وقال.

Digitized by Google

وحق من ارسا شوامخ الجبال . لاخذت معي احدًا من الرجال .
فكيف تكون انت صهري والملك زهير ابي * وبني عبس قومي
وعربي * واسير في البر بغفير . لا وحق العزيز القدير *

ثم ودعه وسار . وتبطن البر والقفار . وليس معه غير عبده
سالم . ولما ابعدوا عن الكوفة وقطعوا تلك المعالم . جرى بينه
وبين حذيفة ذكر الدعوات والولايم . وافتخر كل واحدٍ منهما
في صهرهِ . وعظم في قدرهِ . وبالغ حذيفة في مدح الاسود واطنب
وفضلهُ على ساير ملوك العرب . فعلم شاس ان قصدهم يغيظوه
حتى يبتعدوا عنهُ ويفارقوه . فلما تحقق ذلك منهم . انقطع عنهم .
واظهر انهُ يريد الصيد في اقطار البر . وما فعل ذلك الّا طلبا
لقطع الشر . قال فلما نظر حذيفة الى سرعة مسيرهِ . علم بما في
ضميرهِ . فقال لقومهِ ومن معهُ من الانفار . جدوا بنا في طلب
الديار . ودعوا شاس وحده في هذه القفار . لعل ان يقع بهِ من
يضرب رقبته . ويأخذ جواده وناقته . لانهُ من محبين عنتر .
ومن المتعصبين لهُ ان غاب او حضر . ولو كنت اعلم ان امرهُ
ينكتم عن اهلهِ . لامرتكم بقتلهِ . ثم جدوا في التسيار . وقطعوا
المفلوزي والاوعار . قال وكان شاس قد جد في قطع الهضاب .
حتى وصل الى ديار بني عامر عند الغياب . وكان قد حل بهِ
العطش والظماء . فعدل الى المنهل في طلب الماء . واتفق من
القدر . الذي ليس للعبد منه مهرب ولا مفر . انهُ كان في ذلك

المكان . صيادٌ اهوج . يصيد الوحش اذا سرح وَدَرَج . يقال
لهُ ثعلبة بن الاعرج . وكان قد مدَّ اشباكه . ونصب اشراكه .
فلما وصل شاس اليه . نفر الوحش من حواليه . فغضب الصياد
وزعق على شاس . وقال له ويلك من تكون من الناس . فقد
قطعت رزقي . وضيَّقت عليَّ خلقي . فقال شاس لا تخف يافتى .
فانا أُخلف عليك ما قد مضى . فهل عندك شربة من الماء .
اروي بها فوادي من الظماء . قال نعم تقدم الى الغدير . فان
ماءَهُ كثير . فهو يروي ظماك . ويشق امعاك . قال فلما سمع
منهُ ذلك المقال . زاد بهِ الوجد والبلبال . وخرج عن
دايرة الاعتدال . وقال والله يا ابن الانذال . لو لم تكن من
فقرا الرجال . كنت قابلتك بهذا الحسام . على ما ابديت من
غليظ الكلام . فان عقلك قليل . وكلامك ثقيل . فاحتمس
الصياد من شدة حماقتهِ . وانتزع سهمًا من كنانتهِ . ومكنهُ من
قوسهِ . ورمى بهِ شاسا على حسهِ . فاصابهُ في فوادهِ . القاهُ قتيلاً
عن ظهر جوادهِ . ثم دنا منهُ وتاملهُ . وقد علم انهُ قتلهُ . فنظر الى
فرسهِ واذا هو بمركب ذهب . يضيء في الليل مثل الكوكب .
ورای زيهُ زي الملوك الكبار . فانبهر وحار . وكان عبد شاس
لما راى مولاهُ قد انقلب . تركهُ وهرب . وخاف من الهلاك
والعطب . واما الصياد فانهُ بادر في الحال . ودفن شاسًا بين
احاقيف الرمال . واخذ سلبه وجواده وتلك الناقة . وسار الى

ابياته من دون عاقة . فلما قدم على زوجته . اعلمها بقصته . وامرها ان يكتم ما تم له في ليلته . ثم انه ذبح الناقة وطبخ لحمها من قريب . حتى لا يعلم بذلك عدو ولا حبيب . واخفى تلك الاموال والطيب . وباع ذلك الحصان . في ابعد مكان . ومضى شاس كانه ما كان *

قال الراوي هذا ما جرى على شاس من نوايب الدهر . واما ما كان من حذيفة بن بدر . فانه كان قد وصل الى الديار . وهو في غاية الفرح والاستبشار . وبلغ الملك زهير قدومه الى الاطلال . فالتهب فواده بنار الاشتعال . وكثر قلقه واحتراقه . وتكدر خاطره وتمرمر مذاقه . وقال ياترى ما هو السبب في تخلف ولدي عن رفاقه . وظن ان صهره النعمان قد اعاقه . وما زال في قلق ووسواس حتى قدم العبد الذي كان مع ولده شاس . فاخبره بقتل شاس في ديار بني عامر . وكيف قتله ذلك الصياد في ظلام الليل العاكر . فعظم مصابه . ومزق ثيابه . وزاد بكاه وانتحابه . ووصل الخبر الى اولاده فاصابهم مثل ما اصابه . وكذلك امه تماضر . لطمت على وجهها حتى بلت الدموع المحاجر . وتفطرت بالنظر اليها اكباد البنات والنساء الحراير . وانقلب الحي بالبكا والعويل والاشتكى . وكشفت الروس النسا . وحل بهن الذل والاسا . قال ولما كان من الغد اتى الربيع بن زياد . ودخل على الملك زهير وهو يكثر من البكا والتعداد . وجلس

معه على بساط العزا . وقال له مثلنا لا يبالي بالعدا . لان سيوفنا حداد . ورماحنا مداد * ورجالنا معودة على الحرب والجلاد *
قال نجد بن هشام وبعد ثلاثة ايام * اخذوا في الاستعداد والاهتمام * واعتدوا في الفين فارس . كانهم الليوث العوابس * وساروا يقطعون الهواجر * وهم طالبون ديار بني عامر * وفي اوايلهم الملك زهير وهو مقروح الفواد * والى جانبه الربيع بن زياد * وما زالوا يقطعون القفار * حتى وصلوا الى تلك الديار * فاستقبلهم ملاعب الاسنة غشم بن مالك * في جماعة من فرسان المعارك * وتقدم الى الملك زهير وسلم عليه وخدم . وقبل يديه وتكلم * وقال ايها الملك فبم اتيت الى ارضنا فهل اتيت زائراً لنا * حتى تاخذ منك حظنا او متصيداً حولنا * فقال لا والله ما جيتكم في زي ضيف ولا زاير * وما جئتكم الا حتى ابذل في ساداتكم السيوف البواتر * واهلك الاكابر والاصاغر * قال وما الذي غير ما بيننا من الوداد * حتى استحقينا منك هذا الجفا والبعاد * فقال الملك زهير ان ولدي شاساً قتل في هذا المكان * عند رجوعه من عند الملك النعمان * قال غشم من هو الذي قتل ولدك * واحرق عليه كبدك * ومن هو الذي اعلمك بذلك الخبر . فقال عبده سالم بن مسهر * قال وهل تريد ان تاخذ البري بالسقيم * وتصدق فينا قول عبد زنيم * وبعد ذلك فان كان

العبد صادق في المقال * فكم يجوز ارضنا في الليل من سارق وسلال * وربما ادرك والدك رجل غريب * وكان منهُ قريب * ومن خوفهِ ضربهُ بسهم فكان لهُ مصيب * فان كنت تريد ان تعاملنا بالجفاء * وسفك الدماء بعد الوداد والصفاء * فمعاذ الله ان نغير ما بيننا وبينك من المحبة والوفاء * فكن بنا متلطفا * وارحم الارامل والضعفا *

قال الاصمعي فلما سمع الملك زهير ذلك المقال * عاد راجعاً خوفاً من عاقبة البغي والوبال . وجد في الترحال . حتى وصل الى الاطلال . هذا وقد عظم على بني عبس المصاب . ولازموا البكا والانتحاب . وشق قيس ما عليه من الثياب . واشتعل قلبه بنار الالتهاب . وغاب عن الصواب . وامتنع عن الطعام والشراب . وقال وحق رب الارباب . لابد لي من كشف هذه الامور والاسباب . ولا تركت دم اخي يذهب هدراً . فعمد الى ناقتين وحملها سمناً ودقيقاً وتمراً . واستدعى عجوز شمطا . كأنها الحية الرقطاء . وقال لها يا قرة العين . خذي هذين الناقتين ⊙ واقصدي ديار بني عامر . ودوري بهما على تلك الحلال والعشائر . ولا تبيعي من هذا الذي معك الا بطيب فاخر . فاذا انكشف لك الامر وظهر . ارجعي على الاثر . واعلمينا بالخبر . فاجابته بالسمع والطاعة . وسارت الى بني عامر من تلك الساعة . قال وكانت تلك السنة كثيرة القحط والغلاء . والناس في غاية

الاحتياج لعدم وجود الحنطة والكلا . فلما وصلت الى تلك الاطلال . دارت بين البيوت واعرضت ما معها على النساء والرجال . فجعلوا يخرجون لها من الطيب الذي عندهم وهي تمتنع عن بيعهم وتردهم . ولما انتهت من بني عامر وكلاب *قصدت بنو غني وشقت بين الاطناب . وقد ايست من بلوغ المراد . وما زالت تدور في تلك البلاد *حتى وصلت الى بيت ثعلبة بن الاعرج الصياد *قال وكان المذكور غايبا عن زوجته * وهي محتاجة الى المونة في غيبته . فلما سمعت نداها . ادخلتها الى خباها وقالت لها ابشري ياحرة العرب *ببلوغ الارب *لان عندي من الطيب *ما يصلح لكل حبيب * ثم اخرجت لها ذلك المسك والعنبر *ففاحت رايحته واعبق منه البر الاقفر *فلما راته العجوز حارت من صفته * وقالت والله ياستاه ما شميت في حياتي قط ازكى من رايحته *وهذه بضاعة لاتباع بسمن ولادقيق وانما ساقني اليك سايق السعادة والتوفيق وقد علم الرب القديم قدم نيتي * فما ضيعني ولاضيع غربتي *فبالله عليك ان تاخذي ما معي من التعب والتعذيب *بشرط ان تقولي لي من اين لك هذا الطيب الذي لم يرَ مثله في ساير الاقطار . ولا يوجد على شكله عند تاجر ولا عطار * فلما سمعت منها ذلك المقال . قالت لها انني لاحدثك بحديثه ولااكشف لك عن هذا الحال *حتى تعاهديني بان هذا الحديث لايخرج منك الى بشر * لا انثى ولا

الكتاب السادس والعشرون
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

ذكر. فلما سمعت العجوز مقالها. اجابتها الى سوالها وحلفت لها فقالت اعلمي ان لي زوجاً يقال له ثعلبة بن الاعرج الصياد. وقد رزق على ضعفهِ ما لا يرزقهُ احد من العباد. فاتفق انه خرج في بعض الايام الى ناحية الغدير ليصطاد. حسب المعتاد. فمر عليه غلام. من بني عبس الكرام* يقال له شاس بن الملك زهير سيد بني عبس وعدنان. وفزارة وغطفان* فلما دنا منه. نفر الوحش عنه. فصعب ذلك على زوجي فانتهره. فكلمهُ الغلام بكلام اغاظهُ وكدرهُ. فرماه بعلي بسهم فقتلهُ* وعجل من الدنيا مرتحله* وكان معهُ عبد نجيب* وناقة محملة من الطيب. فلما راى العبد ما حل بسيده من الدمار* طلب الهزيمة والفرار. ورجع زوجي بالجواد والناقة. من دون عاقة. وقد ذهب عنا ما كنا نجده من الفقر والفاقة. ومضى الان ليبيع الجواد والسلب. في بعض احيا العرب. وياتينا بالفضة والذهب. ولو لم تكوني امراة غريبة* ما كنت اعلمتك بهذه القصة العجيبة. والنادرة الغريبة. على اني لا ادعكِ تذهبي من عندي بعد هذا الاتفاق. حتى اخذ عليكِ العهد والميثاق. بانك تكتمين هذا الخبر* عن ساير البشر. فقالت

Digitized by Google

العجوز افعلي يامولاتي ما بدا لك *واخلي من هذا الحديث بالك
لاني امراة كبيرة *وقد مرّ عليّ اعوام كثيرة *واصلي من بلاد
اليمن *وتلك المعاهد والدمن *وما سمعت قط احد من الناس
يذكر بني عبس ولاشاس *ثم انها اعطتها ما كان على الناقتين *
واخذت منها من الطيب ما يساوي ثمن الزاد مرتين * ورحلت
من عندها وقد طابت منها النفس *وقصدت بنو عبس * وهي
لاتصدق بالوصول *حتى تبلغ قيس المامول *وتعلم الملك زهير
بقاتل ولده *وتبلغه مرادهُ ومقصده *قال وكان الملك زهير بعد
مضي العجوز من عنده اتاه حذيفة بن بدر ليعزيه في ولده * فبكى
بين يديه *واظهر التاسف عليه *فقال الملك زهير والله ياحذيفة
ما اتيتني معزيًا * بل شامتًا بي ومستهزيًا * وما فرّط في ولدي
الا انت واصحابك * وما قتل الا باسبابك * والسبب
في ذلك هو انقطاعك عنه بانفرادك * حتى نلت غاية
مرادك * ولكن اذا ظهر خبره وعلمنا من قتله * قابلنا كل
احد على ما فعله *فعند ذلك وثب حذيفة من عند الملك زهير
وهو غضبان * وقال لمن معهُ من الاتباع والغلمان *اما سمعتم ما
ابداه زهير في مقالهِ *وكيف تهددني بجهلهِ وضلاله * فوحق
ذمة العرب *وبركة شهر رجب * لاعدت رفعت له راس *ولا
نصرته اذاظهر خبر ولده شاس * ثم ارتد راجعًا وقد اشتد به
الغيظ والحرد * وهو يقول ان كان زهيرًا يفتخر بمصاهرة النعمان

Digitized by Google

فانا افتخر بمصاهرة الملك الاسود . قال وفي اثنا ذلك قدمت العجوز ومعها ذلك الطبيب واخبرت الملك زهير بما جرى لها من الحديث العجيب . فلما سمع منها ذلك المقال . ووقف على حقيقة الاحوال* التهب فواده بنار الاشتعال . وخرج عن دايرة الاعتدال . وصاح على من حوله من الابطال . باخذ اهبة القتال* وفي دون ساعة ركبت الفرسان ظهور الخيول . وتقلدوا بالنصول . وسار الملك زهير بسادات بني عبس . وهو حزين النفس . يبكي بدموع غزاره وينشد من فواد مستطار*

كنت غرًّا بطارقات الليالِ ... وفوادي من الحوادث خالي
فاتتني رزية عرفتني ... بالرزايا وبالامور الثقالِ
يا جفوني جودي فما يذخر الد ... مع ويجبا الّا لفقد الرجالِ
يا لقومي فقدت من كان سيفي ... ويميني عند اللقا وشمالي
كان تاجًا على روس عبس ... ثم بدرًا يزري ببدر الكمالِ
فلتاه المحاق والنقص لمّا ... رشقته يد العدا بالنبالِ
يا بني عامر اما خفتمُ بغيًا ... اهلك الله بهِ القرون الخوالِ
ايُّ ارضٍ تقلكم بعد شاسٍ ... او سماء تظلكم من وبالِ
خيلنا ضمر واسيافنا بيضٌ ... حدادٌ امضا من الاجالِ
وعوالي الرماح تشهد انّا ... في المعالي لنا بيوت عوالِ
وملوك الورى عبيدًا لدينا ... يخدمون فيها ونحن الموالي
كيف نصبر عن ثارنا وترانا ... فوق خيل مضمرةٍ كالسعالِ

قال ثم انهم جدوا في المسير . وقد اضرمت في قلوبهم نار السعير . وما زالوا في سيرٍ متواتر . حتى وصلوا الى ديار بني عامر . وكان سيد بني عامر يقال لهُ خالد بن جعفر . وكان غشم بن مالك فارسهُ الاكبر . وبطله الغضنفر . وكان لبني غنيّ فارس نبيل . يقال لهُ الربيع بن عقيل . وكان لبني كلاب . فارس مهاب . يقال لهُ جندح بن البكّا وهو من الابطال المعروفة . والفرسان الموصوفة . وكانت هذه الثلاث قبايل نازلة في ارضٍ واحدة . وامياهم متقاربة غير متباعدة . وكان خالدًا بالاتفاق . في بلاد العراق . وفي غيبته جرت تلك الاحكام . ولما وصل زهير الى بني عامر في تلك الايام . وجد الاحيا خالية من الابطال . وما فيها غير ملاعب الاسنة في نفرٍ قليل من الرجال . فلما قدم عليهم . ووصل اليهم . خرج ملاعب الاسنة الى لقاه . في جماعة من اهله واقرباه . وسالوهُ عن سبب عودتهِ . فاخبرهم بقصتهِ . وما دبر ولده قيس من الحيلة التي بلغوا بها المراد . واعلمهم بان قاتل ولده هو ثعلبة بن الاعرج الصياد . فلما سمعوا منهُ ذلك الكلام وتحققوه طلبوا ثعلبة بن الاعرج فلم يجدوه . فاحضروا زوجته وسالوها . واغلظوا عليها بالكلام وتهددوها . فحدثتهم بالخبر . وما فعل زوجها من الامر المنكر . فلما صح ذلك عند الملك زهير صعب عليه . وكبر لديه . وقامت في ام راسه مقل عينيه . والتفت على بني عامر . ومن كان هناك من سادات العشاير * وقال اريد

منكم واحدة من ثلاث خصال * والأمكنت فيكم سيفي المفصّال *
ورمحي العسال * وسبيت العيال والاطفال *

فلما سمعوا منه ذلك المقال . قالوا له ايها السيد المفضال .
بين لنا عن مطلوبك . واعلمنا بقصدك ومرغوبك . قال
اريد ان تعيدوا لي ولدي كما كان . ويرجع معي حيا الى الاوطان .
او تملوا لي من نجوم السما هذه الاعدال . او تسلموا لي بنو غني
النسا منهم والرجال . حتي اضع السيف فيهم . وامحيهم عن بكرة
ابيهم . وان لم تفعلوا ذلك . انزلت بكم المها لك . فقالوا لقد
تعديت . وظلمت وبغيت لان الذي اشرت اليه . لانقدر عليه
وكل من طلب ما لايقدر عليه ابن آدم . فقد تعدّي وظلم . لانه
ما يقدر يحيي الموتى ويميت الاحياء . الاباسط الارض ورافع
السماء . واما قولك بان نملي لك هذه الاعدال من النجوم . فما
يقدر على ذلك الا الحي القيوم . الذي اوسع البراري المقفرات
وخالف بين الزهر والنبات . واما قولك ان نسلم اليك بني غني
حتى تذبح اطفالها . وتقتل نسايها ورجالها . فهذا الامر ايها الملك
نعلم انك لا تفعله * ولا يدعك قلبك ان تعمله . لانك ملكٌ عادلٌ
كريم . وما تاخذ البري بالسقيم . واما اثارت الحرب . ومبادرتك لنا
بالطعن والضرب . فمعاذ الله ان تفعل ذلك الشان . وتبدل
لنا الخوف بعد الامان . ولكن نحمل اليك عشر ديات . ونسالك
ان تعفو عن النساء والبنات . ونكون لك عبيدًا ونسانا اموات .

Digitized by Google

وبعد ذلك ايها الملك السعيد . نقبض على ثعلبة ونأتي به اليك لتفعل به ما تريد . وما زالوا يعتذرون اليه * ويتضرعون بين يديه . حتى رق لهم ولان . واستشار الربيع في ترك القتال والرجوع الى الاوطان . فابى الربيع وقال . لا تنخدع بالمحال . ولين المقال . ولا بد من اخذ الثار . وكشف العار * والاّ شمتت فينا عرب القفار * وصرنا مثلاً عند الكبار والصغار * ثم انهُ بعد ذلك الكلام * سل في يدهِ الحسام * ونادى يا للغارات * وطلب الثارات . فنادت اولاد الملك زهير مثل نداه . وارتجت بصياحهم تلك الفلاه . فلما رات بنو عامر الى تلك الحال . خافت من الهلاك والوبال * فاعتقلت بالسلاح . ومدت عوامل الرماح . وعملت بينهم الصفاح . وارتفع الضجيج والصياح . واشتد بين القوم الكفاح . وكثر القتل والجراح . وجرى الدم وساح . وطارت الجماجم عن هياكل الاشباح . وتكردست الاجساد على بساط البطاح . ودافعت بنو عامر عن نسايها واولادها . وقد قل صلاحها وكثر فسادها . وفتكت فيها بنو عبس بقوة جلادها . وانزلت بها ذلها وهوانها . وقتلت جمعاً كثيراً من فرسانها * قال وما قاتل في ذلك اليوم قتال ردّ بهِ الاعنّة * الاّ غشم بن مالك الملقب بملاعب الاسنّة . لانهُ كان من الفرسان المشهورة . والابطال المذكورة . الاّ انهُ لما راى جمع بني عبس قد تدفق . وعدد قومه قد قل وتمزّق . خاف من انقطاع الاثار . وخراب الديار *

والهتيكة في جميع الاقطار * واخذ من قومه جماعة من الرجال الكرام. وقصد الملك زهير وهو واقف تحت الاعلام. ومن حوله اولاده الانجاب * وعلى راسهِ راية العقاب. فترجل اليه وقبل رجله في الركاب. وقال لهُ ايها الملك المهاب. لا تفعل فعال الجهال. واقبل مني هذا السوال. وهو ان ترفع عنا ضرب الحسام. حتى نخرج هذه القبيلة التي قتلت ولدك من بيننا ونتنزل عن جوارها والذمام. ونسلمها اليك لتبلغ منها المرام. وما زال يلاطفهُ بالمقال * ويخدعه بالمحال * حتى اجابهُ الى ما ما طلب * وقد استحيا منه ومن معهُ من فرسان العرب * وقال لهم قد امهلتكم بقية هذا اليوم * حتى لا يبقى عليَّ عتب ولا لوم * ثم انهُ في ساعة الحال * انفذ عبيده فردت الرجال * وما انفصلوا حتى ذهب النهار وولى * وامتلات الارض من القتلا ثم ان ملاعب الاسنة عاد الى قومهِ في الحال. وقال لهم حصنوا حريمكم والعيال في روس هذه الجبال * لاني قد خدعت الملك زهير بالمقال. حتى نحترز على الاموال والاطفال * الى ان تذهب هذه الايام. ويدخل الشهر الحرام. و يبطل الحرب وضرب الحسام. ويرحل عنا هذا الجبار الذي لا يرام. ولعله يقدم علينا سيدنا خالد بن جعفر من ارض العراق * ويزيل هذه المحنة التي لا تطاق. والا تشتتنا في ساير الافاق. فلما سمعت بنو عامر منه هذا الخطاب راته غاية الصواب. فتبادروا من كل جانب. وهدموا الخيام

Digitized by Google

والمضارب . واخذوا العيال . وتحصنوا بالجبال . وكان الملك زهير قد ركب عند طلوع الشمس . وزحف اليهم في ابطال بني عبس . فراهم قد فعلوا تلك الفعال . وعلم ان ملاعب الاسنة قد خدعه بالمقال . فزاد حنقه * وعظم قلقه * فنخى الابطال وحثهم على الحرب والقتال * وندم على تلك الفعال * وحاصر القوم بمن معه من الرجال . وحلف ان كل من وقع في يده اسقاه كاس الوبال *

قال مجد بن هشام . وبعد ذلك بخمسة ايام هل الشهر الحرام . وهو شهر رجب . الذي كانت تعظمه العرب . وتبطل فيه الحرب والكفاح . وتسير اينما ارادت بدون سلاح . حتى اذا التقى احدهم بقاتل ابيه او اخيه . لا يكلمه ولا يوذيه . وكان لا يُطْلَب فيه ثار ولا يُسفك فيهِ دم . ولاجل ذلك سمي الشهر الاصم . لان الاذان تصم فيه عن قعقعة السلاح . من السيوف والرماح . ويامن فيه الوحش ويرتع في جنبات القفار . ولا يروعه احد من العبيد ولا من الاحرار . وكانت العرب تقصد فيهِ مكة من ساير الاقطار . وتطلب فيه الاستغفار . فلما راى الملك زهير هلال رجب . احترق فواده والتهب . وتاسف كيف انهُ لم ينل من بني عامر ارب . وتوقفت عن الحرب حتى لا يسنّ سنة قبيحة في العرب . وقال لولده قيس اذهب ياولدي الى الاوطان . بساير الفرسان . وانني بامك تماضر الى

بيت الله الحرام حتى نزور مكة في هذا العام ونقضى هذه الايام في ذلك المقام ثم اعود الى هولا اللئام وافنيهم بحد الحسام لاني ان لم اخذ ثاري بيدي اكون قد نسيت ولدي فامتثل امره فيما قال وارتحل من وقته الى الاطلال وسار الملك زهير الى مكة واقام في ذلك المكان حتى وصلت اليه زوجته بمن معها من النسوان . وهن لابسات ثياب الاحزان . فنزل بهن في وادي الحرم . بقرب البيت المعظم *

قال الاصمعي ومن عجيب الاتفاق . ان خالدا بن جعفر عند عودته من ارض العراق . جعل طريقه على بيت الحرام . وزمزم والمقام *وكان حج في تلك السنة جماعه من سادات بني عامر * وليوثها الكواسر . من جملتها غشم بن مالك . الملقب بملاعب الاسنة وفارس المعارك . فاجتمعوا بخالد بن جعفر * وحدثوه بذلك الخبر *وكيف ان الملك زهير طالبهم بثار ولده شاس * واعلموه بمن قتل لهم من الناس . فلما سمع منهم ذلك الكلام احمرت عيناه وتقلصت شفتاه . وكان فارسا لا يلتقى في المجال . وبطلا لا يهاب لقاء الابطال * فقال واحرباه عليك يازهير بن جذيمة * على فعالك القبيحة الذميمة . فوالله لقد اغتنمت غيبتي . وفتكت في ابطال قومي وعشيرتي . وان لم اقابلك على فعلك المنكر . ما اكون من ظهر ابي جعفر . ولما كان من الغد دار حول البيت الحرام وطاف . فالتقى بزهير في الطواف * فلما راه . احترقت

Digitized by Google

امعاه * وقال له يازهير قضيت حاجتك من بني عامر * واغتنمت غيبتي وخلو العشاير . وهتكت النساء الحراير . فقال زهير وكاني اخذت بثاري . واخمدت لهيب ناري . فوحق رب الانام * لولا دخول هذا الشهر الحرام . لما كنت ابقيت منكم لاشيخ ولا غلام * ولا بد من قلع اثاركم . وخراب ارضكم ودياركم . قال خالد الا تخشى من الدواير ان تدور عليك وعلى اهلك . كما دارت على غير من قبلك . فوالله لو كنت حاضرًا لقابلتك على سوء فعلك ولكنك سوف ترى من يكون الخاسر بعد سفكك الدما . ومن هو الذي ياكل لحم كفيه ندما . فقال قيس بن زهير وقد لعبت الحمية فيه . واغاظة كلام خالد لابيه . وحق اله البشر يا ابن جعفر . لو انك تكلمت بهذا الكلام . قبل هذه الايام . لم يكن لك جوابًا غير هذا الحسام . ولكن لابد لك ما ترى عاقبة هذا الخطاب . اذا اشتد بيننا الطعان والضراب . فقال خالد وهكذا ان شاء الله يكون . اذا جمعت بيننا الايام والسنون . وانا اسال . الاله المتعال . ان يجمعني بابيك في معركة صدام او قتال حتى لايكون بيننا انفصال . الا ببلوغ الامال فضحك زهير من هذا المقال . وقال والله لو كنت نايم لاتجسر ان تيقظني من منامي . ولا تقدر على بلع ريقك اذا سللت حسامي . فاستقبل خالد الكعبة وقال . وقد التهب فواده بنار الاشتعال . اللهمَّ يامن رفع هذه الاركان . وعظَّم قدر هذا المكان . لاتترك هذا

العام يمضي الاَّ وانا في غبطة وخير . وتمكن يدي هذه القصيرة في عنق زهير . فقال زهير بعظم تجبره . وكثر تكبره . وقد زاد الغيظ عليه . ولعب العجب بعطفيه . اللهمَّ اني اسا لك بحقّ الركن والحجر . والبيتَ العظيم المطهَّر . ان تمكن يدي هذه الطائلة البيضاء من عنق خالد بن جعفر . وتجمعني بهِ حتى ابرز اليهِ . ولا اريد منك مساعدة لاني قادر عليه *

قال وكان بينهم جماعة من الابطال فلما سمعوا من زهير ذلك المقال سجدوا امام الاصنام . وقبلوا اركان البيت الحرام . وقالوا هلك والله زهير في هذا العام . لانهُ قد استكفى في هذه الاحكام وتجبر على رب الانام . فقال زهير لقد اخطأت وتعديت . فلا تلوموني يا وجوه العرب على ما ابديت . واعذروني ولا تجعلوا مثلي في مقام الملام . لان الغيظ يعمل في قلوب الرجال الكرام . كما يعمل في الهام الحسام . وانا اقسم بحق الركن والمقام . لولا حرمة هذه الايام . لشربت دم هذا النذل ابن اللئام . كما اشرب كاس المدام . قال خالد سوف ترى يا زهير عاقبة هذا الكلام . اذا اجتمعنا في معركة الصدام . ثم انصرف عنهُ وذهب . وقد فرَّقت بينهما العرب . وما اقام خالد في مكة اكثر من ذلك اليوم . وبعد ذلك سار يطلب دياره فيمن معهُ من القوم *

قال الراوي ثم انهُ جد في المسير . وقلبه يغلي على زهير بنار السعير وكان معه ملاعب الاسنة في عشرة من الفرسان . وما زالوا

يقطعون البراري والكثبان . حتي وصلوا الى الاوطان * فوجدوا اهلهم قد نزلوا من الجبال . ومدوا خيامهم على روس الروابي والتلال . وهم في بكاء ونواح . وندب وصياح . اسفا على من فقد لهم من الرجال في يوم الكفاح . فطيب خالد قلبهم . وازال رعبهم . ومن يومه جمع سادات بني عامر . ومن يعتمد عليهم من حماة العشاير * واعلمهم بما جرى له مع زهير في الحرم بين تلك الخلايق والامم . وقال لهم قد عولت الان . على قتال بني عبس وعدنان . ومطالبتهم بالثار . وكشف العار ولا ازال حتى ابلغ منهم الامال . وانهب الاموال . واسبي النسا والاطفال . لاننا لا نقدر على احتمال . الاهانة والاذلال . واريد ان اعلم ما في قلوبكم على ما قد جرى . حتى اعمل على قدر ما ارى . فان كنتم تخافون من حربهم وقتالهم . وضربهم وانزالهم . فقولوا لي معاشر السادات والفرسان . حتى استنجد عليهم بمن لي من الاعوان . واكاتب الاصدقا والحلفا . ومن استدل عليه من اهل المرة والوفا . واقويكم بالابطال . وامدكم بالرجال . وان كانت عزايمكم قوية على اللقاء . فابشروا بالنصر وزوال الشقاء *

قال محمد بن هشام . فلما سمعت بنو عامر من خالد ذلك الكلام قالوا له ايها البطل الهمام . والاسد الضرغام . وحق البيت الحرام . والركن والمقام . ما فينا الا من يضرب

امامك بالحسام حتي . تطير روسنا تحت الاقدام . ولا نحوجك
الى مساعدة احد من الانام . ونحن ما اختشينا من الملك زهير
وتعلقنا بالجبال . الا لاجل غيبتك عن الاطلال . والان من
حيث قد قدمت علينا وجئت الينا فدبر امرك وسوف ترى منا ما
يسرك . قال وكان خالد مع شجاعته . وقوة فراسته . ذو فكر
ثاقب . وراي صايب . طويل البال . كثير المكر والاحتيال .
فلما سمع منهم ذلك الكلام . قال لهم خذوا اهبتكم يا بني الاعمام
حتى اسير بكم في هذه الايام لقتال زهير ومن معهُ من الانفار
عند رجوعه من مكة وتلك الديار . ونعجل لهُ الهلاك والبوار
ونقلع من بني عبس الاثار . لان ليس معه اكثر من اولاده ونفر
قليل من اجناده . ومتى قتلناه رجعنا الي حلته . وبذلنا السيف
في اهله وعشيرته . لان عنترة الفرسان غايب عن الاوطان وهم
في غايه الامان من نوايب الزمان وان لم نتاهب في هذه الفرصة
والا تجرعنا في كل يوم الف غصة ثم انهم تاهبوا للمسير واستعدوا
لذلك الامر العسير وسار خالد في خمسة الاف فارس من
كل ليث عابس وبطل مداعس . ولما تبطن البراري والسباسب
قسمهم الى فرق ومواكب . واقام كل مقدم على فريق وفرقهم
بين كل درب وطريق بعد ما اوصاهم بالتيقظ والاجتهاد .
في بلوغ المراد . وان يكون ملتقاهم في ديار بني هوازن وتلك البلاد
وبعد ذلك جد في السير . وقلبهُ يقدح بالشرر على الملك زهير .

وكان الملك زهير بعد ما قضى حجه رجع في الحال . طالب الاهل . والاطلال . وهو في غاية القلق والضجر . من كلام خالد بن جعفر . وما زال مجدًّا في مسيره وهو مغتاظ . حتى اقبل الى سوق عكاظ . وكان له هناك اصدقا من الرجال الكرام . فاقام في ضيافتهم ثلاثة ايام * وبعد ذلك ودعهم وسار . وتبطن عرصات القفار . الى ان وصل بالامر المقدور . الى ديار بني هوازن وامياه بن منصور . فنزل على بعض الامياه * وقت المساء * وهو لا يعلم ما قدره عليه رب السماء * فاكل شيا من الزاد . واستراح قليلاً في تلك المهاد . حتى دخل الليل بالسواد . فقال لوالده قيس ماذا تقول في مبيتنا هنا * قال الاوفق ان ترحل بنا * حتى نعبر ارض بني عامر * تحت ظلام الليل العاكر . لانك اثرت فيهم ايشم اثر . وقلوبهم تقدح عليك بالشرر . وانا وحق خالق البشر . ومنشي الصور . خايف عليك من مكر سيدهم خالد بن جعفر * ان يدهمنا في هذا البر الاقفر . فهلمَّ بنا في قطع هذا القفار . تحت ستور الاعتكار . وما يطلع علينا ضو النهار . الا ونكون قد قطعنا ديار اعدانا * وتعلقنا بارضنا واحيانا * قبل ان تثور علينا شياطين العرب . عند فروغ شهر رجب * فلما سمع الملك زهير من قيس ذلك الكلام * ابدا الضحك والابتسام . وقال له ما هذا الكلام * فمن هم بنو عامر ومن هو خالد * فوحق الشاعر والمعابد * والرب القديم الواحد * الموقي من الشدايد * لا برحت من هذا المقام الا بعد ثلاثة ايام * ولو

مالت على الجبال . في صور الرجال . حتى لاتقول العرب
عني اني عبرت ارض بني عامر . وجزتها تحت ستور الليل العاكر
وتظن باني قد فزعت منهم . وما تعلم انه من طيبة اصلي رجعت
عنهم * فلما سمع قيس من ابيهِ ذلك الكلام * علم انهُ قد دني منهُ الحمام
فنبه اصحابه للمشورة والاهتمام . في اخذ الاهبة للقتال والصدام *
واضطر ان يوافق ابوه على ذلك المرام . وما زالوا على مثل
ذلك . الى ان ذهب الليل الحالك . واقبل النهار بنوره الضاحك
واذاهم بفارس مقبل عليهم من ناحية بني عامر . وهو يقطع الارض
بسير متواتر * كانهُ العقاب الكاسر . او الليث الخادر . وكان ذلك
الرجل اخو زوجة الملك زهير تماضر * قد اتى من بني عامر في
ذلك اليوم ليجسّ اخبار القوم . لانه كان نازلاً في ديارهم ومتزوجاً
ببعض جوارهم * وكان رجلاً قبيحًا عنيّ النفس * يبغض الملك زهير
اكثر من كل من طلعت عليه الشمس * لانه قد نفاه من ديار بني
عبس نظرًا لسؤ اعماله * ومتصرفات احواله * فالتجي الى بني
عامر . وسكن بين تلك العشاير * وكان في سائر الاوقات * وعلى
عدد الساعات . يذم الملك زهير بين عرب الجاهلية * و يتوقع
له المواقع الرديئة *

قال الراوي وكان خالد بن جعفر قد اكمن لزهير في
البر الاقفر . كما تقدم الخبر . وفرّق الخيل في طلبهِ وهو منتظرهُ
الا انهُ لما ابطا عليهِ خبرهُ . قال لبعض رجاله . ومن يعتمد

عليهم من مقدمين ابطاله . من منكم يسير الى احياء بني هوازن القديمة . ويكشف لنا اخبار زهير بن جذيمة . ثم يرجع الينا ويعود قبل ان يفوتنا المقصود . ويخرج زهير من هذه البلاد والحدود . لان البر واسع الفجاج . كالبحر العجّاج . فلما سمعوا مقاله . امتثلوا له . وقالوا والله ياخالد ما يصلح لهذا الامر الذي تريد . الا عمرو بن الشريد . لانهُ من اقارب القوم وهو ينتسب اليهم وله الحجة اذا قدم عليهم . فيبصر لنا في اي مكانٍ نازلين . ويعود الينا بالخبر اليقين . فقال خالد يابني عمي اخاف ان يخوننا عمرو ويُعلم قومه بحقيقة الامر . قالوا كن مطمئناً من جانبهِ . ولا تخشى من عواقبهِ . لانها قد صحت لنا عداوته للملك زهير من دون الغير . فان خاننا وعلمنا منهُ ذلك . سلكنا بهِ اضيق المسالك . فعند ذلك استدعى عمرواً اليه . وقص ذلك الحديث عليه . فلما سمع منهُ ذلك الخطاب . امتثل واجاب . وقال انا اقتفي لكم الاثر . وآتيكم بحقيقة الخبر . حتى يكون واضحاً لكم كنور الشمس . وتعلموهُ كما علمتم ما جرى لكم بالامس . ولكن على شرط اشرطهُ عليكم . فان تبعتم فيهِ وحسن لديكم . اخذت عليكم المواثيق والعهود . وجعلت سادات العرب بيننا شهود . قالوا بين لنا شرطك حتى نفهمهُ . ونقف على حقيقة طلبك ونعلمهُ . قال اريد منكم اذا قتلتم زهير ونلتم انفسكم مرادها . لاتسبوا الحي ولا تقتلوا احداً من اولادها . بل تحترموهم غاية

الاحترام . ويكون لي عليكم بذلك اوفى ذمام . ثم عاهده على ما طلب . واشهد عليه بذلك سادات العرب . واستعان بالله على بلوغ الارب . وبعد ذلك ارسله وقد ايقن بالنجاح . وكان مسيره في اول الليل فوصل الى امياه بني هوازن عند الصباح . فلما رآه قيس عرفه في الحال . فالتفت على ابيه وقال . يا ابي قد اتاك الامر كما نريد . بقدوم خالي عمرو بن الشريد . وانا اقسم بالرب القادر . العالم ما في السرائر . انه ما اتى الينا الا في ذي جاسوس من بني عامر . وسوف يتضح لك الحال . وصدق هذا المقال * ويظهر لك نور الحق من سواد الحال *

قال نجد بن هشام . وما فرغ قيس من ذلك الكلام . حتى اقبل عمرو وحياهم بالسلام . وجلس معهم في الخيام . فقال له قيس يا خالاه الى من انت قاصد . في هذه البراري والفدافد قال اتيت قاصدًا اليكم . وعندي كلامًا اقصه عليكم . وهو ان خالدًا بن جعفر . قد اضمر لكم الضرر . فكونوا منه على حذر لانه عند رجوعه من مكة جمع سادات العشاير من بني غني وكلاب وعامر وبكى بين ايديهم بدمع سجام . وحدثهم بما جرى له مع ابيك في هذا العام . فاخذتهم الحمية . وعصفت في رؤوسهم النخوة الجاهلية . واضمروا لكم الاذية . واتفقت ساداتهم ان يطلبوكم عند رجوعكم من البيت الحرام . وقد ساروا من مدة ثلاثة ايام . وهم في خمسة الاف فارس . من كل ليث عابس . وبطل مداعس

Digitized by Google

وقد بلغهم الخبر من بعض الاعداء * انكم مقيمون بسوق عكاظ والارض السوداء * ولنا وحق الالهة والاصنام * من حيثما ساروا ما ذقت طعم المنام. لانني خفت عليكم . وبقيت متحيرًا على من يوصل الخبر اليكم * لانكم في العدد اليسير . وهم في الجمع الغفير * فتبطنت القفار . واقتفيت منكم الاثار * والان فقد زادت افراحي . وزال عني همومي واتراحي . الذي التقيت بكم في هذا المكان . وانتم في غاية الامان *

فلما سمع الملك زهير منه ذلك الكلام ابدا الضحك والابتسام . وقال يا ابن الشريد واي خوف كان يغشانا . ونحن قادرون على اعدائنا . ولنا وحق من يعلم عدد رمل الوادي . ان لقاء الاعادي * اكبر مرادي . وها انا بانتظارهم حتى اشفي منهم غليل فوادي * وان كانوا قد ارسلوك جاسوسًا لهم فارجع الان . واعلمهم اننا نازلون في هذا المكان . واني لا ارحل من هنا حتى القاهم وابيد اقصاهم وادناهم . فقال عمرو ايها الملك المصان . وكان بغضني ما زالت من قلبك لحد الان . فوالله لقد ضاع تعبي بعد ما كنت مستريحًا . وصار جميلي قبيحًا . ولكنني ما فعلت هذه الفعال الا معتوقًا على اختي ان تسبى . ويركبني العار شرقًا وغربًا . والان ما دام اني رايتها سالمة فقد طاب قلبي . وان رجعت بعد هذه المرة اليكم فلا غفر الله ذنبي . ثم انه وثب الى ظهر جواده . وقصد ان يسير الى بلاده . فلم يمكنه قيس من مراده . بل شد كتافه * واوثق

سواعده واطرافه . وقال والله ياخالاه ما ادعك تمضي من هذا المكان الا حتى نعبر هذه الارض ونقرب من الاوطان . لان قلبي حدثني بشيء ولاح لي منه وجها للمح . وانا اعلم انه صحيح . فقالت تماضر ويلك ياقيس ما هذه الفعال . انقبض على خالك وتجازيه على زيارته لنا بالشد والاعتقال . قال لها دعيني من هذا المقال * واتركي القيل والقال . ولا تخالفيني في هذه الاعمال . والا قتلت نفسي وانزلت بها النكال . لاني من اخبر الناس بالامور . وادرى وابصر منهم في العواقب واجرى . وانا اعلم بان خالي لا يشتهي ان ينظر وجه ابي . وان لم افعل ذلك لا انال اربي . وانا اقسم باللات والعزى ومن جعل الخلق اذلا واعزا . اني ما احله من الوثاق . حتى اخذ عليه العهد والميثاق . بانه لا يذكرنا لاحد من البشر . ولا يخبر عنا بخبر . الى ان نصل الى ديارنا . ويقر فيها قرارنا لان قلبي قد نفر منه . وهذا الامر لابد عنه * فقالت تماضر لاخيها اعطي ولدي ما طلب من العهد والذمام . لانه اقسم باعظم الاقسام . ووقع في قلبه هموم واوهام فحلف عمرو بالالهة والاصنام * وبرب البيت الحرام انه لا يذكرهم لاحد من الانام فعند ذلك حله قيس من وثاقه . ومن عليه باطلاقه . فعاد الى ظهر الجواد . وطلب من اخته شيئا من الزاد فاعطته من الخبز واللبن ما يكفيه الى الوطن *

ثم انه سار في عرض الفلاه . وهو لا يصدق بالنجاه . ولما ابعد

وعاب . بين الروابي والهضاب . قال الملك زهير لقيس ويلك ما
هذه الفعال التي فعلتها والمسايل التي سالتها . كل ذلك خوفا
من العدى ومن الموت الذي لا ينجو منه احداً . فقال قيس نعم
لان العاقل اذا كان لهُ عدو . لا ينام الليل ولا ياخذه هدو . لا سيما
ونحن في نفر يسير . واعدانا في عدد كثير قال زهير وحق الملك
العلام اني لا ابرح من هذا المقام الاّ من بعد ثلاثة ايام فلما
سمع قيس من ابيه هذا الكلام . ايقن بالهلاك والفلتان فنبه
الفرسان . وقعد لهم في ذي ديدبان ينتظر نوايب الزمان لانهُ
كان عن كلام ابيه لا يحيد . ولا يخالفه فيما يريد . قال واما عمرو
بن الشريد . فانه جد في مسيره يقطع البيد وما زال سائر حتى
قدم على بني عامر . فبادر خالد واستقبلهُ وسالهُ عما جرى
لهُ . فما رد جواباً . ولا ابدي خطاباً . بل عدل الى شجرة من
الاراك كانت هناك وقال ايها الجذع الذي لا يرد الجواب ولا
يسمع الخطاب ولا يُعدُّ من الحيوان الناطق ولا يفرق بين
الحديث الكاذب من الصادق قد تزودت لبناً من آل عدنان
وانا من عاقبته فزعان واريد ان تذوقه الان وتعلمي الحال
من طعمه اكون من شربه في امان واكون صادق اللسان
في الايمان

فلما سمع خالد منه ذلك المقال . قال لمن حوله من الرجال .
قد بطل العتب واللوم . لان الرجل وقع بالقوم . وقد حلفوه

باعظم الايمان . ان لا يذكرهم بشفة ولا بلسان . ومن الصواب ان تذوقوا هذا اللبن فان كان حلواً فزهير قريب منكم * وان كان حامضاً فهو بعيد عنكم * فوثب جماعة من الرجال . وشربوا من ذلك اللبن في الحال . فاذا هو حليب . فقالوا له ابشر فان القوم منا قريب . وما بيننا و بينهم اكثر من ساعة لراكب النجيب * قال صدقتم في هذه الامور * وما فارقهم الرجل الامن امياه هوازن بن منصور * وربما يكونوا بعد فراقه لهم رحلوا الى ديارهم . وطلبوا ارضهم وامصارهم * والراي ان نسير في طلبهم * ونتفرق في جوانب البر بسببهم * فان لم نقع بهم بين هذه الروابي والاكم * قصدنا امياه هوازن على الطريق الاعظم * فقالوا دبر ما تريد * برايك السديد * ولعل بعض اصحابنا تقع بهم في هذه السباسب * ونستريح نحن من هذه المشقات والمتاعب *

قال خالد لا وذمة العرب * وشهر رجب . لا يقع بهم احد من قومنا و بني عمنا * لانهم قصدوا الطرقات الكثيرة المخاوف * الذي لا يسلكها الا كل خايف * وانا اعلم ان زهيرًا من تجبره ما سار الا على الطريق الواضح * ولم يسمع نصيحة الناصح * وما قصدت هذا المكان * الا وقد حسبت حساب الفرسان * الذين حنكتهم نوايب الزمان * ولما انتهى من مقاله * رحل بفرسانه وابطاله * وجدوا في قطع البراري والاكم . الى ان اقبل الليل واظلم . فقصدوا الطريق الاعظم . واطلقوا اعنة الخيل . وساروا تحت ظلام الليل . وخالد

Digitized by Google

مثل الواله المفقود. وهو خايف ان لا يفوته المقصود. وما زال على مثل ذلك الحال. الى ان تحول الليل بالارتحال. ولما اصبح الصباح واشرق النور* اشرفوا على امياه هوازن بن منصور. وابصر قيس غبار القوم قد اقبل* وهو مسرع على عجل* فايقن بالهلاك وحلول الاجل* فنادى خذ حذرك يا ابتاه. فقد اتاك ما كنت تطلبه وتهواه* فقال زهير يا ولدي ما الخبر* قال غبار القوم قد ظهر* واظنه خالد بن جعفر. ومن هذا كنت اخاف واحذر. ثم فاض دمعه وانحدر* وتنغص عيشه وتمرمر* فعند ذلك لبس الملك زهير اله الحرب* وتهيا للطعن والضرب* ووثب على ظهر فرسه القعساء. وبادر الى لقاء الاعدا. وهو يقول اهلاً وسهلاً بخالد بن جعفر العامري. الذي من اجله اتقدت النار في ضمايري* فوحق الاله القديم. رب زمزم والحطيم* اليوم يبان من استجاب الله دعاه. وبلغه قصده ومناه. ثم انه طلب الغبار. وفي قلبه لهيب النار. وقد تبعته اولاده. وفرسانه واجناده. وابصر خالد بن جعفر* ذلك الامر المنكر. ففرح واستبشر* وصاح في بني عامر فحملت مثل الليوث الخوادر. او النسور الكواسر* وقد سلت صفاحها. ومدت رماحها. وعلا ضجيجها وصياحها. فالتقتها بنو عبس وعدنان. واخذوا في الضراب والطعان. فزاد عليهم الشر واتسع في اعينهم البر* وهاجت الاحقاد في الصدور* وبان صبر الصبور. وعمل الحسام. وفلق الهام. وتهشمت العظام. واشتد

الخصام . وقل الكلام . وثبتت الكرام . وفرت اللئام . ودارت بينهم كلمات الحمام . وعقد عليهم الغبار مثل الغمام . وهدر الملك زهير وزمجر . وسطا وتجبر وقاتل القتال المنكر . ونثر الجماجم نثر الاكر . وفعل فعالاً تعجز عنها صناديد البدو والحضر * وما تنصف النهار . حتى عولت بنو عامر على الفرار . لانها لم تثبت في مقام الخطر . الا شبابت سيدها خالد بن جعفر . لانه اختار القتل على الهرب وكافح حتى اشرف على العطب . قال وفي تلك الساعة وصلت فرقة من بني عامر . وما فيها الا كل عقاب كاسر . وليث خادر . لانهم كانوا قد تفرقوا في البر الاقفر . واذ لم يقفوا لبني عبس على اثر . فقصدوا المياه هوازن بن منصور . وهم طالبون تسهيل الامور . فوجدوا القتال يعمل . والدم يبذل . والرجال تقتل . فقوموا الاسنة . واطلقوا الاعنة . وكان فيهم ابطال وفرسان لم يسمح بمثلهم الزمان . منهم الربيع بن عقيل . الفارس النبيل * وجندح بن البكا الذي ليس مثيل . ومعهم من حماة القبايل * وكماة الجحافل . كل ليث باسل . وبطل حلاحل . فحملوا من ساير الاقطار . وارتفع بينهم الصياح وعلا الغبار . وكثر على بني عبس العدد وازداد عليهم المدد . وقل منهم المصير والجلاد . لانهم كانوا ماية فارس . واعداهم خمسة الاف بطل مداعس فقاتلوا حتى اثخنوا بالجراح وايسوا من سلامة الارواح . وبان لهم ان البر كله سيوف ورماح . وابصر الملك زهير بعينه الهلاك . فايقن بان

ليس له من الموت فكاك . فجعل يلتقي عوامل الرماح بصدره * ويحمل حملات من لا يفكر في عواقب امره . الى ان بقي جسدًا بدون روح . وقد القى من بني عامر مايه وخمسون رجلا ما بين مقتول ومجروح . وابصر خالد فعاله . فقصده وطلب قتاله . فالتقاه الملك زهير بقلب اقوى من الجبال . وصدمه صدمة الاسد الريبال . وحمل عليه من غير مطال . وانشد وقال *

لمن جيرة بين اللوا والشقايق تثير عجاج العارض المتلاحق
بنود هم خفاقة وقلوبهم اذا شهدوا الهيجا غير خوافق
كان فتات المسك درّ سحيقة مع الصبح في كاساتهم والنمارق
اذا رحلوا عن منزل غادروا به مناخا لمشتاق وطيب لناشق
فهم الخطون الثار من ال عامر لشاس وحق الله يوم الحقايق
ولما دعى داعي النوى واستخفنا وفرحنا بفتيان العشى المخارق
فامسيت ابكي من عيون قريحة ابا الدمع الّا ان يجود لدافق
فخلي دموعي تستهل فما الهوى بدارٍ ولا وعد الحسان بصادق
منعت الكرى ان لم افدها عوابسا * بفرسان غارات الحروب الزوالق
يجيد عليها الكر كل سميدع بنيل العلا والمجد غير مسارق
بجالد عن ورد المياه ضمية ولا وردا الا من مياه الفيالق
خوارج من ليل الغبار كانها نجوم رجوم او سهام رواشق
فاشفي بهم من آل عامر عصبة وآخذ ثاري بالقنا والبوارق
وان لم انل قصدي فلا عدت بعدها

اكرّ على ظهر الخيول السوابق

قال الراوي ثم انهما هجما والتحما . واعتركا واصطدما . وصاحا ونهما . وانبسطا وانطبقا . وابتعدا وافترقا . واقتربا والتصقا . حتى سبحت الخيل من تحتهما بالعرق . واظلم البر في وجوههما حتى صار مثل الغسق . والتهبت اجسادهما من شدة الغيظ والحنق . قال ونعوذ بالله من احقاد جاهلية العرب . لانها تعمل في القلوب عمل النار في يابس الحطب . وتلقي البشر . في مواقف الخطر * طمعًا بنوال القصد وبلوغ الوطر . لاسيما الملك زهير وخالد بن جعفر . وما زالا في اشد كفاح . الى ان تقصفت في ايديهما الرماح وارتجت من وقع حوافر خيلهما البطاح . وحام طير الحمام على اجسادهما وناح . فعند ذلك تقابضا على الجوادين . وتعاركا عراك من له على صاحبه ثار او دين . وتجاذبا حتى انحدرت منهما الزندين فوقعا الى الارض وهما قابضان بعضهما البعض . الا ان زهيرًا اعظم ما قاسى من الشدايد . ولاجل تجبره على الاله الواحد . وما ابداه في الكعبة من الكلام الفاسد . وقع تحت كلكل خالد . فقبض خالد عليه . وجذبهُ اليه . واراد ان يسلّ حسامه . ويبلغ من زهير مرامه فلم يتمكن منه . لانه خاف ان يفلت اذا نهض عنه . فصاح بملوء راسهِ . الى من حولهِ من اهلهِ وإناسهِ . ويلكم يا بني عمي ادركوني . واقتلوا زهيرًا وخلصوني . وان كنتم لم تقدروا ان تصلوا اليه فاقتلوه واقتلوني *

Digitized by Google

قال نجد بن هشام فلما نادى خالد بذلك الكلام . اقبل على زهير والده ورقا . فراى ابوه وهو في حالة الذل والشقا . فنادى وابلاه . واغربتاه . واسفاه . وقلة ناصراه . ثم انه القى روحه عليه من شدة شفقته ولهفه . ومال على خالد وضربه بالسيف على كتفه . فنبا السيف وانثنا . ولم يكشف عن ابيه شدة ولا عنا . واذ قد اقبل من خلفه جندح بن البكا فارس بني عامر . كانه العقاب الكاسر . وضرب الملك بالسيف على راسه . شقه الى حد اضراسه وكانت البيضا قد وقعت من على الجبين . فسمع للسيف خشخشة وطنين . وعلم جندح ان ضربته قاتلة . ولهر زهير فاصلة . فقال لخالد قم الان عن غريمك . وتمتع بسرورك ونعيمك . فقد انقضا امره . وانقصف عمره . فوثب خالد وعاد الى ظهر مجرته بعد ما اخذ سيف الملك زهير وعدته . وصاح في بني عمه وعشيرته * وقال لهم ارفعوا الحسام . عن هولاء اللئام . فقد قضيت حاجتي * واجابت اللات والعزى دعوتي . فقال له الربيع بن عقيل وكان قد سمع صوت خالد . ونظر ما تم له مع زهير من الشدايد . لان المعمعة كانت انقلبت الى ذلك المكان . وازدحمت هناك الفرسان . ما معنى هذا الكلام . ايها البطل الهمام . اتظن اننا نعود نصطلح معهم بعد هذه القصة . او يتفق لنا مثل هذه الفرصة . فقال خالد اني اخشى عواقب البغي والردا . وان يحل بنا ما حل بزهير لما بغي واعتدا . وقد حلفت لعمرو بن الشريد بن

اجري الما . وانار الظلما . واعطيته موثقاً من رب الارض والسما . انني اذا قتلت زهيراً ونالت نفسي مرادها لا اسبي امته ولا اقتل احداً من اولادها . واريد ان اوفي بالعهد والذمام . واتبع سنة العرب الكرام . فلا تخالفوني فيما اريد من المرام . وبعد هذا اليوم كل من ظفرنا به من القوم . فتكنا به وقتلناه . واعدمناه الحياه *
ثم انفذ جماعة من الفرسان . وامرها برد العربان . المتفرقة في ذلك المكان . وبعد ذلك جمع جنده وانصاره . وقصد اهله ودياره وقد خمدت ناره . وقر قراره . وكان قد اخذ سيف الملك زهير ذو النور . وركب مهرته القصبا التي تسابق بسيرها الطيور . وسار في غبطة وحبور . وهو يرفل في ثياب الافراح والسرور . ولما تبطن القفار . اقبل على جندح وهناه بذلك الانتصار . وقال له انني خايف ايها الامير . والسيد الخطير . ان تكون ضربتك لزهير غير قاتلة . وقد ذهبت باطلة . وانا حالف برب المتعال . انتا اذا التقينا في صدام او قتال . لا يكون الانفصال * الا بلوغ الامال . فقال جندح وحق رب الكعبة . لقد ضربته ضربة * لو خالفها الفيل الاكبر لوقع وانكسر . لان ساعدي شديد . وسيفي يقد جنادل الحديد . وقد سمعت له في جبهته خشخشة وطنين * ولما نزعته رايت على شفرته . شيئاً مثل دهن اللحم السمين * فلمسته بلساني فوجدته كالسمن المالح . فعلمت انه قد هلك وعدم المصالح وناحت عليه النوايح . فتبسم خالد من مقاله . وشكره على

افعاله ❊

قال الراوي هذا ما جرى لخالد وعشيرته . واما ما كان من قيس واخوته . والابطال الذين كانوا مع زهير في سفرته . فانهم لما علموا بقتلته . خافوا على انفسهم من العطب . فالوا روس الخيل وطلبوا الهرب حتى انقطع عنهم الطلب . ولما امنوا على انفسهم رجعوا اليه . فوجدوه يتململ من شدة ما جرى عليه فالتفت عليهم وقال . وهو في اشد حال . قد فرغ الاجل . وقد فعل القضا ما فعل . ثم قال لقيس اذهب ياولدي الآن بمن معك الى الاوطان . فانت الخليفة من بعدي على بني عبس وعدنان . واياك ان تغفل عن اخذ ثاري . او تهدا عن كشف عاري . وانا اعلم انهُ لا يتم لك ذلك الا بوجود عنتر الاسد الضاري فلا تسمع فيهِ كلام الاوغاد . وتمويه الاعدا والحساد . وتلبيس المفسدين والاضداد . الذين منهم عمارة والربيع ابن زياد . ثم اوصى اولاده الاخر . بالمحبة والالتفات لعنتر . وان يطيعوا قيساً وينقادوا اليهِ في كل ما نهى وامر . ولما فرغ من كلامهِ غشي عليه . فدارت اولاده حواليه . وضجت بالبكا والانتحاب . وارخت العمايم في الرقاب . وبعد ساعة فاق من غشوته . وعاد الى وصيته . فقال لهُ قيس وهو في حزن شديد . ومرارة نفس . ألا تريد ان نحملك معنا الى ديار بني عبس . قال ياولدي لا تزعجني ولا تتعب نفسك وتعلني . فان الضربة التي وقعت في

راسي. قد هدّت مني اساسي. واعدمتني ... حواسي. لانها قطعت العروق والاعصاب. وما للميت علاج سوى المواراة في التراب فانهُ يسترهُ عن الوحش والذئاب. ثم همدت بعد كلامه وشرب كاس حمامه. فبكت اولاده عليه. ودارت حواليه. واكثرت من البكا والانتحاب. واستعظمت المصاب. وشقت ما عليها من الثياب. ثم غسلوه وكفنوه. وحفروا لهُ ودفنوه. ورجعوا طالبين الاطلال. وهم في اسوء حال. ينعون ما كانوا فيهِ من العز ورفعة الشان. وما صاروا اليهِ من الهوان. وكان اشدهم حزنا وقلقا. اخوهم ورقه. وهو الذي ضرب بالسيف الابتر. خالد بن جعفر. ولم يوثر فيهِ اثر. فصغرت نفسه عنده. وزال همهُ ووجده. لانه علم ان طوايف العربان. تعيرهُ بذلك على طول الزمان. فتمنى الموت خوفًا من العار واشتعل فواده بنار. وقد هانت عليهِ الامور الكبار. ولما اشتد عليهِ الحال. انشد وقال

رايت زهيرًا تحت كلكل خالدٍ * وقد ذهبت عنه جميع المقاصدِ
ينادي الينا يابني عبس اسرعوا الي وعينوني بكل مجالدِ
فبادرتهُ والخيل تعثر حولهُ بسمر القنا والموت صعب المواردِ
ولكن نبا سيفي بكفي وخانني فيا ليت شل الله كفي وساعدي
ويا ليتني من قبل ضربة خالد تجرعت كاسا من سموم الاساودِ
ويا ليتني قبل ان اتيت مبادرًا اتاني نزاع الموت بين العوايدِ

ولا بشرت بالخير أمي تماضرٌ كما بشرت بي للرجال الاماجدِ
لقد بشرت بي وهي ترجو معونتي * فخاب رجاها عند يوم الشدايد
وصرت حديثاً بعد ضربة خالد * اخاذل ما بين العدا والحواسد
ويا ليتني سيف قفرة مدلهمة طريح بها والطير والوحش عايد
بنو عامرٍ ان كنتم قد ظفرتم بقتل زهيرٍ واشتفى قلب خالد
فمهّاً قليلاً تنظرون فوارسنا تهز المنايا بالقنا والسواعدِ
ونقتل من فرسانكم كل سيدٍ ونسبي نساكم بالحلا والقلايد
ونفني كلاب مع نفيل وعامرٍ ونحيي الوفا من رجالٍ بواحدِ
سابكي عليه ما بقيت بمقلة تقرّحت في انسانها غير راقد
وان خان دمعي لو عصاني بكيته دما سايلاً من وجنتي غير جامد
فلا كانت الدنيا اذا لم يكن بها ولا طاب عيشي بعد فقدي لوالدي

قال الراوي ووجد القوم في قطع القفار. والسهول والاوعار. طالبين الاهل والديار. وهم في قلق عظيم. وغم جسيم. هذا وتماضر تلطم على خديها. وتعض من شدة الاسف على زنديها. وتبكي ما كانت فيه من العز والنعم وما صارت اليه من الهوان والنقم. حتى توجعت لحزنها قلوب الرجال. وتصدعت بنحيبها الجبال. وتفطرت بالنظر اليها اكباد الصخور والتلال. وكانت كثيرًا ما تلتفت الى ورائها. وتهم بقتل نفسها على ما دهاها. فيمنعها الخجل والحياء. لانها كانت من اعقل النساء. قال هذا ما جرى لهولاء من الامور الكبائر. واما ما كان من بني عامر فانهم

وصلوا الى الديار . وهم في غاية الفرح والاستبشار . وكان ملاعب الاسنة مقيما فى الاطلال . في نفر قليل من الابطال لحفظ المال والعيال . فلما التقى بخالد بن جعفر . ووقف على حقيقة الخبر . فرح واستبشر * وهناه بالنصر والظفر * الا انه لما سمع بسلامة قيس واخوته * ومن كان معه من اهله وعشيرته * تغيرت منه الاحوال * وناله اعظم منال * وقال والله ياخالد بئسما عملت . وقد اخطات فيما فعلت . وانا وحق رب القدرة . لو كنت معكم في هذه المرة * ما ابقيت منهم بشر * ولا من يخبر بخبر * فقال خالد والله يا ابن العم . ومن هو كاشف الهم والغم . اني خفت من عواقب اليمين . وقد اشهدت على نفسي رب العالمين * اني لا اتعرض لاحد منهم قط . الا الربيع فقط . الذي تكبر وطغى . وتجبر وبغى . قال اذا كان الامر كذلك . دعني اتبعهم في جماعة من فرسان المعارك . واسقيهم كوس (المها لك) قبل ان يبعدوا عن هذه الرسوم والدكادك . ثم نقصد الى ديارهم . ونقلع من الارض اثارهم . قال هذا امرٌ قد مضى . وفات وانقضى * لانهم توغلوا في جوانب القفار . ووصلوا سير الليل بسير النهار * ومن الراي السديد والفكر الرشيد * هو ان نكاتب حلفانا واصدقانا . ومن نعتمد عليه في شدتنا ورخانا * ونجمع كل من له عليهم ثار * والا ما نبلغ منهم ما نختار * لاني اعلم ان بني فزارة وغطفان * ومرة وشيبان * ومن جاورهم من العربان * يقاتلون مع بني عبس وعدنان * نظراً لما بينهم من

الحسب * والقرابة والنسب وان لم يكن اوفى منهم عدداً في القتال ما نبلغ الامال * ولكن ان اردت ان تفعل شيئاً يذكر * ما دامت الشمس والقمر * فانتخب لك الف رجلاً من ابطال الكفاح * وليوث البطاح * وسر بهم الى شعاب المسارح * الفاصلة بيننا وبين بلاد اليمن . واكمن في تلك الاطلال والدمن * الى ان يعود عنتر بن شداد * من تلك البلاد * فافتك به وقد نلت المراد قال فلما سمع منه ذلك الايراد .. نما غيظه وزاد * لانه كان رفيع العماد . قوي الفؤاد . قد فاق على اقرانه . بفروسيته وقوة جنانه * ولا جل ذلك لقبته العرب بلاعب الاسنة * لانه كان من اشد الجبابرة اذا تقابلت الاعنة .. وعلت من الفرسان الضجة والرنة * وقال له يا خالد اما وجدت لي عندك رتبة عظيمة الا ارسالي الى قتال عبد ابن امة ذميمة * ليس له قدر ولا قيمة فان اردت انت ان تسير الى هذا الامر فافعل * ولا تعيد لي هذا الحديث فان تركه اجمل * ودعني انا لحفظ المال والعيال * وجمع الفرسان والابطال * فقال خالد انا اسير بنفسي الى قتال عنتر * ومن معه من العسكر * لاني ان قتلته نلت الحظ الاوفر * والشرف الاكبر * ووقعت هيبتي في قلوب البشر * وافتخرت على فرسان البدو والحضر * وسكان البر الاقفر ۞ ثم انه بعد ذلك المقال . نزل للراحة بمن معه من الابطال ولما كان عند اقبال النهار . انفذ الخيل الى ساير الاقطار يعلم بذلك القبايل

والعشاير ويامرها بسرعة القدوم الى ديار بني عامر • وبعد ذلك اعتد في الف فارس كانهم الاسود العوابس • من جملتهم الربيع بن عقيل وجندح بن البكا الفارس النبيل • وسار بهم في عرض البر الطويل • وهو يقول لبني عمه • ومن معهُ من ابطال قومه لا اخفاكم ايها الرجال • والسادة الاقيال • باننا قد ركبنا من الامور اصعبها واهمها • وما عاد يمكننا القعود عنها دون ان نتممها لاننا قد قطعنا من الحية راسها • ولم يبقَ علينا غير ذنبها فاذا قطعناهُ استرحنا من غايلة وسواسها • ثم انه جد في السير • وسابق بمسيره الطير • وقد ظن انهُ يفعل بعنتر كما فعل بالملك زهير وما زال مجداً في المسير وسرعة التشمير الى ان وصل الى شعاب المسارح وتلك الدكادك والاباطح • فنزل فيها واكمن في بعض نواحيها • وقال لمن معهُ من الفرسان • لا بد لعنتر العبور من هذا المكان • في اي جهة كان • وكان خالد قد اتخذ سيف الملك زهير لنفسه • وافتخر بهِ على ابناء جنسهِ وكان لا ينام الا وهو تحت راسهِ *

قال الاصمعي هذا ما كان من خالد بن جعفر واما ما كان من ابي الفوارس عنتر • فانهُ كان قد سار مع اسيد وولده نازح كما وصفنا قاصداً بلاد اليمن كما ذكرنا وشرحنا وهو يريد خلاص سلمى زوجة اسيد من تلك البلاد • وزواج نازح بنعميا ابنة الامير عباد • ولما ابعد عن الحلة • تذكر ابنة عمه عبلة • فتحسر

Digitized by Google

من الم الفراق ولواعج الوجد والاشواق . فهطلت دموعه
على خديه كالامطار . وانشد من فواد مستطار

قد قرّح الدمع يوم البين اجفاني * وهيج الشوق اشجاني واحزاني
فكيف صبري وقد بان الحبيب ضحى
وغاب عني اصحابي وجيراني
لا افرج الله عن عيني برويتكم
ان كنت اخترت يوما غيركم ثاني
فكيف انساكم والقلب طوعكم
رهنا لديكم فلا تجفون للعاني
ترى تعود الليالي مثل ما سلفت
وهل بشيركم بالعود يلقاني
ليت الزمان الذي نادى بفرقتنا
يعود يجمعنا من بعد احيان
يا عبل لو عاينت عيناك فعل فتى
ضحى الدسيعة لا واه ولا وان
يلقى الكماة بقلب قد من جبل * ويطرد الخيل في روع وميدان
تخاف منه الرزايا ان تلم به وكيف لا تختشي باسي وعدواني
الكاسب الفخر في قوم ذوي حسب
وحامل كل اثقال واوزان

قال وما زالوا يقطعون البراري والكثبان . الى ان اشرفوا الى

ديار بني القيان . واراد ناژح ان يسبق الفرسان ويعلم امه بما اتفق وكان . فراى الغبار قايم . ومن فوقه طير حايم . وفي اطرافه بريق صوارم . ولمعان اسنة تتلوي مثل الاراقم . ومن تحته صياح وهماهم . وخيول ورواكب . ومطلوب وطالب . ومنهوب وناهب * وعويل واحزان . وضجيج نساء وبكاء صبيان وامور تدل على انقلاب الزمان . وطوارق الحدثان * فلما عاين ناژح ذلك الحال . تغيرت منه الاحوال . وخرج عن دايرة الاعتدال والتفت الى عنتر وقال . دهينا يا ابا الفوارس وسيد الابطال . في المال والعيال * فقال له عنتر طب نفسا وقر عينا فسر واكشف لنا الخبر وارجع الينا * فاطلق ناژح عنان الجواد واقتحم الغبار والسواد * وقصد مضارب بني القيان فراى الغبار قد انعقد عليهم مثل الدخان والاعدا قد دارت بهم من كل جانب ومكان ونظر الى سيده عباد وهو مثخن بالجراح وروحه قد خفقت من شدة الصياح وابنته ضمياتهم بين الروابي والمضارب وهي تصيح مع جملة النسا والبنات الكواعب وهي مكشوفة الراس مهدولة الذوايب * تلطم على خدود كانهن الورد الجوري او البياض النقي الكافوري * وتنخي الرجال وترد الفرسان والابطال الى معركة القتال وتصيح عليهم من اليمين والشمال وتندب كانها الحمامة الفاقدة الفها وتلتفت التفات الغزالة التي قد ضل عنها خشفها * فلما راها ناژح عظم مصابه وغاب عنه

صوابهُ والتفت عن يمينه فراى امه سلمى تبكي وتصيح من فواد جريح * وهي تقول يا ولدي ومهجه كبدي من اي الجهات اناديك وفي اي الاماكن القيك * اما كان لسفرتك من رجعة او لوادعك من عودة ترد عنا هذه الفجعة * فلما سمع نداها وشاهد عويلها وبكاها قامت في ام راسه مقل عينيه حتى لم يعد يبصر ما بين يديه . وتقدم الى نحو سيده عباد وهو طاير الفواد وقال له ابشر بالنصر وبلوغ المراد قال ففرح عباد لما راه وزاد عويله وبكاه لانهُ كان عنده كالولد المحبوب واعز من يوسف عند ابيه يعقوب فقال وهل انت في عدد الاحياء ونحن نقاسي هذا البلاء فاين كنت في سفرتك وما الذي جرى على اصحابك ورفقتك فقال حديثي طويل وسوف اشرحهُ لك بالتفصيل فاخبرني انت بحالك وابشر ببلوغ امالك فقد اتيتك بابطال وفرسان كانها مردة الجان او اسود خفان لا تخاف طعن الرماح ولا تهاب لذع الجراح بل عندهم الذّ اللذات ظهور الخيول واشهى الشهوات ملاقاة الفحول اذا صدموا بحرا فرقوا امواجه مع اللجج او حضروا حرباً حكموا اسنة رماحهم في وسط القلوب والمهج فمن اي الناس هولا الاعدا وما الذي اوجب قصدهم اليكم دون ساير عرب البيدا فقال عباد انهُ بعد رحيلك من الاوطان بمدة يسيرة من الزمان ارسل الىّ الملك نقمة بن الاشتر صاحب ارض السوداء وجبل الدخان يقول لي اريد منك ايها السيد المفضال

ان تنفذ لي ابنتك ضيا في عاجل الحال لاني قد سمعت
بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها وان لم ترسلها الي كما اريد سبيتها
سبي بنات العبيد فلما سمعت ذلك الخطاب الذي هو اشد
من ضرب الرقاب غبت عن الصواب ورددت رسوله باغلظ
جواب فلما بلغه مقالي زاد غرامه وجواه وارسل لي هذا الجيش
الذي تراه وهم من بني الارقط وقد نزلوا علينا نزول البلا المسلط
واريد منك الان المساعده . على قتال هذه الطايفة الجاحده . والا
تشتتنا في الافاق . وافترقنا فراقا ما بعده من تلاق . فلما سمع نازح
ذلك الكلام . زاد به الوجد والهيام . وصار الضيا في عينيه
كالظلام . وعاد على الاثر . حتى التقى بابي الفوارس عنتر . واخبره
بجلية الخبر . وما شاهد ونظر . وقال يا سيد الفرسان . واوحد
الشجعان . بادر الامر قبل الفوات . واحمل بنا حتى نخلص البنين
والبنات . فقال عنتر ابشر بما يسرك . ولا يضيق صدرك . فسوف
ترى الاعداء وهي نافرة . وجماجمها عن اجسادها طايرة . ثم انه
قسم الفرسان الى ثلاثة مواكب . وامرها بالحملة من كل جانب .
وكان اسيد قد هم ان يحمل مع ولده نازح . ليقاتل ويكافح . فما
مكنه عنتر من ذلك المرام . وقال اني لا ادعك ان تخاطر بنفسك
مع هولاي اللئام . بل اثبت مكانك تحت الرايات والاعلام . فاذا
رايتنا قد ولينا في جوانب البيد . احمل في ذلك الوقت وافعل
ما تريد . قال وبعد ذلك حملت بنو عبس وبدت رماحها .

Digitized by Google

وارتفع ضجيجها وصياحها . وانتقل الموت بين اسنتها وصفاحها .
واطبقت على بني الارقط . كانها البلا المسلط . وعثر في اوايلها
كانه الثعبان الارقط . وشيبوب من وراه كانه الذيب الامعط .
قال وكانت هذه الطايفة اشد الطوايف من عرب اليمن .
واصبر على المصايب والمحن واثبت لنوايب الزمن وكانت تعبد
الشمس والقمر . وتسجد له كلما هل وبدر . دون خالق البشر
وكان ملكها ذميم السيرة قبيح المنظر . يقال له نقيمة بن الاشتر .
وكان من اعظم العرب واجبرها . واشدها باسًا واكفرها . كثير
الجور والاسراف . قليل العدل والانصاف . يقابل زلة القدم .
باراقة الدم . لا يذكر العفو عند الغضب . ولا يعرف مقام اهل
الرتب . ولا يرى الحبس الا ما بين الصفايح والترب . الا انه كان
شديد السلطان . كثير الجند والاعوان . وكان اذا ركب في
الميدان . تخضع له رقاب الاقران . من ارض السودا الى جبل
الدخان . خوفًا من شدة باسه ومرارة كاسه . وكان مولعًا بحب
البنات والنساء . والمزاح معهن في الصباح والمسا . وكان قد
ترك له عجايز وقوابل . يطفن الحلل والقبايل . ويدخلن على
بنات العرب . بكل حيلة وسبب . فاذا راين جارية بديعة
الجمال . يرجعن اليه في الحال ويصفن له حسنها وجمالها . وقدها
واعتدالها . وظرفها وكمالها . ويذكرن له حيها وعربها . فيرسل
الى ابيها ويخطبها . ويظهر له المحبة والوداد . دون ساير العباد .

فان اجابه الى ما دعاه . خلص من شره ودهاه . والا قصد بالمواكب . وداركه بالجيوش والكتايب . حتى ياخذها منه غصبًا وقهرًا . ويملكها قوةً وجبرًا . ولا يزال يتمتع بها في الليل والنهار * الى ان يسمع بخبر غيرها من البنات الابكار . فيزوجها لمن يريد من الاحرار والعبيد . ويتركها تخدم في ابياته . ويساويها بعبيده وامواته . وما زال هذه الحالة حالته . وهذه الصفة صفته . حتى سمع بوصف ضمياء ابنة عباد . وما شاع من حسنها وحديثها في ساير البلاد . فارسل الى ابيها وطلبها منه كما ذكرنا . فرد رسوله بالخيبة كما شرحنا ووصفنا . وقال اني لا ازوج ابنتي برجلٍ غدار . لا يخشى العار . ولا يغار على النساء الاحرار . والبنات الابكار . ولما وقف قحمة على تلك الرساله وبلغه هذه المقال . زاد به الغيظ والحنق . وقال ما هذا الرجل الا احمق . وان لم اذله واهلك عشيرته لم املك ابنته . ثم استدعى بولده الاكبر . وكان يقال له كلبون الاغبر . وجهزه في سبعة الاف فارس . كانها الاسود العوابس . ما فيها الا كل جبار * وبطل مغوار . لا يجتنب ذنب . ولا يستغفر رب . ولا يخاف الخالق ولا يخشى من البوايق . وامره ان يسير الى بني القيان . ويسبي البنات والنسوان . ويقتل الرجال والصبيان . وياتي بعباد وابنته ضمياه في حالة الذل والهوان . فامتثل قوله فيما امر . وقال وحق الليل اذا اعتكر . والقمر اذا هل وبدر . لاتركهم عبرة للبشر . وآيةً لمن نظر . قال وسار كلبون

بعد وصية ابيو الى بني القيان . واحاط بهم من كل جانب
ومكان . وبذل فيهم الصارم البتار . من غير اعذار ولا انذار .
وكان قد دار بينهم ضرب الحسام . مدة ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع
اشرف عليهم نازح وعنتر بن شداد . وفرسان بني عبس الاجواد .
كما تقدم الايراد . وكانت بني القيان قد تضعضعت بين الخيام .
ونزل عليها الموت الزوام وقل منها الصياح والكلام . وصار
نهارها كالظلام . وقتل منها كل بطل همام . وسيد قمقام . وتهتكت
بناتها ونسوانها . وتيتمت اطفالها وصبيانها . وقد ذكرنا بان
عنتر فرق اصحابه الى ثلاثة مواكب . وصاح فيهم صيحة الاسد
الواثب . فحملوا مثل السلاهب . وداروا بهم من كل جانب .
ومكنوا الصوارم . في الروس والجماجم . وذوابل الصعاد . في
الصدور والاكباد . وكانت نار حربهم مطفية . قبل قدوم
الطايفة العبسية . فاوقدها عنتر والهبها . وزعق في رجالها ففرق
مواكبها . وطعن الفرسان في صدورها فاقلبها . وخطف الارواح
ونهبها . وابصرت بنو الاشتر . من ابي الفوارس عنتر . ضربا
يسبق لمح البصر . وطعنا يدهش النظر . فعادت على الاثر .
وقد شاهدت الموت الاحمر . وطلبت البر الاقفر . ونفرت مثل
الوحش اذا انذعر . وما فيهم من عرف حقيقة الخبر . وابصر
كلبون بن نقمة وهو قايم على راية في تلك الاكام : وعلى راسه
الرايات والاعلام . وقد ولت رجاله على الاعقاب . وتفرق شملها

الكتاب السابع والعشرون
من سيرة عنتر بن شداد
العبسي

في بطون الاودية ورؤس الشعاب . فاخذه القلق . وزاد به الحنق . والتهب فواده من شدة الغيظ واحترق . وصاح على من حوله من الفرسان والابطال . ومن يعتمد عليهم من اعيان الرجال . ويلكم ما هذه الا فيئة يسيرة . وطايفة حقيرة . قد اتت نجدة لعباد . من غير وعد ولا ميعاد . فقووا قلوبكم لقصدهم . واستخلاص الاموال من يدهم والا افتضحنا في ساير الافاق . وصرنا مثلا في ارض الحجاز وبلاد العراق . فلما سمعوا كلامه اخذتهم الحمية . وحركتهم الهمة العربية : والنخوة الجاهلية * فالووا الاعنة وقوموا الاسنة * وطلبوا معركة الكفاح * ومدوا الى بني عبس قطع الرماح . طمعا في نهب الاموال *وسبي العيال فراوا رجالا لا تخاف من العطب * ولا تحدث انفسها بالهرب * ولا تخشى من نار الحرب اذا التهب * بل تحمل حملات السباع الجياع * وتطعن في الصدور والاضلاع * وما فيها من يخاف الموت ولا يرتاع * فخاب منهم الامل . وحل في قلوبهم الخوف والوجل لانهم شاهدوا الموت قبل حلول الاجل . فتوقف منهم جماعة عن الحرب .

وتجنبوا الطعن والضرب . وانقلبوا منهزمين . والى النجاة طالبين . وهم يبكون وينتحبون ويصيحون ويستغيثون . الى ان اقبلوا الى امام سيدهم كابون . فقالوا له اطلب لنفسك الهرب لان النجاة خيرٌ من الهلاك والعطب * فان ورانا فارسا لايقاس بالفرسان . وبطلاً نبطل عند قتاله حيل الشجعان . قد فتك سيفه رجالنا . واهلك جماعة من ابطالنا . ولو لم ندارك انفسنا ونطلب الهزيمة . والا كان قتل منا مقتلة عظيمة . واصاب منا غنيمة جسيمة فلما سمع كلامهم صعب عليه * وكبر لديه وطار الشرر من عينيه حتى كاد ان يغشى عليه وسل الحسام الفصال وقتل منهم عشرة من الابطال * ثم التفت الى من حواليه من الامرا والنواب . ومن يعتمد عليه من الغلمان والحجاب . وقال لهم هل سمعتم باعظم من هذا المصاب . الذي لم يسمع بمثاله في قبايل الاعراب . خمسة الاف فارس انجاب . تحمل على مايه رجل من هولا الكلاب . وتهرب من بين ايديها كما تهرب الغنم من امام الذياب وبعد ذلك تخاطبني بمثل هذا الخطاب . الذي ليس له جواب الا ضرب الرقاب * وانا اقسم بسواد الليل . وشعاع سُهيل * او لم يكن لي ارادة بان اريهم ما سوف افعله بذلك الاسود الهجين . الذين ولوا من امامه واتوا اليَّ طالبين * ما كنت ابقيت منهم ديار * ولا نافخ بنفخ بنار * ثم انه بعد كلامه لارباب الجنود * وسلاطين الاقاليم والحدود * خرج من تحت الاعلام والبنود *

والبيارق السود * بجنان قوي كانه العمود * وتبعه الف وخمسماية فارس * كانهم الابالس * وهم الذين كان يعتمد عليهم في ساير الاوقات ويلتقي بهم الدواهي والافات * وكانوا يقاربوه في الشجاعة والفروسية * ويلقون انفسهم بين يديه في كل داهية وبلية * وطلب معركة الطراد * بمن معه من فرسان الجلاد * حتى التقى بعنتر بن شداد * وهو يخوض الصفوف * ويلتقي بصدره الاسنة والسيوف * ويجندل الابطال * ويخطف مهج الرجال * في ساحة المجال * ويدرس بجواده الجماجم * كانه الموت الهاجم * فاشتد بكليبون الغيظ والحنق * وصاح فيه وزعق ° فحمل عليه عنتر وانطبق * والتقاه بقلب اصلب من الحجر * وصدمه صدمة الاسد الغضنفر * واشتد بينهما القتال * واتسع عليهما المجال * وجرى لهما من الاهوال * ما تتعوذ منه صناديد الرجال * قال وكان العبد قد قل عن بني القيان * بقتال عنتر فارس الفرسان وخفف عنهم ما كانوا فيه من الهموم والاحزان * والمصايب والخذلان ° فعند ذلك نادى الامير عباد في قومه * ومن كان يعتمد عليهم من بني عمه * ابشروا بالنصر وقضاء المصالح * فقد عاد الينا فارسنا النازح * وتذكر الاطلال والمسارح * وجاء بفرسان والابطال * قد تعودت على الحرب والقتال * وعندها ضرب الصفاح ° وطعن الرماح * الذ اليها من شرب الراح * واعتناق النساء الملاح * فعودوا الان بغير تلك النية * وقاتلوا

اعداكم بالسيوف المشرفية * واطعنوا فيهم بالرماح السمهرية *
فقد انصانت بناتكم وكل حرة عربية * واستترت بعد ما كانت
مسبية * وما انتهى من هذا المقال * حتى انتخت الابطال *
وتحركت هم الرجال . ومالوا على بني الارقط في الحال . واتسعت
عليهم ميادين المجال . وعمل بينهم السيف والسنان * من كل
جانب ومكان * واشتدت قلوب بني القيان * بشجاعة عنتر
فارس الميدان * واقتحم الامير عباد معركة الصدام * وقاتل مع
نازح وبني عبس الكرام * الى ان كثر الزحام * واشتد الخصام *
وارتفع القتام * وسالت الادمية على الروابي والاكام
قال نجد بن هشام كل هذا . وعنتر مع خصمه في طعن يسبق الاوهام
وضرب يقد الهام . وتشيب من هوله الاطفال قبل الفطام . وكان
قد اراد نجاز الامر . فقال لم يبقَ لزيدٍ الا عمرو . وراى خصمهُ
محترزًا غاية الاحتراز . خبيرًا بالقتال والبراز . فجال معهُ ساعةً
حتى ضاقت منها الصدور . وبعد ذلك اظهر التعب والفتور .
فاتكى على الرمح وابتعد الى وراه . فطمع فيه كلبون وهجم عليه
وفاجاه . وطعنهُ طعنة اراد فيها هلاكه وفناه . فخلي منها عنتر
فراحت خايبة بعد ما كانت صايبة . ثم تقدم اليه عنتر *
اسرع من لمح البصر . واخترط الصامي الابتر . وضربهُ على وريديه
فاطار راسهُ من بين كتفيه . فوقع الى الارض يختبط بعضهِ
البعض . فلما رات بنو الارقط الى ذلك الحال . حل بها البلاء

والخيال . وخابت منها الامال . وقصدت عنتر من اليمين والشمال . كأنها اسود الدجال . وهزت في ايديها الرماح الطوال وسالوا عليه مثل العارض الهطال . فالتقاهم عنتر بقلب اقوى من الجبال . وصال عليهم واستطال . وقاتل نازح بن اسيد اشد قتال . لانه كان من الابطال . الذين تضرب بهم الامثال وكذلك عروة ومن معه من الرجال . وبذلوا ارواحهم للاسنة العوال * ومكنوا الصوارم الصقال . في المناكب والاوصال . والرماح الدقاق . في الصدور والاعناق . وابصرت بنو الارقط حملات عنتر علي المواكب . وتفريقه لها من كل جانب . وطعنه في الصدور والترايب . فخافوا من حلول النوايب . وعلموا ان ليس لهم بالقوم طاقة . وان دماهم لا شك مهراقة . فولوا علي اعقابهم بين المهامه والدكادك . واقحمتهم لهوات المعاطب والمهالك * واصبحت جثث قتلاهم طعمًا للسباع والنمور . واقواتًا للعقبان والنسور . هذا وقد عاشت من بني القيان الارواح . وعاد فسادهم الى الصلاح . وترجلت منهم الرجال . ومشت امام عنتر ومن معه من الابطال وتقدم عباد الى نازح وسلم عليه . ومدحه واثني عليه . وقال له ياسيدي ومن هو عندي اعز من ولدي . من يكونوا هولاء من العرب الاجواد . وما هو سبب دخولهم معك الى هذه البلاد . من غير معرفة ولا ميعاد . قال هولاء اصحاب الحسب والنسب . واكرم سادات العرب . الذين اتصفوا بالفضل .

والكرم. واشتهروا بالشجاعة وعلو الهم. ومكارم الاخلاق والشيم هولاء بنو عبس الكرام. المعروفون بين الانام. بفرسان المنايا والموت الزوام. وحاميهم هو عنتر بن شداد. حية بطن الواد * وقادح النار من غير زناد. الذي قهر جبابرة العرب واهل البغي والعناد. واما سبب دخولهم معي الى هذه البلاد. فله حديث عجيب. يذهل منه العاقل اللبيب. وقد صح الان واشتهر * عند ساير البشر * بان ملكهم هو ابي ونسبهم متصل بنسبي. وقد ابعدني عنهم الدهر وانا صبي ثم حدثه بقصته. وما جرى له في سفرته. فانذهل عباد وتعجب. واهتز من شدة الفرح والطرب وقال ان هذا الحديث من اعجب العجب. لم يجرَ مثله في العجم ولا في العرب. فوحق من اشرق الشمس. وفضل هذا اليوم على امس. لم يكن احد في الدنيا ابغض عليَّ من بني عبس. لاجل ما بيننا وبينهم من الثارات. والوقايع والغارات. والان قد مضى ما مضى. وزال الهم عن قلبي وانقضا. وانا اقسم بمن بسط الارض ورفع السما. وجعل الكعبة امناً للناس وحما. لقد صارت رجالنا لهم عبيد ونسانا اما * فاين هو ابوك من هذه الفرسان * فاشار نازح الى ناحية اسيد بالبنان. وقال هو ذاك الذي على راسه العلم * صاحب الثوب المعلم * والجواد الادهم * فلما استوفى منه هذا الخطاب سعى الى نحو اسيد وقبل رجله في الركاب. وشكر فعله * وحمد فضله * وقال وذمة العرب * وشهر رجب * لو كنت اعلم ان

فيكم هذه الشجاعة والفروسية والنخوة والحمية . ما كنت اضمرت لكم
الشر والاذية ولو عرفت ايها السيد المقصان . باني لا ازحاً من بني
عبس وعدنان جعلته حاكماً على بني القيان وسرت في خدمته
الى الاوطان ولكن الدهر ياتي بكل عجب والرب القديم جعل
لكل شي سبب فمدحه اسيد واثنى عليه وقبل راسه وبين
عارضيه . وقال له ما انت الاَّ واحد منا . فليس لنا غناء عنك
ولا انت ايضاً في غنا عنا وقد رضيناك وقبلناك ولو عملنا اكثر
من هذا ما كافيناك لانك قد ربيت لنا غلاماً ما ربي مثله احد
فلن شيت ان نكون روحين في جسد ونكون لك عمدة على طول
الابد زوج ابني بابنتك حتى يتصل بيننا النسب وتهابك من
اجلنا ملوك العرب فقال عباد السمع والطاعة وانا المسعود في
هذه البضاعة فوحق من يعلم غوامض الاشيا لا زوجته الاَّ بابنتي
ضبية الذي قد جرى علينا من اجلها هذا المجرى ولولاكم لم يكن
لنا قيمة ولا قدرا * فحمده الحاضرون على كلامه وشكروا اسيد
على حسن اهتمامه وبعد ذلك ساروا الى الخيام * وفي اوايلهم
عنتر فارس الصدام * فالتقتهم الاماء والحراير * وفي ايديهن
الدفوف والمزاهر * وكانت ام نازح * قد رات ولدها وهو يطارد
ويكافح * فما صدقت ان تراه * لانها كانت في غاية الشوق الى
رؤياه * فوقعت على صدره * وقبلته في عارضيه ونحره * وبعد
ذلك سالته عن حالته * فحدثها بقصته * واعلمها بانه قد عرف

اباه * وانه قد اتى هو واياه * وفي صحبتهما فرسان بني عبس وعدنان * وهم الذين خاضوا ساحة الميدان * وكشفوا النقمة عن بني القيان فزادت بها الافراح * وزالت عنها الهموم والاتراح * ونظرت بعلها اسيد قد اقبل * وهو في اول الجحفل * فهرولت اليه * وسلمت عليه * ووقفت بين يديه * فلما راها هطلت الدموع من عينيه فترجل اليها * والقى نفسه عليها * واعتنقها وبكى * وما فيهما الا من ذكر العهد القديم فباح بسره وشكا *

قال نجد بن هشام * وما اظلم الظلام * حتى ضربت لبني عبس الخيام * ونقلت اليهم اسمطة الطعام * وبواطي المدام * واكرمهم عباد غاية الاكرام * ولاحظهم بعين التوقير والاحترام * وباتت القوم في احسن حال وانعم بال * وعند الصباح اتحفهم الامير عباد * بالهدايا الثمينة والخيول الجياد * قال رواة الاخبار * وما تضاحى النهار * حتى صارت ام نازح تامر وتنهي على بني القيان بعد ما كانت بينهم تضام وتهان * وهذه احكام الملك الديان الرحيم الرحمن * لانه يرفع ويضع * ويصل ويقطع * ويفرق ويجمع ويضر وينفع ولا تهتدي العقول الى ما يصنع

قال ثم ان عباداً صنع وليمة عظيمة * لها قدر وقيمة * وجمع فيها ساير بني عبس وعدنان * وسادات بني القيان * فاكلوا الطعام ودارت عليهم اقداح المدام * وكانت الامرا والاعيان تخدم عنترة الفرسان * وتشكره على تلك الفعال * وتذكر كم قتل وكم

جندل من الابطال * قال وداموا على تلك الحال * مدة ثلاثة ايام مع الليال * وهم في فرح وسرور * وغبطة وحبور *

ولما انتهوا من هذه الامور والمصالح * طلب اسيد من عباد لن يزف ابنته ضمضا على والده نازح وقال اعلم ايها الامير والسيد الخطير . اننا نريد التخفيف . وسرعة الرجوع الى الديار بامر الملك اللطيف * لانك قد غمرتنا باحسانك * وجدت علينا بفضلك وامتنانك . فقال عباد وحق الاله الخالق * الذي لا تدركه ابصار الخلايق * ان اهنا ما لقلبي اليوم خدمتكم واشد ما علي . فرقتكم * ولو علمت انكم تطاوعوني على ما اريد ايها السادات الاماجيد حلفت بالبيت الحرام وزمزم والمقام اني لا افارقكم في مدة العام . ولا امكنكم من الرجوع حتى يدركني الحمام . لان جميع ما لمملكة اليوم من الاموال . والتحف الغوال فهو ملك ايديكم على كل حال . لانكم خلصتموه من الاعدا الانذال . بقوايم سيوفكم ورماحكم الطوال * ولما ابنتي فقد التجز امرها وفرغ شغلها . ولو امرتموني لزفيتها في هذه الليلة على بعلها . ولكن قلبي خايف من ذلك الجبار والفارس الكرار الذي قتلتم ولده وكسرتم جنده . وانا اعلم انه لا يضيع له ثار . ولا تخمد له نار . وانا اعلم انني ملتزمين اذا قدموا عليه . ونعوا ولده بين يديه . يسير الينا في عالم لا يحصى . بعدد الرمل والحصا . فيقلع منا الاثار . ويخرب الديار

قال فعند ذلك التفت عنتر بن شداد . على الامير عباد . وقال ايها السيد المحترم . وحق البيت المعظم ۞ لاقودن هذا الجبار اليك . واريك فيه ما تقر به عينيك واجعل كل من في جبل الدخان . طعما للوحوش وكواسر العقبان . وبعد ذلك اقيم الحروب والفتن في بلاد اليمن . وابلي اهلها بالبلايا والمحن . وادوس اراضيها ورباعها . وافتح ابراجها وقلاعها . واقتل ملوكها واقيالها واذل فرسانها وابطالها . واسبي نساها واطفالها

فلما سمع عباد كلام عنتر . انذهل وتحير . وقال له يافارس ربيعة ومضر . لا تظن بان نقمة بن الاشتر . كمن لاقيت من البشر بل هو اعظم الملوك قدرًا . وافخمهم ذكرًا . وامدهم باعًا . واشدهم امتناعًا وارفعهم ملكًا وسلطانًا . واطوعهم انصارًا واعوانًا . واروعهم سيفًا وسنانًا . ولان ارضه وعرة المسالك . كثيرة الافات والمهالك . وهذا الجيش الذي قهرناه وكسرناه ما هو الا نقطة من تياره . وشرارة من ناره . والصواب انكم تصبرون حتى اكاتب الاصدقا والحلفاء واستنجد بمن لي من الاصحاب واهل الوفاء . ونسير جميعنا الى جبل الدخان . ونبذل المجهود في قتال ذلك الشيطان . فقال عنتر وحق من خلق العباد وكسى الليل حلة السواد . لا سرت اليه الا في خاية فارس من بني قراد . مع عروة بن الورد وابي شداد ❊ ولو انه في قوم ثمود وعاد . وافتح بعد ذلك بلاد اليمن قوة واقتدارًا واضرم في قلوب اهلها نارًا . قال فلما سمع القوم من عنتر هذه

الاقسام . تعوذوا بالالهة والاصنام . وما فيهم من اجابة على هذا الكلام . الا اسيد بن جذيمة . فانه قال يا ابا الفوارس لقد قسمت باقسام عظيمة . فان كان ولا بد لك من الرحيل . فسر في غداة غد واك الفضل والجميل . ونحن نتبعك بعد ثلاثة ايام بكل فارس نبيل . لاننا لا ندعك ان تسير الى ارض لا تعرفها وتلقى اهلها في هذا النفر القليل . وتكون قد وفيت بقسمك الذي اقسمته . وبيمينك الذي حلفته . فاجابه عنتر الى ما حكم . وامتثل الى ما اشار به ورسم . وقال انا اطلب من الله ان يسهل لي قضا هذا الامر على عجل . في دون هذا الاجل وما تصلون انتم الي عندي الا واكون قد وفيت بعهدي . قال وكان هذا الحديث والكلام * عند اقبال الظلام . فعاد القوم الى الخيام . واكلوا الطعام وشربوا المدام . ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح انتخب عنتر مايه فارس من بني عبس الاشاوس . وسار من تلك البلاد . وفي صحبته عروة بن الورد وابوه شداد . ولما تبطن البراري والدكادك تذكر محبوبته عبلة بنت مالك . فاشتد به الشوق والغرام . وزاد به الامر فهام . لانه كان قد ابصر اجتماع اسيد بزوجته سلمى وولده مازح بضميانه اب عن الدنيا . وشبت في قلبه النيران . وتراكمت عليه الهموم والاحزان . وفاضت دموعه على خديه شبه الغدران فتنفس من فواد ولهان . وانشد يذم الزمان *

حسناتي عند الزمان ذنوبُ وفعالي مذمّـةٌ وعيوبُ

ونصيبي من الحبيب بعادٌ ولغيري الدنوّ منهُ نصيبُ
كل يوم يبري السقام محبٌ من حبيب وما لسقمي طبيبُ
فكأنّ الزمان يهوى حبيبًا وكأني على الزمان رقيبُ
أنّ طيف الخيال ياعبل يشفي ويداوى بهِ فؤادي الكئيبُ
وهلاكي في الحبّ اهون عندي من حيوتي اذا جفاني الحبيبُ
يانسيم الحجاز لولاك تُطفي نارُ قلبي اذاب جسمي اللهيبُ
لكَ مني اذا تنفستُ حرٌ ولرياك من عبيلةَ طيبُ
ولقد ناح في الغصون حمامٌ فشجاني حنينهُ والنحيبُ
بات يشكو فراق الفٍ بعيدٍ وينادي انا الوحيد الغريبُ
ياحمام الغصون لو كنت مثلي عاشقًا لم يرُقك غصنٌ رطيبُ
فاتركِ الوجد والهوى لمحبٍّ قلبهُ قد اذابهُ التعذيبُ
كلُّ يوم لهُ عتابٌ مع الدهر وامرٌ يحارُ فيهِ اللبيبُ
وبلايا ما تنقضي ورزايا ما لها من نهايةٍ وخطوبُ
سائلي ياعبيلَ عني خبيرًا وشجاعًا قد شيّبتهُ الحروبُ
فسينبيك انّ في حدّ سيفي ملك الموت حاضرٌ لا يغيبُ
وسناني بالدارعين خبيرٌ فاسأليهِ عمَّا تكنُّ القلوبُ
كم شجاعٍ دنا اليّ وناديـ ـيا لقومي انا الشجاع المهيبُ
ما دعاني الّا مضى يكدمُ الارض وقد شقّقت عليهِ الجيوبُ
ولسمر القنا اليّ انتسابٌ وجوادي اذا دعاني اجيبُ
يضحك السيف في يدي وينادي ولهُ في بنان غيري نحيبُ

زهو يجي معي على كل قر ... ن مثلما للنسيب يجي النسيب
فدعوني من شرب كاس مدام ... من جوار لهن ظرف وطيب
ودعوني اجرّ ذيل فخار ... عند ما تخجل الجبان العيوب

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . طربت لها الفرسان والسادات . وقال له عروة بن الورد لله درك يا شاعر الزمان . وفارس الميدان . ونتيجة الدهر والاوان . فقد جمع الله لك تمام الشجاعة ورفعك على اقرانك بالفصاحة والبراعة فشجاعتك اشهر من ان تذكر . والفاظك اعذب من الشهد المكرر . واعبق من فتات المسك والعنبر . لانه ينعش القلوب . ويزيل المهموم والمكروب . ويعين المحب على فراق المحبوب . فلا زالت ايامك في سعادة واقبال . ما اشرقت الشمس وهل الهلال . فشكره عنتر على مقاله واثنى عليه وعلى رجاله . ثم انهم جدوا السير وسابقوا بسيرهم الطير وهم قاصدون ديار بني الارقط وشيبوب يعدو امامهم كانه الذيب الامعط

قال الراوي هذا ما جرى لعنتر . واما ما كان من نقمة بن الاشتر . فانه بعد ما انفذ ولده كلبون الى بني القيان وتلك البلاد . امل انه يعود له بضبا ابنة عباد . ولم يعلم بان الزمان قد اخلف عليه الميعاد . وارسل له عنتر بن شداد . حتى يصرم عمره . ويكفي العرب شره . وما زال كذلك حتى وصل المنهزمون . وهم يصيحون ويبكون . وينعوا له ولده كلبون . فقامت عليه القيامة . واستفاضت

فيهِ الحسرة والندامة . وقال لهم ياويلكم سرتم في سبعة الاف فارس . من كل ليث عابس . وبطل مداعس . وجرى عليكم هذا المجرى . وتركتم ولدي قتيلا في الصحرا . فقال لهُ رجل منهم يقال لهُ سعد بن وهاب . وحق نعمتك ايها الملك المهاب . قد فتكنا في بني القيات . واهلكنا منهم الرجال والفرسان . ونهبنا الاموال . وسبينا البنات والاطفال . وبينما نحن على ذلك الحال . اذ اشرف علينا ثلاثماية من الابطال . كانهما اسود الدحال . او اللبوات الفاقدة الاشبال . لا تندفع في القتال . ولا تلتفت الى اليمين والشمال . يقدمها عبد ادهم . كانهُ جمرة من جهنم . فحمل علينا من دون خطاب . وطعن في الصدور والاجناب وابرى بحسامهِ الجماجم والرقاب . وهو الذي قتل ولدك كلبون . ونهب الارواح وشق البطون . وقطع الايادي وقلع العيون . ودار علينا مثل الطاحون . وكشف الغمة عن عباد . وخرجنا قهرًا من تلك البلاد . بعدما كنا نهبنا الاموال . وسبينا النسا والعيال . فلما سمع نغمة كلامه . سل حسامه . وضربهُ به طير راسه قدامه ثم قال لارباب دولته . وكبراء مملكته قدموا الي هولا الكلاب * الذين انهزموا من وجه ثلاثماية رجل من اوباش الاعراب . حتى اضرب منهم الرقاب * فامتثلوا امره فيما حكم . وبادروا الى ما رسم . وكانوا كلما قدموا لهُ عشرة من الرجال . ضرب رقابهم في الحال . حتى كلت مناكبه . وجرت الدما بين خيامه ومضاربه * وما

Digitized by Google

سيفي الحاضرين من يجسر يخاطبه. الا اخيه نعمه وكان عالي الهمة
كثير الحكمة موصوفًا بالمروة والرحمة. محمود الخصال سليم القلب
صفوحًا عن الذنب. يحب العدل والانصاف. ويكره الجوز
والاسراف. فلما راه قد اسرف في فعالو. وقتل جماعة من ابطالو
تقدم اليه وقبل الارض بين يديه واخذ سيفهُ من يدهِ وسالهُ في
الباقين. وحذره من عذاب رب العالمين. وكان كثيرًا ما يسالهُ
ان يكف شره عن العربان * ويعدل في الرعية والاخوان ويخوفه
من البغي والعدوان. وهو لا يصغي الى مقالهِ. ولا يلتفت الى
سوالو بل كان يبعدهُ ويطردهُ واذا سالهُ في حاجة لا يعينهُ ولا يساعده
قال ولما اخذ السيف من يدهِ * ونهاهُ عن قتل جنودو
قال لهُ يا اخي انني كنت احذر عليك من العواقب واخاف
عليك من نزول النوايب والان قد كان الذي كان. وقد
افجعك في ولدك كلبون الزمان فتب من الان وصاعدًا عن
اخذ بنات العرب واتبع سنة السادات من اهل الرتب. حتى
نسير ونأتي بقاتل والدك وتبرد بقتله نار كبدك. وما زال يعزل
اخاهُ. حتى زاد بلاه. وقامت في ام راسهِ مقل عيناه. وارتجف
منهُ كل من رآه. وقال ويلك كم تو بخني على فعالي جديدًا وقديمًا
وتصير لي في كل شي مقاومًا وغريمًا واكون ملك بلاد اليمن.
واترك في قلبي شهوة من شهوات الزمن. فوحق سواد الظلام.
وبدر التمام. الذي يعلمنا عدد الشهور والايام. ان عدت وقمت

في عيني درة اخرى سلبت نعمتك • وضربت رقبتك • فعند ذلك ركب جواده وطلب اهله • وقد تالم قلبه من الذي جرى له• قال وكان اعمامه اصدقا واحباب • واقربا واصحاب • يسمعون كلامه • ويطيعون اوامره واحكامه • فاجتمع بهم في الحال • وحدثهم بما جرى بينه وبين اخيه من المقال • فصعب ذلك عليهم • وكبر لديهم • وقالوا لقد طغى وتكبر • وبغى وتجبر • فدعنا نقتله • ونعجل من الدنيا مرتحله • فقال لهم هذا امل بعيد • والوصول اليه مع كثرة امواله واعوانه صعب شديد • وانا وحق سواد الاعتكار • والقمر اذا بدر وانار • ان لم اهلك هذا الجبار • ما انال ما اشتهي واختار • ولا بد لي ان اطوف الاقطار • واجمع عرب القفار • ولا ازال حتى اقلع منه الاثار • او اقتل واستريح من الذل والاحتقار • واول ما اقصد هولا الحجازيين الذين قتلوا ولده • واحرقوا عليه كبده • لاني سمعت ان بينهم فارسا لا يقاس بالفرسان • وبطلا تبطل عند قتاله حيل الشجعان • ولا بد لي ما استعين بهم على قتال هذا الشيطان • ولا اترك احدا من ملوك العربان الا واسوقه الى هذا المكان • فقالوا افعل ما تريده • فنحن عن امرك لا نحيد • فعند ذلك امر عبيده بشد الرحال وكذلك فعلت باقي الرجال • وما امسا المسا واقبل الظلام * حتى ساروا تحت استار الدجا مثل قطع الغمام

فقال الراوي هذا ما جرى لهولا من الخبر • واما ما كان من

نقمة بن الاشتر فانه بعد خروج اخيه نعمة من عنده . احترق فواده على ولده ولما اشتد عليه الحال التفت على من حوله من الرجال . وقال لهم لابد لي ان اسير الى بني القيان . واذبح منهم الرجال والنسوان . والبنات والصبيان . وبعد ذلك اقصد ارض الحجاز وبلاد العراق . واقيم الحرب على قدم وساق . واقتل قاتل ولدي حتى تنطفي نار كبدي . ثم انه بات وهو كثير السهاد . قليل الرقاد . ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح . ارسل الكتب الى بني وشاح . وبني رياح وبني الصباح وبني مارق وبني الشماخ . وبني بارق وبني شمراخ . وامرهم بالمسير اليه على عجل . من غير تواني ولا مهل

قال وكانت هذه الطوايف والزمر . تمتثل له في كل ما نهى وامر وتحمل له الهدايا الحسان . من كل مكان . وكانت منازلها حول جبل الدخان . وهي من قديم الزمان . منقطعة عن العمران * منعكفة على عبادة القمر في الليل والنهار . وتسجد له كلما اضا وانار . قال وكان قد بلغ نقمة . مسير اخيه نعمة . وانه قد رحل الى بني القيان ليجمع طوايف العربان ويسوق اليه العرب من ساير الافاق . ويقابله على ما صنع به من الاخراق * فلما سمع نقمة ذلك الخبر . استشاط غضبا وتكدر * وقال انا الذي فرطت في امري ولو ضربت رقبته لاستراح سري * ولكن وحق معبودي . وما اشير اليه في وقت ركوعي وسجودي . لابد لي ما اتبعه واضربه

رقبته ورقبة كل من مشي معه . وبعد ايام قلايل . وصلت اليه العساكر والجحافل . من ساير القبايل فركب في ماية الف من الفرسان . كانها مردة الجان * اذا اصطفت فالجبال الشواهق . او زحفت فالسيول الدوافق * والكل بالدروع والمغافر * والسيوف البواتر . وسار بهم سير الجبابرة . يقطعون البراري المقفرة . وما زال مجدًا في المسير . وسرعة التشمير * حتى قصرت من تحتهم الخيل . فركبوا الجنايب وساروا الى ان امسا عليهم الليل . فنزلوا للراحة بقدر ما فرغت الخيل من عليقها واستمرت العساكر على طريقها . وبعد ذلك رحل نعمة . من شدة حنقه على اخيه نعمة * وجد في قطع البطاح * حتى اصبح الصباح * واضا بنوره ولاح . فادركه اخوه نعمة ومن معه من الفرسان * في ذلك المكان . فلما تحققه فرح واستبشر . وزال عنه القلق والضجر وصاح على من حوله من الرجال وكماة الابطال * وقال لهم ياويلكم اركبوا هذه الجنايب . وجردوا القواضب ودوروا بهم من كل جانب . ولا تبقوا منهم لا ماشي ولا راكب . ومن وقع باخي لا يقتله بل يسوقه الي حتى اعذبه . قبل ان اصلبه . قال وكان نعمة قد سار سير الامان . حتى اشرف على ارض يقال لها عيون الحيوان . وروضة المرجان فنزل في ذلك المكان واذا بالصياح من خلفه قد علا . وزعزع اقطار الفلا . وظهرت الخيول والجنايب وزجفت الارض من ركض الخيول السلاهب . وراى نعمة هذه

الاموال . فخاف على الاهل والعيال . وعلم ان اخاه قد لحقه * وانه اذا وقع في يدهِ محقه . فتغيرت احواله . وساءَ حاله * وقال لبني عمه هذا اخي قد ادركنا . وان ظفر بنا اهلكنا . وما فيكم الا من ابصر شره وعرفهُ . وما احتاج ان اذكرهُ لكم واصفهُ والان ما يخلصنا الا ثبات الجنان . على الطعان . فقالوا اعلم ايها الامير . والسيد الخطير . اننا لم نتبعك الا محبة فيك . وبغضة في اخيك . واليوم ترى منا ما يسرك ويرضيك . لاننا وحق من يرد سواد الليل بالبياض . ويشفينا من الاعلال والامراض * ما فينا من تخلى عن الحريم والاولاد . حتى تطير روسنا عن الاجساد . ثم انهم هزوا قطع الرماح وتاهبوا للحرب والكفاح وفي تلك الساعة اشرف عليهم عنتر بن شداد . وابصر الخيل قد ملات القفار وسدت الاقطار . فانكر ذلك غاية الانكار . وقال لاخيه شيبوب اكشف لنا خبر هذا الجيش الجرار . لاني ارى طوايفها تريد الحرب . وهي مستعدة للطعن والضرب فانطلق شيبوب اسرع من لمح البصر * حتى ادرك اصحاب نعمة بن الاشتر ونادى ياوجه العرب حدثونا باخباركم وما هو سبب خروجكم من دياركم وكان نعمة قد ابصر غبار عنتر . في ذلك البر الاقفر . وراى شيبوب لما انفرد في طلبهم . فعلم انه قادم اليهم ليسالهم عن حسبهم ونسبهم . فتقدم اليه نعمة بنفسهِ . وذلك من خوفه على اصحابه وابناء جنسه . وقال له ما الذي تريده يا ذني منا

وما الذي تطلبه بسوالك عنا • فنحن قوم قد انهزمنا من وجه جبار • لا يصطلي له بنار طالب حربنا وقتلنا لنا وسبي حريمنا وعيالنا • وهو نعمه بن الاشتر الذي قد طغى وتجبر • فمن تكونوا انتم من عرب البر الاقفر • فبين لنا حقيقة الخبر • لعل الله ياتينا بالفرج • وينصرنا من هذا الضيق والحرج ففرح شيبوب لما سمع كلام نعمة • وقال له ابشروا يا وجوه العرب بكشف هذه الغمة • ان كنتم من اعداء نقمة • فقد اتينا له طالبون واليه قاصدون ونحن الذين قتلنا ولده كليون واما سوالك عن انسابنا فنحن من بني عبس • الذياب الطلس • الذين تضرب بهم الامثال • وترتعد من هيبة فرايصهم صناديد الرجال • وحاميتنا هو عنتر بن شداد • الذي اشتهر ذكره وساد في ساير البلاد قال فلما سمع نعمة كلام شيبوب داخله الفرح • واتسع صدره وانشرح • وعلم ان فساد امره قد انصلح • وقال له يا فتى نحن والله اليكم قاصدون • وبكم مستجيرون • ومن اجلكم جري علينا ما جرى • وقد تشتت شملنا في البر كما ترى • ثم حدثه بجلية الخبر وان اخاه هو نقمة بن الاشتر • ثم قال له في اخر كلامه لولا هذه المواكب • التي ادركتنا من كل جانب • كنت سرت في ركابك • الى خدمة اصحابك ولكن الوقت قد ضاق واحاطت بنا الفرسان بالخيول العتاق • فارجع الى قومك وقص عليهم ما سمعت من يومك • وبشرهم بالغنا ونيل المنى لانه اذا قتل اخي

نسوق اليكم جميع الاموال . والنوق . والجمال ونرجع الى الديار والاطلال . فعند ذلك عاد شيبوب الى اخيه عنتر وحدثه بما سمع من الخبر . ففرح واستبشر والتفت الى ابيه شداد وقال ان الامر قد تيسر . غير اني اخاف ان تكون هذه حيلة ومكيدة حتى اذا صرنا في اوساطهم انطبقت المواكب علينا ومالت الكتايب الينا . فقال له لا تخف من ذلك . يا فارس المعارك . فان معهم النسا والاطفال . والحمير والجمال وما اشرفنا عليهم الا وهم عازمون على القتال . فاحمل انت على اليمين وانا على الشمال . لعلنا ننجز هذه الاشغال ونرجع الى الاهل والعيال فان امرنا قد طال فقال لقد صدقت وصوابا نطقت ثم ان عنترا طلب ميمنة بني الارقط وشيبوب امامه كانه الذيب الامعط

قال وكانت طوايف نقمة . قد اتصلت باصحاب نعمة ووقع بينهم الحرب والكفاح . وارتفع الغبار واشتد الصياح . وجرى الدم وساح . وتبددت الاشباح وعملت السيوف والرماح * وتطايرت الجماجم واندرجت . وتخضبت الدروع بالدما وتدبجت واشتدت نار الحرب وتاججت . واضطربت الابطال وانزعجت * ودارت ملايكة الموت على الارواح وعرجت . ولما حمل عنتر على الميمنة فرقها في الطول والعرض . ونكس ابطالها عن ظهور الخيل الى وجه الارض . وطوق بالدما الاعناق . واقام الحرب

على قدم وساق . واظهر العجايب والاهوال . ونثر الفرسان والابطال . وقد اعانه شيبوب برمي نبالهُ . وحما ظهره وجواده كما يحمي الاسد اشبالهُ . وكذلك عروة بن الورد وابوه شداد . ومن كان معهم من الرجال الاجواد . فانهم حملوا على الميسرة حملات منكرة وابصر نعمة الى حربهم وفعالهم . فتعجب من قتالهم . وما زال الحرب يعمل . والدم يبذل * والرجال تقتل . حتى اقبلت جيوش الظلام واسودّ الجو واعتم فانفصلت تلك الطوايف . ومن قلب كل خايف ورجعت عساكر نعمة ظافرة منصورة . بعد ما كانت مقهورة * وارتدت عساكر نعمة الى الورا ونزلت في جوانب الصحرا * وقتل منها خلق كثير وايقنت بالهلاك والتدمير وما فيها الا من يتعوذ من قتال عنتر . ويصف لاصحابه ما شاهد منهُ ونظر . ونزل نعمة في الخيام . وهو في خوف واوهام . لان عقد عزمهٔ قد انحل وصارم همتهُ قد انفل . فجمع القواد * وروسا الاجناد . وقال لهم ياويلكم ايها القلوب تريدون ان تسيروا معي الى ارض الحجاز . وتلقون ابطالها في ميدان البراز فهذه ابطال الحجاز وهي في العدد اليسير وانتم في الجم الغفير وقد فعلوا بكم هذه الفعال . وقادوا اكثركم في الحبال . وما فيكم الا من يقول انهُ يلقى الجبال فقالوا لهُ ايها الملك الكبير . صاحب التاج والسرير . لا تلمنا على ما جرى لنا اليوم . مع هولا القوم . لاننا راينا بينهم فارس . كانهُ من الابالس لا يخاف طعن الرماح ولا

يهاب لذع الجراح. وكان يلتقي بترسهِ ضربات الصفاح. ويخطف الارواح. وهو الذي قتل الرجال. وفتك في الابطال. فلو كنت ابصرتهُ ولمتنا. فما تكون انصفتنا. فقال لهم اذا كان الامر كذلك. فانا ابرز اليهِ عند الصباح واسقيه كاس المهالك.

قال هذا ما كان من نقمة. واما ما كان من اصحاب نعمة. فانهم رجعوا وهم في غاية السرور. والغبطة والحبور. وقد طابت منهم القلوب. وانجلت عنهم الكروب. ونصبوا الخيام. وذبحوا الجزور والاغنام. ومدوا اسمطة الطعام. وهيأوا اواني المدام. وكان عنتر قد افتقد ابوهُ شداد. وعروة ورجاله الاجواد. فوجدهم سالمين من الاخطار. ولم يفقد منهم اكثر من سبعة انفار. فهناهم بالسلامة من النوايب. ورجع معهم الى المضارب. وكان نعمة قد ابصر من قتالهم ما هاله. وحير رجاله. فتقدم اليهم وبادأهم بالسلام. والتقاهم بالتحية والاكرام. والتعظيم والاحترام. وشكرهم على ذلك الاهتمام. وسار هو وقومه بين ايديهم الى ان وصلوا الى الخيام. فطلب منهم ان ينزلوا في ابياتهِ عند حريمهِ وبناتهِ. فابى عنتر ونزل في ناحية من الابيات. احتراما للنسآء والبنات. فنقلت اليهِ الجفان. على روس العبيد والغلمان. واراد نعمة ان يقف لهم في الخدمة مع جملة الخدام. فما مكنهُ عنتر من ذلك المرام بل اجلسهُ بجانبهِ على الطعام. ولاحظهُ بعين الرفق والاحترام. وقال لهُ شداد ابشر ببلوغ المراد. واعلم باننا ما دخلنا هذه

Digitized by Google

البلاد ؛ الا في حاجة انفسنا لا في حاجتك ؛ وقد جرت هذه الاسباب بسعادتك . ثم حدثه بالقصة من اولها الى اخرها . واوقفه على باطنها وظاهرها . فلما سمع كلامه شكر فعالهم . وحمد فضلهم . وقال لهم يا وجوه العرب . اصحاب المناصب والرتب . وحق ما اشير اليه من اعتقادي . الذي تسلمته من اباءي واجدادي . ان انتم قتلتم اخي وبلغت انا مرادي . ما كنت الا عبداً لبني عبس وعدنان . على طول الزمان . لاني لم اكن راضي بما كان يفعله اخي من الظلم والعدوان . وما وقع بيني وبينه من الشر والعناد الا لاجل تعرضه بقضيبا ابنة عباد وقد دخلت عليه وهو من اجل ولده كليبون مقروح الفواد . وذكرته عاقبة البغي والفساد . الذي اهلك من كان قبله من العباد . فاخرق بي غاية الاخراق . وقد انتهى بي الامر الى هذا الاتفاق ؛ فطيب عنتر قلبه . وازال خوفه ورعبه . واوعده بكسر الجيوش . وتفريق تلك الطموش

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . وثب كلا العسكرين الى الحرب والكفاح . واشهروا الصفاح . ومدوا قطع الرماح . والتقت الفحول بالفحول . وارتجت الاوعار والسهول . من ضرب السيوف ووقع النصول . حتى كادت الارض تمور . والجبال تثور . وحمل الامير عنتر . على تلك الطوايف والزمر . بقلب اصلب من الحجر . والقى نفسه في مواقف الاخطار . وهانت

عليه الامور الكباره وتصادمت الابطال مثل موجات البحار وكثر الصياح في الاقطار. وطلع القتام والغباره واظلم ضو النهار. وقلّت عزايم اهل القوة والاقتداره وقصرت الاعمار. وماج بحر البلا ودار. وتساوت العبيد والاحراره واندهش الجبان وحاره واخذ الانبهاره وطلب الهزيمة والفرار. ودارت كوس المنايا على الكبار والصغار. وهجت النساء والبنات الابكاره خوفا من البلا والدماره والسبي والاستيسار. وتمايلت الفرسان من سكر ذلك الخماره من دون خماره وداست الخيل اجساد القتلا فسمع لها نهيق وخواره وصبغت الارض بالدماء فصارت كزهر الجلناره وعدمت الاجساد التي خلقها الله من صلصال الفخار. وكان يوما مهولا يسحق الاخبار. لم يسمع بمثله من سالف الاعصار فيه عطا عنتر سطوة جبار واهلك بسيفه كل ليث مغوار. وبطل كرّار والاقم بالذل والشنار. وكان قد علم ان ثبات ذلك الجيش الجرار. بثعلبة بن الاشتر الطالم الغدار. فحمل نحو اعلامه كالسهم الطيار واطبق عليه اطباق الغمام المسيار. وضربه بالصارم البتار. واذا براسه عن جسده قد طار. واقبل عساكر ثعلبة من عنتر ما يدهش الابصار. ويحير العقول والافكار. خصوصا عند ما رات ملكها ملقى على بساط القفار. فمالت من اليمين الى اليسار. وولت الادبار. واختارت لنفسها الهزيمة والفرار. واشتت شملها في بطون السهول والاوعار. وعملت الاسنة في ظهورها مثل

Digitized by Google

شعل النار. واضحت جثث قتلاها طعما للوحوش وكواسر الاطيار. وكانت تلك السفرة عليها من اشام الاسفار. وعاد عنتر كانه الاسد المدار. وقد نال غاية المجد والفخار. وبلغ من اعدايه ما كان يحب ويختار. واجتمع ببني عبس الاخيار. وبنعمة بن الاشتر. ومن له من الاعوان والانصار. فوجدهم في حال السلامة والاستظهار. وهناهم بذلك الانتصار. فمدحه نعمة واثنى عليه. وقبل راسه وبين عينيه. وشكره على حسن مساعيه. ولم يعلم باي شيء يكافيه. وقال له وحق الشمس والقمر. ما انت الا فارس البدو والحضر. ويحق لك ان تفتخر على ساير البشر. لانك حزت الشجاعة والكرم. واشتهرت بالفضل وعلو الهم. ومكارم الاخلاق والشيم. وفقت بالفروسية جبابرة الروم والعجم. ثم امر بذبح الاغنام. وترويق المدام. وبعد ذلك اكلوا وشربوا. ولذوا وطربوا. وكثرة المسرات والافراح. وزالت الهموم والاتراح. هذا وقد بلغ نعمة غاية المراد. واصطلح امره بعد الفساد. واتاه الامر كما اراد. ولما كان الغد قال عنتر الى نعمة. عد الى اهلك وكن ملكا مكان اخيك نعمه. واي من اعتدى عليك. واوصل اذيته اليك. اعلمني حتى اصرم لك عمره واكفيك شره. فقال ما بقى لي بعد اخي معاند ولا مدافع ولا مطارد. وان كان ولا بد لكم من العودة الى الاطلال. فخذوا من نياقنا والجمال. لانها غريبة المثال. وقليلة الشكل في بلاد الحجاز. ونكون في اموا لكم مثل

الطراز. قال وكانت تلك الجمال من اعجب العجب. لا يوجد مثلها في قبايل العرب لانها كانت حالكة السواد. زرقاء العيون لطيفة الاجساد. طويلة الوبر. جميلة المنظر. ثم افرد لهم منها عشرة الاف ناقه وجمل. وامر الغلمان ان تسير بها امامهم على عجل. واراد عنتر ان يردها خوفا من التثقيل. فما مكنه شيبوب من ذلك القبيل. بل قال له سر الان ودع عنك كثرة الفضول. فان الاسراف في المروة يقلع الفروع والاصول. فضحك عنتر من ذلك الشان. وبعد ذلك ودع نعمة وسار بمن معه من الفرسان. طالب ديار بني القيان. وفي دون ساعة من الزمان. التقى باسيد ونازح وعباد ومن معهم من الرجال الاجواد. لانهم كانوا قد تبعوه ليعينوه على الحرب والقتال فالتقوه وهو راجع وقد قضى الاشغال. وبلغ الامال. فهنوه بالسلامة. ونيل العز والكرامة. فاخبرهم بما جرى له مع نعمة. وكيف قتل اخاه نعمة. والقصة التي جرت من اولها الى اخرها. واوقفهم على حقيقة باطنها وظاهرها. فتعجبت فرسان العرب من ذلك الاتفاق غاية العجب. وقال اسيد هكذا الرجل المسعود. اذا هم بامر تهيأت له اسباب السعود. وبلغه خالقه غاية المقصود. ونال السعادة بدون تعب. ولا مشقة ولا نصب. ثم انهم جدوا في قطع البراري والكثبان. حتى وصلوا الى بني القيان. فزفوا ضميا على نازح وعملوا الولايم * وقضوا ايامهم بالدعوات والمواسم * قال واراد

اسيد التخفيف عن الامير عباد * فرحل ببني عبس وقد نال المراد * واجتمع شمله بزوجته سلمى * وولده نازح بضمها * وبعد ذلك ساروا يقطعون القفار * والسهول والاوعار * وهم طالبون الاهل والديار * ولما تمادي بهم السير والترحال * تذكر عنتر ما جرى له من الوقايع والاهوال * ولعبت به لواعج الاشواق فانشد وقال

يابانة العلمين هل من مخبرِ حال المشوق الهايم المتفكرِ

وبما لقيت من المهالك والردى بالله ياريح الجنوب فخبري

حالي لعبلة انني من اجلها لاقيت هولاً في المكان الخطرِ

قاسيت اهوالاً وعدت بنعمة وغدي حسودي خايفاً لم يظهرِ

ياعبل دونك كل حي فاسألي ان كان عندكِ شبهةٌ في عنترِ

ياعبل هل بلغت يوماً انني وليت منهزماً هزيمة مدبرِ

كم مهمه قفر بنفسي خضته ومفاوز جاوزتها بالابجرِ

كم جحفلٍ مثل الضباب هزمته بمهندٍ ماضٍ ورمحٍ اسمرِ

كم فارسٍ غادرته ياكل لحمه ضاري الذئاب وكاسرات الانسرِ

افري الصدور بكل طعنٍ هائلٍ والسابغات بكل ضربٍ منكرِ

واذا ركبت ترى الجبال تضج من ركض الخيول وكل قطرٍ موعرِ

واذا غزوت تحوم عقبان الفلا حولي فتطعم كبد كل غضنفرِ

ولكم خطفت مدرعاً من سرجه في الحرب وهو بنفسه لم يشعرِ

ولكم وردت الموت اعظم مورد وصدرت عنه فكان اعظم مصدرِ

يا عبل لو عاينت فعلي في العدى ... من كل شلو بالتراب معفر
والخيل في وسط المضيق تبادرت ... تحوي كمثل العارض المتفجر
من كل ادهم كالرياح اذا جرى ... او اشهب عالي المطا او اشقر
فصرخت فيهم صرخة عبسية ... كالرعد تدوي في قلوب العسكر
وعطفت نحوهم وصلت عليهم ... وصدمت موكبهم بصدر الابجر
وطرحتهم فوق الصعيد كانهم ... اعجاز نخل في حضيض المحجر
ودماؤهم فوق الدروع تخضبت ... منها فصارت كالعقيق الاحمر
وخرجت من تحت العجاج وجوشني ... مثل الشقايق او كصبغ العصفر
وقتلت كلبونا وعمروا في الوغى ... والهيذبان وتيمة بن الاشتر
وطعنت شكرا طعنة فقتلته ... بمهند صافي الحديدة اخضر
تعسا ليومك اي يوم زرتنة ... وارث صبحك اي صبح اغبر
ونشرت رايات الفخار عليهم ... وقسمت سلبهم لكل مظفر
وطوايف اليمن الجميع تفرقوا ... في كل طود شاهق متوعر
واذقتهم ضربا وطعنا هائلا ... بالمشرفي وبالكعوب الاسمر
وملكت اموالا وحزت غنايما ... تملا الفيافي ما لها من مصحر
شهدت لي الابطال اني فارس ... اجرى من الليث الهمام القسور
نلت السعادة والمفاخر والعلا ... بعزيمة قد قارنت للمشتري
والموت حقا لو رآني لانثنا ... عني مخافة سطوتي وتجبري
امي زبيبة لست انكر اسمها ... سوداء يبرق جيدها كالجوهر
وانا فتى من خير عبس منصبا ... اسمو الى النسب الرفيع الازهر

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . طربت لسماعها السادات . وترنمت لمعانيها ارباب الشعر والروايات . وقال له اسيد والله ما انت الا فارس الانام . وشجاع البيت الحرام . وذكرك باقٍ بين الانام . ما بقيت الليالي والايام لانك قاهر الابطال يوم الزحام . فشكره عنتر على ذلك الكلام . ثم انهم جدوا في قطع البراري والصحاصح . حتى قربوا من شعاب المسارح . وهي الشعاب التي اكمن فيها خالد بن جعفر . كما تقدم الخبر . وكان قد ترك في اعلاها ديادبة وارصاد . لتاتيه باخبار عنتر بن شداد . ولما اشرف عنتر ومن معه من الرجال . نزلت الديادبة من روس الجبال . وقالوا لخالد قد راينا خيل مقبلة من صدر البيداء . وقد نزلت على ركايا الماء . فما ندري هل هي خيل بني عبس وعنتر . اوغيرها من عرب البر الاقفر . فلما سمع خالد ذلك الخبر . فرح واستبشر . وصبر حتى اظلم الليل واعتكر . وارسل بعض عبيده ليقتفي له الاثر فسار العبد وقد جد في قطع الفلاة . كما امره مولاه . وما غاب الا القليل حتى رجع وعاد . وهو طاير الفواد وقال ابشر ببلوغ المراد ونبه اصحابك للحرب والجلاد . فان القوم من بني عبس الاوغاد . ومعهم عنتر بن شداد . فلما سمع خالد مقالة . زادت افراحه ونبه رجاله . واعلمهم بواقعة الحال وقال لهم استعدوا للقتال . واركبوا ظهور الخيل . حتى نكبسهم في ظلام الليل . لانه اكتم للحال . وابلغ للامال .

قال الراوي وكان عنتر. قد قطع الليل بالسهر. وهو كثير الهموم والفكر. ولم يعد له اصطبار. عند قربه من الديار فقال لشيبوب نادي على اصحابنا بالرحيل. ودعنا نسير في هذا الليل الطويل. ونطلب الديار والوطن فقد شبعنا من بلاد اليمن. فقال شيبوب يافارس الصدام. اتعبر شعاب المسارح في هذا الظلام. ولمَ لاتصبر حتى يطلع الصبح بالابتسام. قال عنتر ويلك من مَن تخاف او تفزع. وسيوفنا اسرع من وقوع المنايا واقطع. اتخاف من عرب تقطع علينا الطريق. او من عدو يمسك علينا راس المضيق. فاقصر عن هذا المقال الذي تقول ونبه اصحابنا ودع عنك كثرة الفضول. فعند ذلك نادى شيبوب بالرحيل. فنهضت بنو عبس وعولت على التحميل وركبت الابطال. في عاجل الحال. وشالت العبيد الاحمال على ظهور الجمال. واقبل اسيد على الامير شداد. وقال له ان ولدك قد تنشق روايح عبلة لما قرب من البلاد. وقد زاد به اللهيب. عند قربه من ديار الحبيب. ولم يعد يقدر على المقام. ولاتطاوعه جفونه في المنام. ويحق له ان يفعل هذه الفعال * لان قصته قد طال عليها المطال. وانا وذمة العرب. وشهر رجب. لابد لي من ان اتولى نوبته. وافرج كربته وازيل عنه غصته. واطفي لهيب حسرته. وازف عليه عبلة زوجته. ثم انهم ساروا يقطعون الرحاب حتى وصلوا الى روس الشعاب.

Digitized by Google

وكان النهار قد اقترب . فقال عروة لعنتر يا فارس العرب * الصواب ان تقدم الظعن والمال . ونعبر نحن وراه بمن معنا من الابطال . خوفا ان يكون قد تبعنا احد من طماعة العربان فتغنم الفرصة في هذا المكان . وتنهب ما معنا من الجمال والنياق . كما اصابنا ونحن راجعون من ارض العراق فقال عنتر افعل ما تريد ايها الفارس المجيد . واحترز على نفسك واوصي العبيد . فعند ذلك وقفت الرجال عند سماع ذلك المقال . وجمعت المواشي والاموال . وامرت العبيد ان تسوق الجمال والهوادج والبغال . وابصر خالد بن جعفر الى تلك الفعال . وهو على روس الجبال . فاختار ثلاثماية من الابطال . وقدم عليها ابن عم له يدعى سعد بن بلال . وقال له تولى انت على هذا المال . ونحن ندافع عنك الرجال فاجاب بالسمع والطاعة . وبادر الى ما امره به من تلك الساعة وصبر خالد قليلاً حتى اقترب عنتر من ذلك المكان . بمن معه من الفرسان فانحدر اليهم من روس الشعاب . كانه ليث الغاب . وتجاورت حملة الفرسان الانجاب . وكانوا نحو سبعماية فارس من كل ليث عابس وبطل مداعس . فجردوا الصفاح وهزوا قطع الرماح * وقصدوهم مثل السلاهب * وحملوا عليهم من كل جانب * تحت ظلام الغياهب * وكان اسبق الناس الى عنتر الربيع بن عقيل * الفارس النبيل * فصدمه صدمة الليث الضرغام واطبق عليه اطباق الغمام * وطاعنه بحربة تسبق رشق الحمام .

فسبحها عنتر على الدَّرَقة . فرّت كانها صاعقة . وقد اشتد بعنتر الغيظ والحرد . فهجم عليهِ هجوم الاسد . وضربهُ بالسيف المهند فوقع على راسهِ . فطير البيضا وكبس باقيها على اضراسهِ . فغاب عن رشادهِ . ووقع عن ظهر جوادهِ . فتقدم شيبوب وشد كتافهُ . واوثق سواعدهُ واطرافهُ . وسلمهُ الى بعض الرجال . ورجع الى القتال . وكان جندح بن البكا قد حمل على نازح بن اسيد . وتتابعت بعدهما الفرسان الصناديد . وازدحمت في المضيق . وتطاعنت بالحراب والمزاريق . وانعقد الغبار مع سواد الليل فلم يعرف العدوّ من الصديق . وكان عنتر قد استيقظ على نفسهِ بعد الربيع بن عقيل . وطعن في صدور الابطال طعنا يشفي الغليل . وابصر شيبوب الى جندح وقد استطال على نازح . وهو مستظهر عليهِ ورابح . فتقدم اليه حتى فاجاه . وضرب جواده بنبلة فارماه . وانقلب من اعلاه . وقد ايقن بهلاكه وفناه . واراد نازح ان ينزل اليهِ ويترجَّل . فقال له شيبوب لا تفعل . فان الصيد لمن ارماهُ في الاول . واني اخبر منك بهذا العمل . ثم دنا منهُ وشدَّ كتافهُ . واوثق اطرافهُ . وكانت فرسان بني عبس قد حملت على ابطال بني عامر . كانها الليوث الخوادر . او النسور الكواسر . وقاتلت قتالا يذهل البصاير . ويعمي النواظر . وقاتل عنتر في تلك الليلة اشد قتال . واظهر العجايب والاهوال . وطعن في المناكب والاوصال . وكان كلما ازدحمت عليهِ الابطال صاح فيها

Digitized by Google

وبددها . وكر على الخيل فشردها . وابصر خالد بن جعفر . ما حلّ بقومه من العبر . فحار واندهل . وحلّ في قلبه الخوف والوجل . وخاب منه الامل . وندم على ما فعل . فجعل يصيح في فرسانه فلا تسمع . ويردها وهي لا ترجع . وبني عبس تطعن في ظهورها فتبددها . وتضرب في جماجمها فتفقدها . وما زال الامر على مثل ذلك . حتى ذهب الليل واقبل الصباح الضاحك وكان جيش بني عامر قد ولّى وتفرّق . وقلّ عزمه وانمحق . ولم يبقى حول خالد من الابطال . وفرسان المعارك والقتال . الا من يخاف العار اذا انهزم . او من يكن نسيبا له او ابن عم . وابصر خالد عين الهلاك والوبال . فعاد الى الخديعة والمحال . والقى الرمح من يده . ورد السيف الى غمده . وتقدم بهمة وعزيمة . وهو على ظهر القصاء فرس زهير بن جذيمة . الى ان اقترب من عنتر بن شداد . فنظر اليه وهو يطعن في الصدور والاكباد . طعنا كافواه المزاد . ويلقي الفرسان على بساط المهاد . فقال له هيا يا ابن الاجواد . ما هذا الشر والفساد . فاصبر علينا ونحن نبلغك المراد . فقد قتلت ساداتنا وكماتنا . واهلكت ابطالنا وحماتنا . واعلم يا فارس الصدام . وخايض الظلام . باننا قد وقعنا تحت الغلط والملام . وقد غرّ رجالنا الطمع فحل بهم هذا الانتقام * لانهم تعرضوا الى قتالكم ونهب اموالكم * من دون سؤال عن حالكم * وانا مقدم القوم . وعليّ يجب العتب واللوم . ولكن يا فتى بحق من رفع السماء

وبسط الارض على تيار الماء . اخبرني من تكونوا من سادات العرب * اهل المعالي والرتب * وقل لاصحابك ان يرفعوا عنا الحسام * حتى ينتهي ما بيننا الكلام . لعل ان يعقب الصلاح بعد الفساد * وتكونوا لنا من اهل الوداد . لاني لا ارى عليكم زي اهل اليمن ولا كانكم من تلك المعاهد والدمن * لان النهار قد بيّنَ لنا هذه المعاني . وافرق بين القحطاني والعدناني . فاقبل مني هذا السوال . واكشف لي عن باطن الحال *

قال الراوي فلما سمع عنتر مقالهُ . انطلق عليه محالهُ . واجابهُ الى سوالهِ . وامر شيبوب ان يرد فرسان بني عبس عن رجالهِ . ويعلم بما قال خالد من الخطاب . ويكفهم عن الطعان والضراب ثم ان عنترا اقبل على خالد . وقال له ايها السيد الماجد . اما سوالك عن انسابنا فنحن بنو عبس الاجواد . وانا هو حاميتهم عنتر ابن شداد . وقد كنا في بلاد اليمن . وتلك المعاهد والدمن فتعرضتم لنا في هذا المكان . حتى جرى من الامر ما كان . فصاح خالد واحرباه يا ابا الفوارس . وزين المجالس . كيف ان الجليل اوقع فينا البلا والويل . حتى وصلت المضرة الينا . من اعز الناس علينا . على انني وحق رب الكعبة . قد ازددت فيكم محبة . وصار لكم في قلبي منزلة ورتبة . واما الدما التي ثارت بيننا فما علينا فيها من عتب وهذا الامر لا يقطع ما اتصل بيننا من النسب . ولم يقتل الا من دنا اجله . وحان من الدنيا مرتحله . قال فتعجب عنتر من كلامهِ

غاية العجب . وقال واي قرابة بيننا وبينكم واي نسب . فقال
خالد يافارس عبس وعدنان . انا اعلمك بما تجدد وكان . وانت
غايب عن الاوطان فلا يضيق صدرك ولا تندم . بما انزلت برجالي
من الهوان والنقم . لانهم قد ابتدوا بالشر والبادي قد تعدى وظلم
والان فقد وهبتك ما ثار بيننا من الدما . اكراما لسيدكم الملك
زهير الذي صار لنا حصنا وحما . لاني قد اجتمعت بهِ في هذه
الايام في بيت الله الحرام وصار بيننا حرمة وذمام . ولما رجعنا من مكة
وذلك العام . اخذته معي الى ديار بني عامر . وتلك القبايل
والعشاير لاني انا هو سيدها خالد بن جعفر الذي شاع ذكره
واشتهر . في قبايل ربيعة ومضر وانزلتهُ هو واولاده معي في الخيام
وفعلت معهُ من الاكرام . ما لم تصل اليه ايدي الكرام . واقام
عندي مدة عشرة ايام * وقد خطب مني ابنتي بدر الحالي لولده
شاس . وبذل لي من المهر ما لا يقدر عليه احد من الناس . وما رحل
من عندي حتى اوهبني حجرته القمسا وسيفه ذو النور . وقد
مضى وهو محمود مشكور . وبعد رحيله من عشيرته اخذت في نجاز
امر ابنتي . وقصدت ان ارسلها اليه بالثياب الغالية الاثمان
واحمل معها ما يصلح لملوك العربان . من التحف الحسان *
ويواقيت البهرمان . حتى اكون جازيته على ما فعل معي من
الاحسان . فاخذت هذه الفرسان وقصدت بلاد اليمن . وقد
عولت ان اجلب لها من المال ما لا تقدر عليه ملوك الزمن

وكان نزولها في هذه الديار عند اخر النهار ولما اقبلتم انتم وعبر ظعنكم الجبال وقد راته الرجال ظنوا انها غنيمة قد اكتسبها بعض فرسان الاعراب . من بلاد اليمن وتلك الهضاب فطمعوا في اخذها حتى جرت هذه الامور والاسباب

قال فلما سمع عنتر منه ذلك الخطاب . حار في رد الجواب . واطرق راسه الى الارض من شدة الحيا والخجل . ولم يدري ماذا يفعل * وابصرهُ خالد على تلك الحال * فعلم انهُ قد جاز عليه المحال * وانخدع بالمكر والاحتيال * فترجل من خيله وسعى اليه * وقبل راسهُ وبين عينيه * وقال لهُ لا تحزن يا ابا الفوارس على ما فعلت * ولا ياخذك ندم على ما عملت * لان الخطا منا كان * وبنا وقع الخسران * فاعتنقهُ عنتر * واثنى عليه واعتذر * وطلب منهُ السماح وغض النظر * ولم يعلم بما في نفسه من الامر المضمر * وقال والله ان القتل كان اهون عليَّ من هذه الفضايح * ولكن عذري في هذا الامر واضح * والكريم يكون مسامح *

قال وكانت فرسان بني عبس قد اجتمعت حول عنتر * لانهم كانوا قد سمعوا خطابهُ مع خالد بن جعفر . وقال اسيد والله لقد كانت ساعة ردية واتفاق مذموم . وما جرت هذه الامور الا بحكم القضا المحتوم * ثم انهُ صاح في العبيد وامرهم ان يطلقوا كل من كان معهم اسير * فاطلقوهم وكانوا خلقٌ كثير . وكان من جملتهم جندح بن البكَّا والربيع بن عقيل . وغيرها من شجعان بني

عامر البهاليل *

قال ولما انصلح الحال. وخلص خالد اصحابه بالخديعة والمحال اقبل على بني عبس وعدنان. ووقف مع جملة الفرسان. وقال لهم سامحوني بما جرى مني وغضوا النظر عني واريد منكم ان تسيروا معي وتضيفوني في حيي ومربعي. وتقيموا زمانا عندي. حتى اخدمكم على قدر طاقتي وجهدي . لان لا بد لي من الرجوع والعودة. وقد علمت بان هذه السفرة غير محمودة . وبعد ذلك اذهب الى غير هذا الطريق . لعلي انال الفرج بعد الضيق * فقال اسيد والله لا تبعناك ابدا ولا نريد ان يعلم بما جرى لنا احدا * لان هذه القصة تذهل عقول العقلا * وان شاعت عنا صرنا عند العرب مثلا * ثم انهم ودعوه وساروا * ولو كان لهم اجنحة لطاروا ورجع خالد وهو لا يصدق بالنجاه * من عظم ما رآه * ولما ابعد في الفلاه * قال له الربيع من بن عقيل والله يا خالد لقد احكمت الحيله * وخلصتنا من هذه الورطة الوبيلة * لاني رايت من قتال عنتر * ما يدهش النظر * ويعمي البصر * ولقد ضربني بسيفه صفحا على راسي * ولو كانت بحده كان اخمد انفاسي * وما اقول بان عدوه ينال منه مقصود * الا بكثرة الفرسان والجنود * فقال خالد

وحق خالق البشر * لا بد لي ان اقصده بكل بطل قسور * وفارس غضنفر * واقلع منه الاثر * واجعله عبرة للنظر * وآية للبشر ۞ ثم انهم جدوا في

المسير ۞ وسرعة التشمير * الى ان وصلوا
الى الاوطان * فوجدوها مملوة
من الجيوش
والفرسان

م

الى هنا انتهى الكتاب السابع والعشرون
وسياتي تمام الحديث عن هذه
الواقعة في الكتاب
الذي يليه

م

Digitized by Google

240

Digitized by Google

الكتاب الثامن والعشرون
من سيرة عنتر بن شدّاد العبسي

قال الراوي وكان هولآء الفرسان هم الذين كاتبهم خالد بن جعفر. قبل مسيرهِ الى قتال ابي الفوارس عنتر. فتبادروا الى نصرتهِ من كل حيّ وقبيلة. لاجل ما كان لهُ عليهم من الايادي الجميلة. وما منهم الاَّ وهو فرحان بقتلة زُهير بن جذيمة. وقد أمَّلوا انهم يعودون من ديار بني عبس بالاموال والغنيمة. ولما اقبل خالد الى الاطلال. ركب اليهِ ملاعب الاسنة فرآهُ في نفرٍ قليل من الرجال. وعليهِ اثار الذل والخبال. فسألهُ عن حقيقة الخبر. فحدَّثهُ بما اتفق لهُ مع عنتر. فاستشاط غيظًا وغضبًا. واضطربت نار حميته وتأجّجت لهبًا. وقال لهُ كيف تمَّت عليك هذه الاحوال. وانت كنت في الف فارس من الابطال فقال خالد وحق البيت الحرام. وما عليهِ من الالهة والاصنام. لولا خديعتي ايَّاهم بالكلام. لما كان سلم منَّا لا شيخٌ ولا غلام. لانهم فرسان الافطار. لاسيما ذلك العبد الجبَّار. الذي كنَّا نسمع عنهُ تلك الاخبار. وان لم ندهمهم بالعسكر الجرَّار. لا نبلغ منهم ما نختار. قال ملاعب الاسنة ابشر يا خالد ببلوغ الأَرَب. فقد صرنا اليوم في

ثلاثين الف رجلاً من فرسان العرب. ثم انهم رجعوا بعد ذلك الكلام. ونزلوا في الخيام. واكرم خالد العرب الذين قدموا عليهِ غاية الاكرام وفرّق عليهم السلاح. واخذوا من يومهم في اهبة الحرب والكفاح

قال الراوي هذا ما كان من خالد بن جعفر. واما ما كان من بني عبس وعنتر. فانهم كانوا قد جدُّوا في قطع القفار. حتى اشرفوا على الديار. فراوا البر يرهج من لمعان الاسنَّة والدروع. والارض ترتجّ من كثرة ازدحام الجموع. فقال عنتر والله انها لمصيبة عظيمة. وداهية جسيمة. قد نزلت على قبيلتنا. وحلَّت بهم في غيبتنا. فقالوا انك لصادق. لان الدهر كثير البوايق. ثم انهم ساقوا الخيل. وحدَّثتهم انفسهم بالحَرْب والويل

قال الراوي هذا ما كان من عنتر ومن معهُ من الابطال. واما ما كان من قيس بن زُهَيْر فانَّهُ لما عاد الى الاطلال. اقام على ابيهِ مأتمًا طويلاً. وملأَ الدنيا بكاءً وعويلاً. بكت فيهِ حتى الاحجار. وتفجَّرت منها مدامع الانهار. وتغيَّرت الوان الازهار. حزنًا على فقد ذلك الجبَّار. والبطل المغوار. صاحب الاخلاق الكريمة. الملك زهير بن جذيمة. ولبست الناس ثياب الحداد. وتعممت بالسواد. ولطمت البنات والنساء على الخدود. اسفًا على ذلك المفقود. ولما شاع واشتهر. ذلك الخبر. في قبائل البدو والحَضَر. قصدت بنو عبس الاصدقاء والخُلاَّن. وتواردت اليهم

من كل جانب ومكان. وقد استعظموا المُصاب. ومزّقوا ما كان
عليهم من الثياب. وارخوا العمايم على الرقاب. وبكوا بضجةٍ
وانتحاب. وكانوا اذا عزّوا قيساً وانتحبوا بين يديه. يهنونهُ بالمُلك
الذي وصل اليه. لانهُ كان وليّ العهد. وخليفة ابيهِ من بعد.
فكان يظهر الجَلَد. ويكابد في حزنهِ انواع الكَمَد. ويقول ايها السادة
الاماجيد. والفرسان الصناديد. ان هذه المصيبة من اعظم المصائب
العظام. قد قَسَمَتْ ظهري واوهنت العظام. فوحق الملك القهّار.
انهُ لايقرّ لي قرار. ولا يسكن لي ليل ولا نهار. الاّ بعد اخذ الثار.
وكشف العار. فاجابتهُ الفرسان. ومن حضر في ذلك المكان.
من سادات العربان. وحق ربّ زمزم ومُنا. لاعدنا الى اهلنا من
هاهنا. الاّ بعد قتلنا الاعداء بين يديك. حتى تقرّ باخذ الثار
عينيك. ثم انهم في عاجل الحال. ارسلوا عبيدهم الى الاطلال.
حتى يأتوهم بالخيل والرجال. واستعدّوا من يومهم للقتال.
وتاهبّوا للحرب والنزال * قال فخفّ عن قلب قيس الغمّ والكرب
واستبشر بنجدة طوائف العرب. وايقن ببلوغ القصد ونوال
الارب. وصار من يومهِ يستميل قلوب الابطال. ويكرم سادات
الرجال وينحر لهم النوق والفصلان. ويقدّم لهم من لحوم الضأن.
ويفرّق عليهم السلاح. والدروع والرماح. وما زال يتألّف
خواطر الاهل والخُلّان. ويستميل قلوب سادات العربان.
ببذل الاموال والتحف الحسان. الى ان استقلّ بهِ سرير الملك

مُطَاعًا . وتناهضت سادات القبائل الى بيعتهِ سِراعًا . وكان الربيع بن زياد صاحب النهي والامر . ومدبّر المملكة في السرّ والجهر . وكان الملك قيس لايصدر امرًا الاَّ عن رائهِ . ولا يفعل شيئًا إِلاَّ بارآئهِ . لانهُ كان متزوِّجًا بابنتهِ فوَكَّلَ التدبير اليهِ . وجعل رباط الخير والشر بيديهِ

قال الراوي ولما عزم قيس على المسير الى قتال بني عامر . بفرسان العرب وسادات العشاير . قال له حذيفة بن بدر . المشهور بالخبث والغدر . اصبر ياقيس مدة عشرة ايام . حتى نحسن التدبير في بلوغ المرام . واكاتب اصدقائي آل مُرَّة . واطلب منهم النجدة والنصرة . لان فارسهم الحارث بن ظالم مقاربي في الحسب والنسب . وهو اليوم فارس فرسان العرب . ولا بد ان تكون قد سمعت ببعض افعالهِ ووصل اليك طرفًا من اعمالهِ . وانا اعلم انهُ اذا سار معنا الى قتال الاعداء . شتتهم في اقطار البيداء . فقال قيس لقد صدقت فيما نطقت . لاني قد سمعت عن هذا الانسان . من بعض الفرسان . بانهُ قد بلغ في الفروسية الغاية . وفي الفصاحة والاقدام النهاية . حتى ان كثيرين يفضلونهُ في الحرب والجلاد . على عنتر بن شداد . وانهُ اثبت منهُ جاشًا وجلادًا . واشد بأسًا واقوى فؤادًا . فقال حذيفة من هو عنتر ومن هم عرب البر الاقفر . بالنسبة الى هذا الاسد الغضنفر . والصارم الذكر . المعقود بناصيتهِ اسباب النصر والظَّفَر . الحارث

لهُ وقائع مشهورة . ومواقف مذكورة . لو حضرها عنتر لانصرع وتنعنع . ومات من الخوف والفزع . هذا الذي التقى ببني ثُعَل وقتل منهم خمساية بطل . وشتت فرسانهم في السهل والجبل . هذا الذي قلع عين فرعون بن صخر في الميدان . هذا الذي كبس في وادي العفريت بنو الريَّان . وابلاهم بالويل والحرمان . وسوف يظهر لك من فعالهِ ما تذكره بهِ على طول الزمان . فلما سمع الملك قيس من حذيفة ذلك الايراد . قوي منهُ الظهر والاعضاد واستبشر بنوال القصد وبلوغ المراد . وقال لهُ افعل ما بدا لك فاني لا اخالف مقالك . ثم ان حذيفة كتب من وقتهِ وساعتهِ كتاباً وارسلهُ الى بني مُرَّة . وحيَّا فيه الحارث وطلب منهُ المساعدة والنصرة . واعلمهُ بقتلة زهير وولده شاس . وما حل بقلوب بني عبس وباقي الناس . من الهمّ والوسواس . واقام حذيفة بعد ذلك في تجهيز الجيش القادم . وهو بانتظار الحارث بن ظالم

قال الراوي وكان ذلك الفارس المعروف بالحارث . خاين ناكث . صورتهُ قبيحة . وسيرته غير مليحة . مجبول على الفظاظة وقساوة القلب والغلاظة . لا يحفظ حرمة الطعام . ولا يراعي جانب البيت الحرام . وليس لهُ عهد ولا ذمام . اذا رافقه رفيق غدره وقتلهُ . وان ظفر بصديق راوغهُ وجندلهُ . وكانت العرب تحذر منهُ . وتخاف من شره وتبتعد عنهُ . الا انهُ كان في الشجاعة اسداً . وكالفيل قوة وجسداً . وكان قد تمهر من صباهُ في الحرب . وتعلم

ابواب الطعن والضرب . وطاف المشارق والمغارب . ومرّت
بهِ انواع التجارب . حتى خرج بطلاً لا يقاس بالابطال . وشجاعاً
تبطل عند قتالهِ حيل الرجال . وكان قد سمع باخبار عنتر
بن شداد . وما لهُ من المواقف الرفيعة في ميادين الطراد . وما
شاع عنه من الاشعار الجياد . في حق عبلة بنت مالك بن
قراد . فحسده واضمر لهُ الشر والنكاد . وترك عليهِ العيون والارصاد
وكان عنتر قد اسر ابوه في جبال الردم وتلك البلاد . وجزّ
ناصيتهُ واطلقه كما تقدم الايراد . فكان يطلب قتله . حتى لا
يبقى في العرب مثله . وكان قد قتل من بني عبس جماعة من
الشجعان . لاجل هذا الشان . وكان خالد بن جعفر قد كتب
له كتاب . صحبة نجّاب . وارسله الى بني مرّة . يستنجد بهِ ويطلب
منه المعونة والنصرة . ويقول له اعلم ايها البطل الهمام . والسيد
القمقام . اني قتلت شاسا وابوه الملك زهير بن جذيمة . الذى
لم يترك لاحد من العرب قدرٌ ولا قيمة . وقد جمعت كل من له على
بني عبس ثار من جديد وقديم . وعولت ان لا ابقي منهم لا رضيع ولا
فطيم . وقد صممت على ذلك اشد تصميم وانت تعلم ما فعل
عبدهم عنتر مع ابيك ظالم . وكيف جزّ شعره وتركه عبرة بين
العوالم . فهلمّ بنا الان لاخذ الثار . وكشف العار . ان كنت
كما سمعت عنك انك من الرجال الشطار . وابشر عنى بالاموال
والغنايم . والخير الجزيل الدايم . واذا رايت منك ما اعجبني

من حسن العمل . وبلغت بفعالك غاية الامل . ازوجتك بابنتي بدر الحلال . الذي لم اسمح بها لاحد من ملوك العصر وارباب الدول . قال فلما وصل اليه كتاب خالد وقراه . وفهم ما ابداه . ردّ رسوله بالسمع والطاعة . وانتخب من قومهِ خمساية فارس من اهل القوّة والشجاعة . وعزم على المسير الى ديار بني عامر . وتلك القبايل والعشاير . وفي اثنا ذلك وصل اليه كتاب حذيفة سيد بني فزارة . فقراه وفهم ما فيه من تلك الاشارة والعبارة . فقال للرسول سر الى مولاك وقل لهُ اني كنت ساير الى نصرتهِ . قبل وصول رسالتهِ . ولما اصبح الصباح . واضاء بنوره ولاح . ركب الحارث ظهر جواده . واعتد بالة حربه وجلاده . وسار بخمساية فارس من نُخَب الاعراب . قاصدًا ديار بني عامر وتلك الهضاب . ولما ابعد عن الديار . وتبطن البراري والقفار . اقبلت عليهِ سادات قومهِ . وجماعة من بنى عمهِ وقالوا له اعلمنا بما في نيتك . وبيّن لنا عن قصدك وبغيتك . فقال لهم ابشروا بالغنى وبلوغ القصد والمنى . فاننا نكون مع من ينتصر . ولا نبالي بمن كسب ولا بمن خسر . قالوا قد اشرت بالراي المصيب الثاقب . والفكر الدقيق الصايب . لاننا نعلم بانك نكون مع الغالب . ولكن الى اي جهةٍ انت بنا ساير . قال الى ديار بني عامر . وتلك الاحزاب والعشاير . واني لم اقل لرسول بني عبس ذلك المقال الاّ لاطيّب قلوبهم على كل حال . وانا اقسم بالاله الكبير المتعال

او تمكنت منهم انزلت بهم النكال . وان وقع اسودهم عنتر في يدي . قتلته وشفيت منه غليل كبدي

قال الراوي وكان الذي يعين الحارث على القتال . ومواقف الاهوال . سيفٌ صقيل . عريض طويل . قد ورثه من ابيهِ واجداده السالفات . يسمَّى بذي الحيّات انواره شارقة . وصفحاته بارقة . كانهُ صاعقة . اذا ضرب بهِ الصخر قطع . واذا هزَّهُ في يده يرى منهُ هول المطلع . وكان منقوشٌ على نصلتهِ صور افاع تدبُّ وتلسع . وكان لاينام الاَّ وهو على صدره او بين ثيابهِ . ولا يأمن عليهِ لاحد من اهلهِ واصحابهِ

قال الراوي هذا ما كان من الحارث بن ظالم . الفاتك الغاشم . واما ما كان من رسول حذيفة فانه جدَّ في قطع الهضاب حتى وصل الى بني عبس قبل الغياب . واعلم حذيفة بالخبر . وبما شاهد ونظر . ففرح واستبشر . وعلم ان الامر قد تيسَّر . ودخل على قيس بن زهير . وبشره بكل خير . وقال لهُ ايها الملك الجليل والسيد النبيل . ان الرجل قد امتثل كلامنا . وبادر الى نصرتنا وسار الى بني عامر امامنا . والصواب ان نستعد للقتال . ونتبعهُ في عاجل الحال . بالخيل والرجال . فقال قيس افعل ما تريد . فاني عن رايك لا احيد . فاخذ حذيفة في تجهيز الابطال وترتيب الاحوال . وفي ذلك الوقت اقبل الامير عنتر . كما تقدم الخبر . وفي صحبته اسيد وولده نازح . وباقي الفرسان الجحاجح . الذين

Digitized by Google

كانوا معهُ في بلاد اليمن. وتلك المعاهد والدمن. وراوا الارض من ازدحام الجموع ترتجّ. والدروع تلمع من كل فجّ. فتعجبوا من ذلك غاية العجب. واندفقوا مسرعين كصواعق الغضب. وقد حدَّثتهم انفسهم بالويل والحرَب. ولما قربوا من المضارب. واظهر غبارهم من كل جانب ركبت الى لقآئهم الاقران. وتبادرت الى نحوهم الشجعان. وقصدتهم الابطال والفرسان. وفي اوايلهم مالك بن زهير صديق عنتر وصاحبهِ. واخيه الحارث الى جانبه ولما شاهد مالك عمه اسيد وعنتر بن شدَّاد. ترجَّل عن ظهر الجواد. ودقَّ على صدرهِ وراسهِ. ومزَّق ما كان عليهِ من لباسهِ ونادى وآحرباه وآبتاه. وآسيداه وآملكاه. فلما نظر عنتر الى ذلك الامر المنكر. القى نفسه من على ظهر جوادهِ الابجر. الى الارض والمحجر. وتقدَّم الى نحو مالك وقد بكى وانبهر. وقال يامولاي ما الخبر. فقال مصيبة لا تنسى. ومحنة قد عمَّت الرجال والنسا. ثم نعى اليهِ ابوه. وشاسًا اخوه. فلما سمع عنتر ما ابداه. سقطت قواه. وتقطَّعت كلاه. وعظم الامر عليه. واسودَّت الدنيا في عينيه. ثم ان مالكًا حدَّثهم بجليَّة الخبر. وما جرى لهم مع خالد بن جعفر. فدقُّوا على صدورهم. وحاروا في امورهم. ولاموا بعضهم على اطلاق سادات بني عامر من الاعتقال. وانخداعهم بالمكر والاحتيال. فلما وقف عنتر على حقيقة ذلك. صار الضيا في عينيه كالظلام الحالك. ونادى وآحرباه عليك ياخالد. فوالله

Digitized by Google

لا سركذلك مثلاً لكل قايم وقاعد . وما اقابلك على مكرك وخداعك الا بهلاكك وانقلاعك . ثم زاد به الانين . فبكى من قلب حزين * وانشد يقول

خسف البدر حين كان تماما ... وخفي نورهُ فعاد ظلاما
ودراري النجوم غارت وغابت ... وضياء الافاق صار قتاما
حين قالوا زهير ولى قتيلاً ... خيّم الحزن عندنا واقاما
قد سقاهُ الزمان كاس حمامٍ ... وكذالك الزمان يسقي الحماما
كان عوني وعدتي في الرزايا ... كان درعي وذابلي والحساما
ياجفوني ان لم تجودي بدمعي ... فجمالك الكرى عليكِ حراما
قسماً بالذي اماتَ واحيى ... وتولى الارواح والاجساما
لا رفعت الحسام في الحرب حتى ... اترك القوم في الفيافي عظاما
يابني عامر ستلقون برقاً ... من حسامي يجري الدماء سجاما
وتضجّ النساء من خيفة السبي ... وتبكي على الصغار اليتامى

قال فلما سمع الحاضرون شعره ضجّوا بالبكاء والانتحاب . ومزّقوا ما عليهم من الثياب . ودخلوا بين المضارب والاطناب وهم يعضّون على زنودهم . ودموعهم جارية على خدودهم . وما فيهم الا من هو محترق بنار الكمد . ذايب الروح والجسد . فقال الربيع بن زياد . وقد نما غيظهُ وزاد . وذاب منهُ الفواد . لما راى عنتر بن شدّاد . قد عاد بالاموال والغنايم من تلك البلاد . ايها السادة الامجاد . لا تكثروا النواح والتعداد . لان قيسا قد

قرّ قرارهُ . وبرد نارهُ . واستعدّ للانتصار . على اخذ الثار . بكل فارسٍ كرّار . وبطلٍ مغوار

قال محمد بن هشام . وكان قصد الربيع بذلك الكلام . كسر نفس الامير عنتر . لانهُ كان عدوهُ الاكبر . ويتمنّى لهُ الموت الاحمر . فاغتاظ عنتر عند سماعهِ ذلك المقال الذي هو انكى من ضرب الصارم الفصّال . ودفع الربيع في صدرهِ . القاهُ الى الارض على ظهرهِ . وتقدّم الى نحو قيس بقلبٍ منكسر . ودمعٍ منحدر . وعزّاهُ باخيهِ وابيه . وكذلك فعل اسيد ومن معه من اهلهِ وذويهِ . وما في الحاضرين من فرسان العرب . واصحاب المناصب والرتب . الاّ من بكى وانتحب . وانحدر دمعهُ على خدّيهِ وانسكب . ثم ان عنترًا خرج من بين المضارب . وقلبهُ من شدّة الحزن لاهب . ومضى الى بيت ابيهِ الامير شدّاد . وقد نما غيظهُ على الربيع بن زياد

قال الاصمعي هذا ما كان من ابي الفوارس عنتر . واما ما كان من قيس فانهُ تجهّز في ثاني الايام للسفر . ورحل بالابطال والعسكر . لقتال خالد بن جعفر

قال صاحب الحديث وكان مالك بن زهير قد اجتمع بعنتر وحدّثهُ بما دبّر الربيع وحذيفة بن بدر . واخبرهُ بحديث الحارث بن ظالم المشهور بالخبث والغدر . وكيف انهم اركنوا اليه . وجعلوا اعتمادهم عليه . ووصفوه بالشجاعة والفروسيّة . وفضّلوه

على جميع فرسان الجاهلية. فغاب عنتر عن الصواب . عند سماعهِ ذلك الخطاب. واحترق فوادهُ وتضرَّم. وعلم بان سيف عزّه بعد زهير قد تثلَّم . وحصن مجده قد وقع وانهدم . وان عمه ابو عبلة سوف يعتزّ عليه . ولا يعود يلتفت اليه . ويميل الى بني زياد . ويرجع الى ما كان عليهِ من الكياد والعناد. فقال لمالك سر انت الان والحق باخيك . وعاونهُ على اخذ ثار ابيك . واما انا فاقيم عند اهلي وخلاّني . ولا ابرح من مكاني. حتي تعودوا من قتال بني عامر . وتلك الاحزاب والعشاير. فان بلغتم الغاية . في القتل والنهاية . وشفيتم منهم غليل الفواد * كان ذلك غاية المراد * والا سرت اليهم وحدي * وبذلت في قتالهم جهدي * الى ان انال قصدي * ولا ابقي لهم ذكر يذكره في قبايل ربيعة ومُضَر * ما طلعت الشمس والقمر * ولا اغفل عن اخذ ثار مولاي الذي الحقني بالنسب * ورفع مقامي بين سادات العرب * وما زال عنتر يحدّث مالك بمثل . ذلك * حتي ابكاه * وقد تعجب من مروته وحياه * ثم انهُ خرج من عندهِ وطلب العسكر * وهو يبكي ويتحسّر على ما جرى وتدبّره واما الامير عنتر * فانهُ بعد ذهاب مالك خلع عنهُ آلة الحرب والسفر * ودخل الى عند امهِ زبيبة * وقد عظمت عليهِ تلك المصيبة * وهو يبكي ويتلهّف . ويعضّ على كفيهِ من شدة الاسف * فقالت لهُ امهُ وقد بكت لبكاه * ورثت لحاله على ما اصابه ودهاه * الى كم تلقي نفسك في

المعاطب. وتخوض الشدايد والنوايب. وتلقى الاهوال والمصايب وتحفظ من لا يحفظك ويرعاك * وتودّ من لا يودّك ويهواك * فقال عنتر وحق من سطح الغبرآء * ورفع الخضرآء . لامزقنّ شمل بني زياد * الليئام الاوغاد . واجعلهم احدوثةً بين العباد * لانهم علّة الفساد . ثم سال امهِ عن ابنة عمهِ عبله * وهل كانت تذكرهُ في غيبتهِ ام لا * فقالت انها كانت تسهر ليلها بانتظارك . وتسأل عنك وعن اخبارك

قال الراوي وكان قد بلغ نسآء اعمامه بقدومه من السفر. وتخلفه عن المسير مع العسكر * فاتين اليه . وما فيهنّ الّا من فرحت بهِ وسلّمت عليه . وكان في صحبتهن عبلة بنت مالك . وهي تتلالى كالبدر في ظلام الليل الحالك . فرد عليهنّ السلام . ووقف بين ايديهنّ على الاقدامْ . ولما راى عبلة اشتد بهِ العشق والهيام . وجعل يحادثها بالطف حديث وارقّ كلام . ثم سال النسآء * عما جرى بعدهُ في الاحيآء . فقالت عبلة ما جرى لنا الا ما علمت من الناس . من قتل زهير وولده شاس . ونحن كنا بانتظار قدومك يابن الاخيار . حتى تاخذ لنا بالثار . وتكشف عنا العار . وقد رحل الناس وانت مقيم في الديار . قال عنتر ان القوم قد ابعدوني . واردت ان اسير معهم فطردوني . ثم حدثها بما جرى وكان . فتعجبن النسآء من ذلك الشان . وقلن والله يا ابا الفوارس ان هذا الفساد * صادر من تدبير الربيع بن

زياد * لانه قد صار صاحب النهي والامر * ومدبر العشيرة في السر والجهر * والملك قيس قد اتخذه مشيره * ومدبره ووزيره. فقال عنتر والله ليس لهذا الرجل عندي قدرٌ ولا شان . وهو احقر في عيني من كل انسان. لانهُ من اراذل العربان . فتضاحكن النسآء من كلامهِ . وشكرنهُ على مقالهِ واهتمامهِ . ثم انهُ اهدى لهنَّ كل ما وقع بيده في هذا السفر . من نفايس الجوهر . ونوادر البدو والحضر

قال الاصمعي هذا ما كان من ابي الفوارس عنتر . وما جرى له من الحديث والخبر . واما ما كان من بني عبس وعدنان فانهم بعد مسيرهم من الاوطان . جدوا في قطع الطريق * وقلوبهم تتكوي بنيران الحريق * الى ان قاربوا ديار بني عامر * وتلك الاحزاب والعشاير * فانتخب حذيفة الف نفر من كماة الفرسان وليوث الضرب والطعان * الذين لا يهابون الموت * ولا يخشون حلول الفوت . وسار بهم في مقدمة العسكر ليكشف حقيقة الخبر * وما سار غير القليل * حتى التقى باربعماية فارس نبيل * وكانت هذه العساكر طليعة بني عامر * وهم مقبلون نحوهم كالليوث الضراغم * او النسور القشاعم * يقدمهم ملاعب الاسنَّة والحارث بن ظالم

قال الراوي وكان الحارث بن ظالم قد قصد خالد بن جعفر . كما تقدم الخبر . فلما قدم عليهِ فرح بهِ واستبشر . واخلع

عليهِ وعلى قومهِ الخلع السنيَّة . واجزل لهم المواهب والعطيَّة *
واكرمهم غاية الاكرام . وشكرهم على ذلك الاهتمام . وقال للحارث
يا سيد بني مرَّة . ومن قد فاق على اقرانهِ بالشجاعة والقدرة . ما
اتيتني الاَّ وانا على هيئة الرحيل والسير . وليس عندي ما
اكافيك به الان الاَّ بهذه الحجرة وهي التي كانت للملك زهير .
فاقبلها مني على سبيل الهديَّة . لانها من اجود الخيول العربيَّة .
وهذا ايضاً سيفهُ ذو النور . فخذهُ وانت عندي محمود مشكور .
فقبلها الحارث وابدى الابتسام . وركب الفرس وتقلد بالحسام .
وكان قد ابصر فرسان العرب . والسادات من ذوي الرتب .
قد عولوا على المسير . وسرعة التشمير . ورأى ملاعب الاسنة
وهو في مقدمة الفرسان . قاصداً ديار بني عبس وعدنان . في
مائة نفر من الرجال . فانتخب من جماعتهِ ثلاثماية من الابطال .
واستاذن الامير خالد . وسار مع ملاعب الاسنة وهم يقطعون
الفدافد . الى ان التقوا بحذيفة سيد بني فزارة * كما سبقت الاشارة
ولما وقعت العين على العين وَعَلَت الضجَّة والرنَّة * نظر حذيفة
الحارث بن ظالم وهو راكب بجانب ملاعب الاسنَّة * فلما رآه
انذهل . واعتراهُ الخوف والوجل * وكانت بنو عامر * لما التقت
بتلك العساكر * رفعت اصواتها بالصياح * ومدَّت اليهم قطع
الرماح * واحاطت بهم احاطة عساكر الزبا بجذيمة الوضَّاح *
فعند ذلك نبَّه حذيفة اصحابهُ للحرب والكفاح * وقال لهم

Digitized by Google

دونكم وهذه العصابة القليلة * والطائفة الذليلة * احملوا عليها من كل جانب * وبادروها بطعن الرماح الكواعب * وضرب السيوف القواضب * قبل ن تدركنا المواكب والكتايب قال فبينما هو يصيح على قومهِ بهذا الكــلام . ادركه الحارث وصدمهُ صدمة الليث الضرغام . وهو ينادي الحارث انا بن ظالم فارس الاعارب والاعاجم . فلما ابصرهُ حذيفة خفق قلبهُ . وزاد خوفهُ ورعبهُ . وقال فعلتها يابن ظالم وقطعت ما بيني وبينك من النسبْ . ونسبت نفسك الى الغدر بين سادات العرب . قال نعم نسبت نفسي الى الغدر واليوم افنى بني عبس وبني بدر . وانا اقسم بالله الذي زين الدنيا بالقمر والشمس . وفضل هذا النهار على امس . لابد لي من قتل بني عبس حتى اشفي منهم غليل النفس . بعد ما اقطع راس عبدهم عنتر . الذي قد طغى وتجبر . واجعلهُ مثلا يذكر . في قبايل ربيعة ومضر . فان اردت السلامة عد الى ارضك وامصارك . ولاتتعرض لهلاكك وبوارك . ودع عنك كثرة الفضول . ولا تتعرض لبني عامر فان فيها فرسان اشد من الغول . يوزن احادهم بالالاف . وافرادهم باضعاف . فعند ذلك حمل حذيفة بمن معهُ من ابطال الكفاح . وقد اكثروا الصياح . ومدوا في ايديهم قطع الرماح . وجردوا البيض الصفاح . فالتقاهم ملاعب الاسنة والحارث بن ظالم . ومن معهما من الابطال القشاعم . واتصل

الطعن بالسمر الصعاد . وعظم الامر وزاد . وتصادموا على ظهور الجياد . ونهبت الارواح من الاجساد . ولم يزل الحرب يُعمَل . والدم يبذل . والرجال تقتل . ونار الحرب تشعل . حتى تلاحقت بهم المواكب . واشرفت عليهم الكتايب . وتنافرت الوحوش من كل جانب . وكان كل من وصل ورای القتال يعمل . يصيح ويحمل . الى ان زاد الامر عن الحد . وعظم الحرب واشتدّ . واظلم النهار من كثرة القتام واسودّ . واشرف الملك قيس في باقي بني عبس وغطفان . وكذلك خالد بن جعفر ومن معهُ من الفرسان . وما فيهم الاّ من هجم . وصاح ونهم . فعند ذلك قام الحرب على ساق وقدم . وماج بحر المنايا والتطم . وشابت النواصي واللمم . وعاد الوجود الى العدم . وقاتل الشجاع وتقدم . وحل بالجبان الندم . وتاخروانهزم . وفعل في ذلك اليوم الحارث ما اذهل النواظر . وحير بفعاله الخواطر . وكان قد جعل قصده طائفة بني عبس من دون تلك العشاير . فنكس الى راياتها . وقتل جماعة من ساداتها . وما امسى المسا حتى وقعت الخسارة . في بني عبس وبني فزارة . ثم افترقت الطايفتان عن بعضها البعض . وباتوا في تلك الارض . ورجع قيس وهو متبول الفواد . من قبوله مشورة حذيفة والربيع بن زياد . وتركه عنتر بن شداد . ولما اجتمعوا قال لهما الملك قيس والله لقد دبرنا بئس التدبير . واخرقنا حرمتنا عند الكبير والصغير .

Digitized by Google

فقال حذيفة لم يخطر ببالي ايها الملك الهمام . بان الحارث يجرّد في وجهي الحسام . وما ظننت الاّ اننا نكسر به بني عامر . ونفنيهم بالسيوف البواتر . فقال قيس ايها السادة الاخيار . قد اتبنا في طلب الثار . فكسينا العار . في ساير الاقطار . وما بقي في الامر الاّ مبارزة هولآء القوم . يوماً بعد يوم . حتى تاتينا الحلف والاحزاب . وتعيننا على هذا المصاب . فقال اخوه مالك . لما سمع منه ذلك . ارسل في طلب حامينا فارس الجلاد . عنتر بن شداد . فهو يكشف عنا هذه الغمّة . ويمزق بسيفه هذه الامّة . قال الربيع ان الاوفق يا ملك الزمان . ان ترسل رسولاً الى صهرك الملك النعمان . وتعلمه بهذا الشان . فينجدنا بعسكر من بني لخم وجذام . ولا نذل لعنتر ولا لغيره من الانام . فقال مالك اين الحجاز من العراق . وبلاد نجد من الرستاق . فوالله ما تصل عساكر النعمان . الى هذا المكان . حتى نكون قد اشرفنا على الهلاك . ووقعنا في سوء الارتباك . وقتل منا كل فارس فتاك . عند ذلك قال اسيد ومن حضر من الابطال . والله يا قيس لو علمنا قبل مسيرنا من الاطلال . بتخلف عنتر في الخيام . لما كان لحقكم لا شيخ ولا غلام . فالاوفق لكم ان تنفذوا اليه . وتجعلون اعتمادكم عليه . والاّ طمعت فيكم الاعدآء والاضداد . وتمزّق شملكم في اقطار البلاد . لانه فارس البيدآء . وحبة العين السودآء فقال قيس لقد صدقتم . وبالحق نطقتم . ثم ارسل من وقته وساعته

الى عنتر كتاب . صحبة نجاب . يترضاه ويعتذر اليهِ . ويطلب
سرعة قدومهِ عليهِ . وعند الصباح . وثب كلا العسكرين الى البراز
والكفاح . ولما تدانت الرجال من الرجال وامتلأت منهم
السهول والتلال . كرّوا على بعضهم كرّة واحدة . بهمةٍ متعاقدة
ونهمةٍ متعاضدة . وذلك لما بينهم من العداوة والاحقاد المتزايدة .
واختلفت بينهم الضرب والطعان . وتمكنت من الطعن الشجعان
ونهبت الارواح من الابدان . وجرت الدما مثل الغدران . وطلع
القتام الى العنان . وطاب الموت وهان . وبان الشجاع من
الجبان . وما زال السيف يعمل . والدم يبذل . والرجال تقتل .
ونيران الحرب تشعل . الى ان خيلت المعركة سماء غمامها القسطل
وصواعقها بروق البيض بريق الصّيقلِ . ورعودها صليل
السيوف . في اعناق الجحفل . وغيوثها صبيب الدم من اوداج روس
تجزّ وتفصل . وما غابت الشمس . حتي تضعضعت بنو عبس .
فتاخرت الى وراها . من عظم مادهاها . وندمت على القتال .
وقتل منهم اوفى من الفين من الابطال . وباتوا تلك الليلة في
اشر حال . وايقنوا بالهلاك والوبال . وندم قيس وتحسر . على
فراق ابي الفوارس عنتر . وقامت عليه القيامة . واستفاضت فيهِ
الحسرة والندامة . فالتفت اليهِ اسيد وقال له يا ابن اخي من
اليوم فصاعدًا لا عدت تسمع في عنتر كلام الاغراض . فيقع في
بني عبس الانقراض . فلو كان حاضر معنا في هذا النهار . لقلعنا

Digitized by Google

من الاعدا الاثار * ثم حدثه بما جرى لهم في بلاد اليمن . وتلك المعاهد والدمن . وكيف فتك عنتر بالفرسان . وفعل افعالاً تعجز عنها مردة الجان . فقال قيس والله يا عماه انا ما ابعدته . ولا اهنته ولا طردته . ولكن عند وصوله الى الاوطان . كنت مشتغلاً بالاحزان . الى ان جرى من القصة ما كان . والان فقد قل منا الاصطبار . وانتهى الامر بنا الى الانكسار . وقتل منا كل فارس مغوار . وان هربنا شملنا العار . في ساير الاقطار . وما بقي في الامر الا انني اصطلي نار الحرب بنفسي . ولا اتكل على احد من ابناء جنسي . ولا ازال اضرب في الاعداء ابا لحسام حتى اشرب كاس الحمام . وما زالوا على مثل هذا الكلام . حتى اقبل الصباح بالابتسام . فركبوا ظهور الخيل . وهم من الم الجراح بالويل . وطلبوا معركة القتال . فالتقتهم بنو عامر بقلوب كالجبال . فبينما هم قد استعدوا للحرب والنزال . اذ قد برز حذيفة الى عرصة المجال . كانه الاسد الريبال . وهو راكب على حجرته الغبراء الذي كان يذخرها للاهوال . وطلب براز الابطال . وقال يا معاشر الانذال ابرزوا لي فرسانكم المذكورة . وابطالكم المشهورة . حتى اريكم كيف يكون الحرب . والوقوف في مقام الطعن والضرب

قال الراوي فما انتهى من كلامه حتى برز اليه الحارث بن ظالم وصار امامه وكان راكب على حجرة الملك زهير القعساء

وهي كانها الليلة الدمساء . وكان ملاعب الاسنة يريد ان يخرج اليه . فمنعه الحارث واقسم عليه . وساله ان يوثره بلقاه . ثم انهُ برز اليهِ حتى حاداه . وقال لهُ ويلك يا حذيفة ارجع عن الحرب والطعان . فان في بني عامر ابطال وفرسان . كانها مردة الجان . قد كدمتهم التجارب . ونيبتهم النوايب . يرون الشرف لمن امات تحت اسنة الرماح . والعار حقًا على من حاد عن معركة الكفاح . منهم الربيع بن عقيل . وملاعب الاسنة الفارس النبيل وغيرهما من الفرسان البهاليل . وقد منعتهم من الخروج اليك . اشفاقًا مني عليك . وما خرجت الآ حتى اردك عن طريق العطب لاجل ما بيني وبينك من النسب . فارجع من هذا المكان . وقل لعنتر ان يبرز الى ساحة الميدان . حتى اخذ منهُ ثاري واكشف عني عاري . فاجابهُ حذيفة وقد اخذه القلق والضجر . وتشوش خاطره وتعكر . ويلك اين عنتر . فمن اجلك طردناه . واتكلنا عليك وابعدناه . واتينا طمعًا في قولك الذي ارسلتهُ لنا مع رسولنا . والان قد خاب فيك مامولنا . ولو علمنا ما بقلبك من الشر والعناد . لاتيناك بعنتر بن شداد . وتركناه يفعل بك كما فعل بابيك . وعلى خبثك ومكرك يجازيك . على ان هذا الامر لايفوتك لان الملك قيس انفذ لهُ رسول . ولابد ما يصل اليك ويبلغ منك المامول . لانك قد جازيت جميلنا بالغدر وقتلت جماعة من آل بدر . ومن افعالك الذميمة وسيرتك الغير

مستقيمة . قد خرجت لقتالنا وانت راكب على حجرة ملكنا زهير بن جذيمة

قال الراوي فضحك الحارث وابدى الابتسام . عند سماعهُ ذلك الكلام . وقال لهُ ويلك يا ابا حجَّار . لو تأملت بهذا الكلام لكان عليك العار . وعلى قومك الكبار منهم والصغار . يا ويلكم تعجزوا عن لقآء الابطال الصناديد . وتنتصروا باقل العبيد . ولكن لا بد لي ما احصدكم بهذا الحسام حصد الهشيم . حتى لا يعود احد منكم يذكر ذلك العبد الزنيم * والوغد اللئيم . ثم زاد بهِ الغيظ والغضب فحمل على حذيفة مثل السلهب . فصال معهُ حذيفة وجال . ولعبا بالرماح الطوال . حتى تحيَّرت فيهما عقول الرجال . وما زالا في اشد قتال . حتى خدر الساعدان . وبانت الزيادة والنقصان . واختلف بينهما طعنتان فاصلتان . فكان الحارث اسبق . واعرف بمواقع الطعان وارشق . فوقع الرمح في فخذه فسالت دماه . وعاد حذيفة الى وراه . وقد اشتدَّ بهِ الالم وحل بهِ الاسف والندم . فعند ذلك اعجب الحارث بنفسه . وتكبَّر على ابنآء جنسه . ثم صال وجال . ولعب برمحهِ العسَّال حتى حيَّر عقول الابطال . ونادى ويلكم يا بني عبس اصحاب المفاخر . قد اتيتم تطلبون ثاركم من بني عامر . فابرزوا فارس لفارس ولا تحتجون بكثرة العساكر . فلما سمعت بنو عبس منه ذلك الكلام . هان عليها شرب كاس الحمام . فصارت تخرج

Digitized by Google

اليه الابطال وفرسان المعارك والقتال وهو يقبض ارواحها .
ويرمي الى اصحابه عددها وسلاحها . وما تنصف النهار . حتى
قتل منهم عدة انفار . فعند ذلك قصرت عنه الفرسان وخافت
منه الشجعان . فصال وجال * وانشد وقال

اسمعاني وقع السيوف الحدادِ وصرير الرمح في الاجسادِ
واسقياني دم الفوارس صرفًا بين بيض الظبى وسمر الصعادِ
ودعاني من ذكر اطلال نجدٍ ومعاني هند وربع سعادِ
يا فخار الفتى بكاسات خمرٍ دايراتٍ في ظلِّ كرمٍ ووادِ
انَّما الفخر ضربة لشجاعٍ يوم حربٍ اوطعنة في الفوادِ
لا تراعي بين الانام صديقًا واجعل الاهل مثل بعض الاعادي
يا بني عبس ليس ينجيكم اليوم من فرارٍ على الخيول الجيادِ
فحسامي محكَّمٌ في يميني والمنايا في شفرتيهِ تنادي
فابرزوا اوتاخروا عن قتالي وآيسوا مالكم من الموت فادِ

قال الراوي فلما سمعت بنو عبس هذه الابيات ثارت في روسها
النخوات . وهانت عليهم البليات . فتبادرت اليه الابطال من ساير
الجهات . وتقدم عروة بن الورد وشداد بن قراد . واخيه مالك
وزخمة الجواد . والربيع بن زياد . الى معركة الطراد . فسبقهم
نازح بن اسيد واقسم بالله . ان لا يبرز منهم الى الحارث احد سواه .
لانهُ يريد ان يجعل نفسه لهم فداء . ويوقيهم من افات الردا ثم برز
اليهِ وهو على جواد منتخب . من افخر خيول العرب . وقد ذكرنا ما

في نازح من الشجاعة . ووصفنا قتاله قبل هذه الساعة . فحمل عليه من غير مطال . فالتقاه الحارث في الحال . وانطبقا الاثنان في القتال كانطباق الجبال واتسع عليهما المجال . وكان أسيد قد اخذه القلق على ولده . وخاف عليه لانه على كل حال قطعة من كبده . فكان ينظر الى المعمعة ودموعه على خديه متتابعة . فصاح في الابطال . ومن يعتمد عليهم من الرجال . وقال لهم كونوا على اهبة اللقاء . اذا اذا قُضي على نازح بقضاء . فبينما هو على مثل ذلك . يحي فرسان المعارك . اذا بفارسٍ اسود قد خرج من طوايف بني عامر . كأنه الليث الخادر . او العقاب الكاسر . طويل القامة . عريض الهامة . ملثَّم الراس . خالي من الزرد واللباس . ليس عليه غير ثوبٍ من الخام . قصير الاكام . وهو راكب على جوادٍ اعرج متقلِد بسيفٍ اعوج . وفي يدهِ رمحٌ مكسور معصَّب . ومن تحتهِ سرجٌ من خشب . فلما صار بين الصفَّين . واشتهر بين الفريقين . تقدم الى نحو الفارسين * قال وكان الحارث قد ظن انه من عبيد خالد بن جعفر . وقد اتى من عندهِ بخبر . فلما صار في ساحة الميدان . صاح عليهما صيحةً ارتجت منها الجبال والوديان . فقال لهُ الحارث ويلك ولد الزنا . وتربية الخنا . ما الذي تريد بصياحك علينا . ومجيك الينا . قال البدوي ويلك ابن الالف قرنان . واخس العربان . لقد اخذت لنفسك ساحة الميدان . واحتقرت بمن اجتمع هاهنا من الفرسان . والابطال والشجعان

وما تركت احد من فرسان العرب. ان يكسب الفضة والذهب وينال غاية الارب. ويلك يا ابن الانذال . اما علمت ان هذه القبايل قد اجتمعت من السهول والجبال. ولها على بني عبس دم وادغال . واولهم هو انا لاني قطعت الاودية والتلال . واتيت لاكسب لي شيئاً من المال واستعين بهِ على هذا الحال . واعود الى الاهل والعيال . فاجلت بيني وبين غيري من الابطال . واخذت انت وحدك عرصة المجال . وتركت غيري يقاسي الجوع والاقلال . فارجع الان ودع عنك المحال . والا وحقّ من ارسى شوامخ الجبال . وقدّر الارزاق والآجال. طعنتك بهذا الرمح المكسَّر . تركتك عبرةً للنظر . وايةً للبشر . واقنع بعد ذلك من بني عبس بما تيسَّر

قال الناقل فلما سمع الحارث ذلك الكلام المنكر . الذي هو اقسى من الحجر . وانكى من ضرب الصارم الذكر . طار من عينيهِ الشرر . وصاح مثل الاسد اذا هدر . واقلب سنان الرمح الاسمر . وطعن البدوي طعنةً اسرع من لمح البصر . فمال البدوي عنها واخرج رجله من الركاب . وانبرم كسبع الغاب * ووثب من ظهر الجواد حتى صار على وجه التراب . فراحت الطعنة خايبة . بعد ما كانت صايبة . ثم عاد البدوي الى ظهر الحصان . وهجم على الحارث هجوم السرحان * فانهزم الحارث من امامهِ . وخاف من شرب كاس حمامهِ . فطعنهُ البدوي بالرمح فوقع على هامهِ . فطار

Digitized by Google

الرمح اربع قطع . فاندهش الحارث واعتراهُ الخوف والفزع . ولما ابعد الحارث في ميدانهِ . نزل البدوي عن ظهر حصانهِ . واخذ يجمع الرمح من على وجه الارض . ويشد بعضهُ في بعض . هذا وقد تعجبت فرسان العرب من افعالهِ . وغريب اعمالهِ . واما نازح فقد زال عنهُ الكرب . بعد ما كان قد اشرف على الهلاك والعطب . فاخذتهُ الحميَّة . والغيرة العربيَّة . وتقدَّم اليه . وسلم عليه . وقال لهُ هيَّا ياوجه العرب دع ما انت فيهِ من العنا والتعب . وخذ لك هذا الرمح المُكعَّب . وعد الى خصمك الان . والتقيهِ في ساحة الميدان . وخذ لك هذا الحصان . فانهُ يعينك على الجولان . ولولا ضعف جوادك كنت اهلكت هذا الشيطان . واسقيتهُ كاس الهوان . ونلت من بني عبس كلما تريد . ايها الفارس الصنديد فاخذ منهُ الرمح وركب ظهر الجواد . وقال اركب انت جوادي بحق خالق العباد . ولاتبرح من هذا المكان * حتى اكافيك على هذه الاحسان * لانك تعصبت معي * ورفعت مكاني وموضعي * ومرادي ان اقسم عليك بما يقع لي من السلب والمال والمكسب * وانا اعلم انك في غنا عن الفضة والذهب . لانك امير من امراء العرب . اصحاب الحسب . والنسب * غير ان صيد الحروب . كمثل صيد البر محبوب . تشتهيه الناس وتميل اليهِ القلوب * ثم انهُ صال وجال . ولعب برمحهِ العسَّال . وطلب الحارث والى نحوهِ مال . وقال لهُ والله يا ابن اللئام *

لاسقينك اليوم كاس الحِمام . ولاتركن فرسان العرب الكرام .
تتحدّث بفعالي معك عاماً بعد عام * وما ارجع الى اهلي حتى انال
غاية المرام . ثم انهُ بعد ذلك الكلام . هجم عليهِ هجمة الليث
الضرغام * فالتقاهُ الحارث واخذا في الطعان والصدام . والمفارقة
والالتزام . واختلف بينهما الطعان في ذلك المقام . ولم يزالا على
ذلك الحال . وهما في اشد قتال . الى ان كلّ الحارث وملّ *
وضعف عزمهُ وانحلّ . فطمع فيهِ البدوي حتى اضجرهُ واكربهُ *
وطعنهُ بعقب الرمح في صدرهِ فاقلبهُ . فوقع على قفاه وحلّ بهِ
الاسف . واشرف على التلف . فاشار البدوي الى نازح ان ياخذ
الفرس وكانت فرس الملك زهير عمه . وكان الملك قيس قد
زاد عليها غمه . لانهُ كان كلما راها تحت الحارث يبكي ويذوب .
كما بكي على يوسف يعقوب * ففرح عند ذلك وابتهج * وتيقّن
انهُ حصل على الفرج

قال الراوي ثم ان ذلك البدوي التفت الى ناحية بني عامر
واومى بيده الى تلك العساكر . ونادى عرِّج . يامفرِّج . فما
انتهى من مقالهِ * حتى خرج اليه فارس حاله كحالهِ * ألا ان قامتهُ
دون قامتهِ * وصورتهُ احسن من صورتهِ * فلما وصل اليهِ * وتمثل
بين يديهِ * قال لهُ انزل الى هذا الخبيث ابن الانذال * واوثقه
بالسلاسل والاغلال * حتى اعود الى القتال * واقضي الاشغال
فنزل وشدّ كتافهُ * وقوّى سواعدهُ واطرافهُ * ثم ان ذلك

البدوي برز الى قتال بني عامر * وهو كانهُ الاسد الكاسر

قال الراوي وكان خالد بن جعفر * قد انكر ذلك الامر المنكر * وقال وحق ذمة العرب * وشهر رجب * انهُ يوجد في هذه العشاير * من الابطال والعساكر * من هو مخامر علينا * ويريد وصول الاذية الينا * او ان الحارث يكون قد عاد الى العناد والكياد * وقال معنا حياة الى ان بلغ المراد * لان هذا البدوي ليس هو من رجالهِ * ولا يُعدّ من اشكالهِ * والصواب ان نمنع العساكر عن القتال. حتى ينكشف لنا هذا الحال * ويظهر بياض الحق من سواد المحال * ثم امر عبيده ان ترد الفرسان * عن الضراب والطعان * والتفت على من حولهِ من الشجعان * وقال من منكم يبرز الى هذا الشيطان * الاسود القرنان

قال فعند ذلك برز جندح بن البكا الى معركة القتال * وهو مثل الاسد الريبال * وكان هذا جندح هو الذي اشترك مع خالد بن جعفر . في قتلة الملك زهير كما تقدم الخبر . وهو الذي ضربهُ بالسيف وقتلهُ . . وكان على يديهِ اجلهُ . وكان من فحول الرجال . وكماة الابطال. الذين تُضرب بهم الامثال فلما صار في ساحة الميدان . صاح على ذلك البدوي ويلك ياقرنان . من تكون من العربان . اذكر ما لك من الحسب والنسب . لعل ذلك ان يكون لنجاتك سبب . فقال البدوي

وقد تبسم واخذه من ذلك العجب . اعلم يا ابن اللئيام . ان ذكر الابا والاعمام . لايكون وقت ضرب الحسام . وانما يكون ذلك في الولايم وشرب المدام . وهذا المقام لا ينفع فيه الا ثبات الجنان والصبر على الضرب والطعان . ثم انهما بعد ذلك الكلام . حملا على بعضهما كسباع الاجام . وقد هان عليهما شرب كاس الحمام في بلوغ المرام . فتطاعنا وتضاربا . وتباعدا وتقاربا . وصاحا وزعقا . وانبسطا وانطبقا . والتصقا وافترقا . واخذا في السوق والطرد . والصد والرد . حتى سبحت الخيل من تحتهما بالعرق . وتمنى الفارس منهما انه لم كان يخلق . وكان قد وقع في مناكب جندح التعب . فخاف من العطب . وايقن بالهلاك والعدم . وندم على مبارزته غاية الندم . واراد ان يطلب لنفسه الهزيمة ويلحق بخالد بن جعفر . فلم يمهله البدوي بل اطبق عليه مثل لمح البصر . واقتلعه بيده من ظهر الحصان . فالقاه على بساط الصحصحان . واراد ان يسوقه الى عند نازح والحارث بن ظالم فتمنع وعصي عليه . فضربه بالسيف على كتفيه . فسالت منه الدما . وساقه لبين يديه رغما * وقد غابت عنه الارض والسما . ولما اقترب من نازح اومى بيده الى بني عامر . ودار وجهه الى تلك العشاير . ونادى وهو متباعد * وقال هيا يامساعد يامساعد . فخرج اليه فارس اخر . كانه النار ذات الشرر . ولما صار بين يديه . سلمه جندحا وقال له احتفظ عليه حتى يذهب النهار . وننتهي من قتال هولا الاشرار .

قال مجد بن هشام . وكان قد كثر بين القبايل الكلام . في وصف هذا الفارس الهمام . والاسد الضرغام . وقال قيس بن زهير يا بني الاعمام . هل هذا الذي نراه في يقظة او في منام . فقد تسببت لسعادتنا الاسباب . من رب الارباب . بما لم يكن لنا في حساب . وما اريد الآن من يستميل قلب هذا البدوي الصنديد . ويضمن له عني كل ما يريد . من اموال ونوق وعبيد . لانه فعل من الافعال ما لا يقدر عليها احد من البشر . حتى ولا ابو الفوارس عنتر . فما يحق لاحد ان يفتخر بما يصنع . ما دامت النسا تحمل وتضع . لاني كنت ابصرت من قتال عنتر العجب . وتصوّر في فكري انه ليس يوجد له مثيل في فرسان العرب . حتى رايت فعل هذا البدوي الذي يحيّر الافكار . ويذهل الابصار . فقال شداد ايها الملك الجليل . والسيد النبيل . الى كم تحط قدر ولدي اذا حضر او غاب . وترفع منزلة غيره من دون اسباب . فقد ثبت عندي ان هذا ولدي عنتر * فارس البدو والحضر . وقد عرفته بالفارس الاخر . فقال عروة لقد صدقت * وصوابًا نطقت مولانا قد عرفته من الفارس الاخير الذي خرج اليه * وقدم عليه . فعلمت انه الامير شيبوب . الليث الوثوب . فحققته بركبته . لما رايت الجواد ينهب من تحته

قال الاصمعي وكان الحساب الذي حسبه الامير شداد صحيح لان عنتر لما تخلف في الخيام * وجرى له مع النسا ما جرى كما سبق

الكلام . قال لاخيهِ شيبوب لابد لي ان اتبع قومي الى تلك الاطلال والمعالم * وابصر ما يكون من امر الحارث بن ظالم * واخرج اليهِ واخذه اسيراً * واقوده ذليلا حقيرا * فقال له شيبوب في اي ذي تريد ان تسير * قال في ذي العبيد انا وانت واخي جرير * ثم انهم ركبوا تلك الخيول التي ذكرناها * ولبسوا تلك الثياب التي وصفناها * وساروا على الاثر * تابعين العسكر * الحان وصلوا في ذلك اليوم * الى ديار القوم * واختلطوا ببني عامر . وتلك الاحزاب والعشاير . وعنتر يظن ان الحارث في بني عبس وعدنان فراه في ساحة الميدان . وهو يبارز الشجعان . فلما راى فعالهُ . وسمع مقالهُ . برز اليه في الحال . وجرى لهُ ما جرى في القتال . ولما اسر عنتر جندح بن البكا كما تقدم الكلام . اسفر عن وجهه اللثام . فعرفهُ نازح وابدى الابتسام . وازدادت مسراتهُ طرباً . بعد ما كانت هموما وكربا . وصاح اهلا بك يا حامية عبس ومرحباً . ثم دنا منهُ وحياه * وفرح بلقياه * وقال والله يا ابا الفوارس * وزين المجالس * لو علمنا بتخلفك في الاوطان * لما تبعنا الملك قيس الى هذا المكان * فقال عنتر اني لا اعتب عليه * انما لومي على الذي قدم هذا الراي اليه * ثم عاد عنتر من بين الصفين * وبين يديه الاسيرين * وهو ينشد ويقول

اذا فاض دمعي واستهلَّ على خدّي

وبدَّل ودّي حادث الدهر بالصدِّ

Digitized by Google

أذكرُ قومي ظلمهم لي وبغيهم ... وقلة انصافي على القرب والبعدِ
بنيت لهم بالسيف مجدًا مشيَّدًا ... فلما تناهى مجدهم هدموا مجدي
يعيبون لوني بالسواد وانما ... فعالهم بالخبث أسود من جلدي
فواذلَّ جيراني اذا غبت عنهمُ ... وطال المدى ماذا يلاقون من بعدي
أيحسب قيسٌ والربيع بانني ... اخاف الاعادي او اذلّ من الطردِ
وكيف يحل الذل قلبي وصارمي ... اذا اهتزّ قلب الضد يخفق كالرعدِ
متى سلّ في كفي بيوم كريهةٍ ... فلا فرق ما بين المشايخ والمردِ
وما الفخر الاَّ ان تكون عمامتي ... مكوّرة الاطراف بالصارم الهندي
نديميَّ امَّا غبتما بعد سكرةٍ ... فلا تذكرا اطلال سلمى ولا هندِ
ولا تذكرا لي غير خيلٍ مغيرةٍ ... ونقع غبار حالك اللون مسودِّ
فان غبار الصافنات اذ علا ... نشقت له ريحًا الذَّ من الشهدِ
وريحانتي رمحي وكاسات مجلسي ... جماجم ساداتٍ حراصٍ على المجدِ
ولي من حسامي كل يومٍ على الثرى ... نقوش دمٍ تغني الندامى عن الوردِ
وليس يعيب السيف اخلاق غمدهِ ... اذا كان في يوم الوغى قاطع الحدِّ
فللهِ درِّي كم غبارٍ قطعتهُ ... على ضامر الجنبين معتدل القدِّ
وطاعنت عنهُ الخيل حتى تبدَّدت ... هزامًا كاسراب القطاء الى الوردِ
فزارة قد هيَّجتمُ ليث غابةٍ ... ولم تفرقوا بين الضلالة والرشدِ
فقولوا لقيسٍ ان تعانى عداوتي ... يبات على نارٍ من الحزن والوجدِ

قال فطرب لها الامير نازح * ومن حضر من الابطال الجحاجح * وكان نازح قد صاح في بني عمهِ * ومن اجتمع هناك

من قومهِ * ابشروا با لنصر على الاعداء والحساد . فقد اتاكم حيَّة بطن الواد وقادح النار من غير زناد . الامير عنتر بن شدَّاد . البطل الاسود * والفارس الاوحد * الذي نارهُ في الحرب لا تخمد * ففرح الملك قيس غاية الفرح ۞ واتَّسع صدره وانشرح ۞ وخرج لاستقبالهِ . في جماعة من ابطالهِ . وقد استبشر برؤية جبين هلالهِ * فتقدم وسلم عليهِ * وقبَّلهُ بين عينيهِ * واعتذر اليهِ * فقبل عذرهُ وقبَّل ايادبهِ * وسلَّمهُ قاتل ابيهِ * فاخذ قيس سيف جندح وسلَّهُ من غمدهِ * وهزَّهُ في يدهِ * حتى لاح بريق الموت من افرندهِ * وضربهُ بهِ اطاح راسهُ عن جسدهِ

قال ابو عُبيدَة) وكان الليل قد هجم * واخفى وطيَّ الحاضر والقدم * فافترقت تلك الخلائق عن بعضها البعض * ونزلت كل طائفةٍ منهم في ناحيةٍ من الارض * ونزل خالد بن جعفر . وهو في غاية الخوف والحذر . وقد اندهل وتحيَّر . وتبدَّل صافي عيشهُ بالكدر . واما بنو عبس فقد عاشت منها الارواح . وزالت عنها الهموم والاتراح . واستبشرت بالنصر والنجاح . واستشار قيس الابطال . ومن يعتمد عليهم من الرجال . في امر الحارث ابن الانذال . فكان اوَّل من تكلَّم في امرهِ واراد خلاصهُ من الاصفاد . الربيع بن زياد . وقال ان الرجل ابن عمنا . ودمهُ مختلط بدمنا . فان نحن قتلناه طالبتنا بثاره بني مرة . وانفتح علينا من هذا القبيل باب لا نقدر على سدهِ في هذه الكرَّة . وانما الراي ان نطلقهُ ونتخذ

لنا من بعض الرفاق . ويكون لنا ذخيرة عند ضيق الخناق . فقال اسيد احضروا الرجل الى هذا المكان حتى نسمع كلامهُ امام هولآء الفرسان . فان وجدنا فيه موضع للصنيعة اصطنعناه وان رايناه لم يزل مقيم على اللجاج قتلناه . قال قيس هذا هو الصواب . والامر الذي لايعاب . ثم امر باحضاره فاحضروه وهو مشدود الاطراف . موثوق بالاكتاف . فلما رآهُ عنتر . قام اليهِ والسيف في يده مشهر . وقال لهُ ويلك ياقرنان . ما الذي حملك على قتال بني عبس وعدنان . فقال اعلم يا ابا الفوارس . وزين المجالس . وحق ذمة العرب . وشهر رجب . ما حملني على ذلك الاّ انت يا ابن الكرام . لان الصدق من احسن الكلام . والكذب لايصلح الاّ للاوغاد اللئام . والسبب في ذلك يافارس عبس وعدنان . ومن هو اوحد فرسان هذا العصر والاوان . ان لي مدة من الزمان . وانا جاعل عليك العيون والارصاد . حتي اقتلك وابلغ غاية المراد . الى ان بلغني بسير قومك الى بني عامر لاخذ الثار . وكشف العار . فاغتنمت الفرصة واتيت الى هذه الديار أملاً بقتالك . وطمعاً في حربك ونزالك . وقلت اني اخذ بثاري وثارابي . فقهرتني وظفرت بي . قال عنتر هل ما سمعت بفعالي . وشدة بطشي وقتالي . فقال الحارث نعم لقد سمعت بوصف شمائلك . وشدة باسك وحسن خصايلك . ولكن جهلي كان يزيّن لي وجه الطمع . حتي وقعت في قبضة يدك ايها

الفارس الصميدع. لاني من حين ركبت الخيل ما أُسرت * ولا كنت في جيشٍ وكسرت * وقد بارزت الحارث بن عبّاد فارس النعامة * وقلعت عين جبّار بن صخر في ارض اليمامة * وما هممت بامرٍ من الامور * الاّ ورجعت وانا محمود منصور. وكنت اقول في نفسي بان ليس احد يلقاني. اذا علوت ظهر حصاني. والان فقد ظهر ما كان في الخفا. وابصرت بعيني من قتالك ما قد كفي * فعلمت ان الخاطر الذي خطر لي في لقاك زورٌ ومحال * وعين الحماقة والضلال. وانك اوحد الفرسان في الشجاعة * وليس لك شبيه في الفصاحة والبراعة * وما بقي في الامر ايها السيد المهاب * الاّ انك تطلقني وتتخذني لك من جملة الاصحاب * وان اكون من بعض الاحباب. وان عدت الى قتالك ثاني مرة * تكون امي زانية غير حرة . فقال عنتر والله ياحارث لو علمت ان فيك موضع للصنيعة كنت اصطنعتك * وجددت عهدي معك ولكني سمعت بانك عديم الذمام * كثير الانتقام بحد الحسام. لا تراعي حرمة الطعام * ولا تحترم البيت الحرام * ولا تقيم على عهد ولا كلام * قال الحارث لقد صدقت * وصوابا نطقت * غير ان ذلك كان . قبل برازك لي في الميدان * واسرك لي وانت عريان. والان فقد هانت نفسي عندي. ولو كنت قُتِلتُ كان ذلك غاية قصدي * لانهُ لم يبقى لي جنان القى بهِ الفارس والراجل * وان انت اصطنعتني وغدرت بك لُعِنْتُ في ساير القبائل . فعند ذلك التفت عنتر على الملك

قيس وقال له اطلقهُ ودعه يرجع الى حلتهِ. لاننا في غنى عنهُ وعن نصرتهِ. فقال الحارث امهل عليَّ يا ابا الفوارس حتى اكبس بني عامر. وابيّض وجهي عند سادات العشائر. وبعد ذلك ارجع الى اهلي وانا حامد شاكر. وابثُّ مكارمك عند كل مقيم وسائر. لان لي خمسماية فارس من بني مُرَّة. وما فيهم الاَّ من قد جرّبتهُ في الحرب الف مرَّة. ومتى راوني عند الصباح. قد برزت الى معركة الكفاح. يعلمون بان حالي قد انتهى معكم الى الصلاح فيحملون معي الى الحرب والقتال. ونبذل السيوف في هولاء الانذال ونكون انت قد حملت في باقي العساكر. فما يسلم من بني عامر. الاَّ كل مهذولٍ ضامر. وانا اقصد الى ناحية خالد بن جعفر من دون البشر. لاني اعرف مكانهُ بين هذه الخلائق والامم. وان انا قتلتهُ بيضت وجهي عندكم وابعدت عني الظنون والتُهَم. قال الربيع لقد تكلمت بالصواب. واشرت بالراي الذي لا يعاب فقال عنتر يا ابن ظالم هل لا نبلغ من بني عامر الامال. الاَّ بالتدبير الكاذب والاحتيال. فلعن الله من لا يفنيهم بالحسام في مدة خمسة ايام. ولا يدع منهم لا شيخٌ ولا غلام. فالتفت قيس على عنتر وقال له يا ابن العم ليس بهذا العمل من باس. ولا ذمة احدًا من الناس. لان القوم على ازدياد ونحن في نقصان. والصواب انجاز هذا الامر والشان. واخذ النار على اي وجهٍ كان قال الراوي ثم انهم اطلقوا الحارث من الاعتقال. وانفصل الامر

على ذلك الحال. واخذ الربيع الحارث الى فريق بني زياد . وقد فرح بخلاصهِ كيداً بعنتر بن شدّاد. ولما اختلا بهِ . ساله عمّا في قلبهِ. فكان الحارث يعرف بان الربيع من اعدآء عنتر. ويتمنّى لهُ الهلاك والضرر. فقال والله يا ربيع لابد لي من ان اتسبب في قتل ذلك العبد بكل سبب . واجعلهُ مثلاً يُضرَب في قبائل العرب لاني قد اتيت حتى اكشف عاري واُعجِل اتلافهُ . فزاد عاري اضعافهُ. ولو عرفتهُ وقتما طَلَبني . ما كان قَهرَني ولا غَلَبني. ولكني احتقرتهُ غاية الاحتقار. حتى نفذت فيّ مشيئة الله الملك القهّار. قال الربيع انك لصادق في كلامك. وسوف ترى مني ما يسرك في بلوغ مرامك. لاني اكون من اكبر المساعدين لك عليه. ولكن ذلك يكون في غير هذا الوقت لاننا محتاجين اليك واليه. لان اذا اشتغل كل واحد منكما بصاحبهِ. وقعت بيننا الخسارة. ويصير اكبر اعداك حذيفة بن بدر سيد بني فزارة. والصواب ان تفي الان بكلامك. حتى تطمئن لك قلوب اخصامك. وبعد ذلك فالزمان طويل . وانا اعاونك على قتلهِ بكل وجه وسبيل

قال الراوي ولما اصبح الصباح * واضاً بنورهِ ولاح* نهضت الفرسان من كل جانب * واعتقلت بالرماح الكواعب * وركبت ظهور الجنايب * وبادرت الى القتال مثل السلاهب. واذا بصياح متكاثر* قد ارتفع في وسط جموع بني عامر. وماجت منهم الفرسان والعساكر. وضجت القبايل والعشاير

قال نجد بن هشام وسعيد بن مالك * وكان السبب في ذلك . هو ان خالد بن جعفر كان قد ارسل جاسوساً الى بني عبس في آخر النهار . حتى يكشف لهُ الاخبار . ويعلمهُ بخبر جندح والحارث . وما جرى لهما هناك من الحوادث . فرجع اليهِ الجاسوس وقت السحر * واعلمهُ بحقيقة الخبر . وان الفارس الذي اسرهما هو الامير عنتر . وان جندحاً قد قُتِل واندثر . واما الحارث فقد اصطلح مع بني عبس وعدنان * وصار لهم من جملة المحبين والاعوان * واوعدهم باسر ابطالنا * وقتل عساكرنا ورجالنا * فقال خالد لعنهُ الله * ولا حفظهُ ولا ابقاه * لانهُ مجبول بالمكر والفظاظة . والخبث والغلاظة . ثم امر رجالهُ ان تركب وتدور ببني مرة . وتضع فيهم السيف بفرد كرّة . ففعلوا ما امرهم بهِ * وسمع الحارث صباح اصحابهِ . فقال يا للعرب هلكت والله سادات بني مرّة ولم ننجح في هذه السفرة * ثم انهُ حمل بهمّةٍ متعاقدة * وتهمةٍ متعاضدة * وحمل معهُ الربيع بن زياد بباقي اخوتهِ * ومن يعتمد عليهم من فرسان عشيرتهِ . وتبعتهم الابطال * وفرسان المعارك والقتال * وكانت بنو عبس وعدنان * قد حملت من كل جانب ومكان . وفي اوايلهم عنتر بن شداد . وابطال بني قراد . وكان ضياء الصبح قد ارتفع . وشعاع الشمس قد سطع فانفرشت الفرسان في ذلك البر . واخذوا في الكر والفر . هذا وقد هجمت الجموع على الجموع . ولمعت الجواشن والدروع . واصطدمت المئات والالوف

وَقَطَعَت السيوف . السواعد والكفوف . وارتفع الغبار من كثرة الركض حتى غطَّى السماء والارض . وتمددت الابطال في الطول والعرض . وازدحمت الخيول الاعوجيَّة . وتثلمت الصوارم الهندية . وتقصَّفت الرماح السمهريَّة . ونفذت في مقاتل الرجال سهام المنيَّة . وفعل عنتر في ذلك اليوم ما تعجز عنهُ فرسان الجاهليَّة . وابطال الفرس الكسرويَّة . فكان يطعن طعنات تسبق الانفاس . وتخرق الزرد واللباس . ويضرب ضربات تقطع الدروع والاتراس . وينادي يا لثارات الملك زهير وولده الامير شاس . وكانت بنو عبس تنادي مثل نداه . وتوصل الطعن من الاقدام الى الافواه . وما زال الدم يبذل . والرجال تقتل . ونار الحرب تشعل . وجموع بني عامر تتفرق وتتقلل . الى ان اقبل الليل وانسدل . وولى النهار وارتحل . ولما ابصر خالد بن جعفر . بان جيشه قد تمزق ونفر . جمع سادات العشاير . ومن يعتمد عليهم من فرسان بني عامر . ورحل بهم طالب الاهل والديار . وفي قلبهِ لهيب النار . ورجعت بنو عبس وهم في غاية الفرح والاستبشار بعد ما قتلوا منهم مقتلة عظيمة . واصابوا منهم غنيمة جسيمة وقد استبشروا بالنصر والظفر . وما فيهم الا من يثني على ابي الفوارس عنتر . وكان عنتر يريد ان يتبعهم في ذلك البر الاقفر . ويقلع منهم الاثر . فمنعهُ الملك قيس عن ذلك الشان وقال لهُ يا حامية عبس وعدنان . ارفق بالناس لانهم قاتلوا

في هذا اليوم وصبروا . واجتهدوا في المدافعة وما قصّروا . وقد امسوا في غاية العنا والتعب . والهم والنصب . وان انت اختلطت بهذه القبايل تحت ظلام الغيهب . شاركت قومك بهم في القتل والمكسب * لانهم من غرباء العرب * وما فيهم من يعرف خصمه الاَّ بالعلامة والنسب * ونحن ليس قصدنا الاَّ خالد بن جعفر الذي قد طغي وتجبر * ولا بد ما نقصده الى دياره * ونطي بجوافر خيلنا جوانب اقطاره * فامتثل عنتر الي ذلك الخطاب * لانه رآه غاية الصواب * ثم نزلوا في المضارب والخيام * واكلوا ما راج من الطعام * وباتوا تلك الليلة في سرورٍ وانشراح . الى ان اصبح الصباح * واضاء بنوره ولاح فعند ذلك اصرف قيس تلك الجموع * بعدما فرّق عليهم السلاح والدروع . وقال لهم سيروا بامان . الى الاهل والاوطان . ثم انه اصلح بين الحارث وحذيفة ورد الجميع مكرّمين * ومعهم الضعفاء والمجرّحين . وسار قيس في اربعة الاف فارس من بني عبس وعدنان . وجماعة من بني غطفان . وهو قاصد بهم ديار بني عامر . وتلك الاحزاب والعشاير وعنتر في اوايل القوم كانه الاسد . وقد فرح بقلّه العدد * وانطفى لهيب ناره وبرد . ولما تمادى به السير . تذكّر ايامه مع الملك زهير فبكي من فوادٍ متبول * وانشد يقول

اذ نحن حالفنا شفوار البواتر ... وسمر القنا فوق الجياد الضوامر
على حرب قومٍ كان فينا كفاية ... ولو انهم مثل البحار الزواخر

الكتاب التاسع والعشرون
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

وما الفخر في جمع الجيوش وانما فخار الفتى تفريق جمع العساكرِ
سلي يا ابنة الاعمام عني وقد اتت * قبايل كلب مع غني وعامر
تموج كموج البحر تحت غمامةٍ * قد انتسجت من وقع ضرب الحوافر
فولوا سراعا والقنا في ظهورهم تشكّ الكلى بين الحشى والخواصر
وبالسيف قد خلفت في القفر منهم * عظاما ولحما للنسور الكواسر
وماراع قومي غير قول بن ظالم * وكان خبيثا قوله قول ماكر
بغى وادّعى ان ليس في الارض مثلهُ * فلما التقينا بان فخر المفاخر
احبُّ بني عبس ولو هدروا دمي * محبة عبد صادق القول صابر
وادنو اذا ما ابعدوني والتقي * رماح العدى عنهم وحر الهواجر
تولى زهيرٌ والمقانب حولهُ * قتيلا واطراف الرماح الشواجر
وكان اجل الناس قدرًا وقد غدا * اجل قتيل زار اهل المقابر
فوا اسفا كيف اشتفي قلب خالد * بتاج بني عبس كرام العشاير
وكيف انام الليل من دون ثاره * وقد كان ذخري في الخطوب الكباير

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . طربت لها السادات . وما منهم الا من اثنى عليهِ وحياه . وشكره على صدق

Digitized by Google

وفاه . و بعد ذلك جدول في قطع البيدا . طالبين ديار الاعدا وفي قلب عنتر من خالد النار التي لا تطفى . واللهيب الذي لا يخفى

قال هذا ما كان من بني عبس وعنتر . واما ما كان من خالد بن جعفر . فانهُ عند وصوله الى الديار . نفرق ما كان معهُ من الجنود والانصار . في السهول والاوعار . ولم يبقى معهُ من شجعان العسكر . سوى عشرة الاف نفر . فقالوا لهُ الصواب يا خالد ان نحترز على من يعز علينا . قبل ان تصل بنو عبس الينا . حتى اذا اشتد علينا الضيق . دخلنا الى روس الشعاب ومسكنا راس المضيق . وطاولناهم با لحصار . ولو انهم بعدد رمل القفار . لانهُ قد زال عنا الكدر . وما فينا الا من يقاتل حتى يعدم السمع والبصر فقال لهم افعلوا ما بدى لكم . وفق الله اعمالكم . فعند ذلك فعلوا ما كانوا عليه معولين . وحصنوا النسا والبنين . ولما كان الصباح عند طلوع الشمس . اشرفت عليهم فرسان بني عبس وامتلات بهم الروابي والتلال . وسدوا منافس الهوا باسنة الرماح الطوال . فنفرت الرجال . وركبت الابطال . وركب خالد بن جعفر في مقدمة الفرسان . وتبادرت اليه الشجعان . من كل جانب ومكان . وراى خالد قلة عددهم ففرح واستبشر . وايقن بالنجاح والظفر . وبلوغ القصد والوطر . ثم انهُ صاح وحمل . بقلب اقوى من الجبل . وطلب رايات الملك قيس دون كل

Digitized by Google

بطل. وتبعته صناديد الرجال • وفرسان المعارك والقتال . بقلوب كالجبال • وارتفع الصياح من كل جانب • ولمعت الاسنة والقواضب كلمع البرق في ظلام الغياهب . وارتجت الوديان والسهول • من ضجيج الفرسان وصهيل الخيول والتقت الرجال بالرجال وعملت الرماح والنصال . وجرى الدم وسال • وتقطعت المفاصل والاوصال . وما زالوا في اشد قتال حتى ولى النهار • واقبل الليل بالاعتكار. فعند ذلك افترقت عن بعضها العساكر وقد بحت بنو عبس على بني عامر. لان عنتر كان اشار على الملك قيس برد بني فزارة وذبيان . ومن اجتمع معهم من قبايل العربان وبشره بالنصر والامان. ففعل في ذلك اليوم ما تعجز عنه مردة الجان • ورجع من ساحة الميدان . كانه شقيقة ارجوان • مما سال عليه من ادمية الفرسان • وهو ينشد ويقول

قفا يا خليليّ الغداة وسلما وعوجا فان لم تفعلا اليوم تندما
على طلل لو انهُ كان قبلهُ تكلم رسمٌ دارسٌ لتكلما
ابا عزنا لاعز في الناس مثلهُ على عهد ذي القرنين لن يتهدما
اذا خطرت عبس ورآئي بالقنا علوت بها بيتًا من المجد معلما
تراهم يعدون العناجيج والقنا طوال الهوادي فوق وردٍ وادهما
اذا ما ابتدرنا النهب من بعد غارة
اثرنا غبارًا بالسنابك اقتما
الا رُبَّ يوم قد انخنا بدارهم اقيم بهم سيفي ورمحي المقوما

وما هزّ قومٌ راية للقائنا من الناس الا دارهم مليت دما
وانا ابدنا جمعهم برماحنا وانا ضربنا كبشهم فتحطما
بكل رقيق الشفرتين مهند حسام اذا لاقى الضريبة صمما
يفلق هام الدارعين ذبابهُ ويفري من الابطال كفا ومعصما

قال الراوي فلما سمع الملك قيس كلامه . هناهُ بالسلامه . وقال لهُ لله درك فما افصح كلامك . وامضى حسامك . فشكرهُ عنتر على ذلك التفخيم . وزاد له في التوقير والتعظيم . واما بنو عامر فانها رجعت الى خيامها . وقد ايقنت بشرب كاس حمامها واجتمعت ساداتهم بخالد بن جعفر . وشكوا له ما لاقوا من سيف الامير عنتر . فقال لهم والله يا بني عمي ما عذركم الاّ واضح . في هذا الاسود الكالح . لانهُ هو الذي فتك بالابطال . وانزل بهم الوبال . وان لم اتولى انا هذا الامر بنفسي . واقاتل عن ابناء جنسي . والاّ هلكت عشائرنا . وتفرقت عساكرنا

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . وثب كلا العسكرين الى البراز والكفاح . واذا بفارس قد برز من طائفة بني عامر . كانهُ الاسد الكاسر . وهو حديث السن اجرد امرد . بعذارٍ منضّد . وخدٍّ مورّد . متقلد بحسامٍ مهند . معتقل برمح مسدّد . راكب على جوادٍ اسود . طويل الغزال . يسبق الغزال . فلما توسّط المجال . صال وجال . بين الابطال . ولعب برمحهِ العسّال . حتى حيّر عقول الرجال . ثم دنى من

طايفة بني عبس وعدنان. وقال معاشر الشجعان. وحق البيت الحرام. وزمزم والمقام. اني ما خرجت في هذا اليوم من الخيام. الى قتال. او نزال. بل الى صيد الوحش في البراري والتلال. وذلك من محبة امي اليّ. وشفقتها عليّ. فخالفتها في المقال. واتيت اطلب مقام اعمامي في مواقف الاهوال. فاما ان يكون ذلك لهلاكي ووبالي. او لبلوغ امالي. فلا تبرز لي الا فرسانكم المعروفة. وابطالكم الموصوفة. حتى اقضي شهوتي. وأُجرّب فروسيتي. ولا يبرز لي الا من يكون صاحب حسب ونسب. من اعيان سادات العرب. لاني من قوم كرام. غير ليئام. قد اشتهروا بالشجاعة والكرم. والفصاحة وعلوّ الهم وان سالتم عني فانا عامر بن الطفيل. فارس الخيل. وملاعب الاسنّة هو ابن خالتي. ولو لم يكن مجروحا لما كان طاوعني على ارادتي. ثم انهُ بعد ذلك المقال. طلب الحرب والقتال. وانشد وقال

لا تلجّي يا امّ في اشفاقي   واصبري يوم مصرعي للفراقِ
واتركيني اجدّ في طلب المجد   بحدود المرهفات الرقاق
وانادي في ربع سوق المعالي   بعوالي سمر الرماح الدقاق
اين من يطلب الفخار ويدري   ان هذا المقام مرّ المذاق
فلعلي اطفي بحدّ حسامي   نار حربٍ شديدة الاحتراق
وارد العدا واعتق قومي   من اسود على خيول عتاق
واخلي امي تضج ضجيجا   من بكاها ودمعها مهراق

قال وما فرغ من كلامهِ . وشعره ونظامهِ . حتى برز اليهِ من بني عبس فارس شديد الباس . يقال له سابق بن اياس . وصدمهُ صدمة قوية . فالتقاه عامر بقوة وحمية . وصاح فيهِ وضايقه . وسدَّ عليهِ طرقهُ وطرايقه . وطعنهُ بالرمح في صدره خرج يلمع من غفارة ظهره . فوقع على الارض صريعا . يعج علقما ونجيعا . ثم طلب البراز . وقصد سرعة الانجاز . وهو يقول هيّا يا ابطال الحجاز . فبرز اليهِ فارس ثاني . ودانا غاية التداني فالتقاه الامير عامر . وانقض عليهِ كالعقاب الكاسر . وضربهُ على عاتقهِ . فاطلع السيف يلمع من علايقهِ . ثم اهتز طربا . وازداد بنفسهِ تعجبا . وانطلق لسانهُ بالكلام . وقد زاد بهِ الغرام . فالتفت على بنى عبس وعدنان . وقال لهم انتم والله فرسان الزمان . وابطال الضراب والطعان . فابرزوا لي ابطالكم المشهورة وفرسانكم المذكورة . ودعوني من براز الانذال . الذين ليس لهم خبرة بالقتال . ولا تحتقروني لحداثة سني . بل اختبروني ببعض صناديدكم وتحدثوا عني . فلما سمعت ابطال بني عبس منهُ ذلك الكلام . الذي هو انكى من ضرب الحسام . ارتعدت منهم الابدان . وتغيرت منهم الالوان . فتبادروا اليه من كل جانب . وطلبوه مثل السلاهب * وهزوا في ايديهم القنا والقواضب وكان اسبقهم اليهِ فارس معتدل القوام * كثير الابتسام * كانهُ بدر التمام * قد فاق على اقرانهِ بالفصاحة ورقة المعاني . يقال

له قرواش بن هاني * فانقضّ عليهِ اسرع من الطير * وكان ذلك الفارس ابن عم الملك قيس بن زهير * وهو اعظم من بني عمهِ قدرًا * وافخمهم ذكرًا * قد اجتمع فيهِ من خصال الكمال * ما لم يجتمع في غيره من الرجال * وكان لما برز الى الميدان * وتحققتهُ الاقران . وهو طالب عامر بن الطفيل . فوقفت فرسان بني عبس على ظهور الخيل . ولما التقى بعامر . حمل عليهِ كالاسد الكاسر . فالتقاه عامر وداناه . وطلب كل واحدٍ منهما الى خصمهِ ولاقاه . واشتد بينهما القتال . ولعبا بالرماح الطوال . حتى تحيَّرت فيهما عقول الرجال . قال وكان عنتر قد استقبح خروج قرواش الى عامر في مقام القراع . لما راهُ قريب العهد من الرضاع . ولم يعلم انهُ من الابطال . الذين تضرب بهم الامثال . قال وما زال الفارسين في اشد كفاح . حتى تقصفت في ايديهما عوامل الرماح . ولم تكن الا ساعة من النهار حتى انكشف القتام وبان لاعين النظار . واذا بعامر يقود قرواش اسير . ويرده رد البعير . فعند ذلك قصرت عنهُ الفرسان . وهابتهُ جميع الاقران . واراد عنتر ان يخرج اليهِ . فسبقهُ نازح بن اسيد وهجم عليهِ . فتقاتلا اشد قتال . وثبتا اشدّ ثبات الابطال . وقد هانت عليهما الاجال . في بلوغ الامال . وما زالا على ذلك الحال . الى ان ولى النهار واقبل الليل بالانسدال . فرجع كل واحدٍ منهما الى جماعتهِ . وهو يصف لهم ما لاقي

من قوته وشجاعته

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضاء بنوره ولاح . تواثبت الفرسان على ظهور الخيول . واعتقلوا بالنصول . وخرج عامر بن الطفيل . وهو راكب على جوادٍ اسود كانه الليل وكانت امه قد منعته عن الخروج فلم يقبل . وعذلته فما انعذل . فصال وجال . ولعب برمحه العسال . حتى حير بفعله عقول الرجال . وتذكر كلام امه له وخوفها عليه من الوبال . فانشد وقال

اسرفت ام عامر في التنادي ... من بكوري على متون الجياد
منعتني حرصا عليَّ وخوفا ... ان الاقي حتفي بحد الحداد
لا تلجي يا أمّ فالموت حتما ... وهو في القرب مثل حال البعاد
واتركيني اخوض بحر المنايا ... بالخيول المضمرات الجياد
فاذا مت فاذكري ما لقيني ... من فعالي بالنوح والتعداد
يا بني عبس ما لكم من حسامي ... وسناني ولا من الموت فاد
فارجعوا او تقدموا تجدوني ... فارسا لا يمل من الطراد
سوف افني جمعكم بحسامي ... واترك الارض من دماكم غوادي

قال واراد عروة ان يتقدم اليه . ويحمل عليه . فمنعه الامير عنتر . وقال له ارجع وتاخر . لانك لست من رجاله . ولا ممن تقدر ان تلتقيه في مجاله . لانه شيطان في صورة انسان . فدعني اقتله من دون العباد . وانال بقتله غاية المراد . لانه

Digitized by Google

قد اغاظني باعجابهِ . وفرحه بشبابهِ . وقد بت البارحة اتوقـــد بنيراني . لاجل اسره الى قرواش بن هاني . ثم تقدم اليه . وصاح فيهِ وحمل عليهِ . فراه من اهل البراعة . وهو في طبقة عاليـــة من الشجاعة . فقاتله حتى اتعبه . وطعنه بعقب الرمح اقلبه . وقال لاخيه شيبوب اوثقه بالكتاف . وشد منه السواعد والاطراف . فبينما هو قد عول على ذلك الامر والشان . اذا بكبشة ام عامر قد خرجت الى بين الشجعان . ومعها جماعة من العبيد والغلمان . وهم يسوقون قرواش بن هاني الى عنترة الفرسان . فلما صارت بين يديه . سلمت عليه . ونادت هيا يا وجه العرب . وكريم الحسب والنسب . انا اسالك بحرمة شهر رجب . ان لا توثق ابني وتشد منه الاطراف . ولا تذيقهُ الم الكتاف . فخذ هذا صاحبكم واطلق ولدي . ومهجة كبدي . فلما سمع عنتر كلامها . وراى شدة وجدها وغرامها . اطلقهُ لها وازال عن قلبها الهم والضير . ورجع بقرواش الى عند الملك قيس بن زهير . فهناه بالسلامه وشكره على حسن اهتمامه . واراد ان يامر بني عبس ان تحمل على ذلك الجحفل . واذا بخالد بن جعفرٍ قد اقبل وهو راكب على فرسهِ برقا . التي لا تتعب ولا تشقى . ولما صار بين الصفين . واشتهر بين الفريقين . نادى ويلكم يا بني زهير الى متى هذه الفعال . وهلاك الرجال والابطال . فانا هو الذي قتلت اباكم . ولست براجعٍ عنكم

Digitized by Google

حتى ابيد اقصاكم وادناكم . فابرزوا لي فرسانكم المشاهير . وابطالكم المغاوير . ولا يخرج لي فى الاول الا قيسا دون كل احد . لانه سيد عشيرتهُ وعليهِ المعتمد . واما انا فقد عرفتم مكاني في بني عامر . باني سيد القبايل والعشاير . فكل من قتل منا صاحبه نال ما هو طالبه . ويزول عنهُ العنا . ويبلغ غاية القصد والمنى فلما سمع الملك قيس منهُ ذلك المقال . خرج عن دايرة الاعتدال . واشتد بهِ الغيظ والغضب . وعول على الخروج اليهِ حياء من فرسان العرب . فقال عنتر لا تخرج الى هذا القرنان ولا تتعب . بل انا اخرج اليهِ واسقيهِ كاس العطب . قال قيس لا وذمة العرب . والرب الذي اذا طلب غلب . لاخرج اليهِ احدٌ غيري ابدا . ولو شربت كاس الردى . ثم انهُ استلب رمحهُ وحمل . وطلب خالد مثل القضا المنزل . وفعل خالد مثل ما فعل . ومن عظم ما جرى بينهما من الاحقاد والحنق . لم ينشد احد منهما شعر ولا نطق . بل حمل كل واحد منهما على صاحبهِ وانطبق . وصاح فيهِ وزعق * وجالا على ظهور الخيل السبق . حتى ارتفع عليهما الغبار وتسردق * وتقاتلا اشد قتال . وتطاعنا بالرماح الطوال . ومن عظم ما جرى بينهما من المكافحة والمجالدة . صاح كل واحدٍ منهما على اصحابهِ وطلب منهم المعاونة والمساعدة . فعند ذلك حملت المواكب . وصاحت الرجال من كل جانب . وهزّت في ايديها

Digitized by Google

القنا والقواضب . وبرزت الى ساحة الميدان . بقلوب اقوى من الصوان . واختلط بنو عامر ببني عبس وعدنان . واشتبك القوم بين ضراب وطعان . وكان اسبق الناس الى قيس عنتر الفارس النبيل . واسبق الابطال الى خالد الربيع بن عقيل فحمل كل واحد منهما على صاحبه بساعد شديد . وقلب اقوى من الحديد . وجالا واوسعا في المجال . ونهما كما تنهم الاسود في الدحال . وتطاعنا طعنا يقرب الاجال . وتشيب منه الاطفال هذا وقد تصادمت الرجال . وتعاركت الابطال . وتقدمت الفرسان الى نحو ملوكها مثل السحاب الهطال . وعملت الرماح والنصال . في المناكب والاوصال . ودارت كوس المنايا من اليمين والشمال . وكان عنتر قد جاول خصمه حتى اضجره واكربه . وطعنه بالرمح في صدره فاقلبه . فانطرح على الارض صريعا . يمج علقما ونجيعا . ثم حمل عنتر على بني عامر . كانه الاسد الكاسر . فنكس الفرسان . وشتت الاقران . وحلق الجماجم عن الابدان . وفرق الناس عن قيس وخالد . فراهما متقابضين كانهما شخص واحد . وهما في اشتباك واعتراك . وكانا قد اشرفا على الهلاك . فهجم على خالد هجوم الليث الاغاب . واندفق عليه كصاعقة الغضب . واراد ان يقتله . ويعجل من الدنيا مرتحله . فاعترضه الربيع بن زياد . وقال له لا تفعل يا فارس الطراد . لانك ان قتلته تقع في الخسارة . ويقتل صديقك مالك بن زهير

Digitized by Google

واخي عمارة . لانهما في قبضة القوم . وقد اسرا في صباح هذا اليوم . فلما سمع عنتر منه ذلك . صعب عليهِ اسر مالك . وكان شيبوب قد قبض على خالد وشد كتافه . واوثق سواعده واطرافه . ثم عاد عنتر الى الخيل . ونزل عليها نزول السيل . فطعن الفرسان وفرّقها . وسفك الدما واهرقها . وشتت المواكب ومزقها . وما مضي النهار . واقبل الليل بالاعتكار . حتى انكسرت بنو عامر اشد انكسار . وصعدت الى روس الجبال طالبة الحريم والعيال . وعادت بنو عبس وقد اشفت الغليل ولم يفقد من ابطالها الا القليل . ولما نزل القوم للراحة . في تلك الساحة . هنوا الملك قيس بالسلامة من المهالك . واعلمه الربيع باسر عمارة واخيه مالك . فصعب ذلك عليهِ . وكبر لديه . وقال والله ما اسرا الا بالامر المقدر . لاجل خلاص خالد بن جعفر . ثم استدعى خالدا واعلمه بالخبر . وطلب احضارهما منه . وانهما يكونان فداء عنه . فاجابهُ الى ذلك المرام . بعد ما حلف لهُ باعظم الاقسام . انه لا يعود الى الغدر والخيانة . بل يحفظ الذمام والامانة . ثم اطلقه وفي قلبهِ منه نار لا تطفى . ولهيب لا يخفي . فلما وصل الى اهلهِ وعشيرتهِ . فرحوا بخلاصهِ وسلامته . واراد ان يطلق عمارة والامير مالك . فلم يطاوعوه الى ذلك . وقالوا لهُ لابد ما نصلبهما على قرون هذه الجبال . وناخذ منهما بثار من قتل لنا من الابطال .

فقال اني حلفت لقيس بالاله المكنون . اني لا اغدر ولا اخون .
وبعد ذلك فانتم تعلمون ان اكبر مسراتي . واعظم حاجاتي
قلع بني عبس وعدنان . وفزارة وغطفان . ولكن الزمان
خانني . والرب اخذلني وما اعانني * ولا بد ما ابذل في هلاكهم
المجهود . واجمع عليهم كل عدو وحسود

قال فلما سمعوا كلامهُ . علموا قصده ومرامهُ . فطابت
قلوبهم . وانجلت كروبهم . وقالوا اذا كان الامر على هذا الشان
ولا تريد ان ترجع في الاقسام والايمان . احضر هذين الاسيرين
وخذ عليهما العهد والميثاق . بانهما يضمنان لنا رحيل قومهما من
هذه الافاق . كما يقع الاتفاق . واكد عليهما في الاقسام . ان
يمنعا اهلهما عن قتالنا في هذا العام . والا صلبناهما وانتقمنا منهما
غاية الانتقام . قال خالد اما هذا فاطاوعكم عليه . وابادر قبلكم
اليه . ثم احضرهما الى بين يديه . واعلمهما بواقعة الحال . وطلب
منهما ان يحلفا له بالاله المتعال . ان يرحلا بقومهما من تلك
الاطلال . فحلفا له بذلك . واشهدوا على انفسهما مالك الممالك
لانهما كانا قد ايقنا بالهلاك . وما صدقا بالفكاك . ثم ان خالداً
اطلقهما من الوثاق . واركبهما على جوادين من الخيل العتاق .
فلما وصلوا الى بني عبس حدثوهم بما جرى لهما مع خالد واصحابهِ .
وما اقسموا عليهما بهِ . فقال قيس خذل الله بنو عامر على افعالهم
لان الغدر والكذب من اعمالهم . قال الربيع لم يبقى في الامر غير

المسير . وسرعة التشمير . والصبر على هذه الشدة . حتى تنتهي هذه المدة . وبعد ذلك نرجع الى هذه المنازل والطلول . بكل فارس بهلول . ونقلع منهم الفروع والاصول . فاستحسن قيس رايهُ واعجبهُ . واستنسبهُ واستصوبهُ . لانهُ علم بان القوم قد لجاوا الى الجبال والحصون . وتثبتوا بالذيال كل كهف مصون . ثم عزم على الرحيل * وامر بنو قيس ان تاخذ في التحميل . فامتثلوا امره في الحال . واخذوا ما وصلت يدهم اليهِ من الاموال . واوسقوا ما بلغت طاقتهم من نفايس الاحمال . وساروا طالبين الاهل والعيال . ولما تمادى بهم الترحال . زاد بعنتر الوجد والبلبال فتذكر الاهل والاطلال . وما قاساهُ في الغربة من الشدايد والاهوال . وما جرى عليهِ من الفراق * وفرط الوجد والاشتياق فجاش الشعر في خاطرهِ . فباح بما اكتتم في ضمايرهِ فانشد وقال

الاَ يا عبلَ قد زاد التصابي ولجَّ اليوم قومكِ في عذابي
وظلَّ هواكِ ينمو كلَّ يومٍ كما ينمو مشيبي في شبابي
عتبت صروف دهري فيكِ حتى فني وابيكِ عمري في العتابِ
ولاقيت العدى وحفظتُ قوماً اضاعوني ولم يرعوا جنابي
سلي يا عبلَ عنا يوم زرنا قبائل عامرٍ وبني كلابِ
وكم من فارسٍ خليتُ ملقىً خضيب الراحتين بلا اخضابِ
يحرّكُ رجلهُ رعباً وفيهِ سنان الرمح يلمع كالشهابِ
قتلنا منهم مائتين حراً والفا في الشعاب وفي الهضابِ

قال مجد بن هشام . فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام . رقت الفرسان لارتجاله . وما ابداه من حسن مقاله . ثم جدوا في قطع القفار . وعنتر يحرسهم في الليل والنهار . الى ان قربوا من الديار . فباتوا تلك الليلة في واد كثير الشجر . جميل المنظر * فلما كان وقت السحر . افتقدوا الامير عنتر فلم يقفوا له على خبر فقلق الملك قيس لذلك وتحير * وجرى على قلب مالك بن زهير من فقده ما لم يجرِ على قلب بشر * وحس ان قلبه قد انفطر * وكذلك اصاب اباه شداد * واما عمارة واخيه الربيع بن زياد * فانهما كانا افرح العباد * فقال الملك قيس وحق ذمة العرب * وشهر رجب * لا ابرح من هذا المكان * حتى اكشف خبر عنترة الفرسان * لانه ابن عمي * وكاشف همي وغمي قال عمارة ومن هو هذا العبد القرنان * حتى تعيق لاجله سادات عبس وعدنان * فقال قيس وقد اضطرم غضبا . واستشاط لهبا * ويحك يا عمارة اما تستحي بهذا المقال . وتستغيب ابن عمك بالمحال . وتشتمه بين الرجال . وهو قد خلصك مرارا عديدة من الاعتقال * وما هو الا ابن عمك ان شئت او ابيت * ولولاه لم يرتفع لاحد من العشيرة عماد بيت * فلما سمع الربيع منه ذلك الكلام * زاد به السقام * وذاب جسدهُ * وتفتت كبده * وكثر لعنتر حسدهُ * غير انهُ اخفى الكمد * واظهر الصبر والجلد * وقال لقيس ايها الملك الهام * دع عنك هذا

Digitized by Google

الكلام * لان اخي كثير اللجاج * في القول والاحتجاج * والصواب ان نرحل الى الاطلال * لاننا في غاية الشوق الى الاهل والعيال * ومعنا جماعة مجرحين من الرجال * وهم في أسو حال * واما عنتر فما عليه من فزع * لانه فارس صنديد * لا يخاف الموت * ولا يخشى حلول الفوت * وانا اقول انه سبقنا الى الحلة * ليتمتع بالنظر الي وجه عبلة * فلما سمع قيس منه ذلك المقال * علم انه يريد ان يلقي الفتنة بين الرجال * فلم يعد يمكنه الانتظار * بل رحل بالناس وسار * طالبا الاهل والديار * الى ان وصلوا الى الاطلال * وتباشرت الاحياء بقدوم الرجال * واجتمعت النسا بالفرسان * وفرحت الاصدقاء والخلان * وسال الملك قيس عن عنتر * فلم يقف له علي خبر فاستشاط غضبا وتكدر * وقال وحق خالق البشر * لقد ظلموا الرجل وتحدثوا فيه بشي ما فعله ⊙ ولا تدعه مروته ان يعمله ⊙ وسمع مالك ابو عبلة من بعض البنات * ما جرى لعنتر ولابنته من الحكايات * وكيف انهم لما رحلوا الى بني عامر * اجتمع بها مع باقي النسا الحراير * وبات وهو لهن يحادث ويسامر . فقال لزوجته ويلك لقد حلت بنا العبر * وتحدثت بابنتك سائر البشر * لانك استحسنت لها الوقوف امام عنتر * والحديث معه كلما جاء من السفر * وتعلميها ان تطالبه بالهدية والمال * ولقد فضحتيني بهذه الفعال * امام الرجال والابطال

ثم انهُ عول ان يضربها بالحسام • وينتقم منها غاية الانتقام • فرقت لهُ في الكلام . وقالت لهُ يا ابن العم اني قد تركت اللجاج عند ما رايتك قد انعمت لهُ بالزواج . وقلت لهُ هذه قد صارت زوجتك في السر والعلان . ومكنتهُ من الدخول الينا قبل مسيرك الى بلاد اليمن * والان ما دام قلبك قد تغير عليه ما بقيت امكن ابنتي من النظر اليه . فقال لها وقد ضاقت منهُ الانفاس • اني ما كنت افعل ذلك على اعين الناس . الا لاجل زهير ووالده شاس • والان قد مضى ما مضى . وزال العنا وانقضى لانهُ لم يبقَ لذلك العبد مَنْ ينصرهُ . ولا من يشد معهُ ويذكرهُ وانا وحق ذمة العرب لا زوجة ابنتي الا لسيد من سادات العرب لان عنترًا قد اضحى في حالة العدم . وشرب كاس النقم • وبعد ذلك ان سلم من الاخطار . ورجع الى الديار • وسمعت ان واحدة منكنَّ ارسلت اليه . او سلمت عليهِ . ذبحتها وحق البيت الحرام . ذبح الاغنام

قال ولما كان من الغد قدم حذيفة بن بدر واخوتهِ • ومعهُ جماعة من فرسان عشيرتهِ * وهنوا الملك قيس على سلامتهِ * وسالوه عمَّا جرى لهُ في غيبتهِ * فاوقفهم على حقيقة الخبر • واعلمهم بما دبر خالد بن جعفر * ثم صنع لهم وليمة عظيمة * لها قدرٌ وقيمة . وعلم حذيفة بفقد عنتر * وهو في ذلك المحضر * فاستوحش لهُ وشكره * واخفى في قلبهِ خلاف ما اظهره

Digitized by Google

قال محمد بن هشام * واخذ الناس في اكل الطعام * وشرب المدام ومذاكرة الاخبار . ومناشدة الاشعار . وما زالوا على مثل ذلك الى نصف النهار . واذا بالصياح قد علا في الحلة من ساير الاقطار . والارض ارتجت من صياح العبيد والاحرار . فسال قيس عن ذلك الخبر . فقيل لهُ قد قدم شيبوب واخيهِ عنتر

قال الراوي وكان عروة بن الورد قد ركب وخرج الى عنتر حتى التقاه . واستقبلهُ وهنّاه . واعلمهُ بجلية الخبر . وما دار بين قيس وعمارة من الكلام المنكر . الاّ ان قيساً لما سمع بقدوم عنتر . فرح واستبشر . وقال لهم احق ما تقولون . فقالوا اي نعم وحق من لا تراهُ العيون . ومن قال للشي كن فيكون . ولم تكن الا ساعة حتى اقبل عنتر . كانهُ الاسد الغضنفر . وعيناه تقدح بالشرر * فتقدم الى قيس وسلم عليهِ . واشار بيده اليهِ . فسالهُ عن حالتهِ وما جرى لهُ في غيبتهِ . فقال اني كنت في خدمة من لا يستاهل ان يُخدَم . ولا يرفع لهُ راس ولا يحترم . لانهُ خبيث الطبع . ردي الاصل والفرع . قال قيس لمن تعني بهذا الكلام . ايها البطل الهمام . قال اسمع حديثي وعاملني بالحق . وقابلني على قدر ما استحق . وذلك ليلة فقدتموني . وسالتم عني وما وجدتموني . كنت في الحرس خوفاً عليكم من طارق او سارق . لان الايام كثيرة البوايق فبينما انا كذلك . اذ لاح لي شبَحٌ تحت جنح الليل الحالك .

فقصدته بسرعة واهتمام . واذا برجل اعرابي راكب على فرس كانها ذكر النعام . وهي تهتف به تحت ستور الظلام . فتقدمت اليه وصحت عليه . وسالته عن حاله . وكيفية احواله . فقال اني رجل قحطاني . قد اتيت مستغيثًا ببني عبس على ما دهاني . وقصدي ان اسال الربيع بن زياد ان ينصرني على الاعداء الاوغاد * لان بيني وبينه صداقة قديمة . ومحبة جسيمة . فلما سمعت مقاله . قلت له . ما الذي جرى عليك . ومن هو الذي اوصل شره اليك فاخبرني بواقعة الحال . وابشر ببلوغ الامال . لاني من بعض عبيد الربيع . صاحب الفضل والنسب الرفيع . فقال اعلم ايها الفارس الامجد . ان اسمي بشارة بن معبد . ولي بنت بديعة المنظر ابهى من الشمس وازهى من القمر . قد خطبها مني بعض سادات العرب . فاجبته الى ذلك الطلب . واخذت من مالي ماية ناقة وجمل . وقلت في نفسي اني ابيعها في بعض القبايل والحلل . واشتري بثمنها ما اجمل ابنتي . واستر عورتي . فبينما انا في بعض الطريق . دهمتني خيل غايرة فاخذت النوق مني واعدمتني السعادة والتوفيق . وهربت انا على ظهر هذه الناقة بعد تلك الشدة . وقد علمت ان القوم من بني كندة . ولما صرت في هذا المكان . قلت في نفسي اني اقصد ديار بني عبس وعدنان * واستعين بالربيع بن زياد . واطلب منه المساعدة والامداد . الى ان التقيت بك في طريقي . وذكرت لي بانك من بعض غلمان صديقي . واريد

ان ابصر ما تعمل في حقي. والاَّ ضاعت جمالي وانقطع من الدنيا رزقي * فلما سمعت كلامه قلت له ابشر يا وجه العرب بالمطلوب ونوال القصد والمرغوب * فاني انوب عن مولاي في هذه الخدمة ولا ادعك تكلمه ولا بكلمة * فسر الان واجمعني باعداك * حتى ابلغك مناك . فسار بين يدي في ذلك البر الاقفر . وانا وراه على الاثر الى ان لاح ضوا الصبح واسفر * فالتقينا بالقوم على ماء بني قريبر وارض النفير * وكانوا اربعين رجلا * ما منهم الاَّ من يلقى جحفلا * فقتلت منهم نحو خمسة وعشرون من الابطال * وانهزم الباقون في البراري والتلال * ورددت للرجل نوقه وجماله * وبلغته اماله * وقد نال غاية المراد * ورجع وهو شاكر لبني زياد * ورجعت انا وقد بنيت لهم من المجد بيتا رفيع العماد . فبلغني انهم قد ذكروني بالخنا وعيروا أُمّي بالزنا . فهل هذا المقال . جزا هذه الفعال . ثم ان عنترًا التفت نحو عمارة بن زياد . وقال له يا نسل الاوغاد . وحق من كسا الليل حلة السواد . وتنزَّه عن الزوجة والاولاد . وانبع الما من الصخر الجماد . ان لم تنتهي عن هذه الاعمال . والا قطعت منك الاوصال . فلما سمع عمارة منه ذلك المقال . لعبت الخمرة براسهِ . واستحى من ندمايهِ وجلاسهِ . فوثب جالسًا على الاقدام . وسل في يده الحسام وقال له ويلك يا ابن الحرام . ونسل اللئام . لابد لي ما اسقيك كاس الحمام . ثم انه صاح في عنتر . وطلبه والسيف في يده مشهر . فتبادر اليه

الرجال . وردوه عن ذلك الحال . وتقدم اليهِ الربيع وفاجاه . ولطمهُ على قفاه . بخبثه ودهاه . وقال لهُ هذا جزا ابن عمنا . كاشف همنا وغمنا . وكان عنتر قد خرج عن دايرة الاعتدال لما سمع من عمارة ذلك المقال . فصاح فيهِ وقال والله يا عمارة . ومن هو اقل من زبلة حمارة . ما كنت اريد الا ان تبرز للقتال في مكان خالٍ من الرجال . حتى كانت ترى الناس فعالك من فعالي . ويذكرون ما يجرى بيننا على ممر الايام والليالي . ثم انهُ الوى عنان حصانه . وطلب اهله وخلانه . فلما وصل الى الابيات . التقتهُ النساء والبنات . ومن جملتهن امهُ زبيبة وهي مسرورة بلقاه . لانها لم تكن تصدق ان تراه . وكانت قد سمعت بغيبتهِ . وما جرى لهُ في سفرتهِ . فاقبلت اليهِ . وسلمت عليهِ . وضمته الى صدرها وقبلته بين عينيهِ . وقالت له يا ولدي . ومهجة كبدي . احب اليَّ ان تبقي في الاطلال . ترعى النوق والجمال وعليك اسم العبودية . فهي اهنا على قلبي من هذه الشجاعة والفروسية لانك لم تزل تلقي نفسك في كل بليَّة . حتى تذوق كوس المنية واصير اندب عليك مع الثاكلات . واواظب الاحزان والحسرات فلما سمع مقالها . رق قلبه لها . ثم جلس في الخيام * وقضى وقته بشرب المدام * وقد خف ما بهِ من الوجد والغرام

قال هذا ما كان من عنتر بن شداد . واما ما كان من الربيع بن زياد . فانهُ كان قد اشتعل قلبهُ بنار . وطار من عينيهِ

الشرار . وقل منهُ الاصطبار * غير انهُ اخفى ما في قلبهِ من الكمد . واظهر الصبر والجلد . والتفت على الملك قيس بعد ذهاب عنتر من ذلك المحضر . وقال والله يا مالك الزمان ما بقي يلذ لنا عيش ما دام اخي وعنتر يختصمان . والصواب انهما يفترقان * ولا يعودا يجتمعان في مكان * وقد خطر لي خاطران انا فعلتهُ انفصل الحال . وبطل القيل والقال . ولكن اليوم خمر . وغدا امر * لا سيما وعندنا سادات بني بدر . ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليهِ من الحديث الاول . ولم يزالوا على مثل ذلك العمل . حتى مضى النهار وارتحل . ودخل الليل وانسدل . وعمل الخمر فيهم اوفى عمل * ولما كان الصباح . انتبهوا من نشاة الراح * فاحضروا الطعام . واكل الخاص والعام * وبعد ذلك رحل حذيفة مع من يلوذ بهِ . من اهلهِ واصحابهِ * ورحل ايضًا من بعده الربيع واخوتهِ . ومن يتعلق بهِ من فرسان عشيرتهِ * وتبعهُ من بني عبس اوفى من خمسماية فارس . من كل ليث عابس . وبطل مداعس * ونزلوا في وادي اليعمورية * وكانوا جميعهم يبغضون عنتر ويطلبون لهُ الاذية * ويحسدونه على ما اعطاهُ الله من الشجاعة والفروسية ولما بلغ الملك قيس ذلك الخبر صعب عليهِ . وكبر لديهِ * واجتمع بسادات بني عبس الكرام * وقال لهم يا بني الاعمام انتم تعلمون ان ابي زهيرًا كان قد الحق عنتر بنسبهِ . وشاركه في

حسبه * وجعله نديه . وسميره وكليمه * ونقله من رق العبودية واعطاه الحرية . وفضله على جميع فرسان الجاهلية * لانهُ من اوحد الفرسان . واشجع الشجعان . في قبايل العربان * والان قد جرى بين عمارة وعنتر . ما قد اشتهر * ورحل الربيع عن الاوطان . كيدًا من عنترة الفرسان * وقد اخذته الغيرة . وانا كنت في غاية الخوف من وقوع الشر بسببهما في العشيرة

قال ثم ان قيسا قام يكابد وجده . وهو شديد الجنان لان عنتر عنده * ولم ينكر على الربيع بشي من فعاله . ولم يعاتبه على سو اعماله * وكان في اكثر الاوقات يقدم اليهِ * ويضحك في وجههِ ويعتذر اليهِ * وكان كثيرا مايراعي اخبار خالد بن جعفر ويرسل الجواسيس الى بني عامر لتعلمه بحقيقة الخبر * الى ان بلغه بانهُ قصد شيخ العرب واميرها . وسيدها ومشيرها * وقايد جيوشها وغفيرها . صاحب العزيمة والهمة . دُرَيد بن الصمة . سيد بني هوزان وجشم وهمذان . واوحد العصر والاوان . وطلب منه المساعدة على قتال بني عبس وعدنان . وفزارة وغطفان . فاوعده بنصرته . وانه يكاتب قبايل العرب ويامرها بطاعته * والمبادرة الى خدمته . ويمده بعشرة الاف فارس من ابطال عشيرته . يلاقي بها اهل الحجاز جمعا . ويقمع بني عبس من الدنيا قمعا . وكان هذا دُريد من جملة المعمرين . وقد بلغ من العمر مائة وعشرين . وكانت العرب تسميه رحاة الحرب *

وتطيعه في كل امر صعب

قال ولما بلغ الملك قيس ذلك الخبر استشاط غضبا وتكدر وقال هذا والله القلعان الاكبر . فاستدعى سادات بني عبس الاخيار . واعلمهم بما وصل اليه من الاخبار . فقالوا ايها الملك الهمام . لاتخشى علينا من الحمام . فوحق البيت الحرام . وزمزم والمقام لو اتانا بجيوش الانـام . لم نمت الا ونحن كرام * بعد ما نحمي حريمنا والاولاد . ونروي من دماهم الصوارم الحداد . فقال عنتر طب نفسا فوحق تربة الملك زهير . لانزلن ببني عامر الذل والضير . والقاهم بالفين فارس . من بني عبس الاشاوس . واخذ اسلابهم واموالهم * واسبي حريمهم وعيالهم فلما سمع قيس كلام عنتر * فرح واستبشر * واستعد من ذلك اليوم * لقتال القوم * وكان قد افتقد السلاح والة الحرب والكفاح * فوجدها قليلة * فاقام عمه اسيد مكانه في القبيلة وسار في ماية فارس من صناديد الرجال * وفرسان المعارك والقتال * واخذ معه قطعة من النوق والجمال * وهو طالب ان يبيعها في بعض العشاير * و يشتري بثمنها العدد والمغافر * لاجل قتال بني عامر * ومازال يقطع البيدآء * الى ان اقبل على مدينة يثرب عند المسا * وكان اميرها من سادات العرب اصحاب الحسب والنسب * الذين انتشر صيتهم وذكرهم * وارتفع قدرهم * وكان من ابطال الحرب والكفاح . قد اشتهر بالكرم

والسماح * يقال له أُحيحة بن الجُلاَّح * وكان بينه وبين قيس صداقة قديمة * ومحبة عظيمة * فدخل قيس اليه * وسلم عليه فتلقاه بالاحترام * واكرمه غاية الاكرام * وساله عن حاله * فاخبره بجميع احواله . وانه ما اتى الاَّ في طلب السلاح والزرد . والمغافر والعدد . ثم قال لهُ قد بلغني ايها الامير . والسيد الخطير ان عندك درع ضيقة الزرد . لا يعمل فيها الصارم المهنَّد . واريد ان تبيعني اياها او تهديها لي . لاناال بها غاية قصدي واملي . وانا اعطيك عوضها من التحف الحسان . ويواقيت البهرمان ما لا يوجد عند ملك ولا سلطان . فلما سمع أُحيحة كلامهُ تبسَّم * واشار اليه وتكلَّم * ايها السيد المعظَّم . والفارس الغشمشم . وحق خالق البشر . لولا خوفي من مذمة خالد بن جعفر . كنت وهبتها لك في الحال . ومعها قطعة من النوق والجمال . فقال قيس ياسيد العرب ومولاها . لاي سببٍ يذمك خالد بن جعفر اذا وهبتني ايَّاها . قال لانهُ كان قصدني من برهة ايام * ومدحني بابيات من الشعر والنظام * وطلبها مني فلم اجبهُ الى ذلك المرام * بل اعطيتهُ غيرها واصرفتهُ عني بسلام * واخاف ان انا وهبتك اياها وبلغهُ الخبر * يرجع يذمني بعد ذلك المدح المفتخر . فقال وما هو الشعر الذي ذكرهُ . انشدني اياهُ حتى اسمعهُ واختبرهُ قال هي هذه الابيات

اذا ما طلبت العزَّ من آل يثربٍ فنادِ ابا عمروٍ أُحيحَةَ يسمعُ

وقم تحت ظل اليثربي فانه ... اذا قمت فيه خاف باسك تبع
وابصرت انسانا على نور وجهه ... لثام تغيب الشمس فيه وتطلع
بنى في العلى والفخر والمجد منزلا ... له فوق اكتاف السما كين موضع
وان هز في يوم الكريهة سيفه ... رايت شعاع الموت في السيف يلمع
وان وهبت كفاه والغيث هاطل ... يدوم عطاه والسحايب تقلع
ويامن في ابياته كل خائف ... ويشبع من نعماه من ليس يشبع
مناقب في الجلاح كانت قديمة ... فسار عليهـــا ابنه يتتبع

قال نجد بن هشام . فلما سمع قيس هذا الشعر والنظام * قال والله ليس عليك من ملام . بعد هذا الكلام * ثم اقام عنده مدة ثلاثة ايام * في عز واكرام * وفي اليوم الرابع ودعه وذهب * وقصد قبائل العرب * واشترى سلاحا كثير المقدار * ثم ارتد راجعا طالبا الديار * فمر بيثرب في اثناء طريقه * فبات عند أحيحة صديقه * فنحر له النوق والاغنام * وقدم له انواع الطعام فاكلا وشربا * ولذا وطربا * وبعد ذلك انعكفا على شرب المدام وسماع الانغام . ولما انجلت بينهم الكؤوس * ودارت الخمر في الروس * التفت أحيحة على قيس وقال * اعلم ايها السيد المفضال . اني لا اريد أضيع حق قدومك علي * وقصدك من دون الناس الي * وذلك لاجل ما بيننا من المحبة * والصداقة والصحبة وقد خطر لي ان اهديك ذلك الدرع الفاخر . الذي لا تقطع فيه السيوف البواتر * واطلق عليه اسم البيع في الظاهر * حتى

ذا بلغ خالد بن جعفر * هذا الحديث والخبر . يعذرني بين الانام *
ولا يكون له سبيل الملام . فلما سمع كلامه * علم قصده ومرامه .
ثم ان أحيحة اعطاه الدرع المذكور * فسرّ به قيس غاية السرور ⊙
وشكر أحيحة على حسن صنيعهِ المشكور

ولما كان الصباح . ودع الملك قيس احيحة بن الجلاح .
وجد في قطع البطاح . ولما قارب الديار انفذ الى الحلة ما كان
معهُ من الخيل والسلاح . والعدد والرماح . وطلب صدر
البرية . قاصدًا وادي اليعمورية . وهو المكان الذي نزل فيهِ
الربيع مع اخوتهِ . ومن معهُ من اهلهِ وعشيرتهِ . وكان ذلك
الزمان زمان الربيع . والارض منقوشة بالوان زهرها البديع .
ولما بلغ الربيع قدومهُ ركب اليهِ في الحال . واستقبلهُ احسن
استقبال . وساله عن حاله وفي اي جهة كان . فاعلمهُ بذلك
الشان . وقال لهُ ما اتيت الان . الى هذا المكان . الا لاجل
زيارتك . حتى اعلم ما في نيتك . من حرب بني عامر .
والاتحاد معنا على قتال تلك الاحزاب والعشائر . فقال الربيع قد
بلغني بان خالدًا القى نفسهُ على دريد بن الصمّة . صاحب العزيمة
والهمة . وقد ضمن له قتل رجالنا . ونهب اموالنا وسبي
حريمنا وعيالنا . والان فصل الشتاء قد انصرم . وما بقي غير
اخذ الاهبة لقتال بني عامر وجشم . وان لم نساعد بعضنا في
هذا الامر المنكر . شمتت بنا قبايل ربيعة ومضر . فقال قيس

جزاك الله يا عمر خيراً . ولا اراك سوءا ولا ضيراً . ثم ان قيسا عزم على المسير . وسرعة التشمير . فمنعه الربيع وكان قد راى حقيبة مملوة تحفة . فقال له ما الذي في حقيبتك هذه واين هو السلاح الذي اشتريته . قال ارسلته مع العبيد الى الديار . واما حقيبتي هذه فيها ما يدهش الابصار . ويحير الافكار . فلما سمع الربيع ذلك المقال . تبسم واظهر الجمال . وقال والله ما ادعك ترحل من هذا المكان . حتى ابصر ما معك من التحف الحسان فعند ذلك اناخ قيس ناقته . وتناول حقيبته . واخرج منها ذلك الدرع المنيع . واراه للربيع . فلما راه اندهش واندهل . وطار عقله وتخبل . وقال من اين لك هذا الدرع الذي لا نظير له في دروع الجبابرة . ولم يكن مثله عند ملوك الاكاسرة والقياصرة . قال هذا درع أُحيحة بن الجلاح . الفارس المجحاج . وقد زرته في هذه الايام . فاضافني ثلاثة ايام . واحتفلني غاية الاحتفال وطلبته منه فاهداه لي في الحال . فقال الربيع وحق الاله المتعال لقد سمح هذا الرجل المفضال . بما لم تسمح به نفوس الرجال . ووهبك تحفة لا تقوّم باموال . ثم ان الربيع بعد ذلك الكلام افرغه على جسده ودخل الى الخيام . وخرج وهو متقلد بالحسام وقال لقيس وحق ذمة العرب . وشهر رجب . ان الزمان ياتي بكل عجب . وهذا درعي يا ابن الكرام . قد سرق مني في هذه الايام . والان قد رجع الحق الى اصحابه . وعاد السيف الى

قرابه . فلما سمع قيس كلامهُ . عرف مرامهُ . فعبس وقطب . وبان في وجههِ الغضب . لما فعل معه من سوء الادب . وقال له ما هذا التعدي . والهذيان الذي به تبدي . فدع عنك الغدر . ولا تضيع ما بيني وبينك بهذا القدر . ثم انهما تشاجرا بالكلام . حتي اشتد بينهما الخصام . واجتمعت عليهما الرجال وكثر القيل والقال . هذا وعمارة يقول لقيس دع حاميتكم عنتر ياتي لهذا المكان . ويخلص لك حقك بالسيف والسنان . لانه درعك وحسامك . وقد اذخرتهُ لصروف لياليك واياملك . فلما راي قيس كثرة العدد . علم انهم يطلبون له الشر والنكد . فارتد راجعا الي الديار . وقد اشتعل قلبه بنار . ولما وصل الى حلته . اجتمع بزوجته . وقص عليها ذلك الخبر . وما فعل ابوها معهُ من الامر المنكر . فقالت له ابنته الجمانة وكانت من اعقل اهل زمانها . وفريدة عصرها واوانها . يا ابتاه انا ارد عليك درعك ولا تعرفهُ الا مني . لان جدي يحبني واذا طلبته منه لا يمنعهُ عني . ثم انها ركبت من تلك الساعة . واخذت معها من العبيد جماعة . وسارت بهمة وحمية . حتي وصلت الى وادي اليعمورية . ودخلت على جدها الربيع في الحال . وكان الربيع يحبها لاجل ما فيها من الحسن والجمال . وفصاحة المقال . فلما راها قام لها على الاقدام . واكرمها غاية الاكرام . وزاد لها في التعظيم والاحترام . فقالت لهُ يا جداه اسمع مقالي

Digitized by Google

ورد على ابي درعه واقبل فيهِ سوالي. لانهُ قد تكدر من فعلك وغضب على امي وخاصمها لاجلك. وحلف انهُ لا يغسل ثوبهُ ما لم يرد درعه اليهِ. وانا خايفة من هذا الامر عليك وعليهِ فلم يلتفت الى مقالها. ولم يجبها الى سوالها. بل قال لها دعي عنك هذا الكلام. فاني لا ارد الدرع الا بعد ضرب يقد الهام ويترك الناس بين لحوم وعظام. فلما سمعت كلامه ركبت ناقتها وطلبت حلتها. ولما وصلت الى الاطلال. اعلمت ابوها بواقعة الحال. فاضطرم غضبا واستشاط لهبا. وقد عظم الامر عليهِ واسودت الدنيا في عينيهِ. وقال وحق الكعبة الحرام. وما عليها من الالهة والاصنام. لاغسلت راسي. ولا غيرت لباسي. حتى اخذ بثاري. واكشف عني عاري * واقيم الحرب في هذه الايام. وافني اعدائي بحد الحسام

قال الاصمعي ولما بلغ ابو الفوارس عنتر * ذلك الخبر * صعب عليه. وكبر لديهِ. وقد زاد غضبهُ. ودخل على قيس وعاتبهُ. وقال لماذا ترضى لنفسك هذا الحال. وتصبر على الجور والاذلال * وانت ملك عظيم الشان. وبين يديك الابطال والفرسان. فوحق ذمة العرب * وشهر رجب * لو كنت اعلمتني بهذا الامر والسبب. كنت خلصت درعك من بني زياد غصبا واشبعتهم طعنا وضربا. فقال قيس ولاجل ذلك ما اعلمتك بهذه القصة. وشربت انا وحدي تلك الغصة. خوفا من

تهييج الفتن . ووقوع الشر والاحن . فلما سمع عنتر ذلك الخبر استشاط غضبا وتحسر . وحس بان قلبه قد انفطر . ثم انه وثب الى المضرب . وقد زاد بهِ الغيظ والغضب . واستدعا شيبوبا اليهِ . وقص ذلك الخبر عليهِ . وقال له اعلم ايها الاخ الحبيب والحاذق اللبيب . اني لم ابالي بما جرى وكان . وما حنقي الا من عمارة الكشخان . وقوله لقيس دع عنتر ياتي الى هذا المكان بمن معهُ من الفرسان . ويخلص لك حقك بالسيف والسنان لانهُ درعك وحسامك . وقد اذخرتهُ لصروف لياليك وايامك وانا وحق الملك المتعال . لولا خوفي من عتب الملك قيس كنت قصدته في الحال . وانزلت بهِ وباخيهِ النكال . وبلغت بقتلهما غاية الامال . لانهما مجبولان على الفظاظة والمكر . والخبث والغدر . واريد منك الان المساعدة في التدبير . حتى اطفي ما بقلبي من اللهيب والزفير . فقال شيبوب ابشر يا فارس العرب ببلوغ الارب . وهو ان تخرج معي هذه الليلة الى البرية . ونقصد وادي اليعمورية . ونكمن في جوانب ذلك الواد . لعلنا ان نظفر باحد من بني زياد الاوغاد . يكون قد خرج على انفراد فنقبض عليه . ونوصل الاذية اليه . ونعود بهِ الى الاطلال . ولا نطلقه من الاسر والاعتقال . الا انه يفدي نفسه بالدرع ونكون قد فزنا بالمطلوب . ونلنا غاية المرغوب . فلما سمع عنتر منهُ ذلك الخطاب راه عين الصواب . وقال وحق رب الارباب

لقد خطرت ببالي هذه الامور والاسباب * وانا اطلب من الله ٠
ان يبلغني ما اتمناه ٠ حتى انال غاية مرادي ٠ واطفي بعذاب
عمارة غليل فوادي ٠ ثم انهما صبرا حتى اقبل جيش الليل *
وشمر للهزيمة جند النهار الذيل ٠ فركبا ظهور الخيل ٠ وسارا
بنخوة وحمية ٠ قاصدان وادي اليعمورية ٠ وما زالا على ذلك
الحال ٠ حتى اقتربا من تلك الاطلال واذا قد ظهر لهما جواد
قايم ٠ وبين يديه انسان نايم ٠ وعليهِ ثياب جميلة ٠ وعمامة
طويلة ٠ فقال شيبوب لاخيهِ عنتر لا شك ان هذا الرجل قد تاه
في هذه الاكام ٠ وقد ادركه المسا فنام ٠ ثم تقدم اليهِ ٠ وصاح عليهِ
فانتبه وقد انذعر ٠ وعيناه تقدح بالشرر ٠ وقال يامولاي اراك
قد عدت ٠ على عجل بخلاف تلك الليالي الاول ٠ اقضيت الوطر ٠
وتمتعت من عبلة بالنظر ٠ او انكر احد امرك فعدت على الاثر ٠
قال فلما سمع شيبوب ذكر عبلة خفق قلبه ٠ وزاد رعبهُ ٠
وكذلك جرى على عنتر ٠ فانهُ انذهل وتحير ٠ وسل السيف من
غمدهِ وهزهُ بيدهِ ٠ حتى بان الموت من افرندهِ ٠ وقال لهُ ويلك
يا ابن اللئيام ٠ لمن تعني بهذا الكلام ٠ ومن انت من العرب الكرام
فقال الرجل وقد طار من عينيه المنام ٠ لما نظر الى بريق الحسام
تأنى يا غلام ٠ واعطني الزمام ٠ حتى احدثك بقصتي ٠ واعلمك
بحالتي ٠ فلست انا بامير ٠ ولا بسيدٍ خطير ٠ بل انا عبد من
عبيد هذه البلاد ٠ لرجل يقال لهُ عمارة بن زياد ٠ وهذه فرسهُ

Digitized by Google

وعدتهُ وثيابه وعمتهُ فقال شيبوب الى اين مضى وذهب . ياأخا العرب . قال الى ديار بني عبس الاجواد . ليتمتع برؤية عبلة بنت مالك بن قراد . لانهُ يحبها ويشتهيها . ومن فرط محبتهُ فيها . يقطع القفار . في اخر النهار . وانا صحبتهُ مثل الاسد الهدار حتى اذا وصلنا الى هذه الروابي . يخلع ثيابهُ ويلبس ثيابي . ويسير وحده وهو فريد . ويدخل الى حلة بني قراد في زيّ العبيد . ولا يزال يدور بين اطناب الخيام . الى ان يقع نظره على عبلة بدر التمام . ثم انهُ يعود الى وقت السحر ويطلب الرواح . واكثر الليالي ياتي عند الصباح . فقال لهُ شيبوب ويلك ياعبد السو ونسل الاوغاد . اما تنكر عليهِ عبيد بني قراد . قال العبد ان له هناك عبيد واصحاب . يبرطلهم بالمال والثياب . فيخفوه بينهم اذا دخل ويساعدوه على بلوغ الامل . فقال شيبوب ان هذا الحديث الذي تبديه . لا نعرف معانيه . وانما انت تحدث بذلك من الفزع . والخوف والهلع . فاخلع الان الثياب التي عليك . والاَّ اخذت راسك من بين كتفيك . لاننا قوم غربا من بلادٍ بعيدة . وقد اتينا الى هذه الارض ولنا فيها مدة مديدة . ونحن نطلب شيا نكسبه . او ما لا ننهبه . ولنا على هذه الحالة ايام وليال . ولم نظفر بطايل . فاخلع ثيابك واطلب اهلك . قبل ان تهلك . فلما سمع العبد ذلك الكلام . ولاح له لايح الحمام . خلع الثياب والعمامة وسلم الجواد والحسام . وانطلق بسلام . هذا وقد تعجب عنتر من

Digitized by Google

ذلك الاتفاق العجيب . والامر الغريب . وقال لشيبوب ان الامر قد تسهل . وما بقي غير اخذ عمارة الى الطلل . وقد بلغنا غاية الامل . ولا اطلقهُ الا بعد ما اشفي فوادي منهُ بالضرب الوجيع . واخاص بهِ درع قيس من الربيع . فلما سمع شيبوب من اخيهِ ذلك الخطاب . قال ليس هذا بصواب لاني اخاف ان يخالفنا في الطريق . ونعدم السعادة والتوفيق . وانما الراى نقيم في هذا المكان . ساعة من الزمان . حتى اذا جاء قبضناه . واشبعناه ضربا واوثقناه . ثم ان شيبوبا لبس ثياب عمارة . وانطرح مكان العبد على تلك الحجارة . وما زال كذلك الى ان ذهب اكثر الليل وطلع نجم سهيل . واذا بعمارة قد اقبل . وهو يهرول على عجل . فلما ابصره جواده حمحم وصهل . فقال عمارة قد جيتك يا صهال . بعد ما شاهدت عبلة ذات الحسن والجمال . وفزت منها بالمطلوب . وشفيت غليل قلبي من المحبوب ثم انهُ تقدم الى نحو شيبوب . وقال له لعن الله قومك . فما اكثر نومك . قم اخلع ثيابي قبل ان يدركنا الصباح . ونحن في هذا البطاح . ثم خلع ثياب العبد بعد تلك المقالة . وابصره شيبوب وهو على تلك الحالة . فوثب اليهِ وثبة الاسد الغضنفر . والسيف في يده مشهر . وقال لهُ ادر كتافك يا غدار . واترك عنك ذكر العبيد والاحرار . والا جرعتك الموت بحد هذا الحسام البتار ثم رفع يده وضربهُ . واذا بعنتر قد سبقهُ وطلبهُ . وشدَّ كتافهُ وقوى سواعده واطرافهُ .

Digitized by Google

وقال لاخيهِ شده على فرسهِ بالعرض. وسر بنا من هذه الارض فقال عمارة وقد ايقن بالهلاك والعطب لا تفعلا يا وجوه العرب وابشروا بالاموال والذهب * وبلوغ الارب فاسترا عورتي. ولا تتعرضا لاذيتي. فما انا رجل زري الحال. ولا قليل المال * انا عمارة بن زياد. وقومي هم نازلون في اطراف هذه البلاد. فان لم تبيعوني نفسي تندمتما بعد ذلك العمل. واتخلص منكما بلا ناقة ولا جمل. وربما اهلكتكما اخي الربيع ولو كنتما في ابعد المحال ۞ فقال له عنتر وقد وشحه بالمهند الصارم * على جسده الناعم * لاخير فيما ذكرت. ولا فخر فيما بهِ افتخرت * فوحق ذمة العرب الكرام لابد ما امزق جلدك بهذا الحسام * واحرمك ان تذكر عبلة مع الذاكرين. او تزورها في زي العبيد المنافقين. واخلص بك درع قيس الذي قلت له بجاقتك وقلت عقلك. قل لحاميتك عنتر ياتي و يخلصها لك. ويلك اما تعرفني يا ابن الاوغاد. انا عنتر بن شداد * الرفيع النجاد. القوي العماد * الوري الزناد * الذي اشتهر ذكره وساد * وخضعت لهيبتهِ رقاب السادات الاجواد * فلما سمع عمارة ذلك المقال اعتراه الاندهال وايقن بالهلاك والوبال * وذل بعد العز وقال * لا تواخذونا يا ابن العم بالزلل. وابشر ببلوغ الامل * فقد سبق السيف العذل. وقد فعل القضا ما فعل * فقال عنتر ليس هذا وقت كلام. الا اذا شفيت غليلي منك يا ابن اللئام. ثم البسهُ ثياب العبد التي

كانت عليه . وشده على جواده وساقه بين يديه . وساروا
يقطعون القفار . وهم طالبون الديار . وعنتر يجلده بالسياط
كلما تذكر افعاله . حتى تخدشت اجنابه واوصاله . فغاب عمارة
عن الوجود . وبقي حاضراً في صفة مفقود * وهو يصيح ويستغيث
وليس من مجيب ولا يغيث . وقد عظم عليه ذلك الامر * واشتعل
في قلبه لهيب الجمر . وندم على ماصدر منه من الاعمال . وقاسى
ليلة شديدة الاهوال . لم ينسلها على مدى الدهور والاجيال *
ولما وصلوا الى الاطلال اخفى عنتر عمارة في بيت امه زبيبة وكتم
واقعة الحال . ولما كان الصباح علم الربيع بفقد اخيه عمارة
فذاب جسده . والتهبت كبده . واسودت الدنيا في عينيه . وخافت
امه عليه * وقالت اخوته لاشك ان عنتر قتله وعجل من الدنيا
مرتحله * فقال الربيع وحق خالق البشر * ان قلبي يحدثني
بغير هذا الخبر * وما اقول الا ان قيسا الذي فعل هذه الفعال *
وترك عليه العيون والارصاد حتى اوقعه في شرك العقال *
وذلك بسبب الدرع الذي اخذتها منه * ويريد مني ردها اليه
لاجل ان يصفح عنه وانا وحق ذمة العرب * وحرمة شهر رجب * لابد
لي ان اقابل اولاد الملك زهير وعنتر * بالاذية والضرر * حتى
يعلموا ان مثلي لا يهمل امره * ولا يخمد ذكره ثم انه ترك على بني
عبس العيون والارصاد * وقد نما غيظه وزاد

قال وشاع الخبر بفقد عمارة بن زياد * بين الرجال والاولاد

Digitized by Google

وقيل لقيس ان الربيع اتهمك بقتل اخيهِ • وترك عليك العيون والارصاد لعلهُ ان يظفر باحدمن اخوتك حتى يجازيه . فقال قيس وحق البيت الحرام • وزمزم والمقام • لقد كذب الربيع في هذا المقال لانهُ لم يخطر لي ببال . وليس لعمارة عدوًا الا حبة بطن الواد • الامير عنتر بن شداد . ولا اقول ان عنترًا يقتلهُ لانه كم من مرةٍ ظفر بهِ واهملهُ • وما دام انه ترك عليَّ العيون والارصاد والقي شره علينا من دون العباد • فوالله لا ريبهِ من هو اقدر على الشر والعناد

قال الاصمعي وبعد ذلك • اجتمع عنتر بصديقهِ مالك فحدثهُ مالك بذلك الخبر . الذي شاع واشتهر . فقال لهُ عنتر كن مطمان الخاطر من هذا القبيل . ايها السيد النبيل . فاني قضيت الشغل من زمن مديد . وبلغت كل ما اريد . ثم حدثهُ بقصة عمارةٍ لما اتى لينظر عبلة في زي العبيد • وهو الان عندي يقاسي العذاب الشديد . فتعجب مالك وفرح غاية الفرح . واتسع صدره وانشرح : وقال الصواب ان تقتله ما دام امره مكتوم • وحاله غير معلوم • فقال عنتر لقد صدقت وصوابا نطقت • غير اني اذا فعلت هذا الامر . اخاف من عتب اخيك في السر والجهر . وملامه عليَّ مدى الدهر . ولكن ليس لعمارة خلاص • من شرك الاقتناص • الا برد الدرع في الحال . والا انزلت بهِ النكال . وهو قد ضمن لي ذلك غير اني ما وثقت بخطابهِ •

ولا شفيت غليل قلبي من عذابهِ

قال مجد بن هشام . وبعد ذلك الكلام . باربعة ايام . وقع الصياح في اطراف الخيام . وجاء شيبوب الى عنتر وقال له ادرك صديقك مالك قبل الهلاك . وخاصه من الارتباك . لان اليوم كانت نوبتهُ في حفظ المراعي والاموال . فالتقاه الربيع في جماعة من الابطال . وقتل من اصحابهِ خمسة رجال . وقد جيئتك وهم في اشد الطعن والضرب . وقد اوقد نيران الحرب . فقال عنتر اي وابيك . فسوف ترى اليوم من فعالي ما يسرك ويرضيك . ثم انه ركب جواده الابجر . واعتقل برمحهِ الاسمر . وتقلد بسيفهِ الضامي الابتر . الذي لا يبقي ولا يذر . وخرج من الخيام . كانه الاسد الهجام . وما زال يخب بالجواد . حتى اشرف على راس الواد . واذا بهِ يرى آل زياد * وفرسانهم الاوغاد . قد داروا بمالك ومن معه من كل جانب . وطلبوه بالقنا والقواضب . والربيع واقف على بعض التلال * في خمسة ابطال يحث عبيده ان تسوق اليهِ النوق والجمال . وهو فرحان ببلوغ الامال . منتظراً اسر مالك وانجاز الحال . فلما راى عنتر . ذلك الامر المنكر . طار الشرر من عينيهِ . واشتعلت النار بين جنبيهِ . فهمز بالجواد وخاض الغبار . وزعق في الرجال كالاسد الهدار . وانصب عليهم انصباب الغيث المدرار . والتقاهم بطعن يسابق القضا والقدر . وضرب لا يبقي ولا يذر . فولت

من امامه الفرسان * وتغيرت منهم الالوان . وتاخروا عن الحرب والطعان . فانفرجت عن مالك واصحابه الغمة . وزالت عنهم تلك الظلمة . وابصر الربيع ما جرى وكان . فقال يا بني عمي في اي وقت بلغ الصوت بنو عبس حتى وصل الينا هذا الشيطان . وانا اقول انه كان مكمن لنا في بعض الشعاب وقد حسبت هذا الحساب . من قبل شروعنا في هذه الاسباب . والدليل على ذلك انه وحده . وليس معه من يساعده * واريد منكم الان المعاونة والمساعدة * وان تكروا معي بهمة متعاقدة * ونهمة متعاضدة . حتى اوقع به الفنا * وانال بقتله غاية المنى * قبل ان تدركه الشجعان * والابطال والفرسان * ثم انه لكز الجواد * واقتحم الغبار والسواد * وقصد عنتر بن شداد * واذا باخيه انس ينادي ويصيح * من قلب جريح * ادركوني يا قوم فقد قصف اضلاعي * هذا العبد الراعي * وكان عنتر قد طعنه بعقب الرمح كسر له ضلعين * وصاح فيه فولى خوفا من حلول غراب البين * فلما سمع الربيع ذلك الكلام اضطرم غضبا * واستشاط لهبا * وقال لمن يعتمد عليهم من الرجال سوقوا الغنايم والاموال حتى اخذ لاخي بالثار * من هذا العبد الجبار * ثم انه اطلق العنان وقوم السنان * وصاح في الابطال والفرسان * واذا بالرجال قد تنافرت من تحت الغبار * تطلب لنفسها الهرب والفرار * وكان عنتر قد فرقها بضرباته * ومزقها بطعناته * فلما راى الربيع

ذلك الحال * تقطعت منه الاوصال * وخرج عن دايرة الاعتدال * وقال والله لقد اهلك هذا العبد فرساننا * واباد ابطالنا وشجعاننا وان تبعه من بني عبس النفير * فما يبقى منا لا كبير ولا صغير * ثم انه التفت فراى الخيل التي كانت معهُ قد عادت على اعقابها * وتبعت المنهزمون من اصحابها * فعند ذلك طلب لنفسهِ النجاه ، وقصد جوانب الفلاه * فنظره عنتر والدرع عليهِ وهو يريد ان ينجو مع رفقاه . فادركه وصاح فيه وفاجاه ، وطعن جواده في خصاه فوقع الربيع من على ظهرهِ وتكبكب ، وهو ينادي با لويل والحرب . وقد ايقن بالهلاك والعطب . فدنا عنتر اليهِ . واراد ان يعجل عليه . فقال الربيع الصنيعة يا ابن العم الصنيعة * فانها من كرم الطبيعة . قال عنتر اماتك الله ولا احياك . ولا حفظك ولا ابقاك . لانك لا تدعوني با بن العم الا وانت تحت الصارم المهند . واما في الولايم والدعوات انا العبد الاسود . فاخلع الدرع يا نسل اللئام . والا وشحتك بهذا الحسام قال سمعا وطاعة . ثم انهُ خلعها وسلمهُ اياها من تلك الساعة وطلب لنفسهِ الهزيمة والهرب . وهو لا يصدق بالنجاة من العطب وعاد عنتر وقد بلغ مناه . والتقاه مالك بن زهير وهناه وقال لله درك يا ابا الفوارس من اسدٍ جسور . وبطل في مقام الحرب صبور ، ثم انهم عولوا على المسير . وسرعة التشمير . واذا بفرسان بني عبس قد اقبلت عليهم من روس الشعاب ، واقتدت في

الكتاب الثلثون
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

تلك الارض كأنها الذياب . او اسود الغاب . وفي اوايلهم الملك قيس يطرد الفرسان . وهو لا يصدق ان يرى اخوته سالمين من الاعدآء . فتلقاه عنتر بن شداد . وقد اطلق عنان الجواد . وقال يا مولاي لم يكن في الامر ما يوجب الى عناك . لان لك عبد يحرسك على ممرّ الساعات ويرعاك . ويشك بسنانهِ قلوب اعداك . وها قد بلغتك اليوم مناك . وخلصت لك درعك من اعداك . ثم انهُ سلمه اياه ففرح واستبشر . وزال عنه الكدر . واثني على عنتر . ودعى لهُ بطول العمر . واكثر لهُ من الحمد والشكر . ثم رجعوا الى الديار . وهم في غاية السرور والاستبشار .

قال الاصمعي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الربيع بن زياد * معدن الشر والفساد * فانه عاد وهو خاسر من كل جانب * ولما امن على نفسهِ من النوايب * جمع الرجال الذين كانوا رحلوا معه من بني عبس الكرام . وعاتبهم بالكلام * وعنفهم بانواع الملام * وقال لهم لقد خذلتموني في المقال والفعال * وقعدتم عن نصرتي وقت الحاجة اليكم في القتال * فقالوا اما الذي كنت

Digitized by Google

تريده منا * ابديه ولا تخفيه عنا * اتريدان نقاتل ملوكنا وبني الاعمام * ونجرد في وجوههم الحسام * ونخلف العهود والذمام * اما كفاك اننا تبعناك الى هذا المكان وهجرنا لاجلك الاوطان * وبعد ذلك تريد ان نقاتل من هم اقرب الناس الينا * واعزهم علينا * فهذا امر لانطاوعك عليه ابدًا * ولا نشمت بنا العدى * لانهم كانوا قد ندموا على حضورهم مع الربيع * وكانوا يلعنونه على ذلك الصنيع فلما سمع كلامهم * عرف قصدهم ومرامهم * فقال لهم اذا كانت هذه نياتكم فلا خير في جيرتكم * لاني غني عنكم وعن نصرتكم ثم انه اخذ في التحميل وجد في الرحيل وقصد بنو فزارة وليس معهُ غير اخوته . ونفر قليل من عشيرته قال وكان عنتر عند وصوله الى الاطلال . فلك عمارة من الاعتقال . بعدما اشبعهُ ضربًا . وشتمًا وسبًا . وقال له والله يا قرنان . ان عدت ذكرت عبلة بعد هذا اليوم بالشفة واللسان ذبحتك ذبح الاغنام وشربت دمك مثل شرب المدام . ثم انهُ اطلقهُ فسار وقصد بنو فزارة وتلك الديار

قال الراوي وكان الربيع قد وصل الى ديار القوم . في ذلك اليوم . فخرج حذيفة الى ملتقاه . ولما اجتمع بهِ اكرمهُ وحياه . وانزله في مكان واسع . كثير الغدران والمنابع . ثم ساله عن سبب رحيله من ديار بني عبس فحدثهُ بتلك الاشارة . وما جرى من حديث عمارة . فقال حذيفة اما نزولك في وادي اليعمورية وتلك

الهضاب . فليس ذلك بصواب . ولو انك عند رحيلك من الاوطان . اتيت الى هذا المكان . كنا ساعدناك على اخذ حقك باي وجهٍ كان . كما هو من داب . سادات الاعراب . واما عمارة فما هو الا عند عنتر في الاعتقال . او ربما يكون قد قتله وانزل بهِ النكال . واخفاه بين احاقيف الرمال . فقال الربيع والله يا امير ان هذا العبد الحقير . قد كساه عارًا . وذلاً وشنارا . وانا اقسم بالبيت الحرام . وما عليهِ من الالهة والاصنام . لابد لي ما اقتله . واعجل اجاله . ومن تعصب له فعلت بهِ مثله

قال الراوي وفي تلك الليلة وصل عمارة . الى بني فزارة . ودخل على اخوتهِ وهو في تلك الثياب . وعليهِ اثار الذل والاكتياب . وحدثهم كيف وقع بهِ عنتر . في البر الاقفر . وما قاسى عنده من العذاب المنكر . فصعب ذلك على الربيع . وقال والله ان القتل اهون علينا من هذا الصنيع . ولابد لي ان انتقم منهُ جزآء على عملهِ الفظيع . وفعلهِ الشنيع . وسعيهِ المذموم عند الجميع . لانهُ قد تجبر وطغى . وتكبر وبغى . وبعد ذلك التفتت فاطمة على عمارة وقالت لهُ ياولدي . ومهجة كبدي . ما كنت اريد ان تتعرض لهذا الشيطان ولا تذكر عبلة بالشفة واللسان . وقد نهيتك عن ذلك مرارًا فما كنت تنتهي . وما تفعل الا ما تشتهي . وانا اخاف عليك من شره واذاه . ومكره ودهاه . لانهُ فارس الفرسان . واوحد ابطال هذا الزمان . فقال عمارة وحق الركن والحجر . والبيت العتيق المطهر

اني لاانتهي عن معارضة هذا الشيطان المريد • واخس العبيد • حتى اضحى طعمًا لوحوش البيد • او انال منهُ ما اشتهي واريد • قال الربيع لاتشغل فكرك يا اخي من هذا القبيل . فسوف يحل بهِ العذاب والتنكيل وتقر عيناك من عبد ذليل • لايعرف الجميل . ولا يراعي الصديق والخليل • ثم انهُ اخذ في تدبير الحيل واتقان العمل • لبلوغ القصد والامل • وكان كلما تذكر عنتر تقطعت احشاه • وتزلزلت اركان اعضاه . حتى صار لاينام الليل والنهار . من كثرة الهم والافتكار . وبعد ايام قليلة بلغ حذيفة الخبر . بمسير خالد بن جعفر . لقتال بني عبس وعنتر . وان الشيخ دُرَيد بن الصمة . الذي كان قد اتصف بالشجاعة وعلو الهمَّة . ارسل له اخوه عبدالله في جمع كثير من بني هوازن وهمذان • وانجدهُ باربعين الفا من العربان • فلما سمع حذيفة هذا الخبر انقطع ظهره . وارسل في طلب الربيع ليستشيره • فقيل له قد رحل • الى بعض القبايل والحلل • ثم انهُ امر قومهُ باخذ اهبة الحرب • والاستعداد للطعن والضرب وانفذ الى الحارث بن ظالم روسادات بني مرة يطلب منهم نجدة ونصرة

وكان قيس بن زهير قد بلغه الخبر • بقدوم خالد بن جعفر وانه طالب قلع اثارهم . وخراب ديارهم . فجمع بنو عبس وفرَّق عليهم الدروع والسلاح . والة الحرب والكفاح • وسال عن عنتر فلم يقف له على خبر . فقلق لفقده وتحير . وسال عنهُ امه زبيبة

فقال انت اعلم ايها الملك الهمام . انه من مدة ايام . قصده بعض الانام تحت جنح الظلام . وهو يصيح . من فواد قريح . وقلب جريح . اغثنا ايها الفارس المنتخب . وبادر الى خلاصنا قبل الهلاك والعطب . فلما سمع كلامه ثارت في راسه الحمية . وعصفت فيه النخوة الجاهلية . واخذ معه اخوه شيبوب وسار . تحت ستور الاعتكار . ولحد الان لم يرجع الى الديار . فقال قيس والله لقد فقدناه في اضيق الاوقات . واشنع الساعات . لانهُ لا يغيب الا في وقت الحاجة اليه ولا يستشير احد ممن يعز عليهِ . ثم استشار عمه واخوته فيما يفعل * وماذا يدبر من العمل . لانه كان قد خاف من خراب البلاد . وشماتة الاعدا والاضداد . فقال له اسيد الصواب ان تنفذ الى بني فزارة ان تاتي الى هنا بالمال . والحريم والعيال . لاجل ان نكون يدا واحدة على القتال * فانفذ من وقتهِ رسولاً الى حذيفة سيد بني فزارة . وكتب له بتلك العبارة

قال الراوي وكان الربيع بن زياد . قد رحل من تلك البلاد . كما تقدم الايراد . فرجع في ذلك اليوم وهو مسرور الفواد . واجتمع بحذيفة وقال لهُ بلغت المراد . من عنتر بن شداد . وقد اهلكته بحيلتي وهلك معه اربعون عبدا من عبيدي وعبيد اخوتي . فلما سمع حذيفة ذلك الكلام . ابدى الابتسام . وقال وحق البيت الحرام . وزمزم والمقام . اذا بلغت

النفس امانيها . كان ذلك يساوي الدنيا بما فيها . ثم ان حذيفة حدثه بالخبر . واعلمه بمسير خالد بن جعفر . بالابطال والفرسان لقتال بني عبس وعدنان . وفزارة وغطفان . واستشاره بالرحيل الى ديار بني عبس من ذلك اليوم . لاجل ان يكونوا يدا واحدة على قتال القوم . فلما سمع الربيع كلامه عبس وقطب . ولم يجبه الى ذلك الطلب . وقال ليس هذا بصواب . ايها السيد المهاب فدع قيس يحمي بلاده من غارة الاعدا . ويدبر بعقله كيف ما شا ونحن لسنا بعاجزين عن حماية الاهل والنسا . لانه ما دام عنتر قد هلك في هذه الكرة . فنحن اقوى من بني عبس اذا قدم علينا الحارث بن ظالم بفرسان بني مرة . فاستحسن حذيفة رايه واستنسبه . واعتمد عليه واستصوبه وفي اثنا ذلك اقبل رسول قيس واعلم حذيفة بالخبر . وان قيسا بانتظاره لاجل ان تكون القبيلتين يدا واحدة على قتال خالد بن جعفر . فرده بالخيبة واغلظ معه في المقال فرجع الرسول واخبر قيسا بواقعة الحال . فزاد به الغيظ والغضب واحترق فواده والتهب . وتعجب غاية العجب . وعلم ان ذلك الفساد . من تدبير الربيع بن زياد

قال مجد بن هشام . وفي ثاني الايام . وصلت بنو غطفان الى ديار بني عبس وعدنان . في اربعة الاف عنان . مع سيدهم الامير حسان فاكرمهم قيس وانزلهم في احسن مكان . واحترمهم غاية الاحترام . وقدم لهم الطعام والمدام . وبعد ذلك جمع قيس

سادات بني عبس الكرام . وقال لهم يا بني الاعمام . خذوا اهبتكم للقتال . والحرب والنزال . حتى نسير الى من اراد ان يسير الينا . ويقدم بشره علينا . فلما سمع القوم كلامه ثارت بهم الحمية ولعبت باعطافهم نخوة الجاهلية . ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . خرجت الابطال . وتلاحقت الرجال وهم قد غاصوا في الحديد . وتسربلوا بالزرد النضيد . وركبوا الخيول . وتقلدوا بالنصول ونشرت على راس قيس راية العقاب . ودارت به العشاير والاحزاب . وساروا القتال خالد بن جعفر . وهم مستوحشون لفقد عنتر لاسيما عروة بن الورد واسيد بن جذيمة . فانهما كانا يحبانه محبة عظيمة . هذا وقد جدوا في المسير * وسرعة التشمير وداموا على مسيرهم طول ذلك النهار وفي اليوم الثاني طلع من امامهم الغبار . وثار من ساير الجنبات . واسودت به البراري والفلوات * ثم انكشف للابصار . وبان من تحته جيش جرار والكل يبادرون بالعمامه ويتسابقون للحرب مثل الاسود الكواسر ونادى ملاعب الاسنة وخالد بن جعفر . وكانا في اوايل العسكر الا ما ابركه من صباح . وان شاء الله يكون لنا فيه الخير والنجاح ثم حملا كانهما اسد البطاح . وطلبا الحرب والكفاح . فعند ذلك صاح الملك قيس على بني عبس وعدنان . ومن معه من العربان البدار يا بني عمي البدار . خذوا لانفسكم بالثار من هولاء الاشرار فلما سمعوا منه ذلك المقال . تقدمت الفرسان الى المجال . بقلوب

كالجبال • والتقت الرجال بالرجال . والابطال بالابطال .
واشتبكت بينهم الرماح مثل اجام القصب . وكثر الركض والخبب
حتي كادت الجبال تثور وتقلب . وهتكت السيوف الدروع
واللبب • وجري الدم وانسكب . مثل افواه القرب • وعظم
الويل والحرب • . وهان المال والمكسب . ودنا الموت واقترب •
وثبت الشجاع الاغلب • وولى الجبان وهرب . خوفاً من الهلاك
والعطب * فما كان يرى في تلك الساعة . الا رمحاً خارقاً . وسيفاً
بارقاً • ودماً دافقاً . ولم يزالوا على ذلك الحال . وهم في اشد
نضال . حتي كلت السواعد من القتال • وتقهقرت بنو عبس
وضاق عليها المجال . وايقنت بالهلاك والوبال فارتدت الى الوراء
وتفرقت في جوانب الصحراء * وكان قد اقبل جيش الليل *
وشمر المهزيمة جند النهار الذيل * فتراجعت الفرسان عن
بعضها البعض * ونزلت كل طايفة منهم في ناحية من الارض
قال الراوي ولما قوض الليل خيامهُ * ورفع النهار اعلامهُ *
ركبت العساكر * واصطفت الدساكر * واقتتلت بنو عبس مع
بني عامر * وكان يوماً مهولاً كثير الاهوال والمخاطر تقطرت
فيهِ المراير * وعميت النواظر * وتقطعت الظهور * وسالت
الدما من انابيب النحور * وثبت الشجاع الصبور * وولى الجبان
المذعور • وتقابضوا باللحى والشعور * وكتب الدم على الارض
سطوراً وحامت العقبان والنسور * ونزل عليهم قدر الله المقدور

Digitized by Google

وكان يومهم مثل يوم النسور. فسبحان العزيز الغفور. هذا وخالد يصيح الثار يابني عمي الثار. من هولاء الفجار. واظهر ملاعب الاسنة فروسيته تحت الغبار. وما صدقت بنو عبس باقبال الليل وادبار النهار. لانه كان قد قل منها الاصطبار. فتفرقت في جوانب القفار. وافتقد قيس رجاله فوجد قد فقد منهم خلق كثير المقدار فخاف من الهلاك والبوار. وقال والله ان ابطا علينا حامينا عنتر. الى يوم اخر. انقلع منا الاثر. وصرنا عبرة لمن اعتبر * والصواب ان نرحل من هذا المكان. ونعود الى الاوطان. وندافع عن الحريم لان امامنا جيش عظيم. وهم مصممون على هلاكنا اشد تصميم. ومابقي في الامر الا الرجوع. الى الاطلال والربوع. ونبذل جهدنا بضرب الحسام. مع هولاء اللئام حتى نموت ونحن كرام

قال الراوي ثم انهم اقاموا في تلك البقعة. حتى ذهب من الليل هجعة. ورحلوا رحيل من ليس له عودة ولا رجعة. هذا وقد جدوا في قطع القفار. وهم طالبون الاهل والديار. فتبعتهم بنو عامر. تحت ظلام الليل العاكر. فادركوهم عند الصباح * وقد زاد طمعهم فيهم وارتفع الصياح * ومدوا اليهم قطع الرماح وكانت بنو عبس قد وصلت الى الاطلال. وشاهدت الحريم والعيال * وهم في اشر حال. فوقع بالنسا الخوف والفزع. وعلا ضجيجهن وارتفع * لما ابصرت جيش بنو عبس قد رجع. وجيش الاعدا من خلفهم قد

Digitized by Google

طلع . هذا وقد انتشب الحرب بين الفريقين واتصل . وتطاعنوا باطراف الاسل . وسقطت الروس من اعالي القلل . وسال الدم وهطل . وعلا الصياح من كل مكان . وتقدم الشجاع وفر الجبان * وارتفع القتام الى العنان * وازدحمت الخيل في الميدان * وصاحت عبلة مع باقي النسوان . وقد كشفن الوجوه وارخين الشعور * يا بني العم اين البطل الغيور * اين الفارس الجسور . من يحمي الحريم * في هذا اليوم العظيم * قاتلوا يا بني الاعمام * ولا تتركونا في قبائل العرب جوار وخُدّام

قال الراوي وما زال القوم في اشد قتال * وحرب ونزال حتى ولى النهار بالارتحال . واقبل الليل بالانسدال * فعند ذلك رجعت كل طايفة الى وراها * وقد ايقنت بنو عبس بهلاكها وفناها * بعدما قتل منها جمعٌ غفير واسر نحو مائتين من الفرسان المغاوير * والابطال المشاهير * ولما هدأ الليل زاد بكآء الاطفال . وصياح النسا والعيال * وباتوا وهم في غاية العنا والضير * وقد آيسوا من الملك قيس بن زهير * لان ملكه بعد عنتر قد انهدم وعلموا انه قد اشرف على الهلاك والعدم * وبات قيس وهو يقول وحق البيت المُعظَّم * والشهر المُحرَّم * ما كانت هيبتنا الا بذلك البطل الادهم * والليث الغشمشم . فارس البدو والحضر * وشاعر ربيعة ومضر * ابو الفوارس عنتر * فيا ليت شعري ما الذي جرى عليه من صروف القضا والقدر * وما الذي اصابه من

الامر المنكر * وهل علم بما نحن فيه من الخطر

قال الاصمعي هذا ما كان من بني عبس . وما حل بهم من التعس والنحس . واما ما كان من بني فزارة . الطايفة الغدارة . فانه كان قد دهمهم عبد الله اخو دريد بن الصمة . في عشرين الفًا من نخب الابطال اصحاب العزيمة والهمة . واحاط بهم من ساير الافاق ماحاطة الاطواق بالاعناق . و بياض العين بسواد الاحداق . فقاتلت بنو فزارة اشد قتال . وثبتت على الاهوال ولولا الحارث بن ظالم . الفاتك الغاشم . كانوا تاخروا . وانهزموا وتقهقروا . لانه قاتل معهم بنية صادقة . وهمة فايقة . لان الفارس الشديد . والبطل الصنديد اذا كان في طايفة ضعيفة احياها . وثبتها امام اعداها . وكذلك فعل الربيع بن زياد واراد بذلك اظهار عجز قيس بن زهير لانه كان مسرورا بهلاك عنتر بن شداد

قال الراوي هذا ما جرى وكان * من امر بني فزارة و بني عبس وعدنان . واما ما كان من حديث عنتر بن شداد . فانه بعد تخليصه الدرع من الربيع بن زياد . واطلاقه عمارة من القيود والاصفاد . بات تلك الليلة وهو في قلق وضجر . يعالج الهموم والفكر فنام ساعة من الليل . حتى طلع نجم سهيل . واذا بصايح يصيح من قلب جريح . اين اصحاب النخوات . اين اصحاب الغيرة على البنات . اين الفرسان والسادات . يا للعرب اما من مجير

اما من نصير . ادركني يا ابا الفوارس فقد اتيتك مستجيرا . فكن لي مساعدًا ونصيرًا . لانها قد سبيت حريمي . وعجزت عن دفع غريمي . فلما سمع عنتر صوت ذلك المنادي . في الليل الهادي اخذته الحمية . وعصفت في راسه النخوة الجاهلية . وصاح في اخيه شيبوب . وقال له ايها العزيز المحبوب . قدم لي الجواد الابجر وشد عدته عليه . فقام شيبوب واسرجه وقدمه اليه . فركب عنتر حصانه . واطلق عنانه . وركض نحو المستجير . وتبعه شيبوب كانه البعير . وكانت فرسان العرب في تلك الايام . اذا استجار بها احد من الانام . وسالته عن حاله . وما هو الداعي الى سواله نسبوه الى الخوف وعيروه بذلك السوال . وقد ذكر ذلك بعض الشعرا فقال

يتشاغلون عن الصريخ تعللًا ويماطلون القول عند سوالهِ
واذا اتاهم صارخٌ في ليلةٍ ناموا وكانوا عالمين بحالهِ

ومما قيل في حق الشجعان . الذين لا يقدرون عواقب الزمان .

قومٌ اذا نادى اليهم خايفٌ لبوه قبل سوالهم عن حالهِ
وحموه من اعدائهِ بمهنّدٍ حتى يعود مظفرًا بآمالهِ

قال وما زال عنتر مجدًّا في مسيره . وسرعة تشميره . حتى صار وقت الغلس . وكاد ضوء النهار يتنفّس . فاشرفوا على ارض وعرة المسالك . كثيرة الافاق والمهالك . فبينما عنتر ساير في

Digitized by Google

ذلك المكان . اذ قد دهمته الخيل والفرسان . وانقضّت عليهِ مثل العقبان . وصاحوا عليهِ من كل جانب . وطلبوه بالاسنة والقواضب

قال الراوي وكانت هذه مكيدة وحيلة . وورطة وبلية * قد باشرها الربيع بن زياد . من حنقهِ على عنتر بن شداد . وكان قصده أن يقتلهُ ويخفي اثره . ولا يعلم احدًا خبره . لانهُ لما خرج من ديار بني فزارة . وتعاهد بقتل عنتر لاخيهِ عمارة . كما سبقت الاشارة . انتخب خمسون عبدًا من عبيده الاجواد . واكمن بهم في تلك الواد . ونصب شبكًا في ذلك المكان . واتقنهُ غاية الاتقان . بحيث لاينكرهُ احد من الفرسان . وانفذ ذلك الصايح ليستجير بعنتر . ويأتي بهِ بتلك الحيلة كما تقدم الخبر . حتى اذا وصل اليهم . واشرف عليهم . يتبادرون اليهِ بالاسنة والنصال ويصطادونهُ بشرك الحبال . كما يصطاد الصيَّاد الغزال

قال فلما شاهد عنتر ذلك الحال . انصب عليهم كالعارض الهطال . وصاح وزمجر . والتقاهم بالاسمر والابتر . وطعن الاول في صدره . اطلع السنان يلمع من ظهره . واتاه الثاني فالقاه * والثالث اورده فناه . وما زال ينثر العبيد . حتى قتل منهم عشرة من الصناديد . وبددهم على ذلك الصعيد . وبعد ذلك تكاثرت عليه الرجال . وطلبتهُ من اليمين والشمال . ورشَّت بوجه الرمال . وكان الابجر قد تعرقل بتلك الحبال

فلما نظر عنتر الى ذلك الحال . ايقن بالهلاك والوبال . فترجل عن الابجر . وصاح وزمجر . وسل الصارم البتار . وهجم عليهم تحت ستور الاعتكار . وكان قد اشرف على البوار . مما نزل عليه من التراب ورمي الاحجار . وما زال يدافع عن نفسه ويمانع . حتى لعبت فيه السيوف القواطع . والاسنة اللوامع . فبينما هو في اشد الضيق . اذ وقع عليه حجر كانه المجنيق . فوقع على قفاه في وسط الطريق * وحل به الاسف . واشرف منه على التلف * فانطبقت عليه الرجال . وقالوا له لقد وقعت يا ابن الانذال * ثم انهم ركبوا على ظهره . وتمكنوا من كتافه واسره . ولما ابصر شيبوب الى تلك الحال . وكان قد قاتل اشد قتال اخذه العجب . وعزم على الهزيمة والهرب . خوفاً من الهلاك والعطب . فقبضوا عليه كلمح البصر . واقرنوه الى جانب اخيه عنتر . ثم تقدم الربيع واخيه عمارة * وساعدا العبيد عليه بضرب العصي والحجارة * حتى شدوه على ظهر الجواد * وخرجوا به من فم الواد وكان الفجر قد انفجر * والصبح قد لوح وظهر * فقال الربيع * اعدلوا بنا عن الطريق * واقصدوا راس المضيق * وحكموا فيه السيوف والمزاريق * فالتفت عنتر عليه * وقد اسودت الدنيا في عينيه وقال له ويلك يا ابن زياد * لقد اجتهدت غاية الاجتهاد * حتى بلغت مني غاية مرادك * فاقتلني هاهنا وعد الى اهلك وبلادك * فقال له عمارة لا وذمة العرب . وشهر رجب * لا نقتلك الا بعد ما نذيقك

اليم العذاب . وتقطع منك الاوصال والاعصاب . ثم انهُ بعد ذلك الخطاب . جلده بالسوط على اكتافهِ . حتى مزق جميع اطرافهِ . فصاح عنتر من شدة الالم . وقد ايقن بالهلاك والعدم وقال والله يا ابن الف قرنان . واخس العربان . هذا الضرب لا يصلح الا لذليل مثلك جبان . واما انا فما يصلح لي الا الضرب بالسيف الهندوان فعزوا انفسكم على فراقي اذا اصابتني يد الزمان . فلما سمع عمارة كلامه اضطرم غضبا . واستشاط لهبا * وقال لاخيهِ الربيع اني قد عولت على قطع يديه . وقلع عينيهِ وبعد ذلك نلقيهِ على وجه التراب . حتى يتجرع غصص العذاب وتاكل لحمه الوحوش والذياب . لانه اسأ الادب . وافترى على سادات العرب . فقال الربيع افعل ما بدالك . فقد بلغك الله امالك

قال محمد بن هشام ☉ وما انتهى الربيع من هذا الكلام * حتى بان لهم غبار * كالغمام السيّار * من جوانب ذلك القفار * ومن تحتهُ جيشٌ جرار * قد علا صياحهُ * ولمعت اسنة رماحهُ فلما ابصر الربيع وعمارة الى ذلك الجحفل * حلّ في قلوبهما الخوف والوجل * وشاهدا الموت قبل حلول الاجل * وقال الربيع لعمارة اقتل يا اخي الى عنتر * حتى اخوه الاخر . ونرجع الى الاطلال قبل ان تدهمنا الرجال والابطال * فعند ذلك سل عمارة حسامه * وتقدم ليسقيه كاس حمامه واذا بالابجر صهل ونفر *

وطلب الخيل بعنتر * مثل السحاب اذا انحدر لانهُ كان عودهُ صاحبهُ * على طلب الخيل قبل ان تطلبهُ * وكانت الفرسان لما ابصرتهم * قصدتهم وقد انكرتهم . وطلبتهم من كل جانب . وتسابقوا اليهم مثل السلاهب . ومدوا اليهم اسنة الرماح واكثروا من حولهم الصياح . فقال الربيع لاخيهِ عمارة . انجو بنا قبل وقوع الخسارة . ثم انهما طلبا الاهل والديار . وغاصا في عَرَصَات القفار . وقد ذابت اجسادهما . وتفتتت اكبادهما * وكان قد بقي معهما عشرون عبداً من العبيد الوقاح * فخطفتهم تلك الفوارس على اسنة الرماح * وتقدم مقدم القوم الى عنتر * وتأَمَّل فيهِ بالنظر فعرفهُ وعرف اخوهُ شيبوب * الاسد الوثوب * وكان في رقبتهِ حبل طويل رفيع * وهو مكتوف اليدين يقوده عبد الربيع قال وكان هولآء الفرسان . من قوم يقال لهم بنو خَوَلان * والمقدم عليهم مشاع بن حسان * قد اتوا من ديار بني بارق وتلك الاوطان . في طلب المعاش والمكسب كما جرت في مثل ذلك العوائد العرب . لانه كان قد بلغهم الخبر بما جرى على بني عبس من خالد بن جعفر * فجدوا المسير في قطع البر الاقفر الى ان وقعوا بشيبوب وعنتر * ففرح مقدم القوم غاية الفرح واتسع صدرهُ وانشرح ٥ وقال الى اصحابهِ ابشروا بالغنى * وبلوغ القصد والمنى من دون تعب ولا عنا * لان هذا الفارس حامية هذه البلاد * واسمهُ عنتر بن شداد * وسيدنا الملك صفوان بن

عبّاد . له عليهِ ثار واحقاد . لانهُ قتل له ثلاثة اولاد . واذا اتيناه بهِ نلنا غاية المراد . ثم انهُ اوعد قومهِ بالاموال والذهب * وبلوغ الارب . وعاد بهم طالب الاهل والديار . وهو في غاية الفرح والاستبشار . وكان الربيع وعمارة قد جدا في قطع الطريق * وساعدهما السعد والتوفيق . حتى وصلا الى ديار بني فزارة بالسلامة * وهما يعضّان على زنودهما اسفا وندامة . لاجل انفلات عنتر وشيبوب من يديهما . الا انهما ايقنا ان الخيل الذى اخذتهما لا تُبقِي عليهما * وحدّث الربيع حذيفة بتلك العبارة . واعلمهُ بقتل عنتر وعبيده كما سبقت الاشارة . واقام الربيع بعد ذلك . برهة من الزمان * حتى دهمتهم قبايل العربان . وجرى من القصة ما جرى وكان *

قال الراوي هذا وقد جدت ابطال بني خولان . بقطع البراري والكثبان . حتى وصلوا الى الاوطان . فلما استقر قرارهم وبرد نارهم . ضرب الامير مشاجع لعنتر وشيبوب اربع سكك من الحديد . وربطهما بها الرباط الشديد . ووكل بهما جماعة من العبيد . وقال لمن كان معهُ من الرجال . اعلموا ايها الفرسان والابطال . بان هذين الاسيرين لايزالا عندنا في الاعتقال حتى نبلغ من سيدنا صفوان غاية الاما ل . ثم انهُ انتخب جماعة من ابطال بني خولان . وسار بهم الى ديار الملك صفوان . ليعلمهُ بذلك الشان

قال الراوي ولما سارت الابطال وخلي الحي من الرجال *

Digitized by Google

سمعت النساء باسر عنتر بن شداد . وذكرته البنات والاولاد * لانهم كانوا يسمعون بشجاعتهِ . وكرم اخلاقهِ وفصاحتهِ . فصاروا ياتون اليهِ سرباً سرباً . ويظهرون من رويتهم اليهِ عجباً * لان هيبتهُ كانت قد شاعت في ساير الاقطار . واخباره قد سمعت بها العبيد والاحرار . وكان اخر من دخل اليهِ عجوز من العجائز الكبار وكانت غريبة من تلك الديار . فلما راتهُ على تلك الصفة . عرفتهُ حق المعرفة . فالقت نفسها عليهِ وانكبت على تقبيل قدميهِ وقالت لا اشغل الله لك سراً . ولا ضيّق الك صدراً . فوالله يعز عليَّ يا فارس الفرسان . وشاعر هذا الزمان . ونتيجة الدهر والاوان . ان اراك في الاسر والهوان . فقالت لها النسا ايتها الحرّة الكريمة . من اين لكِ معرفة بهذا العبد ابن الامة الذميمة . قالت العجوز لا تقولنَ عنهُ انه ابن امة وما هو الا صاحب الفضل وله الف مكرمة . فوحق ذمة العرب الكرام اصحاب العهد والذمام . ليس على وجه الارض اشجع منه ولا اكرم . ولا يوجد له مثيل بين العرب والعجم فقالت لها زوجة مشاجع اما شجاعته فقد سمعنا بها . وهي تشهد على اعطافهِ . فما الذي رايتِ من كرمهِ وحسن اوصافهِ حتى ذكرتيهِ بالكرم . وفضلتيهِ على سائر الامم * بكرم الاخلاق وعلو الهمم . فقالت لقد غمرنا بجزيل الاحسان واعطانا من المال ما يعجز عن وصفهِ اللسان . ولولاه كانت حالت بنا الاحوال . ونابتنا نوايب الاجال . وذلك ان ولدي

لما اراد الزواج بابنة عمهِ بسلّم اغار على ابل هذا البطل الهمام •
فاخذ منها الف ناقة وجمل. وعاد يطلب الاهل والطلل. فتبعه
هذا الاسود الجلد. الكريم الاب والجد. فخلص منه النوق والجمال
ورجع بهِ اسيرا الى الاطلال . فبكي ولدي بين يديهِ • وشرح
قصته عليهِ فلما سمع شكواه • رحم صباه . وساعده على بلوغ مناه •
واعطاه الجمال الذي جاء في طلبها * وزاده بالفٍ اخرى
ليستعين بها * وقال له ارجع الى قومك * وتزوج بابنة عمك *
ومتى ما قل ما بيدك من المال • ارجع اليّ في الحال. لانك قد
عرفت الطريق • ولا تعد تخاطر بنفسك فتعدم السعادة والتوفيق
فرجع وهو مسرور الفواد • من افعال عنتر بن شداد • وتزوج
ابنة عمه * وقد زال همه وغمه ولحد الان ونحن عايشون في
خير هذا الرجل الكريم * والفارس العظيم • ولا يوجد في العرب
عشيرة ولا قبيلة * الا وله فيها الف مكرمة وفضيلة

قال نجد بن هشام فلما سمعن النساء من العجوز هذا الكلام *
تعجبن من فرط سماحته ومروته . وكرم اخلاقه وعلوّ همته • وصرنَ
يتقربنَ اليهِ بالخدمة والطعام . ويضحكنَ في وجهه ويبدينَ
الابتسام . ويفرشنَ لهُ اذا اراد المنام . وهو صابر على القضاء
والاحكام

قال الاصمعي ولما اصبح الصباح • واضا بنوره ولاح اذا بالغبار
قد ملا القفار • حتى سد البر والفدفد . وعاد النهار كانه ليل اسود

Digitized by Google

وبعد ذلك انجلى عن خمساية فارس. كانهم الاسود القناعس. وفي اوايلهم فارس شديد الباس. قوي المراس. يقال له مبادر بن اياس وهو ينادي ويصيح. من قلب جريح. وفواد قريح. اين انت يامارية ذات الوجه الصبيح. والقد المليح. وحق العزيز الجبار. لمثل هذا اليوم كنت لك في الانتظار. حتى ابلغ منك ما احب واختار. ثم انهُ اقتحم البيوت والمضارب. واوقع السبي في النسا الكواعب. وعظمت الاهوال والمصايب

قال وكان السبب في قدوم هذا الجبار. والبطل المغوار هو انهُ كان يهوى مارية بنت مشاجع بن حسان. الذي عنتر عنده في الاسر والهوان. وكانت ذات حسن وجمال. وقد واعتدال. كانها البدر عند الكمال. او الشمس قبل الزوال فخطبها من ابيها. وبذل له في مهرها الف ناقة براعيها. فلم يجبهُ الى ما طلب. وقال انا لا اترك ابنتي ان تتغرب. الى قبايل العرب. فلما بلغ مبادر ذلك الخطاب. خرج عن دايرة الصواب وزادت بهِ الاطماع. وحل براسهِ الصداع. وَحلَت الجارية في عينيهِ اكثر وجدًا بعد الامتناع. ومن يومهِ شرع في جمع العساكر حتى صار عنده هذا الجمع الوافر. وكان قد بلغهُ بان الحي خالي من الفرسان. وان مشاجع غايب عن الاوطان. في ابطال بني خولان. فاجمع رايه على اغتنام الفرصة. وازالة الغصة * وان يسبي مارية وياخذها غصبا. ويملي قلوب اهلها خوفا ورعبا

ثم انهُ سار . في تلك الانفار . بهمة واقتدار . وما زال يقطع القفار
حتي وصل الى تلك الديار . عند اقبال النهار . واوقع النهب
في المضارب والابيات . وعلا الصياح من ساير الجهات وضجت
النسا بالعويل والنواح . خوفا من السبي والافتضاح . هذا
وقد اشتد بمارية القلق . وفاض دمعها واندفق . وخافت من
الهتيكة والعار . بين العرب الاخيار . فنادت واذلاه . واقلة
ناصراه . وافضيحتاه . اليوم تتحكم فينا العدى . ويلبسنا العار على
طول المدى . ولما ابصرت العجوز التي وصفت لها عنتر . ما حل
بها من العبر . تقدمت اليها في الحال . لانها علمت انها مسبية
لامحال . وقالت لها يا حرة الاعراب . انهُ لاينجيك من هذا
المصاب . الا ذلك الفارس الاسود . والبطل الاوحد . الذي
ناره في الحرب لاتخمد . فالقي نفسك عليهِ . واخضعي بين يديه
واطلبي منهُ المساعدة والنجدة . فهو يزيل عنكنّ هذه الشدة
لانهُ قادر على هلاك الاعدا . ولو كانوا بعدد رمل البيدا . فلما
سمعت ما ابدته من مقالها . اجابتها هي وباقي النسا الى سوالها .
ودخلن من وقتهن على عنتر . البطل القسور . وهن منشورات
الشعور . ينادين بالويل والثبور . ووقعن على قدميه . وقبلن
راسه ويديه . وقلن يا حامية عبس وعدنان . اجرنا من غدرات
الزمان . وارحم تذلل البنات والنسوان . ثم تقدمت اليه مارية
وقالت لهُ يا حامية بني عبس . ويامن هو افرس من ظلعت

عليه الشمس . اعلم اننا قد سمعنا من هذه العجوز صفة شمائلك وشدة حربك وحسن خصايالك . فاتينا اليك قاصدين وبك مستجيرين . طالبين منك المساعدة والنجدة . على هذه المصيبة والشدة . لاننا قد بلينا بامر عظيم . وخطب جسيم . وقد وقعنا الان بين امرين خطرين . ومرضين قاتلين . فنخاف ان اطلقناك من الاعتقال . تغتنم الفرصة وتطلب الاهل والاطلال . بعد ما تقتل الرجال . وتنهب الاموال . لانك معذور في هذه الامور . وان نحن ابقيناك وتركناك . هلكنا واياك . ثم انها حدثته بحديث مبادر . واوقفته على حقيقة القصة من الاول الى الاخر

قال محمد بن هشام . فلما سمع عنتر منها ذلك الكلام * اخذته الشفقة على النسا والبنات الابكار * وصعب عليه فعل ذلك الجبار * وقال لها يا بنت الكرام * وحق رب البيت الحرام * ان انت اطلقتيني من عقالي بذلت نفسي دونكن لاطراف العوالي . واجتهد في حربي وقتالي * حتى امزق شمل هولا الانذال * وافرقهم في الروابي والتلال * وارجع الى ما كنت فيه من القيود والاغلال ولا اسير الى دياري الا باذن النسا والرجال * لان الرجل الكريم لايمن بالعطا * ولا يذم الزمان ولا يمدحه ان جار عليه او سطا . واعلمي ان اسري ما كان الا بالقضا والقدر . الذي ليس للعبد منه مهربٌ ولا مفر

قال فلما سمعت منه ذلك الكلام . صدقته لاجل ما قد شاع عنهُ من حفظ العهود والذمام . وتقدمت اليهِ في الحال . واطلقته مع اخيهِ من القيود والاغلال . فركب على ظهر جواده . واعتد بآلة حربهِ وجلادهِ . وهجم على طوائف العدى . بقلب لا يهاب الموت والردى . وكان قد ابصر الخيل تجول بين الخيام والاطناب والسبايا تضج بالبكا والانتحاب . فاستعظم ذلك المصاب . وصاح صيحة الاسد اذا خرج من الغاب . ونادى اوغاد غير امجاد * تنحوا عن الحريم والاولاد . فقد اتاكم حيَّة بطن الواد . عنتر بن شداد . ثم انهُ خاض العجاج . وانطبق عليهم انطباق البحر العجَّاج . اذا هاج وماج . وتلاطم بالامواج * وجال فيهم كالليث العابس * الذي لا يخشى من كثرة الفوارس * فهزم الابطال . ومدد الفرسان في المجال * واخرجهم من الخيام . بطعن الرمح وضرب الحسام . وهو يدمدم كالغول . وينشد ويقول

اذا ما كنت في قوم نزيلاً   وامسوا خايفين من الاعادي
ولم احمِ حماهم طول عمري   فلا بلغتُ من عملي مرادي
ولا قبضت كعوب الرمح كفي   ولا اكتحلت جفوني بالسهادِ
وما اسري وايم الله عيب   وقد جرّبتُ في يوم الجلادِ
أُسرتُ بحيلةٍ وقضاءِ ربٍ   لهُ بطشٌ شديدٌ في العبادِ
يسوق العبد رغماً في حبالٍ   الى طرق الرشاد او الفسادِ

قال الراوي ولما نظر مبادر الى فعال عنتر . وكيف كسر رجاله

وشتتهم في البر الاقفر . صعب عليه . وكبر لديه لانه كان قد اشرف على نهب الاموال . وسبي الحريم والعيال . فانطبق على عنتر في الميدان . بقلب اقوى من الصوان . وقال له ويلك يا اخس السودان . من تكون من الفرسان حتى تعرضت لغنايم ابطال الزمان . وقتلت جماعة من الشجعان . فاجابهُ عنتر يا ابن الالف قرنان . انا حامية عبس وعدنان * وفزارة وذبيان * فدع عنك شقشقة اللسان * وارجع الى ديارك والاوطان * والا جرعتك كووس الهوان * براس هذا السنان * وتركتك طريحًا على بساط الصحصحان . تاكل لحمك السباع والضبعان . وتشرب دمك الكلاب والغربان

قال فلما سمع مبادر كلام عنتر البطل الضيغم والليث الغشمشم . ضحك وتبسّم وقال له ويلك انت تدعي انك من بني عبس الكرام الذين اشتهروا بين الانام بالوفاء وحفظ الزمام واراك قد ركبت معنا مركب الخلاف وعاملتنا بالجور وقلة الانصاف . فارجع الى اهلك وديارك . ولا تتعرض لمصرعك وبوارك . لان الاسراف . هو عين البغي والانحراف * وهو يقلع الاثار . ويخرب الديار . فقال عنتر وحق الاله الخالق الذي لا تدركه ابصار الخلايق . ما نحن الا اصحاب الوفا وكرم الاخلاق . وافضل العرب في ساير البلاد على الاطلاق . فما الذي تريده من الانصاف حتى انصفك . قبل ان اقتلك

واتلفك . قال اني بعد ما كنت اشرفت على نهب الحيّ واخذ محبوبتي . اتيت انت وحلت بيني وبين بغيتي . فقال عنتر اذا كنت تعلم ان البغي له عواقب مرّة تنتج منهُ المضرة . فلماذا تعديت واسرفت وافتريت . لانك خطبت من الرجل ابنتهُ فما رضيك ان تكون بعلاً لها . فاتيت انت في غيبتهِ حتى تسبيها وتهتكها بين اهلها . اهذا هو الوفا والزمام . يا ابن الاوغاد اللئام . فوحق زمزم والمقام * والمشاعر العظام . ان بقيت في طمعك * ولم ترجع الى اهلك . وموضعك . وتخلي هذه الغنيمة والانعام * والاَّ اذقتك كؤوس الحمام . بحد هذا الحسام . وجعلتك مثلاً بين الانام . ما طلعت الشمس وناح الحمام .

قال نجد بن هشام . فلما سمع مبادر منهُ هذا الكلام . صار الضيا في عينهِ كالظلام . لانهُ كان فارس بلاد اليمن . وحامية صنعا وعدن . وحمل على عنتر بساعد شديد . وقلب اقوى من الحديد . لانهُ كان من الابطال الصناديد . فالتقاه عنتر في المجال . وصدمهُ صدمة الاسد الرئبال . وتطاعنا طعناً يقرب الآجال وتشيب منهُ الاطفال . وابصر مبادر من عنتر قتالاً لم يكن له على بال . فخاف على نفسهِ من الهلاك والوبال . ومن شدة ما جرى عليهِ . طعن عنتر بالرمح بين جنبيهِ . فمال عنتر عن سنانهِ . وتركهُ حتى اوسع في ميدانهِ . فهجم عليهِ وحمل . ومال اليهِ مثل ثنية الجبل . وصاح فيهِ فانخبل . وضربه على عاتقهِ *

Digitized by Google

فاطلع السيف يلمع من علايقهِ. وبعد ذلك صاح في من بقي من الرجال. وطلبهم من اليمين والشمال. ونزل عليهم نزول الغيث اذا هطل وسقاهم من الموت كاساً امرّ من الحنظل. وقتل منهم ماينوف عن مايه بطل. وابصر باقي الرجال طعناً يقرب الاجل فحل في قلوبهم الخوف والوجل. فشردوا في السهل والجبل وما نجا منهم الا من سبق وعده. وطلع بالاقبال سعده. والباقون انطرحوا على وجه الصعيد. كانهم حجارة جلاميد. ورجع عنتر بعد ما خلّص نسا القبيلة. من تلك الورطة الوبيلة وهو مثل ثوب الارجوان. مما سال عليهِ من دما الفرسان. وامر عبيد الحلة ان تجمع الاسلاب. وهي ملء الارض والهضاب * هذا وشيبوب في ركابهِ كانهُ ذكر النعام. ولما وصلا الى الخيام. استقبلتهُ الاما والحراير. بالدفوف والمزاهر. وتقدمت مارية اليهِ واثنت عليهِ. وقبلت راسه ويديهِ. وقالت لله درك من فارس عظيم و بطل كريم. لانك قد صنت البنات والنسوان. وابدلت خوفنا بالامان. وانقذتنا من نوائب الزمان

قال وكان شيبوب قد قطع راس مبادر وعلقهُ بالسنان. واركزه امام مضرب مشاجع بن حسّان. هذا وقد عاشت من النسا الارواح. وعلا منهنّ الصياح. وعاد فسادهنّ الى الصلاح وتبدّلت اتراحهنّ بافراح. وهنّ يثنون على عنتر ويشكرن فعله. ويحمدن فضله. فقال لهنّ عنتر وقد اظهر الطرب * بالله

عليكنّ يا مخدَّرات العرب * ان تعيدوني الى ما كنت فيهِ من الاغلال والقيود . فقلن له لا وحق الملك المعبود . لاعاد يقع على اطرافك الانعومة الشعور والخدود . لانك اوجدتنا من العدم الى الوجود . فلما سمع عنتر كلامهن * وشدة اقسامهن * قال لاخيهِ شيبوب اني اقسم عليك بعلام الغيوب ان تعيدني الى الحديد ودع الله يفعل ما يريد * فتقدم شيبوب اليهِ في الحال * واعاده الى القيود والاغلال * وشدد الحديد في رجليه * من حنقهِ عليه * واقام عنتر ينتظر العرضيات * والامور المقضيات

قال الراوي هذا ما كان من ابي الفوارس عنتر . وما جرى له وتدبر * واما ما كان من بني عبس وخالد بن جعفر فانهم كانوا قد باشروا القتال . مدة ثلاثة ايام مع الليال . وفي اليوم الرابع انكسرت بنو عبس وعدنان حتى اشرفوا على الهلاك والقلعان . وضاقت في وجوههم البراري والقيعان وملكت بنو عامر على المناهل والغدران وضجت النسا بالعويل والصياح * خوفاً من السبي والافتضاح * والقت الابطال * انفسها الى الهلاك * وظنوا انه ما عاد لهم من الموت فكاك * وتدفقت جموع بني عامر * كالبحور الذواخر * والهبوهم بضرب السيوف والخناجر حتى اخرجوهم من الديار * وملكوا عليهم جميع الاقطار * وتحصنت بنو عبس بالجبال * وايقنوا بالهلاك والوبال * فقال لهم الملك قيس وقد اظهر الاكتياب * واستعظم المصاب * وتحسر لفقد عنتر فارس

الاعراب * يابني الاعمام * وحق البيت الحرام * وزمزم والمقام *
لقد افتضحنا بين الانام * فطاولوا القوم بالبراز * الى ان تاتينا نجدة
من عرب الحجاز * فاجابوه الى ذلك المرام . ودام الامر بينهم على
مثل ذلك مدة ايام . وكان الذي تولى برازهم الاسد الفاتك والصارم
الباتك ○ ملاعب الاسنة غشم بن مالك * فاسر منهم خمسون
بطلاً من فرسان المعارك . وكان آخر من برز اليه الامير شداد
بن قراد * فلما صار في الميدان .. واشتهر بين الفرسان * تامله
ملاعب الاسنة فراى الشجاعة لايحة عليه * تشهد له ولا عليه *
فاراد ان يلقي في قلبه الخوف الشديد * ويعلم من هو من
الابطال الصناديد * فاندفق عليه كصاعقة الغضب *
وقال له من تكون من فرسان العرب انتسب ان كان لك
نسب * قبل ان يحل بك العطب .. فقال انا الفارس الجواد *
الامير شداد بن قراد * المسمى بفارس جروة يوم الطراد * فدونك
والقتال * ان كنت تدعي انك من الابطال .. قال ملاعب
الاسنة انت والله سيدٌ كريم * وكفوٌ عظيم ثم انه حمل عليه *
ومال بكليته اليه . فالتقاه الامير شداد * ووقع بينهما الحرب
والجلاد * وطال بينهما العراك والطراد حتى حجبهما الغبار *
عن اعين النظار * وتطاعنا بالنصال وجرى بينهما عجايب
الاهوال * تحير منها صناديد الرجال * وما زالا في اشد
قتال * الى ان كل شداد وملّ وضعف عزمه وانحل . فهجم عليه

ملاعب الاسنة هجمة الاسد. وقد اشتد بهِ الغيظ والحرد وقبض
على اطواق درعه والزرد. فاقتلعهُ من سرجه واخذه اسيرا وقاده
ذليلا حقيرا فابتهج بنو عامر وانشرحت منهم الصدور. واخذوا في
الفرح والسرور. هذا وقد علت من بني عبس الضجَّات. وقلَّت
منهم الحركات. وايقنوا بالفنا والممات. وعاد ملاعب الاسنة الى
ذيل العلم السعدي. وقد ابدى الجور والتعدي. وقال ياويلكم
يا بني عبس. ابشروا بالتعس والنكس. وابرزوا ان كان في
فرسانكم من رمق. والا فسلموا انفسكم لان التسليم لكم احسن
واوفق

قال نجد بن هشام. فلما سمع الملك قيس منهُ هذا الكلام.
استشاط غضبا. واضطرم لهبا. والتفت على من حوله من
الفرسان. والابطال والشجعان. وقال لهم والله يا بني الاعمام.
لقد طالت بنا ممارسة القتال والصدام. وقد فرغ منا الزادُ *
وعجزنا عن مناولة الاستمداد. حتى لم يكن امامنا الا السيوف
القواضب. وكثرة الجيوش والمواكب. وورانا الا الهامه والسباسب
فالتسليم لنا اصوب. وهو خيرٌ لنا واوجب. ثم انه اظهر
الجلد. واخفى الكمد. وعول ان يحمل على الفرسان. وقد
هاجت بهِ البلابل والاحزان. فمنعهُ نازح عن ذلك الشان
واراد نازح ان يبرز الى ملاعب الاسنة غشم بن مالك. فسبقهُ
عروة ابن الورد ومنعهُ عن ذلك. ثم انه طلب ملاعب الاسنة

وقصد اليهِ . حتى صار ما بين يديه . وحمل عليه . وصدمه صدمة الاسد الرئبال . واشتد بينهما الخصام والقتال . واخذا في الانطباق والافتراق . والطعن بالرماح الدقاق * والضرب بالسيوف الرقاق . حتى جرت الدما من سواقي الاحداق . وكان عروة قد تقهقر وتاخر . وانحل عزمه وقصَّر . فانقض عليهِ ملاعب الاسنة كالعقاب . حتى حك الركاب بالركاب . وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرايقه . ومد يده واقتلعه من ظهر الحصان . والقاه طريحا على بساط الصحصحان

قال فعند ذلك عظم على بني عبس الخوف والوجل . وخاب منهم الرجا والامل . وايقنوا بالموت وحلول الاجل * وعولوا على الهزيمة والفرار . خوفا من الهلاك والدمار . فجعل الملك قيس يخيبهم بالكلام . ويحثهم على القتال والصدام . وهو يقول لهم يا بني الاعمام * لقد فتك فينا الرمح والحسام * ودارت علينا كووس الحمام * فاصبروا صبر الرجال الكرام . فقد هتكت البنات والنسوان * وهلكت الابطال والشجعان . وحلَّت بنا العبر . وانفتح علينا حرب الاسكندر . في غياب حاميتنا عنتر * حتى صرنا عبرةً للناظرين . وايةً للعالمين . على مدى الايام والسنين . فقاتلوا اعداكم بقلوب قويَّة . وهمم عليَّة . وابذلوا فيهم السيوف المشرفيَّة . والرماح السمهريَّة . لان ليس لكم من يحمي ارواحكم الا قوايم سيوفكم واسنة رماحكم * ثم انه بعد ذلك المقال

برز الى معركة القتال . كانه الاسد الرئبال . وتبعته الفرسان والابطال . بقلوب اقوى من الجبال . وقد هانت عليهم الاجال في بلوغ الامال . فالتقتهم بنو عامر . كالاسود الكواسر . وطلبتهم من كل جانب . وبذلت فيهم القنا والقواضب . وسدت في وجوههم الطرق والمذاهب . وهم يمانعون عن النسا والبنات الابكار . وقد ايقنوا بالهلاك والدمار . فبينما هم في اشد الاخطار . واذا بغبار قد علا وثار . حتى سد منافس الاقطار . وانكشف عن بريق زرد . ولمعان خود * وفرسان كانهم العقبان . على خيول اخف من الغزلان . وهم اكثر من خمساية عنان . ابطال شجعان * يتقدمهم فارس . بالحديد غاطس . وهو طويل من الرجال * على فرس ادهم رفيع القذال . وامامه رجل كانه الموت المعجل . او سخط الله اذا انحدر ونزل . يهتز كهزات الغزال اذا اذعره الصياد بشباك الحيل . وكان ذلك الفارس لما راى كثرة الفرسان . في ديار بني عبس وعدنان . علم بان القوم في ضراب وطعان . فصاح بصوت كانه الرعد في الغمام . وقد التهب فواده بنار الاضطرام . يا ويلكم خلوا عن المضارب والخيام . وارجعوا عن الحريم والعيال . وابشروا بالفنا وقرب الاجال . فقد جاكم فارس المعامع . وخايض الاهوال والوقايع الرفيع النجاد . القوي العماد . القادح النار من غير زناد حية بطن الواد عنتر بن شداد * ثم لكز جواده وحمل . وفعلت الفرسان

Digitized by Google

الذين معه مثل ما فعل . ونزلوا علي بني عامر نزول الغيث اذا هطل . وطعنوا في اجنابهم باطراف الاسل . واختلف الطعن بينهم واتّصل . وحمي زمهرير الهوجل . وسقطت الروس من اعالي القلل . فلله در الامير عنتر . فانه قاتل القتال المنكر * ودحرج الروس مثل الاكر . وخاض الصفوف . والتقى بصدره الاسنّة والسيوف . وطعن في المناكب والاوصال . واظهر العجايب والاهوال . وخطف مهج الرجال . وداس بجواده جماجم الابطال هذا وقد عادت ارواح بني عبس اليهم . بقدوم حاميتهم عنتر عليهم . وتباشروا بالافراح . وزالت عنهم الهموم والاتراح . وعاد فسادهم الى صلاح . ونادى الملك قيس الا ما ابركهُ من صباح

ابشروا يا بني العم بالنصر والنجاح . وعودوا الى الحرب والكفاح . فقد جاكم ليث البطاح . والفارس الجحجاح . الذي شاع ذكره واشتهر

وخضعت لهيبته فرسان ربيعة

ومضر . ابن عمكم الامير عنتر

الى هنا انتهى الكتاب الثلاثون وسياتي تمام الحديث

عن هذه الواقعة في الكتاب

الذي يليه

Digitized by Google

A. or. 630 h
453

الكتاب الحادي والثلاثون
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

وقد رده اليكم رب السما بالسعادة والتوفيق . ليعيننا على هذه الشدايد والضيق . فهذا وقت ضرب الحسام . وبلوغ القصد والمرام واخذ الثار من الاعداء اللیام . فعند ذلك صاحوا وطلبوا الحرب والقتال . وهزوا في ايديهم السمر الطوال . وحملت الرجال والابطال . فقاتلوا اشد قتال وانقلبت الدنيا بضجيج الحريم والعيال والاما والعبيد والاطفال . واتضح عندهم الحال بقدوم عنتر الاسد الريبال . فوقع ببني عامر الخوف واعتراهم الانذهال وتغيرت منهم الاحوال لانهم ابصروا من قتال عنتر ما يحير عقول الرجال وماجوا في اقطار البر كما يموج البحر اذا هبّت به ريح الشمال * وطلبوا الهرب والانفلال . وكان خالد بن جعفر . لما سمع صباح عنتر . وشاهد فعله في ذلك اليوم المنكر . خفق فواده وانذعر . وخاف من وقوع الخطر . فصاح على الشجعان ومن يعتمد عليهم من الفرسان . وقال يابني الاعمام * عودوا بنا الى المنازل والخيام . حتى نقتل الاسارى بالحسام . وننتقم منهم غاية الانتقام . لانني اعلم ان الامر ينتهي بنا الى الانهزام . ما دام قد وصل

Digitized by Google

الينا هذا الشيطان الرجيم * والوغد اللئيم * ثم انهُ الوى عنان الجواد * وتبعتهُ الابطال والقواد * وما وصل الى المضارب * حتي سمع الضجة * قد ارتفعت من كل جانب * والسادات قد تخلصت واقبلت وهي مثل سهام المنايا اذا ارسلت * لان شيبوب الصل الاغبر * كان قد دخل عليهم وخلصهم من الاسر والضرر * عند اشتغال العرب بقدوم اخيهِ عنتر * وكانوا نحو مايتين فارس من الفرسان الجياد * يتقدمهم عروة بن الورد وشداد بن قراد * فلما نظر خالد الى تلك الحال * خرج عن دايرة الاعتدال * وخاف من الهلاك والوبال وقال لقومهِ اطلبوا بنا ديار بني فزارة وتلك الروابي والاكم * حتى نبصر ماجرى لهم من عبد الله بن الصمة سيد بني جشم * ونعلمهُ بان الجيش الذي انفذهُ معنا قد ولى وانهزم * ثم انهُ طلب جوانب الفلا * وهو خايف من الافات والبلا ولما ابصر ملاعب الاسنة الى راية خالد قد ولت * وفرسانهُ قد تفرقت واستقلت * طلب لنفسه الهرب * خوفا من وقوع العطب لانه ابصر من حرب عنتر ما يذهل البصر * ويحير الفكر * ووقع في المتخلفين بعده الفنا * ونهبت بنو عبس ارواحهم على اطراف القنا * وخلصوا ما كان اخذهم من الاموال والجنايب وداروا بالامير عنتر من كل جانب * وهنوهُ بسلامتهِ * وسالوهُ عن سبب غيبتهِ * فحدثهم عنتر بما جرى لهُ مع الربيع واخوتهِ * وكيف كان وصولهِ الى بني خولان * وحديث الحريم والنسوان * وخلاصه

من الاسر والهوان ومجي الفرسان الى نجدتهِ ومساعدتهِ وخدمتهِ

قال نجد بن هشام وسعيد بن مالك. وكان السبب في ذلك ان عنتر كان قد اقام في بني خولان . وهو مشدود اليدان مقيَّد الرجلان . وفي اليوم الرابع قدم مشاجع بن حسَّان . الى الاوطان . بمن معهُ من الفرسان وهو الذي سار ليبشر الملك صفوان بن عبَّاد. في اسر عنتر بن شداد فابصر القتلا مطرحين حول الابيات من ساير الجهات . والنسا في غاية الفرح والطرب فتعجب من ذلك غاية العجب . ودخل الى ابياتهِ وهو حيران . وكان قد ابصر على باب مضربهِ رمح عالي السنان . وعليهِ راس مبادر كانه شيطان . فسال عن الخبر. فحدثوه بما فعل عنتر * وكيف صان الحريم . وقتل ذلك الجبار العظيم . وكيف انهُ عاد الى القيود والاغلال . بعد ذلك الحال

قال فحار مشاجع ومن معه من الابطال وما فيهم الا من تحدث وقال . والله لقد فعل هذا الرجل المفضال ما لا فعلهُ احد من سادات الزمان لانه صان الحريم والنسوان . ورد نفسه الى القيود والاشراك . بعد ما قد تمكن من الفكاك . فوالله ان هذه زيادة في الكرم. والمروة وحسن الشيم . وكرم الاخلاق وعلو الهمم . وليتيقن الانسان بان الموت اذا حضر لا يتاخَّر . ولا يتقدَّم . ومثل هذا الفتى يجب ان يتَّخذ صديقا عند النوايب والشدايد . ويرجى عند الضيق والاوابد . ثم انه بعد ذلك الكلام . دخل مع سادات قومهِ

على عنتر البطل الهمام . فتقدم اليه وفك القيود من رجليه . وقبل راسه وبين عينيه واخرجهُ الى وسط الحي واخلع عليه . وهو يقول لله درك ياعبسي اليوم افديك بنفسي . على مافعلت معنا من الجميل الذي لم يفعله خليل مع خليل . ثم امر عبيده بذبح النوق والاغنام . وتصفيف اواني المدام . واخذ مع عنتر في الشرب والطعام

قال وكان في القبيلة رجل يقال لهُ مثير بن مراد يبغض عنتر بن شداد . لان عنتر كان قد قتل لهُ اخين وثلاثة اولاد فقال لمشاجع انت قد سرت الى الملك صفوان الاكبر . وبشرتهُ في وقوع عنتر . وقد ضمن لك ان ارسلتهُ اليه المال الجزيل . الذي ليس بقليل . واراك الان قد عزمت اطلاقه وذهابه فاختر لنفسك حجة تحتج بها اذا انفذ يطالبك به . فقال مشاجع واي حجة تكون اوفى من فعال هذا الانسان . الذي خلص البنات والنسوان . بعد ما كنّ قد اشرفن على الهلاك والقلعان . فوالله لم تبقى لنا يد تمتد اليه بسوء . فلا تكون بعد هذا الكلام له غريم وعدو . قال ولما سمعن النسا كلام مثير في حق عنتر صحن عليه من كل جانب واخذن اعمدة البيوت والمضارب . وطلبنهُ مثل السلاهب ونزلن على راسه بالاعمدة واللتوت . حتى كاد ان يموت . ثم انهن انثنين على من حضر من الفرسان . وقلن والله لو اتى الى هذا الرجل كسرى انو شروان . اوقيصر ملك عباد الصلبان او ابن ما السما الملك النعمان . وارادوا له الهلاك والقلعان لبسن

Digitized by Google

نحن السلاح . وقاتلنا عنهُ الى ان تذهب منا الارواح . فوحق ذمة العرب وشهر رجب. ان لم تسيروا في خدمتهِ .الى اهلهِ وعشيرته لاعدنا ضاجعناكم ابداه على طول المدى. فقال الامير مشاجع ارجعن الى البيوت والمضارب . لان هذا فرضٌ علينا وما هوالا من بعض الواجب . ثم انهم باتوا تلك الليلة في سرورٍ وافراح . ولما كان الصباح . اختار مشاجع من قومهِ خمساية فارس . كانهم الليوث العوابس . فركبوا الخيول . وتقلدوا با لنصول وعولوا على المسير مع عنتر الى ديار بني عبس وتلك الطلول. فمنعهم عنتر عن ذلك وشكر افعالهم وطلب منهم ان يبقوا في ديارهم واطلالهم . فابوا وحلفوا ان لابد لهم من مسيرهم في خدمته ولا يعودوا عنهُ حتى يصل الى اهلهِ وحلتهِ . فقال لهُ شيبوب دعهم يسيروا معنا الى الاطلا ل . فانا اعلم ان بنو عمنا يكونوا قد اشرفوا على الهلاك والوبال . من بني عامر الانذال . واذا كان معك مثل هذه الفرسان. يعينوك على نوايب الزمان . فلا تكره الجميل والاحسان فامتثل الى ما بهِ اشار. وساروا طالبين الاهل والديار .وعنتر فرحان بمصادقتهِ الى بني خولان وهو امامهم كانهُ الاسد الغضبان. ولما تبطنوا البراري والسباسب تذكر عنتر ماجرى لهُ من النوايب وما قاسي من الاهوال والمصايب . فانشد وقال

ارقت وهاجني البرق اليماني   يلوح كانهُ مصباح ثاني

واضرم في صميم القلب نارًا ... كضربي بالحسام الهندوانِ
اذا هانتك منزلة فدعها ... ولا تنزل بمنزلة الهوانِ
اوفارقها الى بلدٍ سواها ... ولا تامن معادات الزمانِ
ويعجبني صناديدٌ كرامٌ ... بايديهم عصيّ الخيلجانِ
واني قد حملت اليوم رمحًا ... ثمانٌ في ثمانٍ في ثمانِ
وسيفي مرهف الحدين ماضٍ ... اخوض بهِ الوغى والموت دانِ
وكم من فارسٍ خليت ملقى ... عفير الخد مخضوب البنانِ
وان طرب الرجال بشرب خمرٍ ... وغيّب رشدهم خمر الدنانِ
فرشدي لا يغيّبهُ مدامٌ ... ولا اصغى لقهقهة القناني
احبكِ ياظلوم فانت عندي ... مكان الروح من جسد الجبانِ
ولواني اقول مكان روحي ... خشيت عليك بادرة الطعانِ

قال فطرب مشاجع بن حسان. ومن حضر من سادات بني خولان • وقال له مشاجع والله ياسيد الفرسان ونادرة هذا الزمان • لقد زهت بغرة وجهك الايام • وتزينت بوجودك الاعوام • لانك فقت على ساير الانام • بالفروسية وفصاحة الكلام • وحفظ العهود والزمام • فلا زلت محروسا من الخطر • ما طلعت الشمس وشعشع القمر • فشكره عنتر على هذا المدح وقال لهُ انت احق بهذا الوصف والشرح • ثم انهم جدوا في قطع القفار. حتى وصلوا الى الديار • فوجدوا الرماح خارقة • والسيوف بارقة • والفوارس شاهقة فخاض عنتر القسطل وفعل ما فعل وقتل

Digitized by Google

من قتل كما تقدم الكلام في الاول

قال نجد بن هشام . فلما سمع الملك قيس من عنتر ذلك الكلام . تعجب غاية العجب . واخذه الفرح والطرب . وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام . ان احاديثك لها طراز . بين عرب اليمن والعراق ونجد والحجاز . وانا اشكر الرب القديم . رب موسى وابراهيم . الذي اوصلك سالما الى الاوطان . من نكبات الزمان ولا بد ما نجازي فرسان بني خولان بما نقدر عليه من الاحسان . ونتركهم لنا من جملة الحلفا والخلان . والان فقد زال عنا الخطر . ونلنا بقدومك ما كنا نشتهيه من النجاح والظفر وبلوغ القصد والوطر . وما بقي علينا الا قتل خالد بن جعفر لاننا ان لم نهلكه لا يقر لنا قرار . ولا يسكن لنا ليل ولا نهار . ثم حدثه بحديث بني فزارة وما حل بهم من التعس والخسارة . وكيف انهم تظاهروا بعد الصفا والوفا . بالنفور والجفا . وكيف ان الربيع ارسل وعاتبه بالكلام . من مدة ايام وقال له نحن لولاك ما كان بيننا وبين خالد بن جعفر معاملة . ولا حرب ولا مقاتلة . وانا خايف يا ابا الفوارس ان يتم على بني فزراة امر من الامور وتطرقهم طوارق المحذور . فتضيق منا الصدور . والصواب ان ندركهم عند الصباح . بابطال المعارك والكفاح . ونكشف عنهم تلك الغمة . ونساعدهم على قتال عبد الله بن الصمة لانه قد احاط بهم من كل جانب . وسد عليهم ساير الطرق والمذاهب . فقال

عنتر كيف اسير الى نصرة اعدائي . الذين يريدون هلاكي وفناي
وانا اعلم انهم لو كانوا يقدرون على اكل لحمي لاكلوه . او امكنهم
ان يشربوا دمي لشربوه. ولكن اكراماً لك ايها الملك الهمام
والسيد القمقام . سافعل معهم ما يتحقق به خلوص الطوية
وصدق النية . وادافع عنهم بالسيف والسنان . على قدر الامكان .
وذلك يكون بعد وداع هولا الفرسان اصحاب الفضل والاحسان
ومكافاتهم على الجميل والمعروف . لانهم خاضوا معنا الصفوف .
والتقوا بصدورهم الاسنة والسيوف . واعرضوا انفسهم لانياب
الحتوف . فقال مشاجع سيد بني خولان . والله يا فارس عدنان .
لو طارت روسنا بين يديك . لما تفضلنا ابداً عليك . وانا اقسم
بالبيت المعظم . وبالشهر المحرَّم . اني لا اعد الى اهلي حتى تنقضي
اشغالكم . ويهدا بالكم . وتامنوا على حريمكم وعيالكم وتخرج الاعدا
من اطلالكم . فقال له الملك قيس جزاك الله عنا كل خير .
وكفاك كل شر وضير . فوالله لا ننسى جميلكم ابدا . على طول
المدى. ثم انه انزلهم في الخيام . ونحر لهم الجزور والاغنام واكرمهم غاية
الاكرام . ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . دخل بابطال
بني عبس وعدنان . وسادات بني خولان . الي ديار بني فزارة .
وغطفان . وعنتر في مقدمة الفرسان . والي جانبه مشاجع بن .
حسان . والي جانبه الاخر . عروة بن الورد البطل القسور .
وابوه شداد الاسد الغضنفر . وهو من الفرح البشر . في سلامة

ولده عنتر . هذا وعنتر يتاسف على مسيره الى بني فزارة . لاجل نصرة الربيع وعمارة . ولما وصلوا الى تلك الطلول . وراوا الارض تضج من ازدحام الفحول . وخفق الطبول . وعطعطة الخيول . وبنى فزارة في حالة العدم . من كثرة تلك الخلايق والامم . لان بني جشم وهوازن . احاطوا بهم من ساير الاماكن . وانطبقوا عليهم بالعساكر والعدد المتكاثر . وفاضوا عليهم مثل البحور الزواخر . حتى كان الساعة اقتربت . او السماء عليهم بالشهب انقلبت . والارض بهم اهتزت واضطربت . وكان الحارث بن ظالم قد قاتل معهم في الايام السابقة . قتالا تتعوذ منه الجن والعمالقة . الا انه لما طال عليه الامر . رجع الى المكر والغدر . فترك القوم في الهيجاء . وانهزم الى دياره طالب الخلاص والنجاء . بعد ما اخذ ما وصلت يده اليه من الاموال والنوق والجمال . وجد في قطع البراري والتلال . وساعده السعد والاقبال . الى ان وصل الى الاطلال . وبعد ذلك لعبت ببني فزارة الابطال . وداروا بهم من اليمين والشمال . وارسلوا فيهم جوارح النهب والاستئصال . وقتلوا منهم جماعة كثيرة . وعصابة غزيرة . وخسرت بنو فزارة غاية الخسارة . ووقع السبي في الحريم . وابصروا في اعينهم البلا العظيم . فبينما هم قد اشرفوا على الهلاك . ولم يبقى لهم مناص ولا فكاك . اذ اشرفت عليهم فرسان بني عبس وعدنان . وفي مقدمتهم عنتر ومشاجع بن حسان وابطال بني خولان . وكان وصولهم اليهم ضحى النهار . فاقتحموا

Digitized by Google

القتام والغبار . وحملت على ذلك الجيش الجرار . وطلبوهم من اليمين واليسار . وكان خالد بن جعفر . لما انهزم من وجه عنتره كما تقدم الخبر . طلب ديار بني فزارة بعزيمة وهمة . حتى اجتمع بعبد الله بن الصمة . وحدثه بما جرى وكان . ورجوع عنتر الى الاوطان . بالابطال والفرسان . وكيف انه مزق المواكب والكتايب . وشتت الفرسان في بطون الاوعار والسباسب . وقال له في اخر الكلام ايها البطل الهمام . والليث الضرغام . قاتلهم تحت جنح الظلام . قبل وصول بني عبس اليكم . لانها قادمة عليكم . وكان خالد بن جعفر قد ظن ان عبد الله يكسر بني فزارة ويقلع منهم الاثر . قبل وصول بني عبس وعنتر . فاستصوب عبد الله رايه وامتثل . وحمل على بني فزارة بذلك الجحفل . وكانت بنو عبس قد حملت . وطلبت الاعدا وقاتلت . ولما ابصر عنتر هول المقام . وكثرت الازدحام . قصد البيارق والاعلام . وخاض الغبار والقتام . وطعن في صدور الابطال طعناً يقصر الاجال . وتشيب من هوله الاطفال . وكانت بنو خولان قد حملت لحملاته . واندهشت من وقع ضرباته وطعناته . وتمنت انه يرجع معها الى الديار . ويكون حامية ارضها وتلك الامصار . فازدادوا له في المحبة وقد صار له في قلوبهم منزلة ورتبة . فقاتلوا وبذلوا المجهود . وزادت نيران الحرب في الوقود . ووقعت الاسنة في القلوب والكبود . وغابت الابطال عن الوجود . وخيم الغبار على روسهم

حتى بقي مثل الرواق الممدود . وارتجت الارض من ازدحام العساكر والجنود . وقدحت حوافر الخيل النار من الجلمود . ومالت الاعلام والبنود . وعادت وجوه الرجال بعد البياض سود * ونهمت الابطال كانهم الاسود . وكانوا بين قليل الحظ ومسعود وغايب وموجود * وحاضر ومفقود . وقاصد ومقصود * وما زالوا على ذلك الحال . وهم في اشد قتال . الى ان ملت النفوس . ولعبت الحوافر بالروس . وحل ببني هوازن الضر والبوس * لانهم راوا طعنا اشد من لهيب النار . فخافوا من حلول البوار * وطلبوا الهزيمة والفرار . ونفروا كما تنفر الاغنام . من وجه سباع الاجام * وتفرقوا بين الروابي والاكام . والسيوف من خلفهم وامامهم . تعمل في اجسادهم . وكان من جملة المنهزمين خالد بن جعفر . فانه كان قد خاف وانذعر . عند سماعه صوت الامير عنتر . وطلب البر الاقفر * ولما شاهد عبد الله بن الصمة ذلك الحال . خاف من الهلاك والوبال . فصاح في الفرسان والابطال ومن كان يعتمد عليهم في القتال * ومواقف الاهوال . الفرار يابني عمي الفرار * قبل نزول الدمار . فقد دهينا بابطال وفرسان * كانها مردة الجان . لاتهاب الموت . ولاتخشى حلول الفوت . ثم انه بعد هذا الخطاب انهزم بمن معه من الحلفا والاحزاب والاصدقا والاصحاب * وتفرق شملهم في متون الهضاب . وبطون الاودية والشعاب . واصابت بنو عبس منهم غنيمة جسيمة *

وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولم ينجُ منهم الاَّ الشجاع القادر والشاطر النادر . ولما تفرقت الجيوش . وتمزقت تلك الطموش . واطمأَنت من بني عبس القلوب . وانجلت عن بني فزارة الكروب * عاد عنتر بالابطال والفرسان * الى الديار والاوطان . وقد شيد لقومه من ابراج المعالي اعلا بنيان . وعمل الولايم للضيفان . وقدم الخلع والتحف الحسان . لبني خولان وخلع على الامير مشاجع بن حسان . خلعة من ثياب الملك النعمان . واعطاه من المال ما لا يوصف بلسان . وبعد ذلك ودعهُ مشاجع وسار . بمن معه من الانفار . طالب الاهل والديار *

قال الاصمعي ولما استقرت بنو عبس في ديارها * واطمأَنت في افكارها . وتمهدت لقيس قواعد الملك والرتب * وانقادت له بهيبة عنتر سادات العرب . اخذ يسلي عنتر بن شداد ويأخذ بخاطره على ما فعلت به بنو زياد . وقال له لا تحزن يا ابا الفوارس على ما اصابك من هولا الاوغاد . فقد جرى عليهم من المصايب ما لا يوصف . واظهروا لنا الندم والاسف . وانا بذلك فرحان لان ظلمهم قد عاد عليهم وبال وخسران *

قال . فعند ذلك بردت نار عنتر قليل . وراق قلبه من جهة ذلك القبيل . وكان قد جعل عنتر نديمهُ . وجليسه وكليمهُ . وكان اذا حضر معه على الطعام . وابصر تقصيره عند شراب المدام . وازدياد حسرته وهمّه . يعلم ان ذلك كله من اجل

عبلة ابنة عمهُ . فيقول لهُ يا ابا الفوارس لاتزعج سرك . ولا تضيق صدرك . فما الامر الاَّ قد تيسَّر . وما بقي علينا الا قتل خالد بن جعفر . لان ما دام خالد سالم . لا يطيب لنا عيشٌ ولا نتهني بعرسٍ ولا ولايم . ولا يمكنني ان اغصب عمك ان يزوّجك بابنتهِ وينعم عليك بكريمتهِ . لاني اذا اغصبتهُ على ما لا يريد . اخاف من تفريق شمل العشيرة في اقطار البيد . وخلفي مثل ذلك الشيطان المريد

قال وكان عنتر كلما يسمع هذا المقال . يتسلى بهِ على كل حال . ويعلق قلبهُ بحبال المحال

قال الراوي هذا ما كان من بني عبس وعنتر . واما ما كان من خالد بن جعفر . فانهُ لما هرب وانهزم . وفارق عبد الله سيد بني جشم . سار في نفرٍ قليل من العساكر . حتى وصل الى ديار بني عامر . وكانت المنهزمون قد اخبرت اهل الحي بما حلَّ بهم من التعس والنحس . ومن قتل منهم في ديار بني عبس . فارتفع البكا من النساء . وضجت العبيد والاماء . وايقنوا بالسبي والفناء . ولما قدم خالد عليهم . ووصل اليهم . طيب قلوبهم وظنونهم . واوعدهم انهُ يبذل نفسهُ دونهم * ومن يومهِ . اجتمع بسادات قومهِ . واخذ معهم في المشورة والتدبير . في ذلك الامر العسير . فاجمع رايهم على المسير الى ارض العراق . وتلك الافاق في عشرة من الرفاق * فقال لهم الاخوص اخو خالد . انا اخلصكم من هذ

الشدايد * وادخل بكم على صهري الملك الاسود * واعلمهُ بما جرى وتجدد . واطلب منهُ المساعدة على قتال ذلك العبد الاسود * الذي قد طغي وتمرد . والا ليس لنا امان * من ذلك الشيطان وانا اعلم بان اخبارنا قد اشتهرت في كل مكان . وسمع بها الاسود واخيهِ الملك النعمان . وانهُ على كل حال صهر بني عبس وعدنان وان لم نقصد اليهِ * ونقص قصتنا عليهِ انقلع منا الاثر وشمتت بنا قبايل ربيعة ومضر . فقالوا لقد صدقت * وصوابا نطقت * ثم انهم تجهزوا وساروا . ولو كان لهم اجنحة لطاروا

قال الراوي هذا ما كان من هولاءِ واما ما كان من الحارث بن ظالم * الفاتك الغاشم . فانهُ لما انهزم من ديار بني فزارة . كما سبقت الاشارة * قصد الملك النعمان . ليعلمهُ بما جرى وكان وامل انه يرسل معهُ جيشًا من الفرسان * الى نصرة بني عبس وعدنان . ويقيمه حامية على تلك الاراضي والقيعان . وكانت لهُ اخت في الحيرة وتلك المعالم * يقال لها سلمى بنت ظالم . وكانت متزوجة برجلٍ قبيح السيرة * عديم النخوة والغيرة . قد اتصف بالمكر والخباثة * يدعى سنان بن ابي حارثة . وكانت داية نساء النعمان . سيد قبايل العربان . وكان للنعمان ولد نبيل . يسمى شرحبيل . قد سلمها اياه لتهذبهُ وتربيه * وكانت روحهُ معلقة فيهِ

قال وما زال الحارث مجدًّا في المسير . وسرعة التشمير . حتى

وصل الى الحيرة . وتلك القبيلة والعشيرة * ودخل على النعمان وسلم عليهِ . وقبل الارض بين يديه . واعلمهُ بواقعة الحال وما حل ببني عبس من النكال . وطلب منهُ ان يمدهُ بالفرسان والعساكر . لقتال بني عامر . ويقيمهُ حامية على تلك الاحزاب والعشاير . فلم يجبهُ الى سوالهِ . ولم يلتفت الى مقالهِ . لانه كان عالم بحالهِ . ومتصرفات احوالهِ . فخرج من عند النعمان . ودخل على اختهِ وهو غضبان . فتلقتهُ بالترحيب والاكرام وما اقام عندها اكثر من ثلاثة ايام . حتى قدم خالد بن جعفر سيد بني عامر . ومن معهُ من سادات العشاير . ودخلوا على الملك الاسود . وهم في حالة الذل والنكد * وبكوا بين يديه . وقصوا قصتهم عليهِ . فقال الاسود لخالد بن جعفر . قد وصل الينا الخبر . بانك جمعت على بني عبس وعدنان . قبايل العربان ودهمتهم بالابطال والفرسان . واكثرت فيهم شرًّا وفسادًا . واشبهت في فعلك رهط ثمود وعادًا . وقتلت سيدهم الملك زهير وولده شاس . وتركتهم مثلاً بين الناس وحدث الحارث بن ظالم اخي بجميع فعالك . وقبح اعمالك حتى اوغر صدره عليكم ويريد ايصال الاذية اليكم فقال خالد يامولاي الحارث تكلم بما شاهد وابصر . ولم يعلم بعد مسيره ما جرى علينا من بني عبس وعنتر وبالحقيقة اننا مظلومون وهم ظالمون . لان ملكهم زهيرًا كان قد اعتدى علينا . واوصل شرهُ الينا * واتهمنا بقتل ولده

شاس * ودهمنا بكل فارسٍ دعاس . واصاب منا غنيمة جسيمة بعد ان قتل منا مقتلة عظيمة . وبعد ذلك غزانا ولدهُ قيس بفرسان الجلاد . ومقاتلة الاجناد . وقتل منا في يومٍ واحدٍ الف ومايتين من الابطال وقد ذكر ذلك عبدهم عنتر في شعره فقال

قتلنا منهمُ مايتين حرًّا   والفاً في الشعاب وفي الهضابِ

هذا عدى ما قتل منا بعد ذلك . من سادات العشاير وفرسان المعارك * وقد ابصرنا باعيننا الذل والهوان * بعد ذلك العز ورفعة الشان . واذ لم يبقَ لنا مساعد * من الاقارب والاباعد التجينا الى شيخ العرب ومشيرها . ومقدمها وغفيرها . وسيدها واميرها دريد بن الصمة . صاحب العزيمة والهمة . وطلبنا منهُ ان يمدنا بالابطال والفرسان . لقتال بني عبس وعدنان . فاجابنا الى ما طلبناه وارسل معنا اخوهُ عبد الله * فانتصرت بنو عبس علينا . واوصلت شرها الينا * وقتلت فرساننا * واهلكت شجعاننا وبعد كل ذلك العمل * ايها الملك المبجّل * ما اتيناك في طلب مساعدة او نجدة * وما نريد منك الا ان تصلح بيننا وتخلصنا من هذه الشدة لانك ملكٌ عالي الهمة ومن شيم الملوك الشفقة والرحمة قال فلما سمع منهم ذلك المقال . شفق عليهم وضمن لهم اصلاح الحال * وانزلهم في الخيام * واكرمهم غاية الاكرام وذبح لهم النوق والجمال * وقدم لهم صافي المدام * واخلع عليهم الخلع ليرفع عنهم الخوف والهلع * ولما اصبح الصباح * واضا بنوره

Digitized by Google

ولاح * دخل بهم على اخيهِ الملك النعمان * وحدثهُ بما جرى وكان * وطلب لهم العفو والامان

قال وكان النعمان لما بلغهُ قتل الملك زهير استشاط غضبًا واشتعل فوادهُ لهبًا * ولبست زوجته المتجردة على ابيها السواد. وواظبت على النوح والتعداد * وكانت كلما سالت بعلها ان يساعد اهلها على اخذ الثار. وكشف العار. يقول لها متى طلبوا مني الامداد . امدهم بالعساكر والاجناد . ولكني اعلم انهم قادرون على اخذ تارهم وبلوغ المراد. ما دام فيهم عنتر بن شداد

قال وكان الملك النعمان يتمنى ان تذل له بني عبس وعدنان حتى تدخل تحت طاعته وتتبع سنة العربان. ولما دخل عليه الملك الاسود . واخبره بما جرى وتجدد * تعجب من ذلك غاية العجب . ولم يرى اوفق من الصلح بين طوايف العرب . خوفًا من وقوع الفساد . في اقطار البلاد * ويظهر من الشر ما استتر وينفتح عليهِ سد الاسكندر . ثم انهُ التفت على اخيهِ وقال له يا ذا المفاخر. استدعي لي الحارث بن ظالم حتى اصلح بينهُ وبين سادات بني عامر * وانفذ معهم من يدبر احوالهم * ويردهم عن جهلهم وضلالهم * واشرط عليهم ان عاد احد تعدى على الاخر * كنت انا خصمهُ الاكبر * ففرح الاسود واستبشر * وفي الحال انفذ خلف الحارث فحضر * فوضع النعمان يده في يد خالد بن جعفر وطلب منهما ان يتحالفا * على حفظ العهود والوفا ، وان يعيشا

Digitized by Google

عنتر كيف اسير الى نصرة اعدائي . الذين يريدون هلاكي وفناي
وانا اعلم انهم لو كانوا يقدرون على اكل لحمي لاكلوه . او امكنهم
ان يشربوا دمي لشربوه . ولكن اكراماً لك ايها الملك الهمام
والسيد القمقام . سافعل معهم ما يتحقق به خلوص الطوية
وصدق النية . وادافع عنهم بالسيف والسنان . على قدر الامكان .
وذلك يكون بعد وداع هولا الفرسان اصحاب الفضل والاحسان
ومكافاتهم على الجميل والمعروف . لانهم خاضوا معنا الصفوف .
والتقوا بصدورهم الاسنة والسيوف . واعرضوا انفسهم لانياب
الحتوف . فقال مشاجع سيد بني خولان . والله يافارس عدنان .
لو طارت روسنا بين يديك . لما تفضلنا ابداً عليك . وانا اقسم
با لبيت المعظم . وبالشهر المحرّم . اني لا اعد الى اهلي حتى تنقضي
اشغالكم . ويهدا بالكم . وتامنوا على حريمكم وعيالكم وتخرج الاعدا
من اطلالكم . فقال له الملك قيس جزاك الله عنا كل خير .
وكفاك كل شر وضير . فوالله لا ننسى جميلكم ابدا . على طول
المدى . ثم انه انزلهم في الخيام . ونحر لهم الجزور والاغنام واكرمهم غاية
الاكرام . ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . دخل بابطال
بني عبس وعدنان . وسادات بني خولان . الي ديار بني فزارة .
وغطفان . وعنتر في مقدمة الفرسان . والي جانبه مشاجع بن .
حسان . والي جانبه الاخر . عروة بن الورد البطل القسور .
وابوه شداد الاسد الغضنفر . وهو من الفرح البشر . في سلامة

ولده عنتر. هذا وعنتر يتاسف على مسيره الى بني فزارة. لاجل نصرة الربيع وعمارة. ولما وصلوا الى تلك الطلول. وراوا الارض تضج من ازدحام الفحول. وخفق الطبول. وعطعطة الخيول. وبني فزارة في حالة العدم. من كثرة تلك الخلايق والامم. لان بني جشم وهوازن. احاطوا بهم من ساير الاماكن. وانطبقوا عليهم بالعساكر والعدد المتكاثر. وفاضوا عليهم مثل البحور الزواخر. حتى كان الساعة اقتربت. او السماء عليهم بالشهب انقلبت. والارض بهم اهتزت واضطربت. وكان الحارث بن ظالم قد قاتل معهم في الايام السابقة. قتالاً تتعوذ منه الجن والعمالقة. الا انه لما طال عليه الامر. رجع الى المكر والغدر. فترك القوم في الهيجاء. وانهزم الى دياره طالب الخلاص والنجاء. بعد ما اخذ ما وصلت يده اليه من الاموال والنوق والجمال. وجد في قطع البراري والتلال. وساعده السعد والاقبال. الى ان وصل الى الاطلال. وبعد ذلك لعبت ببني فزارة الابطال. وداروا بهم من اليمين والشمال. وارسلوا فيهم جوارح النهب والاستيصال. وقتلوا منهم جماعة كثيرة. وعصابة غزيرة. وخسرت بنو فزارة غاية الخسارة. ووقع السبي في الحريم. وابصروا في اعينهم البلا العظيم. فبينما هم قد اشرفوا على الهلاك. ولم يبقى لهم مناص ولا فكاك. اذ اشرفت عليهم فرسان بني عبس وعدنان. وفي مقدمتهم عنتر ومشاجع بن حسان وابطال بني خولان. وكان وصولهم اليهم ضحى النهار. فاقتحموا

القتام والغبار . وحملت على ذالك الجيش الجرار . وطلبوهم من اليمين واليسار . وكان خالد بن جعفر . لما انهزم من وجه عنتره كما تقدم الخبر . طلب ديار بني فزارة بعزيمة وهمة . حتى اجتمع بعبد الله بن الصمة . وحدثه بما جرى وكان . ورجوع عنتر الى الاوطان . بالابطال والفرسان . وكيف انه مزق المواكب والكتايب . وشتت الفرسان في بطون الاوعار والسباسب . وقال له في اخر الكلام ايها البطل الهمام . والليث الضرغام . قاتلهم تحت جنح الظلام . قبل وصول بني عبس اليكم . لانها قادمة عليكم . وكان خالد بن جعفر قد ظن ان عبد الله يكسر بني فزارة ويقلع منهم الاثر . قبل وصول بني عبس وعنتر . فاستصوب عبد الله رايه وامتثل . وحمل على بني فزارة بذلك الجحفل . وكانت بنو عبس قد حملت . وطلبت الاعدا وقاتلت . ولما ابصر عنتر هول المقام . وكثرت الازدحام . قصد البيارق والاعلام . وخاض الغبار والقتام . وطعن في صدور الابطال طعناً يقصر الاجال . وتشيب من هوله الاطفال . وكانت بنو خولان قد حملت لحملاته . واندهشت من وقع ضرباته وطعناته . وتمنت انه يرجع معها الى الديار . ويكون حامية ارضها وتلك الامصار . فازدادوا له في المحبة وقد صار له في قلوبهم منزلة ورتبة . فقاتلوا وبذلوا المجهود . وزادت نيران الحرب في الوقود . ووقعت الاسنة في القلوب والكبود . وغابت الابطال عن الوجود . وخيّم الغبار على روسهم

حتى بقي مثل الرواق الممدود . وارتجت الارض من ازدحام العساكر والجنود . وقدحت حوافر الخيل النار من الجلمود . ومالت الاعلام والبنود . وعادت وجوه الرجال بعد البياض سود * ونهمت الابطال كما تنهم الاسود . وكانوا بين قليل الحظ ومسعود وغايب وموجود * وحاضر ومفقود . وقاصد ومقصود * وما زالوا على ذلك الحال . وهم في اشد قتال . الى ان ملت النفوس . ولعبت الحوافر بالروس . وحل ببني هوازن الضر والبوس * لانهم راوا طعنا اشد من لهيب النار . فخافوا من حلول البوار * وطلبوا الهزيمة والفرار . ونفروا كما تنفر الاغنام . من وجه سباع الاجام * وتفرقوا بين الروابي والاكام . والسيوف من خلفهم وامامهم . تعمل في اجسادهم . وكان من جملة المنهزمين خالد بن جعفر . فانه كان قد خاف والذعر . عند سماعه صوت الامير عنتر . وطلب البر الاقفر * ولما شاهد عبد الله بن الصمة ذلك الحال . خاف من الهلاك والوبال . فصاح في الفرسان والابطال ومن كان يعتمد عليهم في القتال * ومواقف الاهوال . الفرار يابني عمي الفرار * قبل نزول الدمار . فقد دهينا بابطال وفرسان * كانها مردة الجان . لاتهاب الموت . ولاتخشى حلول الفوت . ثم انه بعد هذا الخطاب انهزم بمن معه من الحلفا والاحزاب والاصدقا والاصحاب * وتفرق شملهم في متون الهضاب . وبطون الاودية والشعاب . واصابت بنو عبس منهم غنيمة جسيمة *

وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولم ينجُ منهم الّا الشجاع القادر والشاطر النادر . ولما تفرقت الجيوش . وتمزقت تلك الطموش . واطمأنت من بني عبس القلوب . وانجلت عن بني فزارة الكروب * عاد عنتر بالابطال والفرسان * الى الديار والاوطان . وقد شيد لقومه من ابراج المعالي اعلا بنيان . وعمل الولايم للضيفان . وقدم الخلع والتحف الحسان . لبني خولان وخلع على الامير مشاجع بن حسان . خلعة من ثياب الملك النعمان . واعطاه من المال ما لايوصف بلسان . وبعد ذلك ودعهُ مشاجع وسار بمن معه من الانفار طالب الاهل والديار *

قال الاصمعي ولما استقرت بنو عبس في ديارها * واطمأنت في افكارها . وتمهدت لقيس قواعد الملك والرتب * وانقادت له بهيبة عنتر سادات العرب . اخذ يسلي عنتر بن شداد ويأخذ بخاطره على ما فعلت به بنو زياد . وقال له لا تحزن يا ابا الفوارس على ما اصابك من هولا الاوغاد . فقد جرى عليهم من المصايب ما لا يوصف . واظهروا لنا الندم والاسف . وانا بذلك فرحان لان ظلمهم قد عاد عليهم وبال وخسران *

قال . فعند ذلك بردت نار عنتر قليل . وراق قلبه من جهة ذلك القبيل . وكان قد جعل عنتر نديمهُ . وجليسه وكليمهُ . وكان اذا حضر معه على الطعام . وابصر تقصيره عند شراب المدام . وازدياد حسرته وهمه . يعلم ان ذلك كله من اجل

عبلة ابنة عمهُ . فيقول لهُ يا ابا الفوارس لاتزعج سرك . ولا تضيق صدرك . فما الامر الاَّ قد تيسرَّ . وما بقي علينا الا قتل خالد بن جعفر . لان ما دام خالد سالم . لا يطيب لنا عيشٌ ولا نتهني بعرس ولا ولايم . ولا يمكنني ان اغصب عمك ان يزوّجك بابنتهِ وينعم عليك بكريمتهِ . لاني اذا اغصبتهُ على ما لا يريد . اخاف من تفريق شمل العشيرة في اقطار البيد . وخلفي مثل ذلك الشيطان المريد

قال وكان عنتر كلما يسمع هذا المقال . يتسلى بهِ على كل حال . ويعلق قلبهُ بحبال المحال

قال الراوي هذا ما كان من بني عبس وعنتر . واما ما كان من خالد بن جعفر . فانهُ لما هرب وانهزم . وفارق عبد الله سيد بني جشم . سار في نفرٍ قليل من العساكر . حتى وصل الى ديار بني عامر . وكانت المنهزمون قد اخبرت اهل الحي بما حلَّ بهم من التعس والنحس . ومن قتل منهم في ديار بني عبس . فارتفع البكا من النساء . وضجت العبيد والاماء . وايقنوا بالسبي والفناء . ولما قدم خالد عليهم . ووصل اليهم . طيب قلوبهم وظنونهم . واوعدهم انهُ يبذل نفسهُ دونهم * ومن يومهِ . اجتمع بسادات قومهِ . واخذ معهم في المشورة والتدبير . في ذلك الامر العسير . فاجمع رايهم على المسير الى ارض العراق . وتلك الافاق في عشرة من الرفاق * فقال لهم الاخوص اخو خالد . انا اخلصكم من هذه

الشدايد * وادخل بكم على صهري الملك الاسود * واعلمهُ بما جرى وتجدد . واطلب منهُ المساعدة على قتال ذلك العبد الاسود * الذي قد طغي وتمرد . والا ليس لنا امان * من ذلك الشيطان وانا اعلم بان اخبارنا قد اشتهرت في كل مكان . وسمع بها الاسود واخيه الملك النعمان . وانهُ على كل حال صهر بني عبس وعدنان وان لم نقصد اليهِ * ونقص قصتنا عليهِ . انقلع منا الاثر وشمتت بنا قبايل ربيعة ومضر . فقالوا لقد صدقت * وصوابا نطقت * ثم انهم تجهزوا وساروا . ولو كان لهم اجنحة لطاروا

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الحارث بن ظالم * الفاتك الغاشم . فانهُ لما انهزم من ديار بني فزارة . كما سبقت الاشارة * قصد الملك النعمان . ليعلمهُ بما جرى وكان واملَ انه يرسل معهُ جيشًا من الفرسان * الى نصرة بني عبس وعدنان . ويقيمه حامية على تلك الاراضي والقيعان . وكانت لهُ اخت في الحيرة وتلك المعالم * يقال لها سلمى بنت ظالم . وكانت متزوجة برجلٍ قبيح السيرة * عديم النخوة والغيرة . قد اتصف بالمكر والخيانة * يدعى سنان بن ابي حارثة . وكانت داية نساء النعمان . سيد قبايل العربان . وكان للنعمان ولد نبيل . يسمى شرحبيل . قد سلمها اياه لتهذبهُ وتربيه * وكانت روحهُ معلقة فيهِ

قال وما زال الحارث مجدًّا في المسير . وسرعة التشمير . حتى

وصل الى الحيرة . وتلك القبيلة والعشيرة * ودخل على النعمان
وسلم عليهِ . وقبل الارض بين يديه . واعلمهُ بواقعة الحال
وما حل ببني عبس من النكال . وطلب منهُ ان يمدهُ بالفرسان
والعساكر . لقتال بني عامر . ويقيمهُ حامية على تلك الاحزاب
والعشاير . فلم يجبهُ الى سوالهِ . ولم يلتفت الى مقالهِ . لانه كان
عالم بحالهِ . ومتصرفات احوالهِ . فخرج من عند النعمان .
ودخل على اختهِ وهو غضبان . فتلقتهُ بالترحيب والاكرام وما
اقام عندها اكثر من ثلاثة ايام . حتى قدم خالد بن جعفر سيد
بني عامر . ومن معهُ من سادات العشاير . ودخلوا على الملك
الاسود . وهم في حالة الذل والنكد * وبكوا بين يديه .
وقصوا قصتهم عليهِ . فقال الاسود لخالد بن جعفر . قد وصل الينا
الخبر . بانك جمعت على بني عبس وعدنان . قبايل العربان
ودهمتهم بالابطال والفرسان . واكثرت فيهم شرًّا وفسادًا .
واشبهت في فعلك رهط ثمود وعادًا . وقتلت سيدهم الملك زهير
وولده شاس . وتركتهم مثلاً بين الناس وحدث الحارث بن
ظالم اخي بجميع فعالك . وقبح اعمالك حتى اوغر صدره عليكم
ويريد ايصال الاذية اليكم فقال خالد يامولاي الحارث تكلم بما
شاهد وابصر . ولم يعلم بعد مسيره ما جرى علينا من بني عبس
وعنتر وبالحقيقة اننا مظلومون وهم ظالمون . لان ملكهم زهيرًا
كان قد اعتدى علينا . واوصل شرهُ الينا * واتهمنا بقتل ولده

Digitized by Google

شاس * ودهمنا بكل فارسٍ دعاس . واصاب منا غنيمة جسيمة بعد ان قتل منا مقتلة عظيمة . وبعد ذلك غزانا ولدهُ قيس بفرسان الجلاد . ومقاتلة الاجناد . وقتل منا في يومٍ واحدٍ الف ومايتين من الابطال وقد ذكر ذلك عبدهم عنتر في شعره فقال

قتلنا منهمُ مايتين حرًّا والفاً في الشعاب وفي الهضابِ

هذا عدى ما قتل منا بعد ذلك . من سادات العشاير وفرسان المعارك * وقد ابصرنا باعيننا الذل والهوان * بعد ذلك العزّ ورفعة الشان . واذ لم يبقَ لنا مساعد * من الاقارب والاباعد التجينا الى شيخ العرب ومشيرها . ومقدمها وغفيرها . وسيدها واميرها دريد بن الصمة . صاحب العزيمة والهمة . وطلبنا منهُ ان يمدنا بالابطال والفرسان . لقتال بني عبس وعدنان . فاجابنا الى ما طلبناه وارسل معنا اخوهُ عبد الله * فانتصرت بنو عبس علينا . واوصلت شرها الينا * وقتلت فرسانا * واهلكت شجعاننا وبعد كل ذلك العمل * ايها الملك المبجّل * ما اتيناك في طلب مساعدة او نجدة * وما نريد منك الا ان تصلح بيننا وتخلصنا من هذه الشدة لانك ملكٌ عالي الهمة ومن شيم الملوك الشفقة والرحمة

قال فلما سمع منهم ذلك المقال . شفق عليهم وضمن لهم اصلاح الحال * وانزلهم في الخيام * واكرمهم غاية الاكرام وذبح لهم النوق والجمال * وقدم لهم صافي المدام * واخلع عليهم الخلع ليرفع عنهم الخوف والهلع * ولما اصبح الصباح * واضا بنوره

ولاح * دخل بهم على اخيهِ الملك النعمان * وحدثهُ بما جرى وكان * وطلب لهم العفو والامان

قال وكان النعمان لما بلغهُ قتل الملك زهير استشاط غضباً واشتعل فوادهُ لهباً * ولبست زوجته المتجردة على ابيها السواد . وواظبت على النوح والتعداد * وكانت كلما سالت بعلها ان يساعد اهلها على اخذ الثار . وكشف العار . يقول لها متى طلبوا مني الامداد . امدهم بالعساكر والاجناد . ولكني اعلم انهم قادرون على اخذ تارهم وبلوغ المراد . ما دام فيهم عنتر بن شداد

قال وكان الملك النعمان يتمنى ان تذل له بني عبس وعدنان حتى تدخل تحت طاعته وتتبع سنة العربان . ولما دخل عليه الملك الاسود . واخبره بما جرى وتجدد * تعجب من ذلك غاية العجب . ولم يرى اوفق من الصلح بين طوايف العرب . خوفاً من وقوع الفساد . في اقطار البلاد * ويظهر من الشر ما استتر وينفتح عليهِ سد الاسكندر . ثم انهُ التفت على اخيهِ وقال له يا ذا المفاخر . استدعي لي الحارث بن ظالم حتى اصلح بينهُ وبين سادات بني عامر * وانفذ معهم من يدبر احوالهم * ويردهم عن جهلهم وضلالهم * واشرط عليهم ان عاد احد تعدى على الاخر * كنت انا خصمهُ الاكبر * ففرح الاسود واستبشر * وفي الحال انفذ خلف الحارث فحضر * فوضع النعمان يده في يد خالد بن جعفر وطلب منهما ان يتحالفا * على حفظ العهود والوفا . وان يعيشا

Digitized by Google

باقي عمرهما متصافيين * وفي رياض الهنا متوافيين * فامتثلا الى ما
امر * وبادروا الى ما ذكر * وقد انمحى الجفا وذهب الكدر *
واستقرت الخواطر * وزالت الغبون من سادات بني عامر *
وعمل النعمان لهم وليمة عظيمة * لها قدرٌ وقيمة * وزاد لهم في
الاكرام والبشاشة * والترحيب والهشاشة * وبقي معهم طول
ذلك النهار * الى ان دخل الليل بالاعتكار وهم يعيدون عليه
حديث بني عبس وعدنان * وما جرى لهم مع عنترة الفرسان في
مواقف الضراب والطعان * وما زالوا في شرب مدام *
وسماع انغام * حتى فرّقت الكاسات * شمل السادات *
فرجعوا الى المضارب والابيات * وهم سكارى كالاموات *
لايعرفون الخطا من الصواب اصلاً * ولا يملكون رشداً ولا عقلاً
وكان الحارث بن ظالم * الفاتك الغاشم * قد اخذه القلق
والضجر * وتنغص مذاقه وتمرمر * لما سمع مقالة خالد بن جعفر *
في حق ابي الفوارس عنتر * وكيف انه وصفه بالشجاعة وقوة
الجنان * وفضله على ساير الفرسان * فاضمر له الشر والنكال *
لانه مجبول على الغدر والاحتيال * وقال والله لافعلن
فعلاً اذكر بها الى الابد * ما قام قايم وقعد * واقتل خالد بن
جعفر في حرم الملك النعمان * ولا ابالي بحوادث الزمان *
وطوارق الحدثان * ثم انه قوّى عزمه على ذلك الشان * وصبر
حتى نام كل يقظان فنهض قايماً على الاقدام * وهو نشوان من

Digitized by Google

شرب كاس المدام . وجعل يدور بين المضارب والخيام . الى ان وصل الى الخيمة التي فيها خالد . فدخل عليهِ وهو راقد . وضربهُ بسيفهِ على رقبتهِ . فقطع راسهُ عن جثتهِ . ثم ركب جوادهُ وطلب الهزيمة والهرب . خوفاً من الهلاك والعطب . وهو لا يدري الى اين يذهب . تحت اذيال الغيهب

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضاء بنورهِ ولاح . طلب الاحوص بن جعفر اخوهُ خالداً لانهُ كان عند صهرهِ الاسود راقداً . فلما دخل على اخيه . ورآهُ على ذلك الحال الذي هو فيه * اضطرب جسمهُ واقشعرَّ . ووقف شعر راسه وازبأرَّ . وخاف وارتاب وغاب عن الصواب . وعظم عليهِ المصاب . ومزَّق ما عليهِ من ثياب . وعرف ان الذي فعل تلك الفعال . هو الحارث بن ظالم ابن الانذال . لانه يعلم بانهُ مجبول على الغدر . مطبوع على الدهاء والمكر * فرجع الى عند الملك الاسود على الاثر . واعلمهُ بذلك الخبر . فجرى عليهِ ما لم يجرى على قلب بشر * وحس بان فؤادهُ قد انفطر . وامر من وقتهِ في القبض على بني مرَّة الاوغاد . واوثقهم في القيود والاصفاد . ودخل على اخيهِ الملك النعمان . واخبرهُ بما فعل الحارث الخوَّان * وكيف انهُ قتل الى خالد بن جعفر . وانزل بهِ الويل والضرر

قال نجد بن هشام . فلما سمع الملك النعمان منهُ ذلك الكلام . تشوَّش فكرهُ . وضاق صدرهُ . وحلف انهُ لا بد لهُ ان يقتل

الحارث بن ظالم . ويجعلهُ عبرة بين العوالم . وقال هل بلغ من قدر هذا الوغد الفاجر . والخاين الماكر . ان يخرق حرمتي بين سادات العشاير . ويقتل في حرمي اميراً من امرا بني عامر . فوالله اني لا اقابل هذا الكلب . الا باشنع القتل والصلب . ثم انهُ امر الابطال . ان تطلبهُ في البراري والتلال . فركبت الفرسان صهوات الخيول . وداروا يفتشون عليهِ في الاوعار والسهول . ثم عادوا عند المسا وقالوا ايها الملك ما وقعنا لهُ على خبر ولا وقفنا على اثر . فازبد وارغد . وزاد بهِ الغم والنكد . وامر بصلب اصحاب الحارث على اسوار البلد . فقال لهُ اخوهُ الملك الاسود . حاشاك ايها الملك العظيم . ان تأخذ البري بالسقيم فلو كان عند هولاء من افعالهِ ادنى خبر . كانوا هربوا في البر الاقفر كما هرب ونفر . والصواب ان يبقوا تحت الحفظ خارج المدينة . على سبيل الرهينة . حتى يقع في ايدينا ذلك الوغد اللئيم والشيطان الرجيم . فاجابهُ الملك النعمان . الى ذلك الشان

قال الراوي واما ما كان من الحارث * الخاين الناكث * فانهُ كان قد تبطن القفار . وسلك السهول والاوعار * ولما صحى من سكرهِ . خاف من عواقب امرهِ . فندم على ما فعل * وعلم انهُ لا بد ان يقتل * ويشرب كاس الاجل . وعوّل ان يقصد بعض الروابي والاكام . ويتشاغل فيها الى ان يدركهُ الحِمام . ولا تشتفي بهِ الاعداء اللئام * فلما صمّم النية على ذلك . خاف على

اصحابهِ من المهالك * فكر راجعاً يطلب الحيرة * وفي قلبهِ هموم كثيرة . وهو تارةً يستتر بين الجبال * وتارةً يقطع السهول والتلال * الى ان وصل الى الحيرة عند اقبال الظلام * فنزل عن ظهر جوادهِ واخذ يجول بين الخيام . فوجد العبيد الموكلين باصحابهِ راقدين . وكانوا نحو خمسين * فذبحهم ذبح الاغنام * واسقاهم كاس الحمام . واطلق اصحابه من القيود والاصفاد . وقال لهم اطلبوا ديار بني عبس الاجواد . واستجيروا بقيس وعنتر بن شداد . واما انا فلا بد لي من ان اتم العمل . واخذ بثاري قبل ان اقتل . ثم انهُ فارقهم وسار على عجل . وقد هان عليهِ الموت وشرب كاس الاجل . ودخل على اختهِ سلمى وهو في ضيق حال . وسوء بال . فلما راته وثبت اليه . وسلمت عليه . وقالت له ايها الاخ المنصان . ما الذي اوجب رجوعك الى هذا المكان . بعد ان صرت في امان . وتبطنت البراري والكثبان فوالله ان وقع فيك ابن ما السماء . ليشرب من دمك كما يشرب الظمان من زلال الماء . فقال الحارث الى اين اذهب وقد انحل عزمي . والملك النعمان قد صار عدوي وخصمي . فوالله لم يجسر ان يساعدني احد من سادات العرب . الا انت على بلوغ الارب قالت ما هو مرادك قل لي عليهِ . حتى ابادر اليهِ فقال لها اريد منكِ الان . ان تسلميني ابن الملك النعمان . حتى التقي بهِ ابوه عند الصباح . واطلب منهُ المغفرة والسماح . فلعلهُ يغفر ذلتي *

Digitized by Google

وانال غاية بغيتي . فلما سمعت منه ذلك الخطاب * راته عين الصواب . فسلمته الولد في الحال * ولم تكن تعلم بما عنده من المكر والمحال . فاخذ الغلام . وكان عمره ثلاثة اعوام . وسار بهِ الى خارج البلد . فركب جواده ولم يعترضهُ احد . وصبر قليلا حتى اصبح الصباح . واضا بنورهِ ولاح . وخرجت الناس الى الاشغال . ومعاطات المهن والاعمال . فنادى يالمرة انا الحارث بن ظالم . فارس الاعارب والاعاجم . ثم حذف الولد من يدهِ في الهوا نحو خمس قامات . وتلقـاه بسيفه ذو الحيّات . المنعوت الصفات . فقطعهُ نصفين . والقاه على الارض قطعتين . وطلب الهزيمة والفرار . خوفا من الهلاك والبوار . وبلغ النعمان الخبر . فبكي وتحسر . وتبدل صافي عيشهُ بالكدر . وقامت عليهِ القيامة ولطم على خديه اسفا وندامة . وصاح على الابطال . ومن يعتمد عليهم من الرجال . وطلب منهم ان ياتوه بالحارث . الخاين الناكث . فركبت الفرسان . من بني لخم وشيبان . وتبطنوا البراري والكثبان . ولم تكن الاساعة حتى ادركوهُ . فصاحوا عليهِ وطلبوه . فلما راهم اقبلوا عليه . وداروا من حواليه . تصور الموت بين عينيه . فاظهر الجلد . واخفى الكمد . وهجم عليهم كالاسد والتقاهم بالصارم المهند . وسطى عليهم واستطال . وما زال ينثر الفرسان والابطال . ويجول فيهم عن اليمين والشمال وينثرهم على الرمال . حتى امسى المسا . وحندست الغلسا .

Digitized by Google

وكان قد اشرف على العطب . من شدة التعب . فولى يطلب الهرب . وقد ايقن بالهلاك . وعلم انهُ لم يبقَ لهُ من الموت فكاك الى ان وصل الى صخرةٍ كانت هناك . فضربها بالسيف بقوة ساعدهِ وزندهِ . وكان قصدهُ ان يكسرهُ حتى لا يملكهُ احد من بعدهِ . فقدها شطرين . والقاها قطعتين . وبقي السيف على حالهِ الاول . لم يتثلم ولم يتغالل . وما زال في هزيمتهِ وفرارهِ . حتى اقبلت عساكر النعمان على اثارهِ . وكانوا قد ابصروا الصخرة حينما ضربها . فاندهشوا عند ما شاهدوا ما حل بها . فوقفوا في ذلك المكان . وقالوا وحق ذمة العربان . ما هذا الانسان . الا من عفاريت الزمان . وما يتبعهُ الا من يكون قد فرغ اجلهُ . وانتهى من الدنيا مرتحلهُ . لان اذا كان سيفهُ يعمل في الصخور هذه الاعمال . فكيف يكون فعلهُ في ابدان الرجال . وسار الحارث وقد اراد بتلك الضربة ان يموت ويلقى ضريحهُ . فسلمت بها روحهُ . واما عساكر النعمان . لما شاهدوا ما جرى وكان . رجعوا واعلموا الملك بذلك الشان . فامر بالقبض على سنان . وقال لهُ يا شيخ الضلال . ومن هو مجبول على المكر والاحتيال . اريد منك الان احضار الحارث بن ظالم الفاتك الغاشم . والا صلبتك يا قرنان . وجعلتك عبرة في قبايل العربان . على مدى الزمان . فبكى سنان . وطلب منهُ العفو والامان . وضمن لهُ احضار الحارث خوفا من الصلب والهوان .

ثم ان النعمان كتب الى قبايل ربيعة ومضر . واعلمهم بذلك الخبر . وان الذي ياتيهِ بالحارث يعطيه ما طلب . من الفضة والذهب

قال الراوي واما ما كان من اصحاب الحارث فانهم كانوا قد جدوا السير * وسابقوا بمسيرهم الطير * حتى وصلوا الى ديار بني عبس ودخلوا على الملك قيس بن زهير . وحدثوه بقتل خالد بن جعفر . ففرح واستبشر . وازال عنه القلق والضجر . واخلع عليهم الخلع السنية . واجزل لهم المواهب والعطية . وعمل وليمة جمع فيها السادات الكرام . وقدم لهم الطعام والمدام * واكرمهم غاية الاكرام . وبعد ان اكلوا وشربوا . ولذوا واطربوا . التفت الملك قيس على ابي عبلة وقال له لماذا منعت ابنتك من عنتر وحجبتها عنه . اما هي زوجته واخذت مهرها منه * فقال نعم ايها الملك الهمام والصارم الصمصام * اني ما حجبتها عنهُ الا من كلام الاعداء اللئام * الذين ليس لهم عهدٌ ولا ذمام . قال الملك قيس قد عولنا على عرس الامير عنتر . بعد ثلاثة ايام اخر * ونغتنم اوقات الافراح * في المسا والصباح * ولما انتهت الوليمة سار مالك الى خيمتهِ * واختلا بزوجتهِ . وقال لها قد خلا الان قلب الملك قيس من هم اعاديه * وقد صار عنتر عنده اعزّ مما كان عند ابيه . وقد الزمني ان ازفّ ابنتي عليه . واسلّم قيادها اليه . وانا وحق ذمة العرب . وحرمة شهر رجب . لو بلغ راس

هذا العبد الى اوج السماء لا يطيب على قلبي ان اسلمه عبلة ولو انها من بعض الاماء

قال الراوي واما ما كان من عنتر بن شداد . فانه عاد الى ابياته وهو مسرور الفواد . ولما اصبح الصباح الضاحك . ومضى الليل بسواده الحالك . اذا باخيه شيبوب قد دخل عليه . ووقف بين يديه . وقال له قد وصلت الان . اختك مروة من بني غطفان . وهي باكية ولهانة . واقول انها على بعلها حردانة وقد ارسلتني اليك يا ابن الاجواد . حتى تحضر الى مواجهتها في بيت ابيك شداد . فنهض الامير عنتر قايما على قدميه . وسار من وقته وسيفه الضامي بيده وهو يتوكا مثل العصا عليه

قال الاصمعي وكانت هذه مروة بنت شداد من غير زوجته سمية متزوجة في بني غطفان برجل اكرم من سحاب الغيث . يقال له الحجّاج بن الليث . قد رُزقت منهُ ولدا كانهُ الهلال . وسمتهُ الهطال . ولما بلغ سن الرجوليّة . تعلم الفروسيّة * حتى خرج بطلا مذكورا . وفارسًا مشهورا . وكان دابهُ ركوب الخيول . وملاقات الفحول . وكان عنتر يحبهُ . ويرغب قربهُ

قال فلما دخل عنتر عليها . ونظر اليها . راها باكية العين حزينة القلب . زايدة البلا والكرب . فسالها عن حالها . وكيفية احوالها . فقالت لهُ اعلم يا اخي بان ولدي خرج يغير على قبايل العرب . في طلب الاموال والمكسب . وقد طالت عليَّ غيبتهِ حتى

Digitized by Google

اشرفت من فقده على العطب * ولي مدة طويلة وانا لا آكل ولا اشرب . فلما كانت ليلة امس غفلت عيني وانا كثيرة الافكار . فرايت ولدي في ارض مسودة الاقطار . وفي رجليهِ قيودٌ من نار . فانتبهت من منامي . واذا انا بعبدٍ على باب خيامي . وهو عظيم الجثة بوجهٍ هايل . وعليهِ ثياب رثة في زي سايل . وقال شي لله يا اهل الخير من قوت النفوس . فخرجت اليهِ وفي يدي قطعه ترموس . وقلت لهُ خذ يا جايع القلب وفارغ الضلوع . وادع لولدي الغايب بالرجوع . فقال لي وقد تبسم من هذا المقال . لا يكون ولدك هو المطال * قلت نعم قد خرج من برهة اكم يوم غازيًا مع بعض اصحابهِ . فاين رايته لاني اراك عارفٌ بهِ * فقال هو ماسور يا بنت الاكارم . عند لقيط بن زرارة سيد بني دارم . ومعهُ اثنى عشر من الغلمان . وباقي اصحابه قتلوا وشربوا كاس الهوان . وقد اوثقهُ بين اربع سكك من الحديد . وهو يقاسي العذاب الشديد . وقد اتيت من عندهِ في زي رسول . وهو يسلم عليك ويقول . اقصدي خالي . واعليهِ بحالي . وقولي لهُ ان يسرع ويدركني * قبل ان يقتلني اللقيط ويهلكني . وها انا يا اخي قد اتيت اليك * وجعلت اعتمادي من بعد الله عليك لانك سيفنا القاطع . ودرعنا المانع . وحصننا الذي ناوي اليهِ اذا اشتدت المعامع

قال فلما سمع عنتر كلام اخته . زادت نكبتهُ . وعظمة بليته لانه

كان يظن ان عقدته قد انحلت . ونحوسه قد ولت . فقال لاخته ارجعي الى ديارك * وكوني مطمئنة في افكارك . فمن قريب ياتي ولدك بالتحف والغنايم . من اموال بني دارم . ثم انه طيب قلبها وازال عنها خوفها ورعبها * وانفذر سولاً لعروة بن الورد يعلمه بما جرى للهطال . وانه في بني دارم في الاسر والاعتقال . ويامره ان ياخذ اهبة الحرب والقتال . ثم اوصى ابوه واعمامه بكتمان الحال . خوفاً من القيل والقال * وركب عنتر وفي صحبته ابيه شداد * وجماعة من بني قراد * ولما سمع عمه مالك بذلك الخبر فرح واستبشر وقال لعل هذا الولد الزنا يهلك في هذه الكرة ولا يعود من هذه السفرة * الا انه لما ابصر ركوب عنتر في الليل . تبعه مع جملة الخيل * واظهر انه يريد المسير معهُ وطلب منه درعاً من الدروع . فرده عنتر وسالهُ في الرجوع . وقال له ارجع الى حالتك واصلح حال ابنتك * حتى نعود بابطال بني دارم . ونستعين بها على الدعوات والولايم . فقال له بخبثه ودهاه وقد بكى بين الابطال * والله يا ابني لقد تنغص عيشنا باسر الهطال . قال عنتر لكل شي يا عماه وقت معلوم * ولا يقدر الانسان ان يدبر امرا ما لم يدبره الحي القيوم * خالق الكواكب والنجوم * ثم تركه وسار وفي صحبته عروة بن الورد ورجاله الاخيار * ولما تبطن البر الاقفر التفت الى خلفه نحو الديار فتنهد وتحسر . وانشد يقول من فواد متبول

اعادي صرف دهرٍ لا يُعَادَى   واحتمل القطيعة والبعادا
واظهر نصح قومٍ ضيعوني   وان خانت قلوبهم الودادا
اعلل بالمني قلبًا عليلاً   وبالصبر الجميل وان تمادى
تعيرني العدى بسواد جلدي   وبيض خصايلي تمحو السوادا
سلي يا عبلَ قومك عن فعالي   ومن حضر الوقيعة والطرادا
وردت الحرب والابطال حولي   تهزُّ اكفها السمر الصعادا
وخضت بمهجتي بحر المنايا   ونار الحرب تتقد اتقادا
وعدت مخضبًا بدم الاعادي   وكرب الركض قد خضب الجوادا
وكم خلفت من بكرٍ رداحٍ   بصوت نواحها تشجي الفوادا
وسيفي مرهف الحدَّين ماضٍ   تقدُّ شفارهُ الصخر الجمادا
ورمحي ما طعنت بهِ طعينًا   فعاد بعينهِ نظر الرشادا
ولولا صارمي وسنان رمحي   لما رفعت بنو عبسٍ عمادا

قال الاصمعي فلما فرغ من شعره . وما ابداهُ من محاسن نظمهِ ونثره . طربت لها الابطال والفرسان . ومن حضر من الشجعان وقال له عروة بن الورد لله درك يا فارس عدنان . وشاعر هذا الزمان . على هذه الالفاظ الرقيقة * والمعانى البليغة الدقيقة التي هي احلى من الشهد . وازكى من روايح المسك والند . فلا زالت بنودك مرفوعة على هام الثريَّا . ولا برحت الوية سعودك منصوبة فوق الكواكب مكاناً عليًا . فشكرهُ عنتر على ذلك الكلام * وبعد ذلك جدوا في قطع الروابي والاكام . طالبين ديا ربني

دارم. و تلك الاطلال والمعالم . قال ابو عبيدة وكان هذا
لقيط بن زرارة. الذي اسر الهطال كما سبقت الاشارة . من
الفرسان المعروفة . والابطال الموصوفة وكانت العرب تسميه
عقاب الحرب. وفارس ميدان الطعن والضرب * وكان السبب
في اسره الهطال . ابنت اخت عنتر الاسد الرئبال حديث
عجيب وامر غريب. نحب ان نسوقه على الترتيب * وذلك
انه كان قد ربي في مهد الكمال * وحاز غاية الحسن والجمال *
وساعدته السعادة والاقبال. الى ان بارز الفرسان والابطال *
وقهر صناديد الرجال * حتى عظم امره * وارتفع قدره . وكان
مع شجاعته موصوفاً بالكرم. والفصاحة وعلو الهمم. ينشد لطايف
الاشعار * ويتمثل بظرايف النوادر والاخبار . فمن اشعاره اللطيفة
ومعانيه الظريفة . قوله من جملة ابيات

وانى من القوم الذين علمتهم اذا مات منهم سيدٌ قام صاحبهْ
نجوم سماء كلما غاب كوكبٌ بدى كوكب تاوي اليه كواكبهْ
اضات لهم احسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبهْ

وكان معجبا بنفسه . متكبرا على ابناء جنسه . لا يقدّر العواقب .
ولا يخشى حلول النوايب . وكان لهُ تسعة عشر اخاً كانهم البدور.
وكلٌ بالادب مذكور ومشهور . منهم الامير حاجب . صاحب
الراي الثاقب . والفكر الدقيق الصايب . الذي قلّ وجود
مثله في كثير من العرب . في الفراسة والادب . والشجاعة

Digitized by Google

والحسب . وكان اللقيط يستخفّ باخوته غاية الاستخفاف .
ويعاملهم بالجور والاسراف . لانهُ كان يريد ان يكون عليهم
اميرا . ومدبرا ومشيرا . ولم يكن عندهُ منهم سوى الراس صغيرا .
فصعب ذلك عليهم . وكبر لديهم . وشكوه الى ابيهم زرارة .
وحدثوه بتلك العبارة . فاستدعاه اليهِ فحضر الى بين يديهِ . وهو
يميل في قميص رفيع . ويتصنع في مشيهِ غاية التصنيع . فاستشاط
ابوهُ غضبًا * واضطرم فوادهُ لهبًا . وقال لهُ لقد ذهبت بك
الخيلآء * وغيرت عقلك الكبريآء * حتى صرت تفتخر على اخوتك
وتزدري باهلك وعشيرتك العليا كملت خصالك * وبانت
للناس افضالك * وظفرت بالمراتب السامية * ونلت المناصب
العالية * وملكت الف ناقة من عصافير النعمان * او تزوجت
بدر اليمن بنت جابر بن صفوان * اوبارزت عنتر بن شداد *
في معركة الطراد

قال محمد بن هشام . فلما سمع لقيط من ابيهِ هذا الكلام * الذي
هو اشد من ضرب الحسام . احمرت عيناه . وزادت نيران جواه .
وقال له يا ابتاه . وكاني اذا نلت هذهِ الاشيا . اكون قد ظفرت
بالمراتب العليا . وافتخرت على اهل الدنيا . قال اي نعم * وحق
خالق الامم . واي فخر يكون اوفى من الزواج ببدر اليمن . التي
ضربت بها الامثال في مداين صنعا وعدن . وتحدثت بها الناس في
مجالس ملوك الزمن . وبراز عنترة الفرسان . في ساحة الميدان

وان يكون في مراعيك الف ناقة من عصافير الملك النعمان * سيد قبايل العربان * فقال لقيط وحق الملك الجبار * خالق الليل والنهار . لم يبق للاعتذار مجال ولا للادعا مقال . الا ببلوغ الامال * ثم انهُ نهض في الحال . وقد زاد بهِ الوجد والبلبال . وطاش عقله ووقع في الانذهال * وكانت اخوتهُ تحمسهُ بالكلام استهزاء بهِ . وتمزح معهُ بين اصحابهِ . فاخذتهُ الحمية وعطفت في راسهِ نخوة الجاهلية . وصعب ذلك الكلام عليهِ * وقامت في مقل راسهِ ام عينيهِ . وخرج وهو غضبان . وقد زادت بهِ بلابل الاحزان . ودخل على خالهِ . وحدثهُ بحاله . وكان من اكابر السادات * يقال لهُ مراد بن عبد اللات فرق لشكواه . لانهُ كان يحبهُ ويرعاه . ووعدهُ انهُ يعينهُ على بلوغ مناه

ولما اصبح الصباح * واضا بنورهِ ولاح * ركبا جواديهما وكانتا من الخيول الجياد * واعتدّا بالة الحرب والجلاد * وسارا حتى ابعدا عن الاطلال * ولما اوسعا في البراري والتلال * التفت مراد على ابن اختهِ لقيط وقال الصواب ان نقصد ديار جابر بن صفوان * قبل مسيرنا الى عند الملك النعمان * ونخطب منه ابنته بدر اليمن * التي تحسرت عليها ملوك الزمن * فان انعم واجاب * الى هذا الخطاب * وطلب المهر والصداق . قصدنا بلاد العراق . ونسببنا في اخذ النياق * وان ردنا بالخيبة والغضب

ولم يجبنا الى هذا الطلب * رجعنا على الاثر * وقصدناه بكل ليث قسور وبطل غضنفر * فقال لقيط وحق خالق البشر . الذي زين السما بالنجوم والقمر . ان لم احظى بالمطلوب . وانال غاية المرغوب شمتت بي الاعداء والحساد . وصرت مثلاً بين العباد ثم انهما جدا في قطع البيد . وكان خروجهما في وقت سعيد

قال الراوي هذا الملك المدعو بجابر . كثير الجنود والعساكر . قد اتصف بالحلم والفضل . وانتشر صيتهُ بين العرب بالجود والعدل . وكان منعكفاً على عبادة الاصنام والسجود لها دون الملك العلام . وله بنت بديعة الجمال . كانها البدر عند الكمال . الفاظها رايقة . والحاظها راشقة . ما نظرها احد الا وافتتن * وكان يقال لها بدر اليمن * وهي التي يقول فيها بعض واصفيها

البدر طلعتها والغصن قامتها ... والمسك نكهتها ما مثلها بشرُ
كانها أُفرغت من ماء لؤلؤةٍ ... في كل جارحةٍ من حسنها قمرُ

وكان ابوها قد بنى لهُ في قصرهِ غرفة جميلة البنيان * واتقنها غاية الاتقان * وفرشها باحسن الفرش الفاخر . ورصع حيطانها بانواع المعادن والجواهر * ووضع فيها صنما من الذهب الاحمر * وكلله بالزمرد الاخضر * وكان من فرط محبتهِ لابنتهِ وهب لها هذا الصنم . وردَّ عنها الخطاب من ساير الامم . وكان يقول انني لا ازوج ابنتي لملكٍ كان او امير * الا لمن يامرني بهِ الصنم الكبير . وما

زال على مثل تلك الحال الى ان قدم لقيط وخاله الى تلك الاطلال . فوجدا عماير مكينة واماكن حصينة . ونعما لا تحصى وخيرات لا تستقصى . فتعجب لقيط من ذلك الاقليم العظيم * الذي لا يقاس بالاقاليم . والتفت على خاله وقال ايها السيد المفضال في مثل هذا الوقت يجب على الانسان اطلاق اللسان وثبات الجنان * ثم انهُ نزل على بعض الغدران . وخلع ما كان عليهِ من ثياب السفر . ولبس حلة معلمة بالذهب الاحمر * وتعمم بعمامة من الحرير الاخضر . وتقلد بسيف مشطب . واعتقل برمح مكعب * وعاد الى ظهر الحصان . وقصد قصر جابر بن صفوان . ولما وصل الى ذلك المكان . وابصر العبيد والغلمان قوى جنانه . واطلق لسانهُ . وسلم عليهم ووقف بين يديهم * فردوا عليهِ السلام وحيوهُ بتحية الكرام . وقالوا لهُ ما هي حاجتك يا غلام حتى نساعدك على بلوغ المرام . قال ان حاجتي هي ان اتشرف برويا هذا الملك الكبير . والسيد الخطير صاحب التاج والسرير . لان لي في ذلك الحظ الاوفر . والجاه الاكبر . فاستاذنوا لي بالدخول عليه حتى اقبل يديه ورجليه . فلما وقفوا على خطابه دخلوا على الملك وحدثوه بهِ وكان عنده جماعة من ارباب دولته وخواص مملكته . وهم يشربون المدام . ويسمعون الانغام * فلما سمع ذلك الخبر . فرح واستبشر . وقال لهم اسالوهُ عن حسبهِ ونسبهِ . وبلادهِ وعربهِ . فان قال لكم انا هو لقيط بن

Digitized by Google

زرارة . احضروه اليّ ولكم عليّ حق البشارة . وان كان رجلا من اهل الفاقة . اعطوهُ مایة ناقة . فتعجب الحاضرون من هذا الكلام . وقالوا ايها الملك الهمام . والصارم الصمصام . بحق المعابد والاصنام . مَنْ يكون هذا الرجل الذي ذكرتهُ . وما تريد بهذا الاسم الذي وصفتهُ . فقال ان قصتي من اعجب العجب لم يسمع بمثلها بين العجم والعرب . ومن اليوم وصاعدا علمت ان اموري قد استقامت . والوية سعودي في فلك العلياء قد تسامت . وذلك انهُ كان قد اعتراني السقام . في بعض الايام . من كثرة شرب المدام . فدخلت على صنمي وطلبت منهُ كشف المرض وازالة ذلك العرض . وقلت له في اخر الكلام . بحق البيت الحرام . وزمزم والمقام . ان ترزق ابنتي بعلا رفيع القدر . عالي الذكر . يكون من افخر العرب نسبا . واشرفهم امًّا وابا . ثم اني بت تلك الليلة الى وقت السحر . وانا كثير الهموم والفكر . فرايت في مناعي . ولذيذ احلامي . كأنَّ صنمي قد وقف امامي . وقال لي قد سمعت كلامك . واجبت مرامك . وفي هذه الايام . ابعث لابنتك بعلا كانهُ بدر التمام . شديد الباس . قوي المراس اعظم العرب قدرا . وافخمهم ذكرا . واطوعهم انصارا واعوانا . واروعهم سيفا وسنانا . قد وصل في الجاه الى ما وصل . وحصل لهُ المقام الرفيع الذي لغيره ما حصل . وهو ياتي اليك في هذه الايام على سبيل الزيارة . واسمهُ لقيط بن زرارة . فاذا اتى وطلبها *

Digitized by Google

انعم له بها . لانك تنال بمصاهرتهِ غاية الارب وتتغلب بسيفهِ على قبايل العرب . من بعد منها ومن اقترب . فانشرح صدري وطاب وزالت عني الهموم والاوصاب . عند سماع هذا الخطاب . وبقيت متفكرا في امر ذلك الفتى . واقول انهُ هذا الذي قد اتى

قال محمد بن هشام . وما انتهى الملك من هذا الكلام . حتى دخل لقيط عليه . وقبل الارض بين يديه . ودعى له بدوام العز والنعم . وازالة البوس والنقم . فرحب بهِ الملك وعظمهُ * واكرمهُ واحترمهُ . واجلسهُ بالقرب من حضرتهِ . وقابلهُ بما يليق بحشمتهِ . وبعد ذلك ساله عن اسمهِ وحسبهِ . واهله وعربهِ * قال انا لقيط بن زرارة الذي شهدت بفخارهِ الكواكب السيارة . ودانت لعزتهِ القروم . وخضعت لهيبتهِ ابطال الفرس والروم * صاحب النسب العالي . والفخر السامي المتعالي * السابق الى قلة ابراج المعالي * المُلَقَّب بعقاب الحرب يوم طعن العوالي * وقد اتيتك خاطبًا * وفي كريمتك بدر اليمن راغبًا * فلا تردَّني خائبًا فلما سمع الملك منهُ هذا المقال . وشاهد ما فيه من الحسن والجمال والقد والاعتدال . فرح وزاد بهِ الانذهال . وقال له زاد الله توفيقك وارشد طريقك . فقد قضيت حاجتك قبل ان تصل الينا * وتقدم علينا . لان الذي امرنا بقضايها لا نقدر على مخالفة كلامهِ ولا يمكننا ان نعترضهُ في اوامرهِ واحكامهِ . ثم اكل معهُ الطعام وسقاه من صافي المدام * وانتشر الفرح بين المضارب والخيام

ودقت الطبول ونشرت الاعلام . وانقلبت الدنيا بالافراح والمسرات . وعظمت الولايم والدعوات . وتزينت النساء والبنات ورقصت الاماء والمولدات . ودارت بلقيط الفرسان والسادات * ودامت الوليمة ثلاثة ايام . في اكل الطعام . وشرب المدام وفي اليوم الربع انجز الملك نوبته . وزف عليه ابنته . فحمد زمانه . وانجلت احزانه . لانه راى بدراً لا يسترها ظلام الغيهب . ولا يوجد مثلها في بنات العرب . وكان قد شاهد من ابيها ما ابداه . من المعروف وكرم الاخلاق . فاستحى ان ياخذها بدون مهر وصداق فصبر الى ان اظلم الليل . وطلع نجم سهيل . فتركها وجا الى خاله وحدثه بما خطر بباله . فقال لقد نظرت موضع النظر . والصواب ان نسير في هذا البر الاقفر . ونقصد بلاد العراق . في طلب المهر والصداق . من الجمال والنياق . وقد حسبت لك هذا الحساب وقرات عنوان الكتاب . ثم انهما شمرا الذيل . وسارا تحت ظلام الليل . على ظهور الخيل . وجدا في قطع المراحل حتى ابعدا عن تلك المنازل

قال واما ما كان من بدر اليمن * ذات الوجه الحسن * فانها لما انتبهت من منامها . ولم ترى زوجها امامها رجفت اعضاها وزاد بلاها * واشتعل فوادها بلهيب النار * خوفا من الهتيكة والعار * ولما تعالى النهار * اتت اليها امها في جماعة من النساء الاحرار * فسالتها عن حالها * وكيفية احوالها * فحدثتها بذلك

الخبر * وكيف ان زوجها تركها في وقت السحر * ولم يملا عينه منها بالنظر * فلما سمعت امها منها ذلك الخطاب * غابت عن الصواب * وقالت النسا والله لقد دبر ابوها بئس التدبير * لانه رد عنها كل ملك وامير * وسيد خطير * والاخيرًا زوجها برجل حقير * عديم الحسب والنسب * قد تركها وذهب * وفضحها في قبايل العرب

قال وشاعت هذه الاخبار في تلك الديار * وعلمت بها العبيد والاحرار * وندم ابوها على ما فعل * وزاد عليه الهم والوجل قال هذا ما جري لهولاء من الاحوال . واما كان من لقيط بن زرارة الاسد الريبال . فانه كان قد قصد ديار الملك النعمان . وتلك المنازل والاوطان وقد حدثته نفسه انه يلقى كل من في ارض العراق . ولا يعود الا بما يرضي بدر اليمن من المهر والصداق . لانه كان قد زاد هواها على قلبه . واخذ بمجامع لبه . فجد في قطع الطريق وقد ساقته السعادة الي النعمان بزمام التوفيق . لان الله اذا اراد سعادة عبد من العبيد . انفذ فيه حكمه وفعل به ما يريد . وسبب له اسباب . لا تهتدي اليها عقول ذوي الالباب . وذلك انه التقى بالحارث بن ظالم * الفاتك الغاشم . وهو يهيم في تلك البراري والمعالم . لاننا قد ذكرنا قبل الان انه قتل ابن الملك النعمان . واحرق قلبه عليه وكان النعمان يتمني ان يقع الحارث في يديه . ومن وقته كتب

الى قبايل العرب . من بعد منها ومن اقترب . وضمن لمن ياتي
له بالحارث الفضة والذهب . وبلغ الحارث الخبر . فايقن
بالموت الاحمر . واتخذ الوعر له مسكناً . وروس الجبال له موطناً
وكان يقضي نهاره بصيد الوحش في القفار . ويصرف ليله بالهمّ
والافتكار . حتى ضعفت من كثرة الجوع قوته . وقلّت من شدة
الخوف عزيمته . وكانت قد تحدثت بحديثه العربان . لما وصلت
اليهم رسائل النعمان . وكان قد وصل الى لقيط كتاب . صحبة
نجاب . يامره بالقبض عليه . اذا وصل الحارث اليه . فلما راه لقيط
في ذلك اليوم . عرفه من دون القوم . فتقدم اليه حتى فاجاه *
ونادى وافرحاه . بعد ترحاه . اليوم قد تمت اموري . وانتظم عقد
سروري . ثم التقاه بقلب اقوى من الحجر . وصدمه صدمة
الاسد الغضنفر . وقال له ويلك يا ابن ظالم . اين بقيت تنجو
من سطوة الهام المصادم . فارس الاعارب والاعاجم . فعند ذلك
اطلق الحارث عنانه . وقوم سنانه . واخذ معه في الجولان *
وانطبق كلاً منهما على صاحبه مثل الاسد الغضبان . والتحما
ببعضهما التحام الصخرة الصمّا . وجرى بينهما حربا يعيد البصير
اعمى . ولا تدركه الابصار الاّ وهما . وكان الحارث يقاتل قتال
الخايف المغلوب . ويصيح صيحات ترتج من هولها القلوب . وتعيد
النظر الصحيح مقلوب . وما زالا في قتال شديد . وضرب ما عليه
من مزيد . حتى تزعزعت اقطار البيد

Digitized by Google

هذا وقد سطا لقيط على الحارث واستطال . لانهُ كان من فحول الابطال وصناديد الرجال . الذين تضرب بهم الامثال في ميادين القتال . وكان قد حاول الحارث حتى اضجرهُ واكربهُ * واتعبهُ والهبهُ . وطعنهُ بعقب الرمح فاقلبهُ . فنزل اليهِ خالهُ وشد كتافهُ . وقوى سواعدهُ واطرافهُ . وبات لقيط في تلك المنزلة الى الصباح . وبعد ذلك جدا في قطع البطاح . وهو في غاية الفرح والانشراح . لانهُ علم ان امرهُ قد هان عند الملك النعمان وما زال يقطع البراري والقفار . والسهول والاوعار . الى ان وصل الى الحيرة وتلك الديار . فراى النعمان خارج المدينة * وهو جالس في قبتهِ وعليهِ ثياب الزينة . ومن حوله الفرسان وسادات الاقاليم . لان ذلك النهار كان عنده يوم النعيم . فلما رآهُ الخدام . قصدوهُ بسرعة واهتمام . وداروا حواليهِ . ونثروا الفضة والذهب بين يديهِ . وصاحوا صياح الافراح . وانقلبت الارض بالضجيج والصياح . فاندهش لقيط وتحير مما شاهد وابصر . وقال الى الغلمان . لقد غمرتموني بالجميل والاحسان فدعوني اتشرف الآن . الى خدمة الملك النعمان . سيد هذا الزمان وخليفة كسرى انوشروان . زادهُ الله مهابة وجلالاً وسعادة واقبالاً * حتى ازيد سرورهُ كما زاد في سروري بالعطايا والمكارم . لاني قد اسرت عدوهُ الحارث بن ظالم . الفاتك الغاشم . وها هو معي مشدود الكتاف . قد اشرف على الهلاك والتلاف . فلما سمع القوم

منهُ هذا المقال ٠ ورأوا الحارث بن ظالم في الاسر والاعتقال ارتفعت اصواتهم وزادت مسراتهم ٠ وقالوا له ابشر بالسعادة والشرف ٠ وكثرة العطايا والتحف * وعادوا على الاثر * وحدثوا الملك النعمان بذلك الخبر * فطاب وانشرح * وزال عنه الهم والترح * وخفق فؤاده من شدة الفرح * وقال يا للنار والنور * ان هذا اليوم من اعظم ايام السرور * والغبطة والحبور ٠ ثم انهُ صاح على جماعة من الغلمان ٠ وقال لهم اقصدوا الحارث الخوان قبل ان يصل الى هذا المكان * وابقوه تحت الحفظ والترسيم الى ان يمضي يوم النعيم ٠ واياكم ان تروني وجه ذلك المنحوس لاني ان نظرتهُ في هذا اليوم ابليته بالعكوس ٠ وبدلت النعيم بالبوس فاجابوه بالسمع والطاعة ٠ وفعلوا ما امرهم بهِ من تلك الساعة *

قال ولما وصل لقيط الى امام النعمان * ترجل عن ظهر الحصان * ووقف وسلم * واطلق لسانهُ وتكلم * ودعى له بدوام العز والنعم

فلما سمع النعمان كلامه ٠ زاد ابتسامه * ورد عليهِ سلامه ٠ واكرمه غاية الاكرام * وتلطف معه في الكلام ٠ وامرهُ بالجلوس بين السادات الكرام لانهُ رآه فصيح اللسان ٠ قوي الجنان ٠ ثم سأله عن حسبهِ ونسبهِ * وقومهِ وعربهِ * فحدثهُ بقصتهِ من اولها الى اخرها * واوقفه على باطنها وظاهرها * فقال اهلا وسهلا بك يا ابن زرارة * لقد شفيت غليل قلبي في هذا اليوم وطفيت منهُ تلك

الكتاب الثاني والثلاثون
من سيرة عنتر بن شدّاد
العبسي

الحرارة . فتمنى واطلب ما تريد . وابشر بعطاك في هذا النهار السعيد . فسوف يصل اليك المال الكثير . فضلاً عن النوق العصافير . وبعد ذلك رجع النعمان الى قصره الكبير . والي جانبه لقيط بن زرارة وكل سيد وامير . فابصر لقيط ملكاً عظيماً . وجنة ونعيماً . والواناً من خاص الطعام . واواناً مملوءة من صافي المدام فاغتنموا اللذات والافراح . وشربوا من الراح . وما زالوا في طرب وانشراح ثلاثة ايام . على التمام . وهم في سماع انغام وشرب مدام . وفي اليوم الرابع خلع النعمان على لقيط الخلع السنية . واجزل له المواهب والعطية . وامر له بالف ناقة من النوق العصافيرية وسيره في زي الملوك الكبار . اصحاب الاقاليم والامصار . فسار هو وخاله يقطعان الطريق . وقد ساعدهما التوفيق

قال الاصمعي هذا ما جرى للقيط عند الملك النعمان *

واما ما كان من ابي العروس جابر بن صفوان . فانهُ كان قد اظهر الجلد . واخفى الكمد . ولم يصغى الى عتاب احد . وما زال . على مثل ذلك الحال . حتى قدم لقيط بالنوق والجمال

فخرج الى لقاه في جماعة من اقرباه . ولما التقى به بردت نيرانهُ وزالت احزانهُ . فتقدم اليهِ وسلم عليهِ . وقبلهُ بين عينيه * وعتب عليه من اجل غيبته . ثم ساله عن سفرته . فحدثهُ بقصتهِ * وبعد ذالك قدم له النوق العصافير . وما جاء بهِ من الجواهر واقمشة الحرير . التي تذهل البصر . وتدهش النظر . فاندهش الملك وتعجب . واخذهُ الفرح والطرب . وجدد الولايم وتمهل * وعمل لابنتهِ عرساً احسن من الاول * والتقى لقيط زوجتهُ غير ذلك الملتقى . وقد زال عنهُ العنا والشقا . وبعد ذالك استاذن حموه في الرحيل الى عشيرتهِ وحدثهُ بما جرى له مع ابيهِ واخوتهِ فاعطاهُ شيًا من اموالهِ . واذن لهُ بالمسير الى اهلهِ واطلالهِ . وودعت بدر اليمن الى امها . وجميع بنات عمها . وسار ابوها لوداعها يوما كاملاً . وعاد الى اهلهِ مسروراً شاملا . هذا وقد جدَّ لقيط في قطع القفار . والسهول والاوعار . وقد بلغ منازل العلو والافتخار ولما قرب من الاطلال . التقى بابن اخت عنتر الهطال ومعهُ جماعة من الابطال فابصر مع لقيط تلك الهوادج والجمال والتحف والاموال . فطمع فيهِ وتقدم اليهِ . وهجم عليهِ * وقال له انزل عن جوادك . وسلم لنا نفسك . قبل ان تسكن رمسك فتبسم لقيط عجبا . وابدى للحرب سرورا وطربا . وقال له اخسا يا كلب العرب . فسوف ترى من قتالي العجب . لان لي مدة ما خضبت سناني . ولا رويت من الدما بناني . ثم انهُ صاح فيهِ وحمل

Digitized by Google

وطلبهُ بذلك القد والهيكل. فراه من اهل البراعة * وهو في طبقة عالية من الشجاعة . فقاتلهُ حتى اتعبهُ . وطعنهُ بعقب الرمح فاقلبهُ . ثم انهُ طلب باقي الرجال . كانهُ الاسد الرئبال . فانزل بهم الذل والاسا . واسر منهم اثني عشر فارسا . ولما هدات نيران القتال * شدَّ الهطال * ومن معهُ من الابطال . وجمع الخيول والاموال * وكان قدامسنا المسا . فبات في تلك الصحرا * وبعد ان اكل الطعام * وشرب المدام . احضر الهطال وهو مشدود . في الاغلال والقيود . وقال له من تكون يا قرنان والى من تنتسب من العربان . قال انا من بني غطفان . ابن اخت عنترة الفرسان . حامية بني عبس وعدنان . وشاعر شعرا هذا الزمان * الذي قهر جبابرة العرب واهل البغي والطغيان وهو الذي علمني الطعن بالسمر العوالي * ولولا ضعف مناكبي واوصالي لما قدرت على قتالي . على اني لست قطرة من سحابه * ولا شرارة من التهابهِ . لان الشجاعة عطية وسعادة * ووهبة من صاحب المشية والارادة . فلما سمع لقيط بذكر عنتر . اثر ذلك الكلام في قلبهِ اعظم اثر * واشتاق الى لقاه كما تشتاق الارض العطشانة الى اوائل المطر . ثم انه التفت الى خاله وقال . وقد استبشر ببلوغ الامال * والله ما رايت ابرك من سفر هذا الطريق * ولا اسعد من هذا التوفيق * لاني ما خرجت من دياري واطلالي الاَّ بسبب كلام ابي ومعيرته لي * وذلك لما راني اتبختر واجر اذيالي

والان قد هان الامر وتيسر . وما بقي في الامر الا براز الامير عنتر
الذي شاع ذكره بالفروسية وانتشر * في قبايل ربيعة ومضر * وما
دام اني اسرت هذا الفارس الغضنفر . فلا بد له ان يسمع بهذا الخبر
فيقصد هذه الاطلال لاجل خلاصه من الاعتقال * فابارزه امام
الابطال . وفرسان المعارك والقتال * وابلغ منهُ غاية اربي *
وانال المنزلة الرفيعة عند ابي * ويعلو عند العرب مقامي
ومنصبي . وبعد ذلك اقصد ديار بني عبس وعدنان . بالابطال
والفرسان . والقي الخوف في تلك الاوطان واسبي نساهم قوةً
واقتداراً * واضرم في قلوب رجالهنَّ نارا . ثم انه بات تلك الليلة
وهو مسرور الفواد * على بلوغ المراد . ولما اصبح الصباح . واضا
بنوره ولاح * جد في قطع القفار * الى ان وصل الى الديار .
فاستقبله ابوه احسن استقبال . وفرح برجوعهِ سالما الى الاطلال
وساله عما جرى له من الاحوال . فحدثه بواقعة الحال * وكيف
ساعدته صروف الزمن . حتى تزوج ببدر اليمن . وملك النوق
العصافير . واتى بالمال الكثير . ففرح ابوه بعلو همته * وعلم انهُ
اشد باسا من اخوته * وقال لاولاده والله لقد ظهر الحق
وانكشف حجاب الباطل عن جبين الصدق * فها قد عاد اخوكم
ظافرا منصورا * مويدا مشكورا . فالتقوه بالفرح والسرور .
والغبطة والحبور . وهناوه بالسلامة * واكرموه بكل كرامة *
لانه قد بنى لهذه القبيلة عزا مديدا . وصير لكم ذكرا حميدا *

Digitized by Google

فامتثلوا الى ما امر وفعلوا كما ذكر . وتقدموا وسلموا عليه وهنوه بما قد وصل اليه * فاعطى ووهب . وفرق الفضة والذهب وقد هانت عليه النوايب * وقلت في عينيه المواكب . وصغرت عنده النوايب . ونما حديثه واشتهر . في قبايل البدو والحضر ومن شدة شوقه الى لقا عنتر فارس ربيعة ومضر ارسل رسولا الى ام الهطال . يخبرها بواقعة الحال * وان ولدها عنده في الاسر والاعتقال * فسار الرسول بتلك الرسالة . وقال لها عن لسان ولدها تلك المقالة * اقصدي خالي . واعلميه بسوء حالي * فاني في عذاب شديد . وهوان ما عليه من مزيد * فلما سمعت كلامه اتت الى عنتر * واعلمته بالقصة كما تقدم الخبر * فطيب قلبها وازال رعبها . وسار من يومه في جماعة من الابطال . لاجل خلاص الهطال . قاصد ديار بني دارم . وتلك الرسوم والمعالم وهو يذم الزمان . ويتعجب من تقلبات الدهر ونوايب الحدثان .

قال مجد بن هشام . ورجعنا الان الى سياق الكلام وما زال عنتر مجدًّا في مسيره . وسرعة تشميره . حتى اقترب من ديار القوم وبقي بينه وبينهم دون اليوم * فعند ذلك قال له ابوه الامير شداد * ومن حضر من فرسان الطراد * ماذا عولت ان تفعل يا فارس البيداء * فقد قربنا من ديار الاعداء . قال من الراي ان نبادرهم بالقتال * ونخلص ابن اختي الهطال . من الاسر والاعتقال . وناخذ ما تصل يدنا اليه من الاموال . ونفايس

الاحمال . لاني اريد ان اعمل ما احتاجه للعرس والولايم . من اموال بني دارم . لان الطارق علينا كثير . وسوف يجتمع عندنا كل سيد وامير . وقد احببت ان اعمل وليمتي من مال هذا القرنان * لاني سمعت انه وصل الى الاوطان * بعد ما اخذ من الملك النعمان . اموالاً لا تاكلها النيران . وقد تزوج بنت الملك جابر بن صفوان . واصحب معه من التحف الحسان . ما لا يوجد عند ملك او سلطان . وانا اعلم ان هذا كله من رزق عبلة بنت مالك . واني ما قصدته الا لذلك . فقووا قلوبكم على القتال والطعن بالرماح الطوال * والضرب بالسيوف الصقال . ولا تنظروا الى كثرة جمعهم وقلة عددنا . فان الموت تحت مواطي اسنة رماحنا ومواضي زردنا . فلما سمعوا كلامه . وفهموا مرامه اجابوه الى ما طلب . وايقنوا بنوال القصد وبلوغ الارب * فقال لهم شيبوب ان الصواب * ايها السادة الانجاب . ان تكمنوا في هذه الشعاب . حتى اقصد ديار بني دارم * وتلك الرسوم والمعالم . ولا تبرحوا من هنا الى ان اعود اليكم . واشير بالصلاح عليكم * فقال عنتر وحق الملك المتعال . لقد اصبت في هذا المقال * ثم ان شيبوبا بعد ذلك الكلام . لبس ثوبا قصيرا من الخام . طويل الاكمام . وتعمم بعمامة لطيفة الهندام . وضيق على وجهه اللثام . واخذ اخوه جريرا وسارا بسرعة واهتمام وجدًّا في قطع الاكام . فوصلا الى بني دارم عند اقبال الظلام .

ولما اشرفا على المضارب . تواثبت اليهما العبيد من كل جانب .
وسالوهما عن حالهما . وحقيقة احوالهما . فقال لهم شيبوب نحن من
بني عامر . اهل المآثر والمفاخر . وقد قطعنا البراري والدكادك
واتينا برسالة الى الامير لقيط من عند سيدنا الاخوص بن جعفر
وغشم بن مالك . فاين نجده ياوجوه العرب الاخيار . لان مرادنا
سرعة الرجوع الى الديار . فقالوا له اطلب ذلك السرادق الكبير
فانك تجد فيه السيد الخطير والبطل النحرير . والامير ابن الامير
فارس الاعارب والاعاجم . المستخدم يراعه للبذل والمكارم . والمحكم
سنانه في جباه الليوث الضراغم . لقيط بن زرارة سيد بني دارم
فلما سمع منهم ذلك الكلام . ابدا الضحك والابتسام . وشق
المضارب والخيام . حتى وصل الى ذلك الصيوان . فراى لقيطا
جالسا ومن حوله العبيد والغلمان . والسادات والفرسان . فدنا
منه وقبل الارض . ووقف في مقام العرض * ثم قوّى جنانه .
واطلق لسانه . وقال حيا الله السيد المحترم . والليث الغشمشم
والامير المعظم . صاحب الجود والكرم . وفارس العرب والعجم
من دانت لعزته الجبابرة * وخضعت لهيبته ابطال الفرس
والقياصرة . فقال لقيط وقد تعجب من فصاحة لسانه . وقوة
جنانه . ووفور عقله وحسن بيانه . وانت حييت يامولد العرب
ابشر ببلوغ الارب . واعلمني بحاجتك حتى اقضيها . وابلغك
امانيها . فقال شيبوب اني من بني عامر . اصحاب المناصب والمفاخر

Digitized by Google

وقد اتيت اليك رسولا من عند مولاي الاخوص بن جعفر سيد تلك الاحزاب والزمر . وهو يقول لك ان تكون في غاية الاستعداد * لقتال عنتر بن شداد . لانه ساير اليك في جمع كثير . من ابطال بني عبس المغاوير طالب خلاص ابن اخته الهطال . من الاسر والاعتقال . وقد ارسلني اليك * من شفقته عليك . وقال سر اليه . وسلم لي عليه . وحدثه بهذا الخبر ليكون على حذر . خصوصا من دواهي الحارث بن ظالم . الفاتك الغاشم . وان كان الهطال . لم يزل باقي عنده في الاعتقال . ينفذه الي في عاجل الحال . حتى ابعث له عوضه مهما اراد من المال . والنوق والجمال * وان كان قتله وعجل من الدنيا مرتحاله يمن علي براسه حتى اصير ممنونا له على طول الزمن . او يجعله حق هنائي له في زواجه ببدر اليمن فلما سمع لقيط كلام شيبوب . تعجب من حلاوة الفاظه التي تاخذ بمجامع القلوب . وقال وحق ذمة العرب . وشهر رجب . ما هذا العبد الا فصيح اللسان مليح الخصايل . يصلح لقضاء الحوايج واداء الرسايل . فلله در قبيلة عبيدها . تشابه سادتها وصناديدها ثم قال لشيبوب اما ما ذكرت عن مولاك من جهة الحارث بن ظالم . الفاتك الغاشم . فقد انقضى الامر فيه . لاني اسرته وسلمته الى من ليس يستبقيه واما من جهة الهطال . فاني قد تركته عندي في الاسر والاعتقال . املا بمجي خاله عنتر الى هذه الاطلال

في خلاصه من القيود والاغلال * وابارزه امام الفرسان والابطال واعجل له النكال . وحينيذ يعلو مقامي ومنصبي . بين اهلي وعربي وانال الثلاثة خصال التي عيرني بها ابي * والا حاشى لمثلي ان يبيع عدو الصديق بمال . او نوق او جمال . واني قد اقسمت بالهبل الكبير * اني لا اترك من بني عبس لا صغير ولا كبير . وقد عولت ان اسير في هذا البر الاقفر * لملاقاة عبدهم عنتر * في جماعة من اخوتي واجنادي . ولا ادعه يطي * بحوافر خيله ارضي وبلادي لاني سمعت عنه انه كثير الفضول * ويرمي نفسه في كل امر مهول * وانا الذي انفذت الى بني غطفان * واعلمتهم بهذا الشان * وعلمت عبدي ان يقول لام الهطال * ذلك المقال حتى تطرح نفسها على اخيها عنتر ويأتي بجماعة من الابطال الى هذه الاطلال * في طلب خلاص الهطال * من الاسر والاعتقال * وما حسبته فقد صح * وظهر وانضح * قال وكان العبد الذي قصد ام الهطال حاضرًا في ذلك المكان * وكان قد اعلمه بذلك الشان * وقال يا مولاي اني ما برحت من ديار بني غطفان . حتى سارت ام الهطال الى بني عبس وعدنان قاصدة عنتر في جماعة من النسوان . فقوي عنده اليقين . واضحت له الدلايل والبراهين . وصمم النية على المسير . واستصوب ما ابداه له شيبوب من التدبير * ولما انطلى عليه المحال * وانخدع بالمقال . قال له شيبوب الراي عندي ايها السيد المفضال .

Digitized by Google

والاسد الريبال * ان تسير بجميع الفرسان والابطال . ومن تعتمد عليهم من صناديد الرجال . حتى اذا التقيت بذلك العبد المحتال . تقتله وتنزل به النكال . وبعد ذلك نقصد ديار بني عبس وتلك الاطلال . وننهب المواشي والاموال ونسبي الحريم والعيال . وما دام انك تكرمت علينا بهولاء الانذال . اريد منك ان توكلني هذه الليلة بعذاب الهطال ومن معه من الرجال . حتى اشفي منهم غليل فوادي . وانال بعذابهم غاية مرادي . الى ان تعود انت من قتال الاعادي . وبعد ذلك ارجع الى مولاي الاحوص بن جعفر . بما يسره من الخبر . لاني ما اتيت من الديار . الا وهو يريد ان يغزوهم بكل فارس جبار . ويقلع منهم الاثر . في غياب عبدهم عنتر . لانه هو الذي يلقى دونهم المصايب . ويرد عنهم الاهوال والنوايب . ونحن من حين وقعت بيننا وبينهم العداوة والاحقاد . جعلنا عليهم العيون والارصاد . وهي تاتينا بحقيقة الاخبار . في الليل والنهار . ولولا ذلك لما كنا علمنا بمسير عنتر بن شداد . الى هذه البلاد . فقال لقيط وقد ابدا الابتسام . ويلك يا غلام . اما اعلمكم جاسوسكم عن عدد العسكر . التي خرجت لقتالنا مع عنتر . قال نعم والله يا فارس الزمان . ووحيد العصر والاوان . اخبرنا انه تجهز بالف فارس من الشجعان . من بني عبس وغطفان . قال الراوي وما قال شيبوب ذلك المقال . واخبر ان

عنتر معه الف فارس من الابطال . الا حتى لا يترك لقيط في الاحيا احد من الرجال الاجواد . اذا سار الى لقاء عنتر بن شداد . فلما سمع لقيط كلامه . غلب عليه ابتسامه . وتعجب بنفسه . وتكبر على ابناء جنسه . وقال اذل الله ذلك العبد الذميم . والوغد اللئيم . ايريد يلقاني بالف بطل . ويبلغ مني غاية الامل فوالله لاذيقه ضربا امر من الصبر . وطعنا احر من من لهيب الجمر . تتحدث به الناس على مدى الدهر . ثم امر عبيده بتسليم الخطال واصحابه . الى عبد الاخوص الذي هو من جملة احبابه . وظن ان شيبوبا ممن يعتني به . واوصاه بحفظهم وعقابهم . وان لا يتوانى عن عذابهم . فقال شيبوب سوف يبلغك عني ايها السيد المهاب . ما اصنع بهم من شنيع العذاب . ولما اصبح الصباح . واضاء بنوره ولاح . ركب لقيط في ثلاثة الاف فارس . كانهم الاسود العوابس . وترك في الحلة خمسماية من الابطال . لحفظ الحريم والعيال . وسار كانه الاسد الرئبال ولما ابعد عن الاطلال . استقبل مطلع الشمس . وركب الطريق الواضح الذي ياخذ الى ارض بني عبس . ولم يعلم بان الذي هو طالبه . قد صار من خلفه يراصده ويراقبه

قال ولما خلي الحي من الرجال . انفذ شيبوب اخاه جريرا الى عنتر ليعلمه بواقعة الحال * وان يسرع اليه . ويقدم عليه . ولما وصل جرير الى اخيه عنتر وحدثه بالخبر . ففرح واستبشر .

Digitized by Google

وزال عنه القلق والضجر . وركب على ظهر جواده الابجر . وصاح في من معه من الفحول . فركبوا ظهور الخيول . وتقلدوا بالنصول . وطلبوا خيام بني دارم . وتلك الرسوم والمعالم . الى ان وصلوا الى المراعي . ورماحهم تتلوى كالافاعي . فانحط عنتر ومن معهُ من الابطال . على النوق والجمال . وساقوها باسنة الرماح الطوال . ووقف عنتر حامية لمن يتبعه من الرجال . ووصل الخبر الى الحي من بعض الرعيان فنفرت الفرسان . وركب من تخلف في القبيلة من الشجعان * وكانوا نحو خمساية عنان * وطلبوا عنتر من اليمين واليسار . بقوة واقتدار . ولما راى عنتر الخيل قد تبادرت * والفرسان قد تواردت . حمل واطلق العنان وقوم السنان ۞ وصاح بالابجر * واستقبلهم بطعن يسابق القضا والقدر وضرب لا يبقي ولا يذر . ولم تكن الا ساعة من النهار . حتى ولت بنو دارم وطلبت الفرار . لانها ابصرت طعنا احرّ من لهيب النار . وكان قد قتل منها اوفى من ثلاثماية فارس كرار * وانهزم الباقون وتشتتوا في البراري والقفار ۞ والمفاوز والاوعار * وطلب عنتر الابيات والمضارب . واحاط بالحلة من ساير الجوانب * فالتقاه ابن اخته الهطال . مع باقي الرجال . الذين كانوا في الاسر والاعتقال . وفي ايديهم الرماح الطوال . والسيوف الصقال وكان الذي اطلقهم من شرك العقال . شيبوب المحتال لانه كان قد اغتنم الفرصة عند غيبة لقيط من الاطلال . ففكهم من القيود

والاغلال. واتى لكل واحدٍ منهم بجواد * من خيل لقيط الجياد. وفرق عليهم السلاح. وقال لهم اطلبوا بني عبس وساعدوهم على الحرب والكفاح. فركبوا الخيول. وتقلدوا بالنصول. فرأوا عنتر قد كسر الاعدا. وفرقها في جنبات البيدا. فتقدم المطال الى خاله عنتر وسلم عليهِ وشكره وقبل يديهِ. فهنَّاه عنتر بالسلامة من الاعتقال. ثم هجم هو ومن معه من الابطال. ونهبوا ما وقعة ايديهم عليهِ من الاموال. والنوق والجمال. ولم يتعرضوا للنسا والاطفال. وبعد ذلك رجعوا طالبين الاهل والديار. وهم في غاية الفرح والاستبشار. ولما تمادى بهم السير والترحال. تذكر عنتر بما جرى عليهِ من الوقايع والاهوال في معركة القتال فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

طربت وهاجتك الظباء السوارحُ غداة غدا منها سنيحٌ وبارحُ
تغالت بي الاشواق حتى كانما بزندين في جوفي من الوجد قادحُ
تعزيت عن ذكري سمية حقبةً لانَّ منها بالذي انت بايحُ
لعمري لقد اعذرت لو تعذريني واحسنت فيما انني لك لناصح
اعاذل كم من يوم حرب شهدته له منظرٌ بادي النواجذ كالح
فلم ارَ حيا صابروا مثل حينا ولا كافحوا مثل الذي قد نكافحُ
اذا جيت لاقاني كميٌّ مدججٌ على اعوجيٍّ بالطعان يراح
نزاحف زحفا او نكافي كتيبة تطاعننا او يذكر الصلح صالح

ولما التقينا بالجفار تضعضعوا   وردّت على اعقابهن المسالح
وسارت رجال نحو اخرى عليهم ال
حديد كما تمشي الجمال الروائح
اذا ما مشوا في السابحات حسبتهم   سيولا وقد جاشت بهن الاباطح
فاشرعت راياتي وتحت ظلالها   من القرم ابناء الحروب الججاجح
ودرنا كما دارت على قطبها الرحى   ودارت على هام الرجال الصفائح
بهاجرة حتى تغيب نورها   واقبل ليلٌ يغمض الطرف سائح
تداعى بنو عبس بكل مهند   حسام يزيل الهام والصف جانح
وكل رديني كأنّ سنانه   شهاب بدا في بهرة الليل واضح
فخلوا لنا عوذ النساء واجنبوا   عباديد منها مستقيمٌ وجانح
وكل كعوب خذلة الساق ضخمة   لها حِلٌّ في آل دارم طافح
تركنا ضرارا بين عانٍ مكبل   وبين قتيل غاب عنه النوائح
وعمروًا وحبانا تركنا بقفرة   تعودهما فيها الضباع الكوالح

قال الراوي ولما فرغ عنتر من شعره . وما ابداه من محاسن نظمه ونثره . طرب عروة بن الورد ومن حضره . وتعجبوا من افعال عنتر . واثنوا على شجاعته . وشكروه على حسن جهاده وعلو همته . ثم انهم جدوا في قطع القفار . طالبين الاهل والديار . واذ قد ظهر لهم غبار * كالغمام السيار . فنظروا اليه حتى انجلى للابصار . واذ قد بان من تحته جيشٌ جرار . وبريق صوارم كانها شعل النار . وهم ينوفون عن خمسة الاف فارس

كانهم الاسود القناعس * وبين ذلك عويل وصياح . وبكا
ونواح . ونوق وفصلان . واصوات قد اقلقت البراري والقيعان .
فلما نظر عنتر الى ذلك الحال . اعتراه الانذهال . وخرج عن
دايرة الاعتدال . وقال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الام من
تكون هذه الابطال . ومن هم هولا السبايا الذي زعزع
صياحهم الروابي والتلال . فقال شيبوب ان صدقني حذري
هولا بني عامر القشاعم . وقد علموا بمسيرك الى بني دارم . فاغتنموا
الفرصة وقصدوا اطلالنا . وسبوا حريمنا وعيالنا . ونهبوا نوقنا
وجمالنا . قال لقد صدقت . وصوابا نطقت . ولم تكن الا ساعة
من الزمان . حتى اشتهر الامر وبان . وظهرت فرسان بني عامر
كانهم الاسود الكواسر . يتقدمهم ملاعب الاسنة والاخوص بن
جعفر وغيرهما من حماة العشاير

قال الراوي وكان السبب في هذا الايراد ان ملاعب الاسنة
كان قد وضع على بني عبس العيون والارصاد فلما سار عنتر
الى خلاص الهطال عادت الجواسيس واعلمته بوقعت الحال
فانجلت عن قلبه الهموم والادغال واقبل على الاخوص بن جعفر *
وحدثه بذلك الخبر . ففرح واستبشر وعزم على غزو بني عبس في
غياب عنتر ثم انه تجهز للمسير . وسار في خمسة الاف فارس نحرير *
من ابطال بني عامر المغاوير * والكل بالدروع والمغافر * والسيوف
البواتر . يتقدمهم ملاعب الاسنة وسادات العشاير * وكانوا قد

جدوا السير . وسابقوا بسيرهم الطير * فوصلوا الى حي بني عبس بعد غروب الشمس . فكبسوهم تحت ظلام الليل . ونزلوا عليهم نزول السيل * واحاطوا بهم من كل الجهات * وادار وا عليهم رحى المهالك والافات * وما زال الدم يبذل . والرجال تقتل الى ان اصبح الصباح . واضاء بنوره ولاح . فعند ذلك ولت بنو عبس على الاعقاب . وانقلبت اشر انقلاب . وتفرقت في بطون السهول وروس الشعاب . واختار الملك قيس الهزيمة على ضرب الرقاب وكان قد قتل من بني عبس جماعة من الرجال . واسر منهم نحو مايتين من الابطال واخذت بنو عامر ما وصلت يدهم اليه من الاموال . والنوق والجمال وساقوا النسا اسارى * والعبيد والاما اذلاً حيارى . ولم يتركوا في تلك الديار * غير الرسوم والاثار * وبعد ذلك جدوا في قطع البر الاقفر * حتى التقوا بفرسان بني عبس كما تقدم الخبر

قال الاصمعي ولما وقعت العين على العين . واقتربت من بعض الطايفتين * ونظر ملاعب الاسنة الى عنتر . فرح واستبشر والتفت على من حوله من الفرسان * وقال لهم دونكم يا بني عمي وهذا العبد الكشحان اقتلوه وخذوا منه بالثار . واكشفوا عنا الذل والعار * لانه في دون الثلثماية فارس * ونحن في خمسة الاف بطل مداعس . فاستعدوا لقتاله . وحربه ونزاله

قال هذا ما كان من بني عامر واما ما كان من عنتر الاسد

الكاسر . فانهُ لما تحقق الامر على الجلية . وعلم بان عبلة مسبية خفق فواده والتهب * من شدة الغيظ والغضب . واحمرت اماقي عينيه حتى صارت كانها الجمر اذا التهب . وقال الى ابيهِ شداد . ومن معهُ من الرجال الاجواد * هذا وقت الاجتهاد في بلوغ المراد . وابذال المجهود في تخليص النسا والاموال من ايدي هولا الانذال * لانهم نهبوا اموالنا . وسبوا حريمنا وعيالنا وقد اتت المقادير . بخلاف ما في الضمير . فاثبتوا واحموا ظهري حتى اريكم كري وفري . والقي عنكم موجات هذا البحر بصدري فوحق البيت الحرام * وزمزم والمقام . والرب الذي لايغفل ولا ينام . لا ادعهم ان يبعدوا من هذا المكان * حتى اخلص عبلة ومن معها من النسوان ولو كان حولها عشاير الانس وطوايف الجان * ثم انهُ صاح وحمل . وطلب ذلك الجيش والجحفل . واقتحم نحوهُ بقلب اقوى من الجبل . وفعلت رجاله مثلما فعل . وانطبقوا على بني عامر . كانهم الليوث الخوادر * او الاسود الكواسر . وهم ينادون عن فرد لسان . يالعبس يالعدنان . وعنتر امامهم كانهُ الغول وهو ينشد ويقول *

اذا ما الصباح من الشرق لاحا   وغرّد في الايك طيرًا وناحا
تمايل سيفي في غمده   ونادي الى يريد الكفاحا
ويهتز رمحي اذا ما راى   كهول الرجال تهز الرماحا
ويسعدني في يوم طعن القنا   جوادي اذا سار فات الرياحا

Digitized by Google

فيا عبل قري ولا تفزعي ... عليَّ وقلي البكا والنواحا
ترى بطلا صادقا اينما ... تراهُ الفوارس تلقي السلاحا
فياساقي الموت حث الكو ... س علينا فانَّا نريد الرواحا
ولا تسقني غير قطر الدما ... اذا شرب القوم ماء وراحا
وخلي الجماجم تفاحنا ... وريحاننا في القتال الصفاحا
وغني لقلبي ذا المستهام ... بذكر عبيل وحيي الوشاحا
وكن صابرا تحت ظل العجاج ... على الحرب ان كنت تهوى الملاحا

قال الراوي ثم انهُ صال وجال . وحمل على الابطال . بقلب اقوى من الجبال . وطعن في المناكب والاوصال . هذا وقد اختلطت الرجال بالرجال . وانتشب بينهم القتال * ودارت رحى المنايا والاهوال . وجرى الدم وسال وكثر القيل والقال . فلله در عنتر . وما فعل في ذلك اليوم المنكر . فانهُ اعمى النواظر واذهل الخواطر . وفرق العساكر . وفتك في فرسان بني عامر * وكان كلما ازدحمت عليهِ الشجعان . وضاق على جماعة الميدان يحمل ويطعن في الفرسان . وينادي يا لعبس يا لعدنان . وقد عاشت من النسا الارواح . وعاد فسادهنَّ الى الصلاح . لما سمعن صوت عنتر ومن معهُ من الاقيال * فاستبشرن بالخلاص من الاسر والاعتقال *

قال نجد بن هشام . وما زال القوم في اشد صدام . حتى تصرم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار * فافترقوا عن بعضهم البعض

وقد امتلات بالقتلا جنبات تلك الارض . وكان قد قتل في ذلك اليوم من بني عامر نحو تسعماية نفر . من نخب العسكر * ولم يقتل من بني عبس الاخمسة وعشرون لا اكثر . ورجع عنتر من معركة الطعان . كانهُ شقيقة الارجوان . مما سال عليهِ من ادمية الفرسان . وهو ينشد ويقول .

صحا من سكرهِ قلبي وفاقا ... وزار النوم اجفاني استراقا
واسعدني الزمان فصار سعدي ... يشق الحجب والسبع الطباقا
انا العبد الذي يلقي المنايا ... غداة الروع لا يخشى المحاقا
اكر على الفوارس يوم حربٍ ... ولا اخشى المهندةَ الرقاقا
وتطربني سيوف الهند حتى ... اهيم الى مضاربها اشتياقا
واني اعشق السمر العوالي ... وغيري يعشق البيض الرشاقا
وكاسات الاسنة لي شرابٌ ... الذُّ بهِ اصطباحًا واغتباقا
واطراف القنا الخطيّ نقلي ... وريحاني اذا المضمار ضاقا
جزى الله الجواد اليوم عني ... بما يجزى بهِ الخيل العتاقا
شققت بصدرهِ موج المنايا ... وخضت النقع لا اخشى المحاقا
الا يا عبلَ لو ابصرتِ فعلي ... وخيل الموت تنطبق انطباقا
سلي سيفي ورمحي عن قتالي ... هما في الحرب كانا لي رفاقا
سقيتهما دمًا لو كان يسقى ... بهِ جبلا تهامة ما افاقا
وكم من سيدٍ خليت ملقًى ... يحرِّك في الدما قدمًا وساقا

قال الراوي ورجعت بنو عامر الى الوراء * وتفرقت في

جوانب الصحراء* وقد اعتراهم الانذهال. وتغيرت منهم الاحوال لانهم راوا حربا لم يخطر لهم ببال . ولما استقر الحال . تقدم قواد العسكر. وشكوا حالهم الى ملاعب الاسنة والاخوص بن جعفر واعلموها بما جرى عليهم في ذلك اليوم المنكر. من سيف ابي الفوارس عنتر وقالوا لهما في اخر الكلام . ايها السادة الكرام * والامراء العظام * ان اتانا يوم اخر مثل هذا النهار* لم يبق منا ديار* ولا نافخ ينفخ بنار. ولا سيما اذا بلغ ذلك العبد الجبار* بان ابنة عمه عبلة معنا في الاستيسار. فقال الاخوص لقد صدقتم * وصوابا نطقتم * وان لم نبذل في قتاله المجهود لاننال غاية المقصود . قال ملاعب الاسنة وحق ذمة العرب * وشهر رجب . لولا خوفي عليكم من فرسان الحجاز . كنت طلبت عنتر للبراز . ولكنني خفت ان يطول بيننا الحرب الى غروب الشمس * وياتينا الملك قيس بطايفة بني عبس . لاني اعلم ان قيسا لا بد ان يجمع علينا العساكر* والجنود والدساكر. ويطلب ثارنا * ويقفى اخبارنا . وما بقي في الامر الا ارسال سبي بني عبس تحت ظلام الليل العاكر* مع مئية فارس الى ديار بني عامر. وعند الصباح نبادر عنتر بالقتال . والحرب والنزال * فان ظفرنا به بلغنا غاية الامال . والا انهزمنا وطلبنا المنازل والاطلال * ونكون قد كسبنا المال والعيال * فلما سمعوا منه هذا الخطاب * راوه غاية الصواب * ثم انهم في عاجل الحال *

انتخبوا مایة من الابطال وارسلوهم مع السبي الي الديار تحت ظلام الاعتكار

قال الاصمعي ولما اصبح الصباح * واضا بنوره ولاح . ثارت الطايفتين للحرب والكفاح . وكان اول من برز الى معركة الطعان وطلب براز الشجعان * عنترة الفرسان . فصال وجال . ولعب برمحه العسال . حتى حير عقول الرجال * ثم نادي ابرزوا يا بني عامر فارس لفارس * او خمساية لفارس . وان طابتم الجور والاسراف . وقلة الحق والانصاف . احملوا علي في جميع الفرسان والابطال . لحتى اريكم قتالا يشيب الاطفال * وتتعوذ منه صناديد الرجال . فعند ذلك ضجت فرسان بني عامر * وماجت مثل البحور الزواخر . وهجمت على عنتر كالاسود الكواسر فالتقتها بنو عبس وعنتر * بقلوب اقوى من الحجر . وثبتوا اشد ثبات وطعنوا فيهم بالرماح السمهريات * وردوا الهجمات المتداركة بصدق النيات . وثروا روس الابطال والسادات بقواطع الضربات * وهتك عنتر ميمنة القوم بنوافذ الطعنات هذا وقد اشتدت المصايب والافات * وعملت السيوف المشرفيات * في الصدور واللبات . وطلعت زوابع الرياح المختلفات وتحسرت النفوس على ما فات . وقطرت الدما على الارض فغيرت الوان النبات وقاتلت بنو عبس اشد قتال والقت نفسها على الشدايد والاهوال . لان الانسان اذا

Digitized by Google

استقتل يقاتل . واذا طابت له المنية هانت عليه النوازل . فلله در عنتر وما فعل . فكم قطع من راس همام وبطل . وكم دمر بسنان رمحه بذل . وكم من شجاع اورثه الخبل . وابصر ملاعب الاسنة فعال عنتر واهواله . فاستعظم امره وتقدم يريد قتاله . فالتقاه عنتر . بقلب اقوى من الحجر . وصدمه صدمة الليث الغضنفر . واخذ معه في الحرب والقتال . واختلف بينهما الطعن بالرماح الطوال . ولم تكن الا ساعة من النهار حتى استظهر عليه عنتر غاية الاستظهار * ومد يده الى صدره . واراد ان يرجله عن ظهر مهره . واذا قد ظهر غبار وارتفع كانه السحاب اذا همع * وبعد تفريقه اجتمع . وبان من تحته حديد يلمع ورماح شرع ورجال لا تهاب الموت ولا تفزع . ينوفون عن ثلاثة الاف فارس صيدع وهم ينادون يالمشاجع يالدارم يتقدمهم لقيط بن زرارة واخوته القشاعم ولما قربوا من محل المعمعة وسمعوا الندى استدلوا بالصياح وعرفوا الاصدقا من العدى فحملوا على بني عبس مثل السلاهب وقصدوهم باسنة الرماح الكواعب وابصر عنتر هذه النوايب وقد اتت اليه الفرسان من كل جانب واطلقت نحوه الاعنة ترك ملاعب الاسنة بعد ما كان قد استظهر عليه . وذل بين يديه * وصار يمانع عن نفسه ويدافع * ويتعلق باذيال المطامع ويطعن في صدور الرجال . فيلقيهم قتلا على الرمال . ولما رات بنو عبس

كثرة العدد . وازدياد المدد . ايقنت بالهلاك . ووقعت في
سوء الارتباك * وقاتلت قتال من ليس لهُ من الموت فكاك

قال محمد بن هشام * وما زال القوم في اشد صدام * الى ان
ولى النهار واقبل الظلام . فافترقوا عن بعضهم البعض . ونزلت
كل طايفة منهم في ناحية من الارض . وكان قد فقد من بني
عبس وعدنان * خمسة عشر من الفرسان . وجرح عنتر وابوه
الامير شداد . واسر عروة وجماعة من بني قراد . واحاطت بهم
الاعدا من ساير الجهات ومسكت عليهم ساير الطرقات . وخلص
لقيط منهم الاموال . وفرح ببلوغ الامال

ثم انهُ اجتمع بالاخوص بن جعفر . ومن معهُ من قوّاد
العسكر . فسلموا عليه وداروا حواليه . وشكر الاخوص فعلهُ .
وحمد فضلهُ . وسالهُ عن حالتهِ . فحدثهُ بقصتهِ . وكيف اتاهُ
شيبوب برسالتهِ . واحتال عليهِ بذلك المقال . حتى خلص
الطال * من الاسر والاعتقال . ونهب عنتر الاطلال . فتعجبت
فرسان بني عامر من دهاء شيبوب . الاسد الوثوب

قال الراوي وكان السبب في مجيء لقيط حديث عجيب .
واتفاق غريب . وذلك ان شيبوبًا لما دخل على لقيط كما تقدم
الخبر . وصنف لهُ تلك الحيلة عن لسان الاخوص بن جعفر .
وسار لقيط في ثاني الايام . يقطع البراري والاكام . طالب عنتر
بن شداد . ومن معهُ من فرسان الطراد . فبات تلك الليلة على

بعض الغدران . وفي اليوم الثاني جد في قطع البراري والكثبان فراى بين يديهِ خيلا سايرة . وعليها نحو ماية فارساً غايرة . فلما تحققهم بالنظر . قال لا شك ان هولآء طليعة عنتر . فامر قومه بالحملة عليهم . فطلبوهم وما لوا اليهم . وبذلوا فيهم الرماح والسيوف . فاسروا منهم من اسروا والباقون شربوا كاس الحتوف ثم انهم احضروا الاسارى . امام لقيط بن زراره . فقال لهم ويلكم انحس العربان . اين تركتم عنتر الكشحان . وفي كم هو ساير الى قتالي من الفرسان * قالوا والله يا امير ما ورانا احد من البشر . وما عندنا من عنتر خبر . ونحن ما خرجنا الا في طلبهِ * حتى نسقيهِ كاس عطبهِ . فقال لهم لقد كذبتم فيما نطقتم . وما صدقتم لانكم انكرتم عني اخباركم * وكتمتم اسراركم * والاحوص بن جعفر قد ارسل لي عبدهُ واخبرني بسيركم الى اطلالي . وما انا ساير الا في طلبكم حتى ابلغ منكم غاية امالي . لانكم طايفة فزارية . وعصابة عبسية . قالوا وحق الركن والحجر . ومن طاف بالكعبة من امة ربيعة ومضر . ما عندنا من هذا الحديث خبر . واما قولك اننا من بني عبس وفزارة . فهذا القول حقيق ليس فيهِ ادنى شبه ولا اشارة . لاننا ما ننكر احسابنا . ولا نكتم انسابنا . وما اتينا الى هذه الديار * الا لقتل ذلك العبد الغدار * ولا شك ان بغينا اوقعنا في هذه المصايب . وسلط علينا غلبات الرجال وجور الزمان الغالب

قال الراوي وكان الذي انفذ هولآء القوم لقتال عنتر بن شداد • حذيفة بن بدر والربيع بن زياد • وذلك ان عنترًا لما سار من الاطلال • طالبًا خلاص ابن اخيه الهطال • من الاسر والاعتقال • ارسل مالك ابو عبلة رسولًا الى بني فزارة • يعلم الربيع بمسير عنتر الى قتال لقيط بن زرارة وكيف ان قيسًا لجَّ عليهِ في زواج عبلة على عنتر • وتقوّى عليهِ وتجبر • واني لما رايتهم قد اتفقوا على هذا الاتفاق • عولت على الهرب الى ارض العراق • واستجير بالملك النعمان • سيد قبايل العربان • فحدث للقوم ما اشغلهم عن ذلك الطلب • وقد استرحت من المسير والتعب • واريد منك المعاونة على هلاك ذلك العبد الغدار • حتى لا يعود الى الديار • فلما وقف الربيع على هذه القصة • زالت عن قلبهِ الغصة • واجتمع بحذيفة بن بدر • واعلمهُ بذلك الامر • فانتخب حذيفة ماية فارس • كانهم الاسود القناعس • وارسلهم في ذلك البر الاقفر • لكي يفتكوا بعنتر • فوقع بهم لقيط كما تقدم الخبر • فقتل من قتل واسر من اسر

قال الراوي ولما وقف لقيط على حقيقة الحال * خرج عن دايرة الاعتدال • وعول ان يفرق الفرسان والابطال • على الروابي والتلال • في طلب عنتر الاسد الريبال • اذ اقبلت عليه المنهزمين من بني دارم • وحدثوه بما انزل عليهم عنتر من البلا والعظايم • وكيف انه خلص الهطال • من الاسر والاعتقال • وساق ما

Digitized by Google

قدر عليهِ من الاموال . والنوق والجمال . وقتل ثلاثماية من صناديد الرجال . واما ذلك العبد الاغبر . الذي اتى اليك في ذلك الزي المنكر . وقال لك انا عبد الاخوص بن جعفر ما كان الا شيبوب اخو عنتر . فارجع ولا تتعب وان قدرت تجد خلف القوم في الطلب . ربما تبلغ الارب . لانهم جدوا في قطع القفار بالسير المتواتر . وساروا من نواحي ديار بني عامر . فلما سمع لقيط هذا الخبر . تلهف وتحسر . وطار من عينيهِ الشرر . وجرى على قلبهِ . لم يجرِ على قلب بشر . لاجل ما تم عليهِ من محال شيبوب وقال وحق علام الغيوب . العالم بسراير القلوب . لا رجعت عن هولاء العبيد . حتى ابلغ منهم ما اريد . ثم انهُ عرج عن الطريق وسار . وجد في قطع القفار . وفي قلبه لهيب النار . وهو يود لو انهُ طار حتى يلحق عنتر وياخذ منهُ بالثار . فادرك بنو عامر في ذلك البر الاقفر . وهم يقتتلون مع بني عبس وعنتر * وجرى من القصة ما ذكرنا . وخلص لقيط امواله كما شرحنا واخبرنا * وبلغ غاية المرام * ورجعنا الان الى سياق الكلام

قال نجد بن هشام ثم ان الاخوص بن جعفر . بعد سماعهِ من لقيط ذلك الخبر . حدثهُ بما فعل في بني عبس وعدنان * وكيف انهُ فتك في الابطال والفرسان . ونهب نوقهم وجمالهم وسبى حريمهم وعيالهم . فقال لقيط هذا امر قد ابتدانا فيه وما عدنا نرجع عنهُ ونخليه . ولا بد ان نجمع على هذه القبيلة الجموع

ونقلع منها الاصول والفروع * ثم باتوا في تلك البطاح * وهم في سرور وافراح. وقد استبشروا بالنجاح. واقاموا ينتظرون الصباح وكان عنتر قد علم بمسير عبلة ومن معها من النسا الحراير * الى ديار بني عامر . فاستشاط غضباً . واضطرم لهباً . واسودت الدنيا في عينه . وهانت المنية عليه * وقال هذا والله . ما كنت اخافهُ واخشاه. ثم انهُ التفت على من حوله من الرجال * ومن يعتمد عليهم من الابطال . وقال لهم ايها السادات الاخيار . ما بقي في الامر الا انتظار النهار .

حتى ابرز الى هذه الكتايب . التي دارت بنا من كل جانب . واعيرهم بقلة الانصاف . وكثرة الجور والاسراف . واطلب منهم البراز فارس لفارس . او خمساية لفارس . فان بارزوني بلغت منهم ما اريد . ولو كانوا بعدد رمل البيد . وان هم ابوا وحملوا علينا . ومدوا رماحهم الينا * مزقت امامكم هذه العساكر. وخلصتكم من طعن الرماح وضرب السيوف البواتر * واحميكم بطاقتي وجهدي . الى ان تصلوا الى ارض الشربة والعلم السعدي * واعود الى الاعدا وحدي . والتقيهم بقوة ساعدي وزندي . حتى تمزق الرماح جلدي . ويصير لي حديثاً تذكره الفرسان من بعدي * فقال ابوه شداد والله يا ولدي . ومهجة كبدي . ما فينا من يتخلى عنك وانت باقي * حتى يلاقي ما تلاقي . ولو بلغت ارواحنا التراقي . وكذلك قال ابن اخيه الهطال . ومن معهُ من

الابطال

قال وبانت تلك الطوايف تتقلب تحت مشية الرحيم الرحمن الذي لا يشغلهُ شان عن شان . ولما اصبح الصباح . واضأ بنوره ولاح . نهضت فرسان بني عبس الوقاح . وتبادرت الى الحرب والكفاح * وتحصنت باقي الفرسان بالصفاح * لنهب الارواح * وانقلبت الدنيا بالصياح ۞ وطلبوا بعضهم باسنة الرماح * واذا بعنترة الفرسان . قد برز الى ساحة الميدان * ومقام الحرب والطعان * وطلب براز الابطال والشجعان . وقد حدثتهُ نفسهُ اما ان يشفي قلبه أو يسكن رمسهُ * فصال وجال * وترنح على سرجهِ ومال . شوقا الى القتال * وملاقاة الرجال . فانشد وقال .

وانا لقومٌ لا يروعنا القنا ولا نختشي من حادثات النوايبِ
رجالٌ متى يدعوا الى الحرب يسرعوا كمشي الجمال المسرعات المصاعب
الا فابرزوا كي تنظروا ليث غابةٍ تخرلهُ الفرسان خوف المعاطب
ولا يرهب الابطال في حومة الوغا ولا يختشي من معظمات الكتايب
ساريكمُ طعنًا وحربًا مسدَّدًا وضربًا يقد الهام بين المناكب
فان عشتُ ابلغ ما اروم وان امت اموت قتيلاً من فراق الحبايبِ
عليكِ سلام الله يا ابنة مالكٍ وها قد بذلت اليوم قلبي وقالبي

قال الراوي ولما فرغ عنتر من هذا المقال . هانت عليهِ الاهوال واراد ان يبارز الابطال . واذا بغبارٍ قد ثار . من ناحية بني

Digitized by Google

عامر وتلك الديار . حتى سدّ منافس الاقطار . واظلم منهُ ضوء النهار . واذا بغبار اخر . قد ارتفع من ناحية ارض بني عبس وظهر . وكان اعظم من الغبار الاول . صياحا واهول . لانهُ انكشف عن بريق زرد . ولمعان خود . وفرسان كانهم اسود خفّان . على خيول اخف من الغزلان . وهم ينادون عن فرد لسان * يا لعبس يا لعدنان . ويتسابقون للحرب مثل العقبان . الا ان الغبار الاول الذي اقبل من ناحية بني عامر . لهُ حديث ظريف * يستحق ان يتلى على المنابر * ويكتب بماء الذهب في بطون الدفاتر . لانهُ انكشف وبان . عن سبي بني عبس وعدنان يتقدمهم فارس صنديد * كانهُ البرج المشيد * ولهُ صياح وهاهم . وهو ينادي يا لمرة يا لمرة انا الحارث بن ظالم * ابشر يا ابا الفوارس بالنصر والظفر * فقد اتاك الليث الغضنفر . والصارم الذكر الذي فعلهُ في الحرب لا ينكر

قال الراوي وكان السبب في ذلك الامر والشان . حديث من عجايب الزمان . لاننا ذكرنا قبل الان * ان الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر في حرم النعمان . وقتل ايضاً ولده شرحبيل وترك حزنهُ عليه طويل . وقد ذكرنا ان لقيط بن زرارة سيد بني دارم . التقى بالحارث بن ظالم . فظفر بهِ واخذه اسيرا * وقاده الى النعمان ذليلا حقيرا . واخذ عوضهُ النوق العصافير . ومن التحف والدنانير ما لا يوجد عند سيد وامير . وفرح النعمان

بذلك غاية الفرح . وزال عنه الهم والترح . وامران يبقى تحت الحفظ والترسيم . حتى ينتهي يوم النعيم * ثم انه ارسل الكتب والرسايل . الى ساير العشاير والقبايل . يعلمهم بوقوع الحارث في قبضته . ويدعوهم ان ياتوا اليه ويشاهدوا قتلته ولما بلغ المتجردة ذلك الخبر . اخذها القلق والضجر . وتنغص صافي عيشها وتمرمر . وخافت على الحارث من الهلاك والضرر . لانه كان قد قتل قاتل ابيها خالد بن جعفر . واخذ لها بالثار . وكشف عنها العار . فاجتمعت ببعض عبيدها الشطار . الذين جاوا معها من بني عبس وتلك الديار . وكانت تركن اليهم . وتعتمد في ساير امورها عليهم . وقالت لهم اريد منكم ان تترقبوا الفرصة . وتدخلوا على الحارث وتزيلوا عنه تلك الغصة . وتعطوه فرسه وسلاحه وآلة حربه وكفاحه . وقولوا له ان يجد في قطع البر الاقفر * وينزل على اخي قيس وعنتر . فانهما يحميانه من ساير البشر * ولو كان خصمه كسرى او الاسكندر . ومتى تم لكم هذا الامر اكتموه عن زيد وعمر فقالوا لها السمع والطاعة * وامتثلوا ما امرتهم به من تلك الساعة * وما زالوا يترقبون الفرص وياتون اليه الى ان التمسوا غفلة من الموكلين به فدخلوا عليه . فوجدوه يتقلب في الكتاف . وهو مشرف على التلاف . وقد ايقن بالهلاك والممات * وينشد هذه الابيات .

يا لقومي قيود اسر وثاقي لم يبق لي من اسرها انطلاق

يا بني عبس هل ارى من مجير   منكم يكسر القيد ويحل وثاقي
بادروني قبل الصباح والا   تهبوني على السيوف الرقاق
قد قتلت الهمام خالد عمرواً   وعمير اللقا عند التلاقي

فلما سمعوا شعره تقدموا اليه . وقتلوا العبيد الذين حواليه وخلصوه من اسره . وشداده . واعطوه الة حربه وجلاده . فركب ظهر الجواد . وجدّ في قطع الوهاد . ولم يزل ساير كانهُ الطير الطاير . حتى جاوز ارض بني عامر . وتلك القبايل والعشاير . فبينما هو يقطع البراري والقفار . والسهول والاوعار . اذا بغبار من امامهِ قد علا وثار . وحجب السماء عن الابصار . ولاحت من تحتهِ اسنة الرماح . وبريق الصفاح . وبين ذلك عويل صبيان . وبكاء نسوان . فعدل عن الطريق . خوفاً من التعويق . وبعد ذلك انجلت الغبرة عن ماية فارس . كالليوث العوابس . تحتهم خيول اعوجية . وعلى اكتافهم رماح خطية . وسيوف هندية . وهم يسوقون طايفة مسبية . وكان هولاء الفرسان هم الذين انفذهم الاخوص بن جعفر مع سبي بني عبس وعدنان . الى الاوطان . فلما راوا الحارث تسابقوا اليه وطلبوه . وطمعوا فيهِ وهم لم يعرفوه . فلما شاهد منهم ذلك الحال . تاهب للحرب والقتال . وناداهم ويلكم يابني الزواني . طمعتم في وحدني وجهلتم قدري ومكاني . انا هو الذي قتلت سيدكم خالد بن جعفر . والبستكم بقتلهِ العار الاكبر . فلما سمعت بنو عامر منهُ ذلك الخطاب

غابوا عن الصواب . واشتعلت قلوبهم بنار الالتهاب * وقال بعضهم لبعض هذا الحارث بن ظالم الفاتك الغاشم . دونكم واياه . حتى نعدمه الحيوه . وناخذ بثار سيدنا الامير خالد . ونتال بقتله الفخر عند كل قايم وقاعد . ثم انهم حملوا عليه حملة رجل واحد . وقد هانت عليهم الشدايد . وغرّهم الطمع الزايد . في بلوغ المقاصد . ولم يعلموا بان الحارث ثقيل العيار . يلقي منهم الالف والالفين تحت الغبار . وفي دون ساعة من النهار . فتك فيهم واستطال * وقتل منهم سبعون نفراً من الابطال . وعوّلت الباقون على الهزيمة والانفلال وقد ذكرنا ما كان في الحارث من الشجاعة . والقوة والبراعة . لانه كان من الجبابرة الالفية . المعدودين في زمن الجاهلية وكانت عبيد بني عبس وعدنان لما رات ما جرى وكان حلوا ساداتهم من الوثاق واركبوهم الخيول العتاق فثاروا كالاسود الكواسر واحاطوا بمن بقي من بني عامر وبذلوا فيهم الرماح والسيوف وجعلوهم فريسة لانياب الحتوف ثم انهم طلبوا الحارث وتقدموا اليه واكثروا من الشكر له والثناء عليه وسالوهُ الى اين هو قاصد في تلك البراري والفدافد فاخبرهم بواقعة الحال وما قاسى من الاهوال وكيف كان خلاصه عن يدّ المتجردة بعد ما كان تحت تلك الشدة الزايدة وقد امرتني ان اقصد ديار بنى عبس وعدنان واستجير بقيس وعنترة الفرسان من نوايب الزمان فبينما انا

قاصد تلك الارض والاوطان اذ التقيت بكر في هذا المكان وجرى من القصة ما كان

ففرح مالك ابو عبلة واستبشر. وقال له اعلم ايها البطل القسور. والاسد الغضنفر. لقد جرى على الملك قيس في هذه المرة ما لم يجري على قلب بشر. وقد حلت بنا وبه العبر. ثم انه حدثه بحديث بني عامر. وكيف كبسوهم تحت ظلام الليل العاكر. ونهبوا اموالهم وسبوا النسا الحراير. وكيف هرب الملك قيس بباقي الفرسان. خوفاً من الاسر والهوان وكيف التقى بهم عنتر عند عودته من بني دارم. وتلك الرسوم والمعالم بعد ما خلص ابن اخته الهطال من الاسر والاعتقال. واقتتل معهم اشد قتال * والقى نفسه على الشدايد والاهوال. طمعاً في تخليص السبايا والاموال. ولما ابصر الاخوص تلك الحال * خاف على قومه من الهزيمة والانفلال. فانفذ معه تلك الابطال الى الاطلال. فلما سمع الحارث منهم ذلك المقال. اعتراه الانذهال وقال لهم ارجعوا بنا الى معركة الحرب والنزال. حتى نعين عنتر ومن معه من الرجال. واني اقول اننا ما نصل اليه الا ويكون قد قضى الاشغال. وبلغ القصد والامال. لانه ما توجه في امر الا ونال منه غاية المنال. ولا قاتل عسكرا الا ونادى الله فيه بالويل والوبال * ثم ارتدوا راجعين. والى نحو عنتر قاصدين الى ان التقوا به وهو يصول ويجول ويطلب براز الفحول.

Digitized by Google

فتقدم منهم كل شجاع وبطل * ونادى الحارث بذلك النداء وحمل
هذا ما كان من حديث الغبار الاول

قال جهينة اليماني ولما ما كان من خبر الغبار الثاني * فانه
كان غبار الملك قيس سيد بني عبس وعدنان: وفزارة وغطفان
وقد جاء في طلب الاموال . والحريم والعيال . لانه لما انهزم
من وجه بني عامر . تحت ظلام الليل العاكر . ونهبت بنو عامر
القبيلة * وراحت بالسبايا والاموال الجزيلة . رجع الملك قيس
الى الاطلال . وجمع الفرسان والابطال . وساروا خلف بني
عامر على عجل . وكان عددهم ثلاثة الاف بطل . وجدوا
في قطع البر الاقفر الى ان ادركوهم في قتال عنتر فصاح الملك
قيس وحمل . بقلب اقوى من الجبل . وفعلت رجاله مثل ما
فعل ورجعنا الان الى السياق الاول

قال ولما سمع عنتر ذلك الصياح . زالت عنه الهموم
والاتراح وايقن بالتوفيق والنجاح . وطلب الحرب والكفاح *
وكان لقيط بن زرارة قد حدث الاخوص بن جعفر وسادات
بني عامر بما جرى له مع الحارث بن ظالم من الاول الى الاخر *
وكيف انه حاربه واخذه اسيرا . وساقه الى النعمان ذليلا حقيرا
فلما راه في ذلك اليوم وقد عاد سالم . صاح وحمل في بني دارم
وقصد عنتر والحارث بن ظالم . وكان الملك قيس قد حمل في
كواكب قواده ومواكب اجناده * وطلب رايات بني عامر .

وحينئذٍ اختلطت العساكر بالعساكر . واندفعت على بعضها كالبحور الزواخر . وتقاتلت المياسر بالميامن والميامن بالمياسر . وعملت السيوف البواتر . في الضلوع والخواصر . وفعلت الاسنة في المقل والمحاجر . وسالت الادمية من المناخر * وتفطرت المرايره . وهانت الاموال والزخاير . ولعبت بجماجم الابطال الحوافر . وانطرحت الفرسان عن الخيول الضوامر . وتهتكت بالسيوف الستاير . وضجت القبايل والعشاير ودارت على الرجال الدواير وصار النهار في اعين الناس مثل الليل العاكر . وهنف الوحش على القتلا بعد ما كان نافر . وفعل عنتر والحارث بن ظالم الاسد الكاسر . افعالا تذهل البصاير . وتحير العقول والخواطر لانهما فرقا الكتايب . ومزقا المواكب . وطعنا في الصدور والترايب * واظهرا الاهوال والعجايب

قال وما زال القوم في اشد قتال وحرب ونزال الى ان ولى النهار واستحال * واقبل الليل بالانسدال . فافترقوا عن بعضهم البعض . ونزلت كل طايفة منهم في بقعة من الارض وخسرت في ذلك اليوم بنو عامر وبنو دارم . وعاد لقيط من الحرب وهو خسران نادم * وقد هلك من اصحابه اوفى من ستماية فارس * ومن بني عامر ما ينوف عن الف وخمسماية بطل مداعس ثم اجتمع عنتر بالحارث بن ظالم وشكره على افعاله * وساله عن كيفية احواله . فحدثه بقصته مع النعمان . وما جرى له وكان

وكيف اطلقته المتجردة من الاسر والهوان . وارسلت يقول له مع العبيد والغلمان . الحق باخي قيس وعنترة الفرسان . واطلب منهما الذمام والامان * فلما سمع عنتر الكلام . وفهم قصده ومرامه طيب قلبه ووعده بكل خير ودخل به على الملك قيس بن زهير وحدثه بمقاله * وما شاهد في ذلك اليوم من قتاله * فهناه الملك قيس بالسلامه * واعطاه امانه وزمامه ثم انهم باتوا تلك الليلة في سرور وافراح . وحظ وانشراح . وباتت اعداهم في هموم واتراح ولما اصبح الصباح * واضا بنوره ولاح . وثب كلا من العسكرين الى الحرب والكفاح * واشهروا الصفاح * ومدوا الى بعضهم البعض قطع الرماح . والتقت الرجال بالرجال * والابطال بالابطال واشتد القتال . وعظمت الاهوال . وارتجت السهول والجبال من ضرب السيوف ووقع النصال وكانت لهم وقعة تشيب الاطفال . وتذكر على مدى الايام والاجيال فلا ترى في تلك الساعة الا سيفا بارقا * ورمحا خارقا . ودما دافقا . ومازالت رحى الحرب بينهم تدور . ونيران الهيجا تمور والاسنة تعمل في الخواصر والصدور * الى ان وقعت الخسارة في بني عامر وبني دارم . ونثرت بنو عبس فرسانهم بالطعن المتلازم * وطير عنتر بحسامه القمم والجماجم . وابرا الكفوف والمعاصم والتقى ملاعب الاسنة بالحارث بن ظالم . فتهاجا وتضاربا . وتصادما وتحاربا . . حتى سالت من اجسادهما الدما * وغابت

عن اعينهما الارض والسما * وهما في ضرب يقصر الاعمار .
وطعن احر من لهيب النار هذا وعنتر يجول في ساحة الميدان . كانهُ
مارد من من الجان . وهو يجندل الفرسان . ويلقيها على
بساط الاودية والكثبان . ولما رات الاعدا منهُ تلك الحال
اعتراها الاندهال . لانهم ابصروا منهُ طعنًا مرًّا . وضربًا لا تجد
الابطال عليهِ صبرًا * وهو ينثر الروس عن الابدان نثرًا .
فاضطربت فرسانهم . وتزعزعت شجعانهم . واقشعرت ابدانهم
وانقلبت مواكبهم من الدائرة الموتلفة * الى الدايرة المختلفة .
وطلبوا الهزيمة والفرار خوفًا من الهلاك والبوار . وتفرقوا في
بطون السهول والاوعار . وابصر ملاعب الاسنة هذه النوايب *
وقد تفرقت الرجال في اقطار السباسب . فولى من امام خصمهِ
وطلب الهزيمة * وكانت سلامة نفسهِ عنده اوفى غنيمة . ولما خمدت
نيران القتال . جمعت بنو عبس الغنايم والاموال * وباتوا تلك
الليلة في ذلك المكان . وقد بنوا لهم في فلك المعالي قصورًا مشيدة
الاركان

ولما اصبح الصباح . واضا بنورهِ ولاح . رحلوا بالحريم والعيال . طالبين
الديار والاطلال . هذا وقد سلم عنتر لعمه مالك الاموال والغنايم
التي جآء بها من ديار بني دارم . وقال لهُ يا عماه اني من يوم ملكت
هذه الغنيمة * تركتها برسم العرس والوليمة . فقال يا ابن اخي متى
وصلنا الى ديارنا . وقر فيها قرارنا . بادرنا في عمل العرس

Digitized by Google

والافراح • لاننا قد بلغنا غاية القصد وزالت عنا الهموم والاتراح فطاب قلب عنتر. وفرح واستبشر • وقد تسلى بذلك المقاتل ولم يعلم ان قول عمه زول ومحال

قال مجد بن هشام • وسمع الملك قيس هذا الكلام فقال وحق رب الانام • ما نقيم بعد وصولنا الى الديار اكثر من ثلاثة ايام • حتى نزف عبلة على ابن عمها عنتر قبل ان ياتينا عايق اخر * لان اعدانا كثيرة • ومصايب الدهر غير يسيرة لاننا لا نامن من الملك النعمان * ان يستنجد علينا بكسرى انوشروان ويركب علينا بفرسان العرب والاعاجم : ويطالبنا بالحارث بن ظالم * ثم انهم جدوا في قطع الروابي والتلال • وعنتر راكب في اول الابطال • والى جانبه الحارث بن ظالم الاسد الرئبال • وهو يطيب * قلبهُ ويوعدهُ ببلوغ الامال * ولما تمادى بهم المسير والترحال * تذكر عنتر بما جرى عليهِ من الشدايد والاهوال * في معامع القتال • فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

ارض الشربَّة تربها كالعنبرِ ونسيمها يسري بمسكٍ اذفرِ
وقبابها تحكي بدورًا طلعًا من كل فاتنةٍ بطرفٍ احور
ياعبلَ حبكِ سالبٌ البابنا وعقولنا فتعطفي لا تهجري
ياعبلَ لولا ان اراكِ بناظري ما كنت القى كل صعبٍ منكر
ياعبلَ كم من غمرةٍ باشرتها بمثقفٍ صلب القواثم اسمر
فاتيتها والشمس في كبد السما والقوم بين مقدَّم ومؤخر

فنجوا فصحت عليهم فتجمعوا ودنا الخميس الى ذاك العسكر
فشككت هذا بالقنا وعلوت ذا مع ذاك بالذكر الحسام الابتر
وقصدت سادتهم قطعت وريده وقتلت منهم كل قرم اكبر
تركوا اللبوس مع السلاح هزيمة يجرون في عرض الفلاة المقفر
ونشرت رايات المذلة فوقهم وقسمت سلبهم لكل غضنفر
ورجعت عنهم لم يكن قصدي سوى ذكر يدوم الى اوان المحشر
من لم يعش متعززا بسنانه سيموت موت الذل بين المعشر
لا بد للعمر النفيس من الفنا فاصرف زمانك في الاعز الافخر

قال الاصمعي ولما فرغ عنتر من شعره * وما ابداه من محاسن نظمه ونثره . تعجب الحارث بن ظالم من فصاحته * وقوة قلبه وشجاعته . فعظم في عينيه . وصفي له قلبه واثنى عليه . لانه كان من اخبث الرجال * لا يصفو قلبه لاحد من الابطال . ولم يكن عنده لاحد هيبة ولا وقار . ولا حرمة ولا اعتبار . وانما خوفه من النعمان هو الذي اذله . لانه يعلم ان العرب لا تشفق عليه ولا ترثي له * ولا تذكره بشفة ولسان . ولا تجيره من الملك النعمان . فلذلك ذل لبني عبس وعدنان . وجعل اعتماده على عنتر فارس الفرسان

قال الراوي وما زالوا يقطعون القفار والسهول والاوعار الى ان اشرفوا على الديار . فضربوا الخيام . واستقر بهم المقام * وعادت المنازل آنسة بسكانها . ضاحكة بقدوم فتيانها مرهجة

بالولايم والدعوات * مبتهجة بالافراح والمسرات ٠ هذا وعنتر قد انزل الحارث بن ظالم في ابياته ٠ وصار يقضي معه أكثر اوقاته ويدفع عنه حملات الاتراح ٠ بشرب الخمر وتناول الاقداح وهو منتظر من عمه انجاز الميعاد ومن الملك قيس المعاونة والامداد

قال الراوي وكان مالك ابو عبلة قد قطع رجاه وعظم بلاه لعلمهِ ان ابنته سوف تخرج من يده ويتزوج بها عنتر بغير قصده فاشتعل قلبه بلهيب النار وزادت بهِ الوساوس والافكار فاختلا بولده عمرو وتحدث معهُ في ذلك الامر فقال عمرو وحق الاله الخالق الذي لا تدركه ابصار الخلايق ان عندي اضعاف ما عندك ووجدي اليوم اعظم من وجدك ومن الراي ان ترسل رسولاً الى بني فزارة وتعلم حذيفة والربيع بهذه العبارة وتذكر لهما بان الحارث بن ظالم عندنا في الاوطان وقد استجار بالملك قيس وعنتر على النعمان ولا شك انهما يعلمان النعمان بهذا الخبر وحينئذٍ ينفتح باب الشر على قيس وعنتر ويأتيهما ما يشغلهما عنّا ونبلغ ما نتمنى

فلما سمع مالك ذلك الخطاب راهُ غاية الصواب وارسل من وقتهِ كتاباً الى حذيفة والربيع بن زياد يعلمهما بذلك الايراد ويطلب منهما المساعدة والامداد ٠ على هلاك عنتر بن شداد

قال نجد بن هشام وبعد ذلك بخمسة ايام دخلت خميسة

Digitized by Google

الكتاب الثالث والثلاثون

من سيرة عنتر بن شداد العبسي

امة عبلة على عنتر وهي تبكي وتحسر وقالت احذر يامولاي على نفسك من المهالك ولا تغترّ بوعد عمك مالك فانه قد نقض عهده واخلف وعده واضمر لك الشر والنكال والهلاك والوبال . وان الربيع بن زياد . معدن الغدر والفساد ارسل له رسولاً نهار امس . عند غروب الشمس * يقول لهُ اخرج بعنتر غداً الى غدير ذات الاصاد * واظهر لهُ المحبة والوداد * كانك تريد ان تستشيرهُ في عرس ابنتك عبلة * ونحن ندهمهُ بالابطال ونقتلهُ على حين غفلة . ونجرحك انت ومن معك من الرجال . حتى اذا رجعتم الى الاطلال . وسألكم الملك قيس عن هذا الحال * تكتمون عنهُ الخبر . خوفا من القتل والضرر . وتقولون ما ندري بما جرى . غير انها عبرت علينا خيل غايرة ونحن سكارى على الغدير فوضعوا فينا السيف وفعلوا بنا كما ترى وحينئذٍ تستريح يامالك من المعيرة والفضيحة * والاسمعة الردية القبيحة . ونستريح نحن ايضا من شره وبلاه . وخبثه ودهاه * لانهُ لما سار الى بني دارم . وتلك الرسوم والمعالم * في طلب ابن اخته

Digitized by Google

الطال . من الاسر والاعتقال . انفذنا خلفهُ ماية من الابطال * يقتلوهُ وينزلوا بهِ النكال . وكانوا من اطايب فرسان بني فزارة فالتقاهم لقيط بن زرارة فاهلك منهم سبعون واسر الباقون ونحن حتى الان من اجلهم في احزان

ثم ان خميسة قالت لعنتر اعلم يافارس ربيعة ومضر ان هذا الحديث لم يسمع بهِ احد من اهل الحلة حتى ولا مولاتي عبلة وان الرسول الذي جاء لعمك بهذه الرسالة وبلغهُ هذه المقالة يقال لهُ مكتوم بن عباد وهو من خواص عبيد الربيع بن زياد وقد اعلمني بهذا الخبر لانهُ يحبني دون ساير البشر ولولا محبتهُ لي الزايدة . لما كان حدثني من هذا الحديث حتى ولا بكلمة واحدة ثم عادت خميسة من عند عنتر بعد ما اوصتهُ بالتيقظ والحذر فلما سمع عنتر من خميسة ذلك الخطاب غاب عن الصواب وكتم ما سمعهُ من المقال وصبر حتى يتضح لهُ الحال ويعرف الصدق من المحال

قال نجد بن هشام وسعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان الربيع بن زياد لما وصل اليه رسول مالك بن قراد وحدثه بتلك العبارة كما سبقت الاشارة استشاط غضباً واضطرم فوادهُ لهباً عند ما بلغهُ ان عنتر قد عاد الى الاطلال وهو سالم ومعه الاموال والغنايم وفي صحبته الحارث بن ظالم فاجتمع بحذيفة بن بدر وحدثه بذلك الامر وقال يا ابا

حجّار ما عاد يطيب لنا عيش ولا يقرّ لنا قرار ان لم نقلع من بني عبس الاثار وندبر على هلاك ذلك العبد الغدار لانه قد صار احسن من الاوّل حالا وارغد عيشةً وانعم بالاً وارتفع بين الناس قدرهُ . وعظم امرهُ . وانتشر صيتهُ وذكرهُ . ثم انهما اتفقا على هلاك بني عبس وعدنان . وعنترة الفرسان . ومن يومهما ارسلا الى الملك النعمان كتاب صحبة نجّاب . يقولا لهُ

اعلم ايها الملك الهمام * والاسد الضرغام . والليث القمقام * والصارم الصمصام * ان عدوك الحارث بن ظالم . الفاتك الغاشم الذي قتل ولدك شرحبيل وترك حزنك عليهِ طويل . وقتل خالد بن جعفر في حرمك * وهرب من حبسك ونقمك . هو الان في بني عبس بكل خير وقد اجارهُ عنتر والملك قيس بن زهير * واعطوهُ الذمام * وامنوهُ من جميع الانام . وقال قيس هذا الذي اخذ بثاري . وكشف عني عاري وبلغني قصدي واربي وقتل قاتل ابي * لا اسلمهُ لانسان . من ملوك العربان حتى ولو طلبهُ مني الملك النعمان . او كسرى انوشروان . صاحب التاج والايوان . او الحارث سيد بني غسان * لا سلمتهُ الا بعد حرب وطعان . يهد الاركان * وتحدث بهِ الناس على طول الزمان . واما عنتر الذميم . والوغد اللئيم . لانجسر ان نذكر للحضرة النعمانية والسدة الملوكانية . بما ابداهُ من التهديد * والوعد والوعيد . لان عظمتكم اخبر بحماقتهِ وجهلهِ وتصرفات احوالهِ وسوء فعلهِ ثم

انها بعد انفاذ هذه الرسالة ارسل الربيع الى مالك ابو عبلة يقول له تلك المقالة * وهو ان ياخذ عنتر الى غدير ذات الاصاد * كما تقدم الايراد . ويشاغله بالحديث والمزاح . ويميل عليه في شرب الراح . قال محمد بن هشام ورجعنا الان الى سياق الكلام وكان الامير عنتر . قد تنغص عيشه وتكدر . عند استماعه من خميسة ذلك الخبر . واورثه اضطرابا وقلقا * واوغر صدره على عمه حقدا وحنقا . فكان تارة يشتم عمه وولده عمرو وتارة يتهم الربيع بذلك الامر . لاجل القا الفتنة والفساد . وشماتة الاعدا والاضداد . وقال في نفسه لا بد لي من المسير . اذا دعاني عمي الى الغدير حتي اكشف حقيقة الحال ويظهر الصدق من المحال

قال الراوي وما زال عنتر في هموم وافكار . الى ان تضاحي النهار . واذا بابن عمه عمرو قد اتي اليه . وسلم عليه . وقال له ان ابي يدعوك للمسير الى المنهل والغدير . حتي يستشيرك في امر الزفاف . ويعقد رايه معك في زواج ابنته بلا خلاف . لانه يريد ان يخاوبك سرا ولا يكتم عنك امرا فقال عنتر السمع والطاعة واني اكون المسعود في هذه البضاعة ثم انه دخل الي مضربه وهو يدمدم كالاسد . وافرغ عليه صديرية من الزرد . مضاعفة العدد * لا يعمل فيها الصارم المهند . ولبس من فوقها ثوبا من الحرير الاصفر . وتقلد بسيفه الضامي الابتر . وخرج على الاثر وركب جواده الابجر . وانطلق مع عمرو اخو عبلة وسار شيبوب

وجرير في ركابه بالجملة بعد ما حدثها سرًّا بذلك الامر واوصاها بالاحتراز والتيقظ من عمه مالك وولده عمرو وغدر الربيع وحذيفة بن بدر ثم انهم جدوا في المسير حتى وصلوا الى الغدير فوجد عنتر عمه له في الانتظار من اول النهار والعبيد بين يديه يروقون المدام وهم في شغل واهتمام فتلقاه عمه بالترحيب والاحترام وزاد له في الاكرام وقال اهلاً وسهلاً يا بن اخي ومعتمدي وسيفي وسندي فترجل عنتر اليه . وقبل صدره ويديه . وشكره واثنى عليه

قال نجد بن هشام . وما استقر بهم المقام . حتى قدمت العبيد لهم الطعام . وبعد ان فرغوا دارت عليهم اقداح المدام . ثم اخذوا في المشورة والكلام * ولما طابت لهم الخلوة . وعملت في روسهم النشوة . قال مالك ابو عبلة لعنتر . اعلم يافارس ربيعة ومضر . اني ما اختليت بك اليوم . الا حتى يذهب عنا العتب واللوم . لان حبلي بحبلك قد اتصل * ومرادي منك قد حصل . وما بقي لي منك منفصل . فانفذ غدًا الى اصدقائك . وادعو من تريد من اصحابك وحلفائك . حتى نشرع في امر العرس وتبلغ مناك . لاني اريد ان اجمع كل من في الحلة من فقير * وغني وامير . وادعهم يرتعوا في اكل الطعام * وشرب المدام * واكسي الارامل والايتام لان اسمك بين العرب كبير . والحمد لله مالنا كثير . وان احتجنا الى شي نحرنا النوق العصافير * فطاب قلب عنتر بهذا المقال .

وايقن ببلوغ الامال . ومن فرط سروره قام على قدميه * وقبل راس عمه ويديه * وقال له ما انا الا عبدك من قديم الزمان * وتحت امرك الى الان . وقد فوضت امري اليك * وجعلت زمام قيادي في يديك * فابذل ما عندك من الاموال . والنوق والجمال . وان شاء الرب الكبير . اخلفها عليك اضعافًا ايها الامير . لاني لا اريد من الدنيا بعد بلوغ مرادي . الا سيفي ورمحي وجوادي . لانهم يعينوني على كيد الاعادي * ومن الغد اشرع لك في تحصيل الخلع والخمر * والنوق النحر . وبادر في انجاز هذا الامر . ثم دارت عليهم الكاسات . وغنت المولدات . وطابت لهم الاوقات ونسي عنتر حلول المصايب والآفات . الى ان انصرم النهار . ولبست الشمس حلة الاصفرار * وقد طال على مالك وولده عمرو الانتظار . هذا ومالك يميل على عنتر بشرب العقار . ويشاغلهُ بذكر عبلة ويسقيه بالطاسات الكبار . وفي قلبهِ منهُ شعل النار . وكان العبيد يتغامزون على عنتر بالاحداق وعيونهم تلعب في وجوههم بالريا والنفاق . فعند ذلك صحي عنتر وفاق . واحمرّت منهُ الاماق . وقد ظهرت لهُ تلك الدسيسة * وصحّ عندهُ كلام خميسة . وكان شيبوب يدور بالعبيد من اليمين والشمال . ويراقب الروابي والتلال . كانهُ ابو الحُصين المحتال * ويحرس اخوهُ عنتر كما تحرس اللبوة الاشبال * فبينما هو على مثل تلك الحال . واذا بعمرو اخو عبلة قد تقدّم . وسلّ سيفه وهجم

وعلى قتل عنتر عزم . فعند ذلك صاح شيبوب باخيهِ عنتر صيحة الاسد . وقد عدم الصبر والجلد . وقال لهُ قم من بين هولآء الانذال . والاَّ نهبوا جسدك بالسيوف الصقال . فوثب عنتره وثبة الليث الغضنفر . وسل حسامه الضامي الابتر . الذي لا يبقي ولا يذر . وعوّل ان يبذل في العبيد سيفه البتار . واذا بغبارٍ قد علا وثار . حتى سد منافس الاقطار . وعلا من تحتهِ الصياح . ولمعت اسنة الرماح . وفي اوايل القوم حذيفة بن بدر والربيع بن زياد . وهما يصيحان يالفزارة الاجواد . هذا وقد تفرقت الخيول والجنايب . وطلبوا عنتر من كل جانب . بالقنا والقواضب فلما ابصر عنتر هذا الحال . بان لهُ الصدق من المحال . وتقدم ليركب الجواد . ويلتقي اوليك الاوغاد . واذا بعمهِ مالك صاح بولدهِ عمرو . وقد لعبت براسهِ نشوة الخمر . وقال ويلك اضرب هذا العبد بسيفك الصقيل . وامنعهُ عن الركوب ياذليل . فلم يبقَ لهُ بعد قدوم هذه الفرسان الى النجاة من سبيل . فتقدم عمرو بعزيمةٍ واهتمام * وضرب عنتر بالحسام فوقع السيف على ثيابهِ . ونفذ الى الزرد المقدَّم ذكره فلم يعلم بهِ . وفي الحال ركب عنتر على جوادهِ الابجر . واستلب رمحه الذابل الاسمر . وصاح وزجره وطلب الخيل قبل ان تدهمه . وهو يسبُّ عمه ويشتمه . ويقول لهُ ياغدار يامكار وحق الملك الجبار لا بد لي ان اقابلك على هذه الفعال . ولاحرمنك تلتذ بالماء البارد الزلال ثم انهُ استقبل

Digitized by Google

الابطال بقلب اقوى من الجبال وانشد وقال

ساغسل عني العار والسيف قاضبٌ
واصبر ان الحكم لله غالبُ
وتصغر في عيني بلادي اذا انثنت
يميني بادراك الذي انا طالبُ
فان تهدموا بالغدر ركني فانهُ
مكينٌ ومني لاتنال المآربُ
ولي عزماتٌ لا ابالي عن الذي
اهمُّ بهِ مهما تكون المصاعبُ
بادهم الفي بين عينيه غرةٌ
يساعدني في الحرب ان كنت ضاربُ
فزارة تبغي كل يوم عداوتي
وابنا زيادٍ للفساد تصاحبُ

قال محمد بن هشام ولما فرغ عنتر من هذا الكلام صال وجال . وصدم الفرسان والابطال . صدمة الاسد الريبال . وطعن في الخواصر والاوصال . طعناً كفتوق الاعدال . وشيبوب من وراه كانهُ الغزال . وهو يطعن بالنبال . فيصيب بها مقاتل الرجال * وجرير ينادي خاب والله ظنكم يانسل الفجار . من هذا البطل الكرار . والليث المغوار . وكان النهار قد انقضى اكثرهُ وبقي منه ايسرهُ الا انهُ لم ياتي الليل بالسواد حتى مدد

عنتر اكثر الفرسان على بساط المهاد . وشفى منهم غليل الفواد
وبلغ غاية المراد. وابصر بنو فزارة منه ضرباً يقدّ المغافر. وطعناً
يذهل النواظر . ويحير الافكار والخواطر . فعادوا على الاعقاب
وطلبوا الروابي والشعاب. واراد حذيفة ان يتبع رفقاه .
واذا بعنتر قد اطبق عليهِ وفاجاه . وطعنهُ بعقب الرمح في قفاه .
فكسر له ضلعين. والقاه عن جواده الى الارض ابعد من رمحين
ثم طلب الربيع بن زياد . ومن معهُ من ابطال الطراد .وكان
الربيع قد خاف واستقتل . لما راى طعنات عنتر كانها القضا
المنزل * فخاب منهُ الامل * وايقن بحلول الاجل . وطلب
الهزيمة والهرب * خوفاً من الهلاك والعطب . وهو يقول والله ما
هذه حملات سكران ولا ضربات نشوان.وما يقاتل هذا الشيطان
الا من تكون منيته قد حانت . ونفسه عليهِ قد هانت . فقصد
ديار بني فزارة . وقد تبعهُ من احب الربح وكره الخسارة . وكان
حمل بن بدر لما ابصر اخاهُ حذيفة قد وقع . وانطرح على بساط
الارض وانصرع * ترك معركة القتال ونزل اليهِ في الحال .
وشده على بعض الخيول العوال . ولعب سيف عنتر في اعناق
من بقي من الرجال. وكان الليل قد هجم . واخفى وطيء الحافر
والقدم . فعاد عنتر بعد ما اشفى فواده . وبلغ قصده ومراده
وطلب المنهل والغدير وقلبه يغلي على عمهِ بنار السعير وكان قد
عوّل ان يثخنه بالجراح . ويسبي عبلة سيدة الملاح * وكوكب

Digitized by Google

الصباح . ويكسبوه العار . والافتضاح . فلما وصل الى الغدير لم يقع لهُ على اثر . ولا وقف على خبره . فاستشاط غضباً . واضطرم لهباً . وارتد راجعاً الى الخيام . وانطرح على فراشهِ ونام
قال الراوي وكان الملك قيس قد استدعى في ذلك اليوم الحارث بن ظالم والامير شداد . وعروة بن الورد وزخمة الجواد . وعمل لهم وليمة عظيمة . لها قدرٌ وقيمة . وسقاهم من صافي المدام * وزاد لهم في الترحيب والاكرام . والتوقير والاحترام . فرجعوا من عندهِ الى الابيات . وهم سكارى كالاموات . وكان الامير عنتر قد انتبه وقت السحر وهو في قلق وضجر . فاستدعى باخيهِ شيبوب فحضر * وقصَّ عليهِ ذلك الخبر لانه كان في افكار واوهام وهو يظن بان الذي فعلهُ كان في المنام وهواجس الاحلام فاعاد شيبوب عليه القصة بالتمام وكيف انهُ اقتتل مع بني فزارة واوقع بهم الذل والخسارة فلما سمع منه ذلك المقال اعتراهُ الانذهال وتغيرت منه الاحوال فبينما هو على تلك الحال اذ بنجيبة قد دخلت عليه وقبلت يديه وقالت له يا ابا الفوارس وزين المجالس ان مولاتي عبلة تهديك مزيد السلام مع واجبات الاحترام وتقول لك ايها البطل الهمام والسيد القمقام ان اباها واخاها قد هجا على وجومها في البراري والآكام وقد حلفا انهما لا يسكنا في الحيّ ما دمت انت حيّ فقال عنتر وقد تأثر والتهب فؤادهُ وتضرّم الى حيث ألقت رحلها أم قشعم

اما تركتاهما لنا فعلا بي من الردى . وينسبا لي الان الى الظلم والاعتدا . فلا عمر الله بهما الاوطان . ولا نجاهما من نوايب الزمان

قال سعيد بن مالك . وكان السبب في ذلك . انه لما دبر مالك ابو عبلة ذلك التدبير . واستدعى عنتر الى الغدير . وجرى ما جرى من الامر المنكر . وابصر مواكب بني فزارة قد فني منها الاكثر * وذلك من نبال شيبوب وسيف الامير عنتر خاف والذعر . واستحى ان يرجع الى الخيام . خوفا من العتب والملام * وقال لولده عمرو انه لم يبق لنا في الديار مقام . وقد عولت ان اسير الى الملك النعمان . واستجير به من جور هذا العبد الشيطان . واقول له ان الحارث بن ظالم عند بني عبس وعدنان وقد اعطوه الذمام والامان * وهو عندهم في اعز مكان . فلا بد له ان يقصدهم بقبايل العرب . ويقطع ما بينه وبينهم من الحسب والنسب . ويكون ذلك لقلع اثارهم اكبر سبب . ونكون قد بلغنا غاية الارب * ونزوج اختك عبله بمن يكون لها اهلا . وتعيش في نعمته . وتفتخر بهيبته

قال صاحب الحديث فلما سمع عمرو من ابيه ذلك الخطاب . راه عين الصواب * ثم ان مالكا قال للعبيد سيروا انتم الى الديار * وقولوا لابنتي عبلة ان اباك قد هج على وجهه في القفار . من جور ذلك العبد الغدار . وحقنا عليك من الهلكة

والعار * فان كانت تختاره علينا وترضاه . تذهب اليه وتطاوعه على ما يهواه * وان ارادت صيانة عرضها من كلام الاوغاد * تستجير باخي شداد او بعمها زخمة الجواد . لانها ان كانت في بيت احد من اعمامها . لا يقدر عنتر على هتك حرمتها وذمامها

ثم انه سار هو وولده من اول الليل * وجدا في المسير على ظهور الخيل وعادت العبيد الى الخيام . ودخلوا على عبلة وحدثوها بذلك الكلام . فحملت من ذلك الكلام هم عظيم * وقالت وحق زمزم والحطيم . انه لا يوجد على وجه الارض بنت اشقى مني . فيا ليت امي لم تلدني . واما من قول ابي ان استجير باحد اعمامي . خوفا من ان يسبيني عنتر ويهتك حرمتي وذمامي فما اظن في ابن عمي هذا الظن الردي . الذي لا يتحدث به الا كل عدو ومعتدي . لانه من اسد الناس سيرة * واخلصهم سريرة عالي الهمم . كريم الشيم * بعيد القدم . عن الظنون والتهم . فيا طال ما خلصني من النوايب والاهوال والمصايب فكيف انه يسبيني من بين المضارب . فوالله لا برحت من بيت ابي الى الابد ولا التجيت باحد وباتت تلك الليلة في البكاء والنوح ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح . ارسلت جاريتها خميسة الى عنتر . ولوقفته على هذا الحديث كما تقدم الخبر فاندهل وتحير . وطار من عينيه الشرر واخذته الوسواس والفكر . فبينما هو كالمسلوب الهايم . اذ دخل عليه عروة بن الورد والحارث بن

ظلام • فقام لهما على الاقدام • وتلقاهما بالتوقير والاحترام * واكرمهما غاية الاكرام ولما قر بهما القرار سالاه عن يومه الماضي وماجرى له فيه من شدة الوجد والهيام • فقال والله لقد كان يوماً عديم التوفيق فلا جعل الله مثله الى حبيب اوصديق ثم حدثهما بما وصل اليه وحيلة عمه مالك عليه * وما جرى له مع بني فزارة وكيف اوقع بهم الخسارة * وهزيمة عمه عن الاوطان • خوفاً من معيرة الفرسان ۞ ثم قال واني لاأشك ايها السادة الاقران * بانه قصد الملك النعمان دون كل انسان ۞ حتى يلقي الفتن والفساد في تلك البلاد ويفتح علينا باب الشر ويتعاطى اسباب النكد والضر • وحينئذ يطول علينا المطال • وما يعود يغنينا الا القتال * والصبر على الاهوال * فقال عروة لقد صدقت في هذا المقال • والى مثل هذا الامر ينتهي الحال ولربما يرسل النعمان الى قيس بعض من يعتمد عليه * ويحثه في ارسال الحارث اليه • وكذلك عمك يطلب ابنته عبلة ويقيم في تلك البلاد • ويتبعه الربيع بن زياد * ويزوج عبلة باخيه عمارة الفواد • ويضيع عليك ما قد فعلته * ولا تبلغ الامل الذي املته * فقال عنتر * وحق الركن والحجر • والبيت المطهر • لو اتى النعمان بكل عرب البر الاقفر * ومعه كسرى وقيصر • وملوك بني الاصفر • وارادوا ان ياخذوا من عبلة خصلة من الشعر • لما كانوا يقدرون على ذلك الامر • الا بعد ضرب يقد الحجر •

وطعن يعمي البصر . فقال الحارث اما من جهة النعمان فلا تزعج سرك . ولا تضيق صدرك . فاني قادر ان ارد كتايبه . واهرق جيوشه ومواكبه . ولو كانت بعدد النمل . او حبات الرمل وانا اعلمك ما لك فيه من الصواب . والراي الذي لا يعاب . ان تتبعه وتترضاه . وترفق به وتلاقاه . وترده الى الحلة لاجل خاطر محبوبتك عبلة * لانه من الواجب * والتذكر الدقيق الثاقب . ان يذل المحب لحبيبه * ولو كان الجفا والهجر من نصيبه * ولقد اجاد صاحب الانشاد

اذا ذلّ المحب وبات يشكو الى احبابه شكوى السقيم
يقلّ غرامه ويخف عنه لهيب توقد الشوق العظيم
ولا سيما اذا كان التشاكي من البلوى الى القلب الرحيم

قال مجد بن هشام . فلما سمع عنتر من الحارث هذا الكلام . اغرورقت عيناه بالدموع * وبكى من فواد موجوع . وقال اما عمي فانه جد في الترحال . وقطع البراري والتلال . واما الملك النعمان فسوف يكون بيني وبينه ما يذكر الى اخر الزمان . ثم غلب عليه الحال . وتذكر ما قاساه من الشدايد والاهوال * في وقايع القتال * فانشد وقال

دهتني صروف الدهر وانتشب الغدر
ومن ذا الذي في الناس يصفو له الدهر
وكم طرقتني نكبة بعد نكبة ففرجتها عني وما مسني ضر

واولا سناني والحسام وهمتي ... لما ذكرت عبس ولا نالها فخر
بنيت لهم بيتاً رفيعاً من العلى ... تخر له الجوزاء والفرغ والغفر
سيذكرني قومي اذا الخيل اقبلت ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
يعيبون لوني بالسواد جهالة ... ولولا سواد الليل ما طلع الفجر
وان كان لوني اسوداً فخصائلي ... بياض ومن كفي يستنزل القطر
محوت بذكري في الورى ذكر من مضى
وسدت فلا زيد يقال ولا عمرو

قال الراوي فما فرغ عنتر من شعره حتى دخل رسول الملك قيس عليه . وتمثل بين يديه . وقال له ان الملك قيس يدعوك اليه . لان حذيفة بن بدر قد ارسل له رسولاً على سبيل الشكوى * وهو يقول ان له عليك دعوى . لانك تعديت عليه وجرحته . وقتلت رجاله وفضحته . وهو مشرف على العدم . من شدة الالم

قال فضحك عنتر وتبسم . وقال الى حيث القت رحلها أم قشعم * لانه قد اضمر لي الشر والعناد . مع الربيع بن زياد . نسل الاوغاد . فوحق ذمة العرب . وشهر رجب . لو قدرت على بني فزارة من اليوم وصاعداً لابلينهم بالعطب . ولا ابقي منهم لا راس ولا ذنب * ثم انه تقلد بحسامه الابتر . وسار على الاثر * حتى دخل على الملك قيس فسلم عليه وساله عن الخبر * فقال له قد بلغني يافارس عبس . بما فعلته نهار امس *

وانك اسرفت في شرب الخمر * حتى بدا منك ذلك الامر . فقال عنتر وما الذي بدا مني من قبح الاسباب * حتى استوجب منك هذا العتاب . فوحق رب الارباب . انى ما سكرت ولا غاب لي صواب . قال قيس اعلم ان حذيفة بن بدر ارسل لي يقول * مع هذا الرسول . اني بينما كنت قادم عليك . حتى اهنيك بالسلامة واعتذر اليك وفي صحبتي الربيع بن زياد . وجماعة من الفرسان الاجواد . اذ ثار علينا عنتر بن شداد . من جانب غدير ذات الاصاد وهو سكران لا يعقل على انسان فقتل رجالنا واهلك ابطالنا . ثم تقدم اليّ * وهجم عليّ . ومد يده بالسيف وضربني وما قلت الا انه اعطبني وما كفاه ما فعله بنا حتى صار يشتمنا ويسبنا ويقول آه يا اولاد الزنا ومعدن الخنا ما اتيتم الا لقتلي وعدمي واهراق دمي ولولا عمه ما لك يرده عن قتالنا والا كان تبعنا الى اطلالنا فان كان يا قيس هذا الفعل باذنك واختيارك اعلمنا حتى نحتر زمنه ونرحل عن جوارك وان كان بغير اذنك فعل هذه الفعال فالمراد ان تنفيه من هذه الاطلال حتى نعلم انك غضبت لغضبنا وراعيت حسبنا ونسبنا ثم قال الملك قيس لعنتر وحق خالق البشر قد ضاق صدري عند سماع هذا الخبر لان عندنا اليوم من كثرة اعدانا وهمنا ما يشغلنا عن معاداة بني عمنا

قال الراوي فلما سمع عنتر من الملك قيس ذلك المقال .

Digitized by Google

قال ايها الملك المفضال . وحق من ارسى شوامخ الجبال . وقدر الارزاق والآجال ان هذا الحديث كله زور ومحال . وما أتوا الاحتي يعاونوا عمي على قتلي وعدمي . وسفك دمي . ثم حدثه بالقصة التي جرت والحيلة التي تدبرت . فقال قيس لقد صدقت . وبالحق نطقت لان طريق الحق واضحة . وشهوده على من عرفه لايحة . ثم التفت على الرسول واشار اليه * ارجع الى مولاك حذيفة وسلم لي عليه . وقل له يقول لك قيس انه قد وقف على شكواك . وفحص في دعواك . فلم يجد فيما ادعيت به علي عنتر من ذلك الحديث والخبر ادنى دليل ولا برهان . يشهد به العيان ويقوم عليه البيان وان كل من يشير عليَّ بنفي عنتر من الاوطان . يريد لي الهلاك والقلعان . لاني رجل كثير الاعداء قليل الاعوان . ثم ان قيسا بعد هذا الكلام . طيب قلب عنتر البطل الهمام . وعاد عنتر الى الخيام وموج الهم يلعب في فواده من شدة الفرح . وكان اكثر همه وغمه لاجل غيبة عمه ثم استدعت عبلة وامها بعنتر فلما حضر قالت له ام عبلة اعلم يابا الابطال . انه قد امسى بيتي خاليا من الرجال وهذا هو الخراب الاكبر . يافارس البدو والحضر الصواب ان نقتفي من عمك وولده الاثر . لاننا نخاف ان يقع بهما من له على بني عبس دما * فيعيد وجودهما عدما . وتشمت بنا الاعدا الاضداد * خصوصا عمارة والربيع بن زياد وانت اخبر بهذا الامر . وان تعقدت الامور ما لزيد الا عمرو . فقال عنتر انتِ تعلمين كم من مرة اضمر

Digitized by Google

لي الشر والنكال والهلاك والوبال * فلو كان يقول لي يا عنتر ارحل عن الحلة . فاني لا اريد ان ازوجك بابنتي عبلة * لكنت امتثلت ورحلت * وعلى الله توكلت . فلما سمعت عبلة منهُ ذلك المقال * تبسمت عن ثغر انقى من اللال . وقالت ويلك كيف كنت تصبر عني . وتقنع بالوعد والتمني . فوالله ان هذا من المحال . فدع عنك الريا والزور في المقال . واكشف خبر ابي واخي من دون ضجر ولا ملال . ولا تواخذهما بتلك الفعال * وانشدت تقول

اذا ما ادعيت العشق عاني امورهُ
بنفسك لا تامن على السر صاحبا

وذل اذا عزَّ الحبيب بوصلهِ
ودم كاتماً ان كنت تخشى العواقبا

ولا تدعي في العشق حقداً وبغضة
ولا تكُ في كل الامور معاتبا

ثم قالت لهُ انت تعلم ان العبد اذا كان يحب مولاته * يجب عليه ان يحسن مداراته . ولا سيما اذا كان في يدها موته وحياته . فقال عنتر ياستاه * والى اي متى تكون هذه المداراه . فوالله لقد كرهت الحياه * وضجرت مما اعمل من المعروف والمليح . واُجازى عليهِ بالقبيح . ولكن هذا يهون على عبدك . اذا كنتِ باقية على عهدك ثم انهُ عاد الى الخيام . وقد زال بعض ما كان فيهِ من الغرام

Digitized by Google

قال محمد بن هشام. ولما اظلم الظلام . ركب عنتر البطل الهمام . واخذ في صحبته عروة بن الورد والحارث بن ظالم فارس الصدام * وخرجوا من بين المضارب والخيام . وشيبوب بين ايديهم كانهُ ذكر النعام . وقد جدوا في قطع الروابي والآكام الى ان قربوا من ديار بني عامر * وتلك القبايل والعشاير * فاخفاهم شيبوب في بعض الكثبان . وقال لهم انتظروني في هذا المكان . حتى اكشف لكم خبر القوم . واعود اليكم في هذا اليوم ثم تركهم وسار . وتبطن جوانب القفار * واقاموا لهُ في الانتظار . طول ذلك النهار * واذا بهِ قد اقبل كانهُ دعامه . ومعهُ عبد اسود مثل الغمامه * مقيد بالكتاف . مشرف على التلاف . وهو يسوقه بحبل ويسحبه . وكان كلما وقف يضربه . فتعجب عنتر واندهل وتقدم الى اخيهِ على عجل . وقال لهُ من يكون هذا العبد الكشخان . قال هذا عبد رابح بن الصبّاح سيدُ بني جبهان * ومنهُ اخذت خبر عمك مالك وولده عمرو . معدن الخبث والغدر . وقد ذكر لي انهما في اسر رابح بن الصبّاح * وهو يتهددهما بالقتل في المساء والصباح . ويعذبهما اشد العذاب . وقد ربطهما مع الكلاب . فلما سمع عنتر هذا الخطاب . غاب عن الصواب * واشتعل قلبه بنار الالتهاب

قال الراوي وكان السبب في اسر مالك وولده عمرو . وذلك انهما لما تبطنا في القفر . جدا في قطع البراري والصحاصح *

حتى وصلا الى ارض قوم من العرب يقال لهم بنو صالح .
فالتقوا بالامير رابح * ومعهُ دعد زوجته . وعبد مناة فارس
عشيرته . وكان مالك وولده عمرو قد ابصرا المحمل . والهودج
المكلل . فقال عمرو لابيه والله ما هذه الا عروس سايرة الى
بعلها . او امراة طالبة اهلها . وما معها غير فارسين من اوباش
الرجال * وانا اريد ان احمل عليهم وانزل بهم النكال . واخذ
صاحبة هذا الهودج سبية بما عليها من المال . واحظى بها في
طريقي بالضم والعناق . الى ان نصل الى ارض العراق ونجتمع
بالملك النعمان . ونقيم تحت ظله في امان . فقال لهُ ابوه دعنا
ياولدي من معاداة الفرسان * وذكر البنات والنسوان * قال
وحق الملك الديان . لا بد لي من ذلك الشان . ثم انهُ اطلق
لجواده العنان * وقوَّم السنان . وقد زيَّن لهُ الشيطان وجه
المحال . وصاح على الرجال * ويلكم يا انذال . خلوا عن الهوادج
والاموال . واطلبوا لانفسكم النجاة قبل الوبال . فلما سمع رابح
منهُ هذا المقال . تقدم اليهِ في الحال . وعوَّل ان يلتقيه في ساحة
المجال . فقال لهُ عبد مناة ايها السيد المفضال . من هم هولآء
الانذال . حتى تتعب نفسك معهما في القتال . ثم انهُ رد الامير
رابح * وحمل على عمرو كانهُ البحر الطافح . ولم تكن الا ساعة حتى
اخذهُ اسيرًا * وقادهُ ذليلًا حقيرًا . وابصر مالك . الى ذلك .
فذاب كبده . وقل صبره وجلده . وكان مالك من الفرسان

المذكورة . والابطال المشهورة • فحمل على عبد مناة وبذل معهُ المجهود . وتكافحا مكافحة الاسود * وما زالا في عراك وطراد * وقتال وجهاد • نحو ساعة من النهار • وكان عبد مناة قد استظهر على مالك غاية الاستظهار • فصاح فيه صيحة هايلة . وطعنهُ طعنة قاتلة • فشك السنان درعه • فكاد ان يهلكه ويصرعه فوقع مالك عن مركبهِ • وقد ايقن بهلاكهِ وعطبهِ • فتقدم اليهِ رامح بن الصباح • وقد زادت بهِ الافراح • وشد كتافهُ • وقوّى سواعدهُ واطرافهُ

ثم سالها عن حسبها ونسبها . ومن هم عربها . فقال مالك اعلم ياوجه العرب اني انا مالك بن قراد • وهذا ولدي عمرو ونحن من بني عبس الاجواد . فربطهما على خيولها بالعرض • وسار بهما من تلك الارض . وهو يقول وحق ذمة العرب • وشهر رجب . لا اقتلكما حتى اعذبكما عذاب الكلاب الهرارة . واشفي بقتلكما قلب الاحوص بن جعفر ولقيط بن زرارة

ثم انهُ جد في قطع القفار . حتى وصل الى الديار • فربطهما بين الكلاب • وعذبهما اشد عذاب وارسل ذلك العبد الى لقيط بن زرارة والاحوص بن جعفر ليعلمها بذلك الخبر . فسار العبد وحدثهما بذلك وبينما هو راجع التقي به شيبوب في تلك الدكادك * واتى بهِ الى اخيه عنتر * وحدثهُ بما جرى وندبر . فقال الحارث بن ظالم من الصواب . ايها الفارس المهاب . ان

تلحق عملك وتخلصة من العذاب . قبل ان يعظم المصاب وتصل الى رامح فرسان الاعراب فتفوتك الامال وينشغل منا البال وانا اعلم انهُ بعد هذه المرة يصير الملك مثل بعض العبيد وتبلغ منه كل ما تريد فقال عنتر كم من مرةٍ خلصته من الاسر والاعتقال والشدايد والاهوال وهو يضمر لي الشر والنكال ولولا ذلك الشفيع الكبير كنت عجلت لهُ الهلاك والتدمير وهي عبلة منية الروح التي بين الجنبين ولاجل عين تكرم الف عين ثم انهم ساروا يطلبون ارض العنيزتين فعند ذلك تذكر عنتر حب عبلة بنت مالك بن قراد . وما لها في قلبهِ من المحبة والوداد * وما قاسى لاجلها في معامع الطراد . فانشد وقال .

عذابكِ يا ابنة السادات سهلُ وجورُ ابيكِ انصافٌ وعدلُ
فجوروا واطلبوا قتلي وظلمي وتعذيبي فاني لا املُّ
ولا اسلو ولا اشفي الاعادي فسادتي لهم فخرٌ وفضلُ
اناسٌ انزلونا في مكانٍ من العلياء فوق النجم يعلو
اذا جاروا عدلنا في هواهم وان عزوا لعزتهم نذلُّ
وما من حب عبلة فلَّ عزمي تفلّهُ الحادثات ولا يفلُّ
وكيف يكون لي عزمٌ وجسمي تراهُ قد بقي منهُ الاقلُّ
فياطير الاراك بحق ربٍ يراك عساك تعلم اين حلّوا
وتطلق عاشقًا من اسر قومٍ لهُ في حبهم اسرٌ وغلُّ
ينادوني وخيل الموت تجري محلَّك لا يعادلهُ محلُّ

وقد امسوا يعيبوني بامي ولوني كلما عقدوا وحلُّوا
لقد هانت صروف الدهر عندي وهانوا اهلهُ عندي وقلُّوا
ولي في كل معركةٍ حديثٌ اذا سمعت بهِ الابطال ذلُّوا
غللت رقابهم واسرت منهم وهم في عظم جمعهم استقلُّوا
واحصنت النسآء بحد سيفي واعدآئي لعظم الخوف فلوا
اثير عجاجها والخيل تجري ثقالاً بالفوارس لا تملُّ
وارجع وهي قد ولّت خفافا محيرةً من الشكوى تكلُّ
وارضى بالاهانة مع اناسٍ اراعيهم ولو قتلي احلُّوا
واصبر للحبيب وان جفاني ولم اترك هواهُ ولستُ اسلو
عسى الايام تنعم لي بقربٍ وبعد الهجر مرُّ العيش يحلو

قال مجد بن هشام . وكان عنتر ينشد هذا الشعر والنظام والحارث بن ظالم يطرب من عذوبة الفاظه وفصاحتهِ . ويتعجب من كرم اخلاقه وعلو همتهِ . وقال له والله يا ابا الفوارس . وزين المجالس لو جرى لي بعض ما جرى عليك من الهموم والوساوس كنت قتلت عمي وسلبت نعمتهُ واخذتُ ابنتهُ وسبيت زوجته فقال عنتر والله يا حارث لا كان ذلك ابدا . ولو مت شوقًا وكمدا . وما فعلت الا ما يشتهون . لاني اعلم ان كل صعب لا بد ان يهون

ثم انهم بعد هذا الكلام جدوا في قطع الروابى والاكام مدة تسعة ايام . وفي اليوم العاشر وصلوا الى مكان يقال لهُ غابة الاسد

Digitized by Google

والبير الاسود . وهي منازل بني جبهان . وكان وصولهم عند المساء
الى ذلك المكان . فنزلوا هناك ونصبوا الخيام . ودارت بينهم
المشورة والكلام . فقال لهم شيبوب من الصواب * ايها السادة
الانجاب * ان تنتظروني في هذا الوادي . حتى اقصد ديار الاعادي
واقف لكم علي حقيقة الاحوال . وكم يوجد هناك من
الابطال . وارجع اليكم في عاجل الحال . فقال
عنتر وانا اسير في صحبتك . ولا ادعك
ان تذهب وحدك وتخاطر
بمهجتك

م

الى هنا انتهى الكتاب الثالث والثلاثون
. وسياتي تمام الحديث عن هذه الواقعة
في الكتاب الذي
يليه

Digitized by Google

الكتاب الرابع والثلاثون
من سيرة عنتر بن شدّاد
العبسي

لاني اشتهي ان ابصر عمي وهو مربوط مع الكلاب * يقاسي الذل والعذاب * لعل ان تخف عن قلبي نيران الالتهاب . فقال شيبوب اني اخاف ان تقع علينا العين . فنهلك نحن الاثنين . لاني اذا كنت وحدي وطلبتني الابطال . اهمز همزات الغزال اذا اذعره الصياد بالحبال . واروغ مثل الثعلب . وتنقطع عني الخيل في الطلب . واما انت فلا تقدر على الهرب . نظرا لعظم جثتك . وهول صورتك . لانك مثل البعير او الثور الكبير فقال عنتر ما هذا الكلام يا نسل اللئام * فوحق من ارسى الجبال وخلق الانسان والهوام . لو ان اهل الحي بعدد قطر الغمام . ما تركت ان يصل اليك منهم لا شيخ ولا غلام . ولا اعدل الى الانهزام وسوف ترى مني ما تذكره على طول السنين والايام فقال شيبوب اذا كان ولا بد لك من ذلك فاخلع عنك الحديد والبس ثياب العبيد حتى يتم لك ما تشتهي وتريد فاجابه الى ما طلب املاً ببلوغ الارب ثم انهما احتطبا لهما حزمتين من الحطب وكانت حزمة شيبوب صغيرة وحزمة عنتر كبيرة وسارا

Digitized by Google

بسرعة واهتمام تحت جنح الظلام ٠ حتي وصلا الي الخيام وما زالا
يخترقان المضارب والقباب حتي وصلا الي المضرب الذي مربوط
فيه مالك وولده عمرو مع الكلاب فراهما شيبوب وقد تغيرت
اجسامهما من شدة العذاب. فالتفت علي اخيه عنتر وقد فرح
واستبشر ٠ وقال انظر يا اخي الي عمك حتي يزول عنك همك
وغمك فلما نظر عنتر عمه زاد همه وغمه واحترق فواده والتهب
ووضع عن ظهره حزمة الحطب واظهر علي نفسه انه تعبان ويريد
ان يستريح في ذلك المكان وفعل شيبوب مثل ذلك الشان
الا انهما ما اقاما الا اليسير حتي خرج رابح بن الصباح من مضربه
كانه البعير وجلس علي السرير. واخذ يسال الرعيان عن العشب
والكلا وكل واحد يحدثه بما جرى له في الفلا فقال له بعض
العبيد. اعلم ايها الفارس الصنديد اني ابصرت اليوم العجب * في
جوانب البر والسبسب * قال رابح وما الذى ابصرت يا وجه العرب
قال بينما كنت اليوم في المرعي * والابل بين يدي تسعى. اذا بفارس
ادهم. كانه الليث الغشمشم ٠ او النسر القشعم. راكب علي جواد عالي
القذال * يسبق بمسيره ريح الشمال * وهو يطرد غزالة في تلك
الروابي والاكام وامامه رجلا كلون الظلام فوقفت انظر اليهما وهما
يتسابقان في جوانب الصحصان كانهما فرسي رهان. اذا انطلقا في
الميدان واذا بالرجل قد سبق الفارس بسرعة جريانه. وقوة عصبه
وجنانه وادرك الغزاله فقبض عليها * وعاد بها الى الفارس وهو

يجرها من قرنيها * فاخذها منه وقبلها بين عينيها . ثم اطلقها واشار اليها

اذهبي بالامان من كل شرٍّ عمرك كله مدى الايام

وحماكِ الاله عن كل سوءٍ وكفاكِ شرّ رامي السهام

التي من عبلة التكحل في العين وكذا العنق قد اهاج غرامي

ثم قال العبد وما انتهى ذلك الفارس من كلامهِ . وشعرهِ ونظامهِ حتى ادركه من جانب البر الاقفر . فارسان اخره وهما غايصان في الحديد والزرد النضيد * ولما اجتمعوا ببعضهم البعض في تلك الارض عدلوا عن الطريق الواضح * وتبطنوا الروابي والصحاصح * وقصدوا غابة الاسد * والامير الاسود ولم ادر بعد ذلك ما جرى وتجدد * قال محمد بن هشام فلما سمع راح من العبد هذا الكلام * انذهل وتعجب وخفق فواده واضطرب * وقال وحق ذمة العرب * وشهر رجب ان صاحب هذا الانشاد . هو عنتر بن شداد الذي قهر جبابرة الجاهلية وانتشر صيتهُ في بلاد العربية بالشجاعة والفروسية . وما طرق هذه الاطلال الا لاجل خلاص اصحابهِ من الاسر والاعتقال * وانا لابد لي ان التقيه في الميدان . وابارزه امام الفرسان واسوقه الى عندا صحابهِ سوق الاغنام * وانتقم منهُ غاية الانتقام

قال الاصمعي وكان الامير عنتر * قد تعجب وتحير عندما حدث العبد مولاه بذلك الخبر * وكيف حفظ شعره لانه كان قد اتفق له مع اخيه شيبوب ذلك الحديث المقدم ذكره واما مالك ابو

عبلة فانه كان قد فرح واستبشر ٠ عند سماعه من العبد وصف
ذالك الفارس الغضنفر ٠ وعلم ان تلك صفات ابو الفوارس
عنتر فارس البدو والحضر وانهُ ماقصد تلك الاطلال الا حتى
يخلصها من الاسر والاعتقال. فالتفت على ولده عمرو وقال وحق
الاله المتعال * ان صحت هذه القصة ٠ ونجوت من هذه الغصة
اعاهد نفسي انني لا ارجع انعرض لهُ ابداً ولا اضمر لهُ شراً ولا نكدا
واصير لهُ خادما وعبداً ولا انقض لهُ ذماما ولاعهد الان نعرضي لهُ
لايودي الى خير بل يسبب لي الشقا والضير ٠ قال الاصمعي ثم ان
رامحا التفت على من حولهِ من السادات والفرسان ٠ ومن حضر
في ذلك المكان ٠ وقال لهم لقد ابطا علي خبر عبدي سرور بن جوهر
الذي ارسلته الى لقيط بن زرارة والاخوص بن جعفر ٠ لان غاية
قصدي ومرادي ٠ قتل هذين الاسيرين حتي اشفي منهما غليل
فؤادي فقال له بعض بني عمه ايها السيد المهاب. ان هذا الراي
ليس بصواب لانك ارسلت تدعو سادات الاعراب ومن نعتمد
عليهم من الاصحاب ٠ مثل الاخوص بن جعفر ولقيط بن
زرارة وغيرهما من الامارة ومن الراي ان تصبر حتي ياتون اليك
ويقدمون عليك لانك ان فعلت هذه الفعال ٠ يعتبون عليك
لامحال فلما سمع رامح كلامه استصوبه ٠ واستحسنه واستنسبه
وكان مالك وولده عمرو قد سمعا المقال ٠ ففاضت دموعهما
كالغيث المطال ٠ وايقنا بالهلاك والوبال ٠ قال نجد بن هشام

كل هذا يجري وعنتر وشيبوب يسمعان هذا الكلام وكلا منهما متكي على حزمة حطبهِ * وقد سترهما الظلام بغيهبهِ ثم ان رامحاً نهض بسرعةٍ واهتمام * وقصد المضارب والخيام . وفي اثناء مسيرهِ دخل على مالكٍ وولدهُ عمرو . وقلبهُ يتوقد من شدة الغيظ بالهيب الجمر فوجدهما يبكيان . ويصيحان وينتحبان . فضربهما بالسوط من دون رحمة ولا شفقة . فنزل عليهم مثل الصاعقة * وما زال يضربهما بغيظٍ وحنق * حتى ساح الدم من ابدانهما واندفق . وهو يقول لهما لعن الله ابا كما . ولعن قبيلة انتما منها ولا ابقاكما . لانكما عديمان المروة والانصاف كثيران اللجاج والاسراف . لا تعرفان الحق والعدل . ولا لكما مكرمة في العطا والبذل . بل انكما مجبولان علي الغدر . ومن طبعكما الخبث والمكر . ولا بد لي ان اعذبكما بانواع العذاب . وابليكما باعظم مصاب . ثم انه بعد ذلك الكلام اوصي فيهما العبيد والخدام ودخل للراحة والمنام وفرق الظلام . شمل الجلاس والقيام * فعند ذلك قال شيبوب لاخيه عنتر احمل يا اخي هذا الحطب . ودعنا نسير ونذهب . قبل ان يقع بنا الانكار ويظهر امرنا بعد الاستتار . فقال عنتر لا وحق من اعشب القفار وانزل الامطار . وقدر الارزاق والاعمار لا اذهب من ها هنا حتي يطلع ضو النهار . قال شيبوب وقد اندهل وتعجب * وخاف من وقوع العطب . ماذا عولت ان تفعل يا فارس العرب * فقال اطرح هذا الحطب علي هذه النار

واهجم على هولاء العبيد الاشرار . واضع فيهم الحسام . واخلص عمي وولده قبل ان يذهب الظلام . وان خرج راعح اسقيته كاس الحمام . ولا اكون قد خاطرت بنفسي واعود فزعاً من الرماح والسهام . قال شيبوب اني اخاف من العواقب . يا ابن الاطايب لانك متى فعلت هذه الفعال . دهمتنا الرجال . من اليمين والشمال وليوقعوا بنا النكال * فقال عنتر انا اخلصك من الاهوال ولو ان لاهل الحي في عدد الرمال . لانهم اذا سمعوا صياح الابطال يطلبون النار الشديدة الاشتعال . واكون انا قد خلصت عمي وولده من الاسر والاعتقال . فخذهما انت وسر بامان . ودعني انا للقا الفرسان . فقال شيبوب افعل ما اردت واحببت ولكن لا تلمني اذا رايت الغلبة وهربت * فقال ويلك لا تفر ولا تذهب . بل اقف امامي وانظر العجب . واذا رايت الغلبة ولاح لك لايح العطب فانجو بنفسك واطلب الهرب * ودعني انا اجدّ خلف القوم في الطلب . ثم ان عنتر حمل حزمة ووضعها على النار . وسل سيفه الضامي البتار . وطلب البيت الذي فيه عمه بقوة واقتدار . وفعل شيبوب كفعله * ووافقه على عمله . وكان العبيد الموكلين بمالك قد انطرحوا بين الخيام . واستولى عليهم سلطان المنام . فمال عنتر عليهم بالحسام . واسقاهم كاس الحمام . ودخل شيبوب المضرب كانه السلهب * وحل مالك وولده من الاعتقال . وهناهما بالسلامة من شرك العقال * وقال

لهما ايها السادة الاماجيد . ليقم كل واحد منكما ويأخذ سيفاً من سيوف هولا العبيد * واتبعاني وهرولا امامي . حتى يجيكما اخي عنتر بحسامه الضامي . واذكر الله هذه الفعلة . ولا تبخلا عليه بزوجته عبلة ففعلا ما امرهما شيبوب . وسارا وقد زالت عنهما الكروب وطلبا عرض البر والفلاه . وهما لا يصدقان بالنجاه واما عنتر فانهُ وقف على باب بيت رابح بن الصباح . وامهلهُ حتى خرج على الصياح . فضربهُ بالضامي على وريديه . اطاح راسه من بين كتفيه . وتبع اثر اخيه شيبوب من خوفه عليهِ . هذا وقد اوقدت الاحطاب . وعظم الالتهاب . وعملت النيران بين القباب وتناجت الكلاب . وخرجت الرجال وقد حل بها الانبهار وما منهم الا من سل سيفهُ وبادر لكشف الاخبار . وعاد الليل مثل النهار . من وقيد النار * هذا وشيبوب يصيح بمالك وولده ويخترق بهم الخيام . وهو كانهُ الليث الضرغام . وعنتر على اثره يضرب في الرجال ويصيح فيها صيحة الاسد الريبال * ويبددها على الرمال * ثم انهم ركبوا من الخيول الشوارد . وتبطنوا البراري والفدافد . الا انهم لم يبعدوا عن تلك الرسوم والمعالم . حتى التقاهم عروة بن الورد والحارث بن ظالم . لانهما كانا قد سمعا الصياح . وابصرا لمعان السلاح . فاتيا الى نجدة عنتر * ومعهما جواده الابجر . فلما ابصراهُ فرحا باقباله . وسالاه عن حالهِ فحدثهما بالخبر . وما جرى له وتدبر * ثم انهُ خلع ثيابه ولبس

ذرعه وجلبابه وجدوا في قطع البطاح . الى ان اصبح الصباح فعند ذلك اقبل الحارث على مالك * ووبخه بالكلام * واكثر له من العتب والملام . واومي بيده الى نحو عنتر وقال له من يكون له مثل هذا الاسد الغضنفر . هل يصوغ له ان يبغضه و يفزعنه ويهرب كل يوم منه ويلقي نفسه في العذاب * ويقاسي الهموم والاوصاب * فقال مالك ايها السيد المهاب * دعني من هذا العتاب . فقد كان على عيني غشاوة اعمت مني البصر . وقد زالت اليوم باذن خالق البشر . ثم ان مالكا ترجل عن جواده وتقدم الى عنتر وتذلل بين يديه واعتذر . وقال له يا ابن اخي ومعتمدي . ومن هو عندي اليوم اعز من ولدي . اني كنت اظهر لك المحبة بلساني واضمر لك الشر بقلبي وجناني * والان فقد زال الجفا . وتبدل البغض بالمودة والوفا * واشهد الله وكفى به شهيدا * اني بعد هذا اليوم لا انقض لك عهودا * لان في قلبي من شكرك ما لا يصفه لسان وان انا خنتك بعد هذه المرة فما اكون انسان ولا انتسب الى بني عبس وعدنان . لانك قد فعلت معي فعالا لا انساها . واحييت نفسي بعد هلاكها وفناها . فما زلت اذكر لك هذه الفعال ما دامت الايام والليال . فاغفر ذنبي واشفق علي . وانظر بعين الرافة الي . لاني قد صرت من اليوم وصاعدا عبدك وابنتي عبلة مثل امتك في قبضة يدك * فافعل ما تشا وتختار . وان يكن قد وقع من الخطا فها انا واقف في مقام الاعتذار .

Digitized by Google

قال فلما سمع عنتر كلام عمه · زال عنه همه وغمه · وزال الحقد من قلبه * وخف عنه ما كان به من كربه · وترجل اليه واعتنقه وقد صدق كلامه وحققه · وقال له والله يا عماه لو فعلت بي اضعاف ما فعلته من الردا · ما اقصر في خدمتك على طول المدى · لان ليس للعبد الا مولاه · ولو اماته واحياه · فشكره عمه واثنا عليه · وقبل صدره ويديه · ثم انهم جدوا في قطع القفار · وساروا يطلبون الديار * واذا الغبار من خلفهم قد ثار · حتى سد منافس الاقطار · وبعد ذلك انكشف وبان · عن خيل بني جبهان · فلما نظر عنتر الى الخيل · وقد اندفقت عليهم كالسيل · الوى عنان جواده ووقف · والتفت الى نحو اصحابه وانعطف وقال لهم هذه خيل الاعدا قد نفرت الينا · واقبلت علينا · فسيروا انتم في هذه البيدآء حتى اردّ عنكم الاعدا وادرككم عند المسا فقال عروة لا والله يا فارس الحرب · وسيد الابطال في مقام الطعن والضرب · لا نترك ورانا ما يشغل الفكر ويتعب القلب ولا نرجع الا كلنا على فرد دورب · وقال الحارث مثل ذلك المقال · وقد تاهب للقتال · فقال عنتر ان الامر لا يوجب الى ما تقولان · وان كنتما لا تطيعان · افعلا ما تريدان · وابصر ما لك الكتايب · وهي متلاحقة بهم من كل جانب * فخاف من حلول النوايب · فصاح هيا يا ابا الفوارس وعمدة الابطال الاشاوس · انت اليوم عليك المعتمد · دون كل احد

Digitized by Google

وعلى هذا اليوم اشكرك ما بقي الزمان * يافارس عبس وعدنان ونتيجة هذا الدهر والاوان *

قال نجد بن هشام . فبينما هم في مثل هذا الكلام . واذا بغبار اخر . قد ارتفع وظهر * وهو مقبل من ناحية بني دارم . وتلك الطلول والمعالم * ولم تكن الا ساعة من النهار . حتى انكشف الابصار . وبان من تحته ماية فارس . من كل مدرع ولابس والكل بالدروع والمغافر . والسيوف البواتر . يتقدمهم لقيط بن زرارة الليث الخادر . والعقاب الكاسر * وقد اتى من بلاده . في جماعة من ابطاله واجناده * حتى يحضر قتل مالك ابو عبلة ويشفي منه غليل فواده . فلما راته بنو نبهان . ما لت اليه الابطال والفرسان * ورفعوا اصواتهم بالصياح . واعلموه بقتل سيدهم رامح بن الصباح * وما فعله عنتر من الامر المنكر * فلما سمع منهم ذلك المقال * خرج عن دايرة الاعتدال * وقال لهم هذه فعال عنتر ابن الانذال * واخيه شيبوب العبد المحتال * وبمثل هذا الاحتيال * خلصا من حلق الهطال . ونهبا الاموال وقتلا الابطال * وما دام قد وقعت العين على العين * فلا بد لي ان استوفي منهما الدين . ثم انه بعد مقاله ٭ حمل على عنتر واصحابه برجاله * واطلقوا الى نحوهم الاعنة . وعلت منهم الضجة والرنة * وقد ارهج البر ببريق الاسنة * هذا وقد عظم الامر * على مالك وولده عمرو لانهما خافا من وقوع المخاطر . فناديا باسم

عنتر الاسد الكاسر * واكثرا له من المدح في الباطن
والظاهر . فزاد بعنتر الفرح واتسع صدره وانشرح . وعلم ان
فساد عمه قد انصلح . ثم انه صاح وحمل . كانه القضا المنزل
واستقبل الخيول بقلب اقوى من الجبل * وفعل الحارث وعروة
مثل ما فعل . وحمل ايضا عمرو اخو عبلة مع ابيه مالك . خوفا
على انفسهما من المهالك . فالتقتهم بنو دارم وجيهان . بقلب
اقوى من الصوان * وعلا الصياح من كل مكان . وارتفع الغبار
الى العنان . وعمل الطعن بالسنان . والضرب بالسيوف
اليمان هذا وعنتر يصرخ في الابطال . ويطعن صدور الرجال
طعنا يخرق الجبال . ويجول فيهم عن اليمين والشمال * ويمددهم
على بساط الرمال . وهو مثل الاسد الريبال . واخوه شيبوب
من وراه مثل الغزال . يحامي عنه بالنبال وفعل الحارث وعروة
مثل تلك الفعال * وقاتلا اشد قتال . ودام الامر على هذا الحال
حتى صارت الشمس في قبة الفلك * وكان عنتر قد سطا وفتك
وضيق على القوم كل طريق ومسلك . فتضعضع جمعهم وارتبك
وتمزق شملهم وانهتك . فهلك من هلك وهرب من هرب لا يدري
اية طريق سلك * وكان من جملة من هرب . الامير عبد مناه ولقيط .
فهجا على وجوههما خوفا من العطب . وقد احاط بهما البلا المحيط .
وعاد عنتر والدما يقطر من كفيه * وعمه لا يفتر من الشكر له
والثنا عليه * فقال عروة دع عنك يا مالك هذا الكلام . واني

Digitized by Google

له عهدك بحفظ الذمام * فقد قرت جميع الناس لفضله * وان كنت تريد ان تجازيه على جميل فعله * فعند وصولك الى الحلة * انعم له بزواج ابنتك عبلة * لانه والله عين هذا الزمان ونتيجة الدهر والاوان * وقاهر الابطال والفرسان * وان الجبابرة بين يديه شبه النسوان * فقال مالك صدقت يا ابا الابيض + وانا اقسم بمن لا يعتريه الدآء والمرض ولا يخشى من العارض في ملكه اذا عرض * اني لو كنت اليوم في حلتي * ازفيت عليه ابنتي * لاني لا اقدر على مكافاته وجزاه * ولا يقدر على ذلك الا الله * لان احسانه قد فات كل احسان * وقد عجز عن شكره اللسان * فقال عنتر وقد زاد به الفرح * واتسع صدره وانشرح * دع يا عروة عمي يصنع بي ما يشا . فاني عبده في الصباح والمسا . ان احسن الي او اسا * ثم انهم جدوا في قطع البيدآء . وشيبوب ساير امامهم باسلاب الاعدآء . وعنتر لا يقر له قرار . ولا ياخذه هدو ولا اصطبار . وهو يريد ان يصل الى الاحيا على عجل . حتى يبلغ غاية الامل * ولما تمادى بهم الترحال زاد بعنتر الوجد والبلبال . وتذكر ما جرى عليه من الوقايع والاهوال في مواقف القتال فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال .

طال الوقوف على رسوم المنزل .

بين الكليل وبين ذات الحرمل .

فوقفت في عرصاتها متحيراً

اسل الديار كمثل من لم يسال

لعبت بها الانوآء بعد انيسها

والرامسات وكل جون مسبل

افمن بكا حمامة في ايكة

ذرفت دموعك فوق ظهر المحمل

كالدر اوفضض الجمان تقطعت

منهُ عقايد سلكهِ لم يوصل

لما سمعت دعاء مرة قد علا

ودعاء عبس في الوغي ومحلل

ناديت عبساً فاستجابوا بالقنا

وبكل ابيض صارم لم يفلل

وبكل مياد الكعوب مثقف

في كف كل صميدع لم يغفل

حتى استباحوا آل عوف عنوةً

بالمشرفيّ وبالوشيج الذبل

اني امرؤ من خير عبس منصباً

شطري واحمي سايري بالمنصل

ان يلحقوا اكرر وان يستلحموا

اشدد وان نزلوا بضنك انزل

ولقد ابيت على الطوي واظله حتى انال بهِ كريم الماكل

واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت   الفيت خيرا من معم مخول
والخيل تعلم والفوارس انني   فرقت جمعهم بضربة فيصل
اذلا ابادر في المضيق فوارسي   حتي اوكل بالرعيل الاول
ولقد غدوت امام راية غالب   يوم الهياج وماغدوت باعذل
والخيل عابسة الوجوه كانها   تسقي فوارسها نقيع الحنظل
جات زبيبة في الظلام تلومني   خوفا علي من ازدحام الجحفل
واتت تخوفني الحتوف كانني   اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فاجبتها ان المنية منهل   لابد لي من ورد هذا المنهل
كفي ملامك لا بالك واعلمي   انى امرؤ ساموت ان لم اقتل
ان المنية لو تمثل شخصها   لى في العجاج طعنتها بالاول
واذا حملت على الكريهة لم اقل   بعد الكريهة ليتني لم افعل

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعره . طرب الحارث من محاسن نظمه ونثره • وقال له عروة حياك الله ياحامية عبس وعدنان . وشاعر هذا الزمان * فوالله لقد جمعت بين فصاحة الكلام ورقة المعاني . ما لم يسبقك عليه امرالقيس ولا النابغة الذبياني . فشكره عنتر على ذلك الكلام * ثم انهما جدوا في قطع البراري والاكام • وشيبوب بين ايديهم كانه ذكر النعام وهو يقطع بهم القفار * والسهول والاوعار الى ان قربوا من الديار واذا باعرابي • قد ظهر لهم من بين الروابي • وهو يجد السير * كانه الطير • فتبينوه واذا هو عبد من عبيد الملك قيس بن زهير

Digitized by Google

قلما راهم . هرول اليهم والتقاهم . وسلم عليهم وحياهم * وقال
يا للعرب ما ابركها من طريق * وما احسن اوقات السعادة
والتوفيق * فلما سمع عنتر كلامه زاد وجده وغرامه . واخذته
الوساوس والفكر . وقال له ما وراك من الخبر . قال انيت
حتى اقتفي أثرك . واكشف خبرك . لان مولاي قيس قد اعتراه
الغم من بعدك . وتالم قلبه لفقدك * ومن عظم ما جرى عليهِ
ووصل اليهِ . فرق عبيده في جوانب البر الاقفر . لتقتفي منك
الاثر * فرجعوا ولم يقعوا على خبر . وخرجت انا البارحة وراك
وضمنت على نفسي اني لاارجع حتى اراك . فبلغني الله المنى *
واراحني من التعب والعنا . فقال عنتر دعنا من هذا الايراد .
يانسل الاوغاد . وقص على ما عندك من خبر ابي شداد . وعمي
زخمة الجواد . وكان قصد عنتر بهذا السوال حتي يقف على
اخبار عبلة ذات الحسن والجمال . قال والله يابا الفوارس *
وعمدة الابطال الاشاوس . ما بنو عبس الا في غاية التعس
والنكس . وذلك من اثارة الفتن . ووقوع المخاوف والمحن *
فقال عنتر وقد اعتراه الانذهال ويلك ما الذي جرى بعدنا
في الاطلال . قال انت تعلم يامولاي ان حذيفة بن بدر *
معدن الخبث والغدر . والموصوف بالدها والمكر لا يشتهي ان
يبصر عند احد من بني عبس الاجواد لافرس ولا جواد . من
الخيول الجياد * ولا سيا وعنده الربيع بن زياد . وهو يغويهِ على

الشر والعناد • والبغي والفساد • وفي هذه الايام • وقع بينهُ وبين مولاي قيس نفور وخصام * وقد عقدا الرهان • بين السادات والفرسان • على سباق داحس والغبرا • والناس في غاية الخوف من وقوع الفتنة الكبرى • وقد ارسلني مولاي حتى اكشف اخبارك • واقتفي اثارك • لانه خاف ان تقع الحرب وانت غايب عن ديارك • وهو الان في انتظاري وانتظارك •

قال سعيد بن مالك • وكان السبب في ذلك • ان قيسا بعد غياب عنتر • تنغص عيشهُ وتمرمر • واخذهُ القلق والضجر * وارسل العبيد في اثره • حتى ياتوهُ بخبره فساروا واذ لم يجدوه عادوا اليهِ واخبروهُ • وكان قد تقدم اليهِ بعض العبيد * وقال لهُ ايها الملك السعيد • اني اتيتك بخبر • احب اليك من نوادر البدو والحضر • وذلك لما ارسلتني في طلب عنتر • فسرت على الاثر • وقطعت البر الاقفر * واخذت اسال عنهُ الراحل والمقيم • حتى وصلت الى ديار بني تميم • فبت في حلة قوم يقال لهم بنو رياح • واقمت عندهم الى الصباح • فرايت عندهم مهر ادهم • محجل الاربع ململم • يقال لهُ داحس • كانهُ الليل الدامس * وهو لرجل من سادات العرب • قد اتصف بالجود والادب * يقال لهُ كريم بن وهب • فوحق الاله القادر * العالم ما في السراير ما رات عيني مثلهُ في خيل جميع العشاير فتعجب قيس من صفته غاية العجب • وتحسر قلبهُ عليهِ وتلهب •

قال الاصمعي وكان هذا المهر * اعجوبة من عجايب الدهر .
وكانت امهُ مُهرة يقال لها حلوى وابوه جواد يقال له عقاب .
وبهِ تضرب الامثال في قبايل الاعراب . ولم يكن مثلهُ عند
الاكاسرة * ولا تبابعة اليمن ولا المناذرة . لانه جاز عن حد
الصفات . ووصفته الابطال والسادات . واكثروا فيهِ المقالات
قال ولما سمع الملك قيس بصفتهِ . تعلق قلبه بمحبتهِ * وارسل
الى صاحبه يقول . مع رسول . اني قد سمعت بخبر حصانك
واريد من فضلك واحسانك . ان تبيعني اياه . وانا اعطيك
مهما طلبت من المال سواه . فمضى الرسول الى كريم بهذه الرسالة
وبلغه هذه المقالة . فصعب ذلك عليهِ . وكبر لديهِ * وخفق
فواده واضطرب . من شدة الغيظ والغضب * وصرخ من قلبٍ
قد احرقهُ اللهب . والله ما قيس الا رجلا قليل الادب . ايظن
اني تاجرا ابيع الخيل مثل بعض العرب . او يظن اني لا اركبها
اصلاً او اني لست لها اهلا فوحق من ارسى شوامخ الجبال وقدر
الارزاق والاجال * لو ارسل يطلبه مني على سبيل الهدية
والمحبة الاخوية كنت ارسلتهُ اليهِ في الحال * ومعه قطعة من
النوق والجمال . واما على سبيل البيع والشرا فهذا شي لا يكن
ابدا . ولو سقيت كوس الردى * فلما سمع الرسول منه ذلك
الخطاب . رجع على الاعقاب واعلم قيسا بذلك الجواب * فزاد
بقيس الهيمان . واشتغل فواده بالنيران . وقال اكون ملك

بني عبس وعدنان . وفزارة وذبيان * ومرة وغطفان .
واطلب حاجة فما نقضى . فوحق من اوسع اقطار الفضا *
لاخذن المهر قوة واقتداراً * واضرم في قلب صاحبهِ نارا * ثم
انه في عاجل الحال . صاح على الفرسان والابطال * ومن
يعتمد عليهم من الرجال . وامرهم باخذ اهبة القتال * فامتثلوا
الى ما امر * وفعلوا كما ذكر * وما تنصف النهار حتى خرجت
الشجعان . وتلاحقت الفرسان . وهم قد غاصوا في السلاح *
واعتقلوا بالرماح وركب الملك قيس في الف فارس نجاح *
وسار بهم يقطع الروابي والبطاح . حتى اشرفوا على حي بني
رياح . فراوا نعما لا تحصى وخيرات لا تستقصى * والقوم امنون من
نوايب الزمان * غافلون عن طوارق الحدثان . وليس في
الحي الا قليل من الفرسان . لان كريا كان غايبا عن الاوطان .
فقال قيس يا بني عمي دونكم وهذه القبيلة . فان اموالها كثيرة
غير قليلة * ثم انهُ زعق في اوايلهم وهجم * بقلب اقوى من الحجر
الاصم * وتبعته الفرسان والابطال * مثل اسود الدحال
فساقوا النوق والجمال . واخذوا ما وصلت يدهم اليهِ من الاموال
ونفايس الاحمال . وقتلوا الرجال . وسبوا النسا والاطفال
هذا وقد عظم المصاب . وخاضت في بطون القتلى
حوافر الدواب . وكثر من النسا البكا والانتحاب . وكان
داحس مقيد بين الاطناب * لان كريا لما خرج من حلته

مع فرسان عشيرته . يطلب الغارة والمكسب . من بعض قبايل العرب . ترك الجواد في الديار . خوفا عليه من الدمار . لانهُ كان عنده كالدرة اليتيمة . واعز من مالك وعقيل عند جذيمة . ولما ابصر العبد المتوكل بالحصان . ماجرى وكان . تقدم مسرعا اليه . واراد ان يفك القيد من رجليه . فلم يقدر عليه . فركبهُ وهو مقيد . وقد غلب عليه الكمد . واطلق له العنان فمر به مر البرق وفت اللمعان . وفي دون لمح البصر . غاب عن النظر . وامن عليه من الخطر . وكان الملك قيس قد ابصره وعرفه . فزاد به شغفه . وتعجب منهُ كل العجب . وتحسر قلبهُ وتلهب . وجد وراه في الطلب . حتى دنا منهُ واقترب . وصاح فيه على رسلك ياولد العرب . قف قليلا واسمع خطابي . ورد على جوابي . فقال قل ما بدا لك حتي اسمع مقالك . فقال اتبيع هذا المهر يا بن الاطايب . فقد وقع له من يشتريه من سادات الاعارب . فقال ما ابيعهُ الا برد الغنيمة . ويعز علي ان انزل عنهُ بهذه القيمة . ولا تظن انك في هذا الشرا خاسر . لا وحق الاله العالم ما في السراير لان هذا القدر لا يسوا شعرة منهُ ولا قلامة الحافر . لانهُ لا يوجد احسن منه ولا احلا . بين خيول الملا . ولو وزنت فيه مل الارض ذهبا ما غلا . قال قد اشتريته منك واعطيتك ذمامي . وانا عند قولي وصدق كلامي * فلما سمع العبد منه ذلك الخطاب . انعم واجاب . ونزل عنهُ وفك

القيد من رجليهِ . وسلمه اليهِ . فركب قيس ذلك الجواد وقد
طاب منه الفواد . ونال غاية المراد . وامر بنو عبس ان يردوا
السبايا والاموال * ورجع من وقته الى الاطلال . وهو في غاية
الفرح والسرور . والغبطة والحبور .

قال ووصل خبر داحس الى بني فزارة الاوغاد . فاشتعلت في
قلب حذيفة نار الانقاد . ومثل ذلك جرى على الربيع بن زياد
واراد حذيفة ان يرسل بعض من عبيده الاجواد * ليقتل له
ذلك الجواد فنهاه الربيع * عن ذلك الصنيع . وقال له من
الراي ايها البطل الهمام ان تصبر برهة من الايام . حتى يكون
الملك قيس قد سلاه ومله . وبعد ذلك ارسل له من يقتلهُ *
فاجابه الى سواله . وامتثل الى مقالهِ .

قال نجد بن هشام . واتفق بعد ذلك بخمسة ايام . ان حذيفة
عمل وليمة عظيمة . لها قدر وقيمة * وكان من جملة المدعوين
من السادات المعتبرين . ابن عم الملك قيس قرواش بن هاني .
الذي اتصف بالفصاحة ورقة المعاني . لانه كان قد قصد
ديار بني فزارة . على سبيل النزهة والزيارة * فاستدعاه حذيفة
الى وليمتهِ . وقابله بما يليق بحشمتهِ . ولما فرغوا من اكل
الطعام . اخذوا في شرب المدام * وبعد ذلك جرى بينهم ذكر فرسان
الجاهلية . الذين اتصفوا بالشجاعة والفروسية . وانتشر صيتهم
في بلاد العربية . ولما انتهوا من احاديث الفرسان . وما لهم

Digitized by Google

من المواقف في معامع الطعان . دخلوا في ذكر الخيول الحسان
وسباقها في البراري والكثبان * قال قرواش ايها السادات
الكرام . انه لا يوجد اليوم عند احد من الملوك العظام . اسبق من
جواد ابن عمي داحس . ولا اجود منه لمن يفاخر وينافس *
لانه اعجوبة لمن يراه وشهوة لمن اشتهاه . وما زال يبالغ في وصف
ذلك الجواد . حتى تفطرت من بني فزارة الاكباد وقال له حمل
بن بدر بسك يا قرواش . تتحدث في كلام لاش في لاش .
فوحق البيت الحرام . وما عليه من الالهة والاصنام . انه لا
يوجد على وجه الصحرا * اجود من خيولنا الغبرا . ولا اسبق من
فرس اخي حذيفة الغبرا . التي شاع ذكرها في كل مكان .
وحسدته عليها الملوك والفرسان . ثم انه بعد هذا الكلام . صاح
على من حوله من العبيد والخدام . وقال لهم يا اولاد الزواني *
اعرضوا خيلنا على الامير قرواش بن هاني . حتى ينظر اليها
بعين الاختبار . ولا يبقى لفرس ابن عمه عنده قيمة ولا مقدار .
فامتثلوا الى ما امر * وفعلوا كما ذكر . وفي اقل من لمح البصر *
جاوا بالخيول النفايس * وهي تنجلي كالعرايس في الفخر الحلل
والملابس وكان من جملتها فرس حذيفة الغبرا وجواده واصل
وبها تضرب الامثال في جميع القبايل . فعند ذلك قال حذيفة
لقرواش يا ابن الافاضل ۞ كيف رايت هذه الخيول الاصايل
فقال قرواش والله يا ابا حجار * هذه الخيل ما تسوي عليقها ولا

Digitized by Google

تصلح للفخار. قال حذيفة وقد استشاط غيظا وغضبا. واضطربت نار حميته وتاججت لهبا. لقد خرجت عن الصواب * وكذبت في هذا الخطاب. اتراهن عن ابن عمك قيس على سباق داحس والغبرا فقال اراهنك وحق صاحب المشية والقدره

قال نجد بن هشام * ثم انهما تلاججا في الكلام. ووقع بينهما النفور والخصام * وكان حذيفة قد بغي وتكبر. واستطال بالكلام على قرواش وتجبر * فقال قرواش وقد استعظم الامر واشتعل فواده بلهيب الجمر * والله لقد غرك الطمع يابن بدر. وما دام ان الامر انتها على هذا الحال. فلا بد لي ان اراهنك بين هذه الرجال. حتى يظهر الصدق من المحال. ويكون الرهن بيننا على عشرة من النوق * ياخذها السابق من المسبوق. قال حذيفة قد اجبتك وحق ذمة العرب الى هذا الطلب. * ثم انهما تعاهدا على الرهان. واشهدا عليهما الفرسان. ومن حضر من الاقران في ذلك المكان.

قال الراوي. ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح. ركب قرواش جواده وسار. وجد في قطع القفار. فوصل الى حلة بني عبس عند نصف النهار * ودخل على الملك قيس وحدثه بما جرى. واعاد عليه جميع ما تم وطرا فصعب ذلك عليه. وكبر لديه. وقال لقد اخطات في عقد هذا الرهان. فوحق ذمة العربان * ان تم هذا الشان. وقعت الفتنة بين بني عبس وعدنان

Digitized by Google

وفزارة وذبيان * على ممرّ الزمان . ثم ان قيسا في عاجل الحال . ركب في جماعة من الابطال * وجد في قطع الهضاب فوصل الى بني فزارة قبل الغياب . فوجد القوم في الخيام * وهم في شرب مدام . وسماع انغام . وبين ايديهم موايد الطعام فنزل عن جواده وتقدم اليهم * وسلم عليهم . فلما راوه وقفوا اجلالاً له واكراما . وتعظيما لقدره واحتراما * واجلسهُ حذيفة بجانبهِ في صدر المقام . وباسطهُ بالكلام . وزاد لهُ في التوقير والاكرام . ولما قر بهِ القرار . الحّ عليهِ في الاكل وشرب العقار فامتثل الى ما بهِ اشار * واخذ يتناول الطعام باللقم الكبار . وفي قلبهِ من من ذلك الامر لهيب النار . فقال له حذيفة على سبيل المزاح * وقد لعبت براسهِ نشوة الراح . ياقيس ما اكبر لقمك ابعد الله عنا نقمك . فوحق الركن والحجر * والهبل الاكبر . لو علمنا انك جايع ما عزمنا عليك . ولا قدمنا زادنا الى بين يديك قال قيس اعلم ايها الامير والسيد الخطير اني ما اتيت لاجل اكل الطعام . وشرب المدام . وما اتيت الى هذا المكان * الا حتى ازيل الرهان . خوفا من البغي والعدوان . وهلاك الابطال والفرسان . لان ليس وراهُ الا خراب الديار * وقلع الاثار . فلما سمع حذيفة كلامه . زاد ابتسامه . وقال وحق الملك الخلاق الذي قدر الاجال والارزاق . اني لا ازيله الاّ باخذ الجمال والنياق * الذي وقع عليها الاتفاق . وحينئذ اكون مخيرا في امر

السباق * فان شئت اخذتها بسيفي قهرا ورغما . وان شئت
تركتها عفوا وحلما * فقال قيس دع عنك هذا الامر ولا تدخل
في الحماقة يا ابن بدر * قال اني لا ارجع عنه * ولا بد لي منه *
الا ان كنت تعطيني النوق * وتشهد على نفسك بانك المسبوق
وكان قيس كلما تلطف معه في الخطاب يجيبه حذيفة
باغلظ جواب . وكان الحاضرون كلما راوا قيسا يذل لحذيفة
ويخضع بين يديه * يستهزئون به ويضحكون عليه * فلما ابصر
قيسا الى تلك الحال . خرج عن دايرة الاعتدال * واشتعل
فواده بلهيب النار وتخبل في امره وحار وهانت عليه الامور الكبار
وقال لحذيفة يا ابا جبار . لقد افتريت في كلامك * ولم تقدر
عواقب ايامك . اتظن اني اخاف من تهديدك . او اخشى من
وعدك ووعيدك . فوالله اني ما قصدت ترك الرهان . الا خوفا عليك
من الهلاك والقلعان . لان عاقبته ذميمة . ونهايته غير مستقيمة
ومادام الامر على هذا الحال . فقد اجبتك الى ذلك السوال
غير اني ارفض ذلك الرهن الذي انعقد * واعقد معك رهنا
جديدا يكون عليه المعتمد . وهو ان يكون السباق . على عشرين
من النياق . فقال حذيفة هي ثلاثون فاني قيس وقال هي
اربعون . قال حذيفة هي خمسون * فقال قيس هي ستون *
وما زالا يتزايدان . امام السادات والفرسان . حتى بلغ بها
قيس الى مائة من النوق . ياخذها السابق من المسبوق . فعند

ذلك قال قيس يا ابا الجار* اطلب لنفسك ما تحب وتختار* فقد عقد الرهان . وشهدت علينا السادات والفرسان * قال اريد ان نضمر الخيل* اربعين يوما في النهار والليل . حتى يبطل العتب والملام . ولا يبقى المسبوق عذر ولا كلام . وبعد ذلك يصير اطلاق الافراس . في حضور الناس* وتكون مسافة الميدان مائة غلوة من دون زيادة ولا نقصان* والفرس الذي يرد اولا غدير ذات الاصاد يكون السابق . فقال قيس قد اجبتك وحق الاله الخالق . الذي لا تدركه ابصار الخلايق . فعند ذلك ضجت السادات والفرسان . خوفا من وقوع الشر والعدوان . وقالوا والله ما كان جواد قيس الا مثل ناقة البسوس * وان تم هذا الامر المنحوس * صرنا مثلا بين القيام والجلوس . ثم التفت على حذيفة رجلا من مشايخ العرب . اصحاب المناصب والرتب * وكان عالي الهمة كثير الادب قد طاف المشارق والمغارب * ومرت به انواع التجارب . يقال له اياس بن غالب * وقال والله يا حذيفة لقد افتريت في الكلام . ولم تقدر عواقب الايام فارجع ودع عنك الرهان* فاني اخاف عليك من نوايب الزمان وطوارق الحدثان . ثم انه بعد هذا المقال . انشد وقال

حذيفة ما فيك من هجنة ... ولا في طهارة قيس دنس

لان له بسطة في الامور ... تسود به قومه ان جلس

فراهن لمن ليس في ملكه ... جواد ولا لابيه حزام فرس

ودع عنك قيسا فقيس له عنا نجم اخاذة بالنفس
ولاسيما داحس في الرهان فان شاء طار وان شاء حبس
جواد اذا سار تحت الغبار رايت حوافره كالقبس

فقال حذيفة اني لا ارجع عن رهاني * بعدما رهنت لساني ‪.‬ ولا بد لي من اخذ الجمال والنياق ‪.‬ التي وقع عليها الاتفاق فلما سمع قيس منه هذا الكلام ‪.‬ صار الضيا في عينيه كالظلام وارتد راجعا الى الديار ‪.‬ وفي قلبه لهيب النار ‪.‬

قال نجد بن هشام ‪.‬ ولما وصل الى الخيام ‪.‬ امر العبيد بتضمير الجواد ‪.‬ وان يجتهدوا في خدمته غاية الاجتهاد ‪.‬ ثم انه ارسل ذلك العبد كما تقدم الايراد ‪.‬ ليكشف له خبر عنتر بن شداد فامتثل وسار ‪.‬ وجد في قطع القفار ‪.‬ الى ان التقى بعنتر في البر الاقفر ‪.‬ واخبره بما جرى وكان من حديث الرهان ‪.‬ وقال له قد ارسلني مولاي قيس حتى اكشف اخبارك ‪.‬ لانه خايف من وقوع الفتنة وانت غايب عن ديارك ‪.‬ وهو الان في انتظارك ‪.‬

قال نجد بن هشام ‪.‬ ورجعنا الان الى سياق الكلام * فلما سمع عنتر من العبد ذلك الخطاب جد في قطع الهضاب ‪.‬ فوصل الى بني عبس قبل الغياب ‪.‬ ودخل على الملك قيس وسلم عليه ‪.‬ وقبل الارض بين يديه ‪.‬ فلما راه الملك قيس فرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر ‪.‬ وقال له اهلا وسهلا يا حامية عبس وعدنان * وفارس فرسان هذا الزمان ‪.‬ ثم ساله عن

قصته . وما جرى له في سفرته . فحدثه بالقصة من اولها الى اخرها واوقفه على باطنها وظاهرها

ثم قال له ايها الملك العظيم الشان . قد بلغني ما جرى بينك وبين حذيفة من امر الرهان * فطب نفسا بهذا الاتفاق * ولا تحمل هم السباق لانك انت الظافر بالجمال والنياق . فقال الملك قيس اني خايف من عواقب الامر . لان حذيفة كثير الغدر . ولاسيما وعنده الربيع بن زياد . فهو يشير عليه بالخلاف والعناد . ويزيده في الضلال والفساد . ضلالا وفسادا ما عليهما من مستزاد . وقد قصدت بني فزارة في جماعة من الفرسان . وطلبت منهم ترك الرهان . خوفا من وقوع الفتن . وخراب الوطن . فما امتثلوا ولا اجابوني . بل ضحكوا عليّ واحتقروني . فطيب عنتر قلبه بحسن كلامه . ثم عاد الى خيامه . واجتمع بامه واعمامه

قال مجد بن هشام . وفي تلك الايام . وصل الى ديار بني عبس وعدنان . سنان بن ابي حارثة من عند الملك النعمان ودخل على الملك قيس وسلم * وجلس بين يديه وتكلم . وقال له ايها السيد المحترم . قد وقف الملك النعمان على جميع احوالكم وبلغه ان الحارث بن ظالم في اطلالكم * وقد اجرتموه عليه . وحلفتم له بان روسكم لا تطير الا بين يديه . فارسلني الان في طلبه . وقال لي لا ترجع اليّ الا به * ومن الراي الاصوب

ان تجيب النعمان الى ما طلب والا يرسل اليك طوايف العرب . ويحل بك الهلاك والعطب . فلما سمع قيس منه ذلك المقال . خرج عن دايرة الاعتدال وقال له انت تعلم ياشيخ الضلال بان الرجل قد قتل قاتل ابي * وبلغني غاية قصدي واربي * واني لا اقدر على مكافاته . الا بحفظه ومراعاته . فارجع من يومك وعد الى اهلك وقومك . وقل للنعمان باني قد اجرت الحارث بن ظالم . من جميع الاعارب والاعاجم . فقام سنان وركب جواده . وقصد دياره وبلاده .

قال الراوي . وكان قد بلغ بنو فزارة رجوع عنتر الى الاوطان . ومعه اموال لا تاكلها النيران فاستشاط حذيفة غضبا وتكدر عند سماعه ذلك الخبر . واجتمع باخيه حمل وقد اضطرب فواده واشتعل وقال له وحق ذمة العرب . وشهر رجب ان في قلبي من هذا العبد الزنيم . نار الجحيم . وقد حرت في امري ولا بد لي ان اشفي منه غليل صدري لان لولاه كانت بنو عبس تحت طاعتي وامري . فقال حمل وحق رب العباد ما بقيت تبلغ من قيس المراد . ما دام قد حضر عنتر بن شداد . لانه فارس الفرسان . ونادرة هذا الزمان . وقد ابصرت قتاله * وشاهدت اعماله * والصواب ان تزيل الرهان . خوفا من الشر والعدوان . وبعد ذلك ننتظر لذلك العبد العرضيات * ونغتاله في بعض البراري والفلوات . وان كنت تريد السلام

Digitized by Google

وعلو الجاه ورفعة المقام * ارسلني الى قيس حتى اظهر له النصيحة * واحذره من العار والفضيحة . واحوجه ان ياتي اليك بنية صحيحة ويسالك ترك الرهان . امام السادات والفرسان . و بذلك يرتفع قدرك . ويعظم امرك . ويزداد بين الناس فخرك . ولا تتعرض لرجل مسعود . فتموت مقهور مكمود . ويشمت بك كل عدو وحسود .

قال الراوي . وما زال حمل يخدع اخاه بمثل هذا الخطاب . حتى انعم واجاب . وبعد ذلك ركب وسار . حتى وصل الى بني عبس وتلك الديار . فدخل على الملك قيس وجلس بين يديه وتكلم . وقال له انت تعلم ايها السيد المحترم . والليث الغشمشم ان اخي حذيفة قبيح الخصال . مذموم الفعال . لا يقدر العواقب ولا يخشى حاول النوايب . وما اتيت الى هذا المكان الا لاصلاح الشان . و فسخ عقد الرهان خوفاً من البغي والعدوان . والهلاك والقلعان فان اجبتني الى هذا السوال . وبلغتني الامال بحسب الك ذلك من جملة الحلم والافضال والا خربت الديار والاطلال وضربت بنا الامثال . ما دامت الايام والليال *

قال فلما سمع الملك قيس كلام حمل . اجاب وامتثل . لانه كان كريم الاصل . قد اتصف بالحلم والفضل . وقال وحق ذمة العرب . لم يكن لي في هذا الرهان من ارب . لاني اعلم انه يودي الى الخراب والعطب . وانما كثرة القيل والقال . اوجبت تلك

Digitized by Google

الفعال . وها انا قد اجبتك الى سوالك . وامتثلت الى مقالك
ثم ان قيسا ركب وسار مع حمل . واخذ في صحبته عمه الامير
نهشل . وقصد ديار بني فزارة على عجل . ولما تبطنوا الفلوات
اخذ حمل يمدح الملك قيس ويذم اخوه حذيفة بهذه الابيات

يا قيس ان مع الرهان لحاجة . فيها الوبال وفعلها مذموم
اني اخاف على اخي من شومه . يلقي كما لاقى الفتى كلثوم
جاري اخاه على المعالي فانثنى . وهو الشقي وانفه مرغوم
انت المويد في الامور جميعها . وهو الذميم وانت خير كريم

قال الراوي وما زال حمل يذم اخاه حذيفة نظما ونثرا . ويمدح الملك قيس سرا وجهرا . حتى تعجب كل من معه من الرجال وما زالوا يقطعون الروابي والتلال * حتى وصلوا الى بني فزارة قبل الزوال .

قال الراوي وكان سنان بن ابي حارثة لما خرج من ديار بني عبس وعدنان . وهو غضبان . اطرق منكرا . وبقي متحيرا * وقال لاصحابه قد عولت ان اقيم في بني فزارة . اعلي ان ارجع بعد هذه الاهانة والخسارة . وادبر على بني عبس ايشم التدبير * واقلع منهم الكبير والصغير * واما انتم فسيروا الى ارض العراق . وحدثوا الملك النعمان ان يجمع العساكر من ساير الافاق * ويرسلها لقتال بني عبس وعدنان * وعنتر الكشخان ثم انه قصد ديار القوم من ذلك اليوم * واجتمع بالربيع وحذيفة

Digitized by Google

بن بدر * وحدثهما بذلك الامر فلما سمع حذيفة منه ذلك المقال قال اذا كان الامر على هذا الحال . فقد بلغنا الامال . وحظينا بالنوق والجمال . ثم ان حذيفة حدث سنان . بما جرى بينه وبين قيس من امر الرهان . واعلمهُ ان اخاه قصد ديار بني عبس وعدنان . لاجل اصلاح الشان . فقال سنان . اني اشير عليك ايها السيد المنصان . ان لا تجيب الملك قيس الى ترك الرهان * لبينما تكون اصحابي وصلت الى عند الملك النعمان . وسوف ترى ما يحل ببني عبس من الذل والهوان . فاستحسن حذيفة رايهُ واستصوبهُ . واعجبهُ واستنسبهُ *

قال ولما وصل قيس الى ديار بني فزارة كما سبقت الاشارة ابصر الى سنان . وهو جالس بين السادات والفرسان . والى جانبه حذيفة والربيع بن زياد . وجماعة من اكابر القواد * فنزل عن ظهر الجواد . وتقدم اليهم . وسلم عليهم . فلما راه حذيفة اظهر الضجر والملل . وصاح على اخيه حمل * ويلك يا قرنان . من هو الذي اشار عليك ان تاتي بالرجل الى هذا المكان * فوحق ذمة العربان . لو سالني كسرى انوشروان . في ترك الرهان . ما اجبتهُ الى هذا السوال . ولا بد لي من اخذ النوق والجمال .

قال نجد بن هشام . فلما سمع قيس منه هذا الكلام . الذي هو اشد من ضرب الحسام . اعتراه الخجل . واضطرب فواده واشتعل وعاد الى ظهر جواده بعد ما كان نزل . وجد في قطع القفار . حتى

Digitized by Google

وصل الى الديار. فوجد قومه له في الانتظار. وهم من اجله على مقالي النار. فلما ابصروه. تقدموا اليه وعنفوه. وقالوا والله لقد جهلت بمسيرك مع حمل ابن بدره الى قوم قد اضمروا لك الشر والغدر. وهذا الحديث ان سمعه بعض اعداك لامك على فعلك. واستخف بعقلك فقال وحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم. ما فعلت الا فعل الرجل الكريم. الذي يقدر عواقب الزمان. ويطلب سلامة الاهل والخلان. ثم انهم افترقوا بعد ذلك الكلام الى المضارب والخيام.

قال ولما انقضى الاجل وانى الميعاد اجتمع قيس وحذيفة على غدير ذات الاصاد وانتخبا لهما راكبين. من رجال القبيلتين. ليركبا داحس والغبرا. ويطلقاهما في تلك الصحرا *

قال سعيد بن مالك. فبينما هم على مثل ذلك اذ اقبلت بنو ذبيان. وفرسان بني غطفان * لانهم كانوا قد سمعوا بخبر الرهان * فقصدوا ذلك المكان. لاجل الفرجة على السباق. والوقوف على من يفوز بالجمال والنياق. وكان الملك قيس قد اوصى عنتران يقيم في الاطلال هو ومن يلوذ به من الابطال خوفا من اسباب الشر. ووقوع النكد والضر. فاجابه الى سواله. وامتثل الى مقاله ۞ وصبر حتى خرج الملك قيس بباقي رجاله. فعند ذلك تقلد بحسامه الابتر. وركب جواده الابجر. وطلب البر الاقفر. وسار شيبوب بين يديه كانه

الاصل الاغبر حتى ادرك الناس فلما راوه امسكوا عن اطلاق الافراس وعند وصوله اليهم وقدومه عليهم . نادى معاشر العرب من عدنان وسادات بني عبس وغطفان * وفرسان فزارة وذبيان . وكل من قد حضر في هذا المكان * انتم تعلمون باني صنيعة الملك زهير بن جذيمة . صاحب الفضل الواسع والاخلاق الكريمة * وهو الذي الحقني با لنسب * وترك لي المنزلة الرفيعة عند سادات العرب اهل المناصب والرتب * ولكنه لم يعش حتى كنت اجازيه * وعلى بعض صنيعه اكافيه * واترك ملوك العرب تطيعه وتهاديه وقد عاندني فيه الزمان . وطرقته طوارق الحدثان . وقد خلف هذا الولد العبسي * وهو الملك قيس فدته نفسي . الذى فاق على اقرانه وافتخر على ابنا زمانه . بفضله واحسانه ووفور عقله وحسن بيانه وما انا الا عبده من جديد وقديم . وبه اعتز في كل هول عظيم وما اريد ان اكون في قيد الحياه . واراه يذل لاعداه والان فقد حكم الملك الخلاق * بهذا السباق . وانا اقسم با لبيت الحرام * وزمزم والمقام . والرب الباقي علي الدوام * الذي لا يغفل ولا ينام . اين تعدى حذيفة وظلم * لاسقينه بسيفي كوس النقم . ولا جعلن بنو فزارة حديثا اسايرالامم واقيم الحرب على ساق وقدم .

قال مجد بن هشام . فلما انتهى عنتر من هذا الكلام . ضجت الفرسان من كل جانب . وكثر الكلام بين الاهل والقرايب

Digitized by Google

وكان حذيفة قد انتخب لحجرته رجلاً من بني ذبيان . يقال له مالك بن سنان . وانتخب الملك قيس لجواده داحس رجلاً من بني عبس الاشاوس * اسمه سابق بن حابس . فلما صار كل واحد منهما على ظهر فرسه . اقبل قيس على صاحبه الذي اختاره لنفسه * واوصاه بالجواد * خوفا من شماتة الاعدا والحساد وانشد وقال

لاترسلن له العنان كله ... وان علاه عرق وبله
وامسح بساقيك واحسن سله ... انك ان اتعبته تمله

فلما سمع حذيفة من قيس ذلك المقال . اوصى صاحبه بفرسه الغبرا وانشد وقال

لاترسلن لها العنان كلها ... وان علاها عرق وبلها
وامسح بساقيك واحسن سلها ... انك ان اتعبتها تملها

قال فلما سمع عنتر شعر حذيفة تبسم * وقال وحق البيت الحرم . لقد سبقت يا ابا جبار * واخذت نوقك الابكار * لان قوافي الشعر ما قلت . ولا معاني الكلام اضمحلت . حتى قلت شعر الملك قيس نفسه . وهذا ما يدل بان فرسك تابعة فرسه فلما سمع حذيفة كلام عنتر . طار من عينيه الشرر واخذه القلق والضجر . وحلف بخالق الارواح * ورازق الاشباح انه لايسابق الا عند الصباح * وما اراد بذلك المقال * الا ليدبر لداحس ابواب المحال

قال الراوي وكان ذلك اليوم قد انقضى اكثره. ولم يبق الا ايسره ولما سمعت العرب ذلك الخطاب عولت على الانصراف والذهاب * واذا بشيبوب اخو عنتر. صاح بصوته المجهر. هيا يا بني عبس وعدنان. وفزارة وذبيان * ومرة وغطفان. ومن حضر في هذا المكان من السادات والفرسان. امهلوا على القايل واسمعوا مني كلاما يشفي الغليل. ويبقى ذكره جيلا بعد جيل فوقفت الابطال * واجتمعت من حوله الرجال. وقالوا قل ما نشا يا ابا رياح. لعل ان يكون في كلامك السلام والصلاح فقال ايها السادات والامراء. ها قد سمعتم اليوم ما جرى في مسئلة السباق بين داحس والغبرا * ومرادي الان ان اراهن في محضر اجمعين باني اسبق الفرسين. ولو طار كل واحد منهما بجناحين. ولكن بشرط ان فزت بالسباق. اخذت الجمال والنياق. التي وقع عليها الاتفاق * وان كنت المسبوق. اعطي خمسين من النوق. فقال له بعض مشايخ العرب * وقد تعجب من كلامه غاية العجب. ويلك ان سبقت تكون قد بلغت الارب وان سُبقت تعطي نصف الطلب * فما هو السبب. قال شيبوب اعلم ايها السيد المنتخب. اني اجري على قدمين والخيل تجري على اربع قوايم وذنب

قال فتضاحكت من مقاله الابطال. وتعجبت من شرطه جميع الرجال. واجابوه الى ما ندب نفسه اليه * وطلبوا الفرجة

من دون الخيل عليه. ثم انهم بعد ذلك الكلام ارتدوا الى المضارب والخيام. هذا وعنتر يقول لشيبوب ايها الاخ المحبوب. ما هذا الرهن الذي عقدته والشرط الذي اشرطته اتقدر على سباق الفرسين وقد شهدت بسرعة جريانهما اهل الثقلين. فقال لا بد لي من ان اسبقهما ولو طار كل واحد منهما بجناحين فاذا سبقتهما نلت الشرف الاكبر وانتشر صيتي واشتهر في قبايل ربيعة ومضر. وهابتني فرسان البدو والحضر.

قال الراوي واما ما كان من حذيفة بن بدر. معدن الخبث والغدر فانه لما عاد الى المضارب. وقلبه من شدة الحزن لاهب استدعى بعبد له يدعى حابس بن غالب. وكان شجاعا جريا وجبارا قويا. وقال له سر في هذا الليل. واكمن في حفرة على طريق الخيل فمتى طلع النهار. وانبسطت الشمس في جوانب الاقطار. اجعل بالك على الفرسين وكن لهما رامقا. فان جا داحس سابقا * الطمه في وجهه وبين عينيه. وردّه عن الغاية حتى تتقدم الغبرا عليه. لاني اخاف ان يسبق الغبرا. فابقى معيرة عند عرب الصحرا. فامتثل العبد امر مولاه * وفعل كما اوصاه.

قال ابو عبيدة. ولما اصبح الصباح. واضا بنوره ولاح. اجتمع بنو فزارة وذبيان. وسادات بني عبس وعدنان. ومن جاورهم من الاصدقا والخلان. الى ذلك المكان. حتى ازدحم

Digitized by Google

الميدان * من كثرة الرجال والفرسان. والمشايخ والشبان
فعند ذلك ركبت الامنا . ظهر داحس والغبرا . ودقا جنبيهما
بكعبيهما . وصاحا بين اذنيهما . فمرا بهما مر البرق الخاطف .
او الريح العاصف * وفي دون لمح البصر . غابا عن النظر *
وكان داحس قد تاخر من شدة الكر . وتقدمت عليه الغبرا في
ذلك البر . فسر الفزاري بذلك وانشرح * وصاح على العبسي
من شدة الفرح * وقال له سبقت يا اخا عبس . فعزي نفسك
بعد هذا اليوم بالتعس والنكس . فقال العبسي وقد زاد به
القلق . وتحسر قلبه واحترق من شدة الغيظ والحنق * كذبت
يا اخا فزارة . فسوف تبصر بمن تقع به الخسارة * فاصبر حتى
نقطع هذه الحجارة . لان الاناث تعمل في الحصا * ما لا تعمله
في الوطا * ثم انه قوي جنانه . وصاح في داحس واطلق له عنانه
فمر به اسرع من الطير الطاير . وخيل لراكبه انه على ظهر
الفلك الداير . فقطع تلك الصحراء وظهر غباره امام الغبرا
بعد ما كان قد تاخر للورا فنادى العبسي للفزاري وافرحاه بعد
ترحاه . هل لك من حاجة الى بن بدر . فتجرع الان من وراي
مرارة الصبر . وكان شيبوب قد جد في السير . وسابق بمسيره
الطير . وهو يعدو بجانب داحس جواد قيس بن زهير *
قال الراوي وكان العبد دامس . الذي اكمن لداحس .
لما راه قد اقبل في تلك الفلاه . وسبق فرس مولاه . تقدم اليه

وفاجاه * ولطمهُ لطمة عظيمة بين عينيه * كادت ان تقضي عليه . فطاش الجواد من تلك اللطمة وانصرع . وتاخر حتى كاد ان يقع . وابصر شيبوب ذلك الامر . فاشتعل فواده بلهيب الجمر . وعلم ان ذلك من تدبير حذيفة بن بدر . فوثب على ذلك العبد وثبة الفهد . وطعنه بالخنجر في صدره فشق امعاه . واعدمه الحياه . وهمَّ ان يعود الى داحس ويحسن فيه المداراه * واذا بالغبرا قد مرت مثل عواصف الرياح . وهي طايرة في ذلك البر من غير جناح * فخاف شيبوب من الانعواق ولان يثبت عليه رهن السباق . وتوخذ منهُ الجمال والنياق . فطلب عرض الفلا وجد في المسير * وسابق بمسيره الطير الذي يطير . حتى اقبل على الغدير * واقبلت بعده الغبرا وداحس في الاخير * واثار اللطمة بين عينيه . ودموعه جارية على خديه وكانت السادات والفرسان . ومن حضر في ذلك المكان قد تعجبوا عند قدوم شيبوب الاسد الوثوب * واندهلوا من شدة جريانه * وقوة عصبه وجنانهِ . ولما اقبلت الغبرا ارتفع من بني فزارة الصياح . وبدت عليهم وسايم الافراح . واقبلوا بصراخهم نالك البطاح . واخبر شيبوب الملك قيس بحديث داحس وما جرى عليهِ من العبد الداهس . فلما سمع منهُ ذلك الخبر . طار من عينيه الشرر . وكادت مرارتهُ ان تنفطر . وقال وحق الركن والحجر . ومن طاف بالبيت . واعتمر من امة ربيعة ومضر * ما

كانت هذه اللطمة الاثمة على بني فزارة وسوف يحل بهم النكال ويعود ربحهم الى خسارة ٠ لان حذيفة لم يطلب السباق مطمعا بالجمال والنياق ٠ وما قصد بذلك الا لفتح باب الشر ٠ ومعاطات اسباب النكد والضر ٠

قال مجد بن هشام . هذا وقد كثر الكلام ٠ وهاج الخصام حتى كاد ان يقع بينهم ضرب الحسام . فعند ذلك ترجلت المشايخ ودخلت بين الامرا والسادات . وكشفوا روسهم خوفا على البنين والبنات ٠ وهم يصيحون كفوا عن القتال ٠ والا حل بكم الوبال ٠ وصرتم احدوثة بين الانام ٠ على مدى السنين والايام ٠

قال وما امسا المسا حتى استلم شيبوب الجمال والنياق ٠ التي وقع عليها الاتفاق ٠ ورجع الملك قيس الى المضارب والخيام * وعنتر يسليه بالكلام . ولما اصبح الصباح * واضا بنوره ولاح ٠ نحر شيبوب النوق والفصلان . وعمل وليمة للسادات والفرسان ومن يلوذ بهم من الخدم والغلمان ٠ وانقلبت الديار بالافراح * ودارت على القوم الاباريق والاقداح ٠ واشرقت الاقطار بشرب كاس الراح . وبلغ الخبر الى بني فزارة * الطايفة الغدارة ٠ فاستعظموا ذلك الامر ٠ واجتمعت جهالها بحذيفة بن بدر ٠ وقالوا له ايها الامير . والسيد الخطير ٠ نكون من السابقين ٠ وتاكل اموالنا عبيد بني عبس المنافقين . فانفذ الى قيس وطالبه بحقك . فقد شهدت

سائر الرجال بسبقك ٠ فان اجاب وامتثل ٠ تكون قد بلغت الامل ٠ وان امتنع وابى اخذناها منه غصبا ٠ واثرناها عليه حربا فزاد بحذيفة الغضب ٠ واشتعل فواده من شدة الغيظ والتهب وصاح على ولده ندبة وكان يكنى بابي فراقة ٠ وقال له اذهب الى قيس بن زهير دون عاقة وقل له يقول لك ابي ادفع اليه سبقه سرا ٠ والا اخذه منك جهرا ٠ وفضحك بين العرب مرة اخرى قال الراوي وكان عند حذيفة في تلك الساعة رجل من مشايخ العشيرة ٠ قد اتصف بالفضل وحسن السيرة ٠ يقال له خميصة ابن عمرو فنهاه عن ذلك الامر وقال له زاد الله توفيقك وارشد طريقك ان قيسا لم يسبقك الى المراتب العلية ٠ والمناصب السامية ٠ وانما فرس سبق اخر فما في هذا من ضرر ٠ فوالله اني لا ارضى لك بهذه الفعال ٠ لانها نقص في العقل والكمال وما يوصف الانسان ٠ الا بالجود والاحسان * والعفو عند المقدرة والامكان * والراي ان تقتصر عن هذا اللجاج ٠ الذي يورث الهلاك والهياج ٠ لان مثل قيس يجب ان ينصف ولا يظلم ٠ وان سالمت فرسان بني عبس كان لجاهك اسلم ٠ فلما سمع حذيفة من خميصة ذلك المقال ٠ خرج عن دايرة الاعتدال ٠ وشتمه في حضور الرجال ٠ فوثب الشيخ على قدميه ٠ وخرج من امامه وقد صعب عليه وهو ينشد ويقول ٠ من فواد متبول

البغي شوم يا ابا تجار ٠ فتكانه كطوارق الاسحار ٠

الكتاب الخامس والثلاثون

من سيرة عنتر بن شداد العبسي

فاحذر مضاربهُ اذا جردتهُ ... وانصف ولا تلبس ثياب العار
واسال خبيرا عن ثمود واهلهِ ... لما طغوا وبغوا على الجبار
يخبرك كيف اتاهم في ليلة ... امرا من الله العزيز الباري
فابادهم تحت الظلام فاصبحوا ... بين الطلول شواخص الابصار

قال الاصمعي . فلما سمع حذيفة شعره لم يلتفت اليه . ولا عن اليه . لان البغي والعجب كانا لعبا بعطفيه . ثم التفت على ابنه في الحال . وقال له سر الى قيس وطالبه بالنوق والجمال ثم انه ركب وجد في السير * حتى وصل الى حي بني عبس ودخل على ابيات قيس بن زهير فلم يعثر به لان قيسا كان غايبا عن مضربه . ولم يكن هناك الا زوجته المدلله. فلما رائه قالت له . في اي شي اتيت . وما الذي تريد من صاحب البيت . قال اتيت ان اطالب زوجك بحقنا وان يعترف بسبقنا . فقالت واي حق لكم يا آل بدر * اما تختشون من عاقبة البغي والغدر . فارجع الان على عقبك . ولا تسعى في هلاكك وعطبك . واشكر الرحيم الرحمن . الذي لم تجد الملك قيس في هذا المكان والا

Digitized by Google

كان قتلك * وعجل من الدنيا مرتحلك . فلما سمع كلامها عاد على الاثر . وحدث ابوه بذلك الخبر . فاستشاط غضبا . واضرم فواده لهبا . وقال له ويلك يا لكيع * هل اقتنعت بكلام المدالله بنت الربيع . فعد الى قيس وقل له ان يدفع الي حقي ويعترف بين الناس بسبقي . قبل ان اثيرها عليه حربا . واخذ ما لي منه غصبا . فقال ابو فراقة ان النهار قد مضى . وزال وانقضى . فعند السحر اقصد ديار بني عبس . وادخل على قيس قبل طلوع الشمس . واطلب منه النوق والجمال . في حضور السادات والابطال . ولا ارجع الا ببلوغ الامال

قال الراوي فهذا ما كان من هولا وما تم لهم من الاخبار . واما ما كان من قيس فانه كان قد رجع الى ابياته في اخر النهار * وهو نشوان من شرب العقار . فلما ابصرته زوجته على تلك الحال صبرت عليه حتى صحي من المدام ثم حدثته بحديث ابي فراقة وما جرى بينها وبينه من الكلام * فزاد حنقه . وكثر قلقه . واطرق مفكرا . وبقي متحيرا . وبات تلك الليلة وهو في قلق الفكر * مشتغلا في هذا الامر

قال الاصمعي * ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . دخل عليه عنتر للسلام وفي صحبته جماعة من السادات الكرام . فراه في قلق وضجر . وهموم وفكر . فساله عن ذلك فحدثه بالخبر

Digitized by Google

فقال له لاتضيق صدرك . ولا تشغل فكرك . فوحق من سطح الغبرا ورفع الخضرا . وشرف الكعبة الغبرا * ان لم يرجع حذيفة عن هذا الامر . لامزقن شمل بني بدر . واقتل حذيفة القرنان ولوانه في حجر كسرى انوشروان * او الحارث سيد بنى غسان

قال مجد بن هشام . وما زال عنتر يحمس قيس بالكلام حتى زاد به الهيام * وهان عليه شرب كاس الحمام * واذا بابي فراقة قد دخل عليه . وتمثل بين يديه * وقال له يقول الك ابي ادفع اليه حقه وانت كريما . والا اخذه وانت ذليلا كظيما . فقال له قيس وقد اسودت الدنيا في عينيه . وكاد من الغيظ ان يغشى عليه . ويلك ثكلتك امك . وعدموك اهلك وبني عمك * هل بلغ من قدرك يانسل الكلاب * ان تخاطبني بمثل هذا الخطاب ثم طعنه برمح بين ثدييه . ابرز السنان من بين منكبيه . فانطرح قتيلا . وفي دمايه جديلا . فاوثقه عنتر عرضا على ظهر جواده واطلق الجواد الى ناحية ارضه وبلاده . وقد بلغ غاية مراده * وشفى غليل فواده . فسار به الجواد يقطع الطريق . وقد صار من الدما مثل الشقيق . ولما وصل الى المراعي وابصرته الرعيان اقشعرت منهم الابدان * واخذوه الى الحي من دون عاقة . وقالوا وحق الكعبة لقد قتل ابو فراقة * فتواثبت الرجال . وخرجت الابطال * ومزق حذيفه ثيابه * وعلا بكاه وانتحابه . وارتج الحي من الصياح * والعويل والنواح * وخرجت زوجته وهي تبكي

عليه وتنعيه وتنادي باسمه وترثيه . ومن حولها الحرايروالاما * وما فيهن الامن خضبت اوجهها بالدما هذا وحذيفة يدور بين المضارب وقلبه من شدة الحزن لاهب وهو يصيح من فواد قريح * وقلب جريح يالفزارة البدار البدار . لاخذ الثار . يابني عمي بادروني بالسيوف والقنا . واشفوا غليل فوادي ببلوغ المنى . وفعل سنان بن ابي حارثة مثل هذه الفعال . لانه كان كثير المكر والاحتيال فتناخت الابطال . وتبادرت الاقيال . واشهروا الصفاح وداروا من حول حذيفة بالسيوف والرماح ووعدوه انهم يفدوه بالنفوس والارواح . وركبوا في عاجل الحال . وساروا طالبين الحرب والقتال . ولم يبقى في الاطلال . الا النسا والاطفال . والمشايخ والعيال . وكان الربيع بن زياد . قد ندم على مجيه الى تلك البلاد * وقال اني لااقاتل قومي ولااقصد الاذية اليهم . ولا اكون لهم ولا عليهم . لان حذيفة كان قد مال الى سنان وترك مشورة الربيع بالكلية . واكثر له من الاكرام والعطية . فهانت نفسه عنده . وكثر قلقه ووجده . وعزم على الرجوع * الى ديار بني عبس وتلك الربوع .

قال الاصمعي وكان الملك قيس بعد قتله ابن حذيفة ايقن بالفتنة والحروب المخيفة . فاستعد للحرب . ومواقف الطعن والضرب . وامر العبيد ان تنادي على الابطال . باخذ اهبة القتال * فغاصت الفرسان في الحديد . وركبت الابطال

الصناديد . وركب الملك قيس وعنتر . في اول العسكر * وجدوا في قطع البر الاقفر . ولم يتخلف في الديار . الا النسا والاطفال الصغار . وكان من جملة المتخلفين . الحارث بن ظالم الاسد العرين . لانه قال اني لا اقاتل بني عمي . حتي يستقيم امري ويزول همي وغمي

قال الراوي والتقت بنو فزارة ببني عبس * عند طلوع الشمس * ولما تقابل الفريقان . والتقت حلقتا البطان * ارتفع الصياح وعلا . حتي ارتجت اقطار الفلا * وارهج البر من لمعان السيوف وبرق القنا * وعول عنتر ان يهرق الدما ويبذل السيف في بني فزارة وينزل بهم الفنا . ويشفي غليل الفواد . من الاعادي والحساد * واذا بحذيفة قد برز الى معركة الجلاد . ومقام الحرب والطراد . وهو لابس ثياب الحداد . ولما صار بين الصفين . واشتهر بين الفريقين * نادى برفيع صوته وقال . ويلك ياقيس ان قتل الاطفال . ليس بمحمود بين الرجال . انما صاحب الافضال * هو الذي يبارز الابطال . في معامع القتال ويرجع ببلوغ الامال . فلما سمع قيس منه ذلك المقال خرج عن دايرة الاعتدال . وقصد الى نحوه ومال بقلب اقوى من الجبال ورد عنتر عن ساحة المجال وصدم حذيفة صدمة الاسد الرئبال ثم انهما تقابلا وتصادما . وتناضلا وتلاحما وتطاعنا طعنا وافيا وتضاربا ضربا شافيا وما زالا على تلك الحال وهما في اشد قتال حتي خيم

عليها الغبار وحجبها عن الابصار ، وكانت بنو فزارة قد ايست من اميرها وسيدها ومشيرها * فعلت منهم الاصوات . وارتفعت الصجات واشهروا السيوف والرماح . وعولوا ان يحملوا على بني عبس بنيات صباح . فعند ذلك اقبل عنتر على عروة بن الورد وابيه شداد وقال لهما احملا على هولا الاوغاد . حتى نشفي منهم غليل الفواد قبل ان يحملوا علينا * ويوصلوا الينا

قال مجد بن هشام وما انتهى عنتر من هذا الكلام . حتى تقدمت مشايخ القبيلتين * وعقلا الطايفتين . واختلطوا بين الفرسان . وحذروهم من غدرات الزمان . وقالوا لهم كفوا يا بني الاعمام . عن القتال والخصام . بحق رب الانام * واتركوا عنكم الحجاج والعناد الذى يجدد الاحقاد . ويرمل النسا وييتم الاولاد . ويشمت بنا الاعدا والحساد فيكفينا ما للعرب علينا من الدما وما لنا في اقطار الارض من الغرما . وما زالت المشايخ تحثهم بالكلام . وتعنفهم بالملام * حتى خمدت نار الفساد . بعد ذلك الاتقاد * ورجع حذيفة وقيس عن القتال . وانفصل الحال . على ان قيسا يعطي دية ابو فراقة . ماية ناقة . فانعم قيس واجاب . الى ذلك الخطاب لانه كان قريب الرجوع . طيب الاصول والفروع . فاستشاط عنتر غضبا . واضطرم فواده لهبا . وقال ايها الملك الجليل * ما هذا الفعل الوبيل . انوخذ منا دية قتيل وسيف عزنا في ايدينا طويل * فلما سمع قيس من عنتر ذلك

الخطاب ندم على ما اجاب . هذا وحذيفة يسمع ويرى . وهو على ظهر فرسه الغبرا . فقال اسكت يا ابن الزنا وتربية الامة الخنا . ما الذي غرك ان تقول هذا الكلام * فوحق البيت الحرام . وزمزم والمقام . لولا حضور هولا الشيوخ الكرام . اهل الوقار والاحترام . كنت افنيتكم في هذه الايام . وتركت نساكم ارامل واولادكم ايتام . ايقتل قيس والدي . ومهجة كبدي . وتقول له لاتحمل دية . ولا تعطي فدية . فلما سمع عنتر خطابه غاب صوابه . وزاد التهابه . والتفت عليه وقال * وحق الاله المتعال الذي قدر الارزاق والاجال . وارسى شوامخ الجبال . انك اذل واحقر . من ان تقتل كلب من كلاب عنتر ولولا خوفي من حرمة هذه الاطفال . وكهولة هولا الرجال . كنت بينت لك اولاد الزنا من اولاد الحلال . واريتك الذل والهوان بحد هذا السيف اليمان . قال محمد بن هشام فلما سمع حذيفة منه هذا الكلام . الذي هو اشد من ضرب الحسام بان في وجهه الغضب * وعبس وقطب * وخفق فواده واضطرب . وقال لمن سعى في الاصلاح اني لا اصالح وحق خالق الاشباح . ولو نهبتني العدى بشفار الصفاح . فقال له اخوه حمل . لا تحمق ولا تجهل . اصلح امورك مع بني عبس . وغض النظر عما جرى بالامس لانهم جمرة العرب . ونخبة الادب . ومنتهى الفخر والشرف . لمن اقر بالفضل واعترف . وانت الذي تعديت . وظلمت وافتريت

وامرت عبدك دامس. ان يلطم جوادهم داحس . حتى رده عن طريقه . ولم يقتل ولدك الا من قلة سعده وتوفيقه. لانك انفذته اليهم . وطالبتهم بشي لا حق لك عليهم . وبعد ذلك فالصلح اسلم . ومن طلب الحرب وتعدى فقد ظلم . فاقبل الفدا . ولا تتعدى ولا تفتح علينا باب الشر . وتتعاطى اسباب النكد والضر . ثم انه بعد هذا المقال * انشد وقال

حذيفة ترك الحرب عنك مروة ... ولا سيما حرب الفوارس من عبس

وخلي جواد البغي لا تركبنه

فيلقيك في بحر من التعس والنكس

فدعهم لنا حتى اذا جارت العدى

علينا صباحاً بالمسومة العبس

وان كان قيس غادر في فعاله

فانت الذي علمته الغدر بالامس

قال الراوي فلما انتهى حمل من شعره ونظامه . شكرته سادات العرب على حسن اهتمامه . والزموا حذيفة باخذ الفدا وردوه عن الظلم والاعتدا . وعادت الابطال الى الديار . وقد خمدت تلك النار * وحمل قيس الى حذيفة ماية ناقة سود الحدق وعشرين راسا من الخيول السبق . واستقر بعد ذلك حال الناس وتمكنت القواعد على الاساس

قال محمد بن هشام * واتفق بعد ذلك بعشرة ايام *

خرج مالك بن زهير والامير عنتر . والحارث بن ظالم الاسد الغضنفر * طالبين الصيد والقنص * واوسعوا في جنبات الفلا لانتهاز الفرص الى ان حمي عليهم الحر * وهوجر البر فعدلوا عن الطريق وقصدوا وادي عميق وكان يقال له وادي الغضا . وماء القطا فراوا فيه قبيلة من فقراء الاعراب يقال لهم بنو غراب فطلبوا الغدير وشربوا من الماء * لانهم كانوا في غاية العطش والظماء فوجدوا شيخاً قد احناه الكبر * وغيرت احواله العبر * ومعه ابنة له كانها القمر * في ليلة اربعة عشر طويلة القوام كثيرة الابتسام حركاتها في القلوب ساكنة ولفتاتها للخلق فاتنة فلما راها مالك اندهش وحار . واشتعل قلبه بلهيب النار فعدل الى ابيها ومال اليه . وساله عن حاله بعد ما سلم عليه . وقال له اترضاني ان اكون لك اهلا . ولابنتك بعلا . حتى اغنيكم بالعطايا والاموال وازيل عنك ثياب الفقر والاذلال * فقال ان هذا غاية مرادي * وفيه مسرة فوادي فمن تكون يامولاي من سادات العرب . اهل المناصب والرتب . قال انا مالك بن المالك زهير سيد بني عبس وعدنان . وفزارة وغطفان . فلما سمع منه هذا المقال . اعتراه الاندهال وقال له كيف يكون ذلك ايها السيد المفضال وانا رجل فقير الحال كثير العيال فقال مالك لاتظن بان المال يزيد الانسان في الفضل والكمال انما الحسن والنسب والعقل والادب عند سادات العرب اخير من الفضة

Digitized by Google

والذهب

قال نجد بن هشام فبينماهما في مثل هذا الكلام واذا بعنتر والحارث قد اقبلا عليهما • بعد ما شربا واسقيا جواديهما • فقال مالك لعنتر اعلم ايها الاسد الغضنفر اني كنت استجهلك غاية الاستجهال كلما كنت تشكو اليَّ من تباريح الوجد والبلبال * وكنت اقول ليس العشق الا جنون • حتى ذقته في هذه الساعة عند نظري الى هذه العيون * فعلمت انك من اصبر الانام. واقواهم جلداً على نار الغرام فضحك عنتر وابدى الابتسام * عند سماعه الى هذا الكلام • وقال له يا مولاي اقد جري عليك كل هذا في دون ساعة فكيف حال من له شهور واعوام يسال ولا تقبل له شفاعة هذا وقد فرح الشيخ واستبشر وعلم ان امره قد تيسر * وقال ايها السادة الكرام والله ما كاني معكم الا في منام فاقبلوها مني بدون صداقٍ محدود • وهذا غاية ما اقدر عليهِ من بذل المجهود • فقال مالك اني لا اتزوجها بدون مهر وابقي معيّرة بين العرب على مدي الدهر * بل اني احمل اليك ما يغنيك * وبعد دخولي عليها تري مني ما يرضيك فتقدم الشيخ الى مالك واعطاه يده • وازوجه وعاقده * وعاد مالك وقد بلغ المراد • وفي صحبته الحارث بن ظالم وعنتر بن شداد * ولما وصل الى الخيام • دخل

على اخيهِ قيس وحدثهُ بذلك الحديث على التمام فلما سمع منه ذلك الخطاب قال لهُ اما كان يوجد في بنات عمك الكواعب الاتراب ما يغنيك عن اتصالك ببنات بني غراب . فقال ما لك لا تلمني على ما لا يطاق . لان المحبة اسباب وارزاق . قسمها الواحد الخلاق . قال فبينما هما على مثل ذلك * واذا بعنتر قد دخل عليهما فسمع قيساً يلوم الامير مالك . فقال له ايها السيد المعظم اعلم بان اخاك ما تعدي ولا ظلم * وما فعل الا ما سبقهُ اليهِ ساير الامم ويجب عليك ان تحمد الرب القديم . رب موسى وابرهيم . الذي لم يقع لك مع بعض بنات ملوك الاقاليم . فاجبه الان الى ما يشتهيه . لانه لم يكلفك الى امرٍ تتعب فيه .

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . انفذ مالك الى الشيخ النوق والجمال والتحف الغوال . وانفذ العبيد والخدام وفي صحبتهم الجزور والاغنام . وبواطي المدام . وامرهم بتعجيل الوقت لما في قلبهِ من الغرام . ولما وصلت تلك النعم الى بني غراب خرجت الى لقايها الشيوخ والشباب وقضوا اوقاتهم باللذات والسرور والغبطة والحبور . وذبحوا الاغنام والنوق . واوصلوا الصبوح بالغبوق . وقد زالت عنهم الاتراح والهموم ولما انقضى الوقت المعلوم * لبس مالك في ذي الملوك الكبار . اصحاب الاقاليم والامصار وركب في حلل الكمال . وكان جماله قد فاق على كل جمال . ووجهه ازها من نور الهلال . وقوامه احسن من الغصن

Digitized by Google

اذا مال . وسار عنتر معه الى تلك الديار . خوفا عليه من * طوارق الاسحار . وركب معه عشرة ابطال من فرسان عشيرته وخمسة من اخوته . فساروا وهم يتمايلون في حلل الاعجام . حتى وصلوا الى بني غراب ونزل مالك في خيمة الزفاف . ونزلت اخوته من حوله بلا خلاف هذا وقد انقلب الحي بالاغاني والصياح ودارت على القوم اقداح الراح . وزادت المسرات والافراح ودقت الاما بالمزاهر والدفوف . ولعبت الفرسان بالرماح والسيوف . وما زالوا على مثل ذلك . حتى مضى النهار الضاحك . واقبل الليل بسواده الحالك . فزفوا الجارية على الامير مالك . فاندهش من جمالها وظرفها ودلالها . لانه ابصر منها شمس لا يسترها غيهب . ولا يري مثلها في بنات العرب * وكذلك ابصرت هي منه من الحسن والجمال . ما يفوق على السحر الحلال . فضم كلا منهما حبيبه اليه * ورشف كاس المحبة من شفتيه . وما زالا على تلك الحال الحان سكرا من كاس خمر الوصال . وكان لهما ليلة احلا من رجوع الشباب بعد الهرم . لم يري احد مثلها من العرب والعجم فيما تقدم

قال الراوي وعند الصباح . تبدلت افراحها باتراح . ورشقهما الزمان بسهام ما لجراحه من صلاح لانه ما وهب . الا ونهب . وما استقام الا وانقلب . وما صفا الا وكدر وما حلا الا ومر مرو كان السبب بذلك حذيفة بد بن ر* معدن الخبث والغدر لانه لما قبل قيس الدية ورجع الى

الديار . قالت له زوجته ما الذي فعلت يا ابا محجار . بعت دم ولدي . ومهجة كبدي . بشي يسير من المال . والنوق والجمال . ولبست ثياب العار . على مدى الاجيال والاعصار فوالله لا كنت الك اهلا . ولا كنت لي بعلا لاني لا ارضى برجل جبان . ذليل مهان . ثم انها بعد ذلك العذل والملام . منعته عن دخول الخبا ثلاثة ايام * وفي اليوم الرابع دخل عليها فوجدها تبكي من فواد متبول . وهي ترثي ولدها وتقول

حذيفة لا سلمت من الاعادي ولا وقيت شر النائبات
ايقتل ندبةً قيس ونرضى بانعام ونوقٍ سارحاتِ
وتلبس ياحذيفة ثوب ذلٍ وعار لا يزول الى المماتِ
اما تخشى اذا قال الاعادي حذيفة قلبه قلب البنات
فدع ما قالهُ حمل ابن بدرٍ فكل مقدر لابد ياتِ
وخذ ثاري باطراف العوالي وبالبيض الحداد المرهفاتِ
والا خلني ابكي نهاري وليلي بالدموع الجارياتِ
لعل منيتي تاتي سريعاً وترميني سهام الحادثاتِ
احب اليَّ من بعلٍ جبانٍ تكون حياته بئس الحيوةِ
فيا اسفي على المقتول ظلما وقد امسى قتيلا في الفلاة
ترى طير الاراك ينوح مثلي على اعلى الغصون المايلاتِ
وهل تجد الحمايم مثل وجدي اذا رميت بسهم من شتاتِ
فيا يوم الرهان فجعت فيهِ بشخص جاز عن حد الصفات

فلا زال الصباح عليك ليلا   ووجه البدر مسود الجهاتِ
ويا خيل السباق سقيت سمًّا   مذابًا في المياه الجارياتِ
ولا زالت ظهورك مثقلات   باحمال الجبال الراسياتِ
لان سبا قكم القي علينا   همومًا لا تزال الى المماتِ

قال الراوي فلما سمع حذيفة هذه الابيات تناثرت من اجفانه العبرات * وزادت به الحسرات . وشاعت هذه المرثية بين نساء العربان . وتناشدتها الابطال والفرسان . وسمتها مثيرات الاحزان . ثم التفت عليها وقال وحق الاله المتعال . اني ما قبلت من قيس الديَّة . الا وقصدت له الاذية لان سبب هذه الحادثة * كانت بتدبير سنان بن ابي حارثة * لانه لما راى المشائخ الكبار قد خرجوا الينا . واقبلوا بالاطفال علينا قال اعلم ان ابنك قد مات وانصرع * وليس لهُ من مرتجع . والصواب ان تقبل ما اشير به عليك وتسمع . وهو انك تاخذ من قيس المال . وتدع عنك القيل والقال * وتترك على بني زهير العيون والارصاد . الى ان تظفر بواحد منهم وتقتله وقد بلغت المراد وبعد ذلك الحرب بين يديك . ولا نبخل بارواحنا عليك .

قال مجد بن هشام وما زال يلاطفها بالكلام . حتى راقت ولانت وعادت الى طاعته كما كانت . وفي اثناء ذلك . بلغه خبر الامير مالك وانه قد تزوج في بني غراب . فسار في مائة فارس من نخب الاعراب . وقصد تلك النواحي والهضاب وكانه وصوله الى

هناك عند الصباح . فرأى الناس في غفلة وهم راقدون من تعب الافراح . فاستبشر با لغلبة والنجاح وطلب قبة الزفاف بقلب لا يهاب الموت ولا يخاف وتبعته الابطال والفرسان . ومن معهُ من الشجعان فعند ذلك سارت العبيد . واهتزت الارض من قريب وبعيد * ووقع الصياح في الفرسان الصناديد هذا وقد انتبه عنتر . كانهُ الاسد الغضنفر واستلب رمحه الاسمر وركب ظهر جواده الابجر * وتقدم ليكشف حقيقة الخبر . وركبت الابطال من بني غراب . وكانوا دون الخمسين من الشيوخ والشباب وتفرقوا من اليمين والشمال * وطلبوا الحرب والقتال . ولما اقترب عنتر من قبة الزفاف علم انهم من بني فزارة بلا خلاف * وانهم ماقصدوا تلك الدكادك الا قتل الامير مالك . وكان قد عرف حذيفة ومن معهُ من اخوته . وسادات قومهِ وفرسان عشيرتهِ فنادى ويلك يا ابا حجار يا باغي يا غدار لقد حدثتك نفسك بالمحال فسوف يحل بك النكال . لانك فعلت بيس الفعال . ثم زعق على الفرسان وطلبهم * ولعب با لرمح في جوانبهم فلما ابصر حذيفة افعاله . خاف ان تخيب اماله . فعول ان يغتنم الفرصة ويدخل الى القبة ويقتل مالك ويزيل ما بقلبه من الغصة . واذا بمالك قد خرج وهو في ثياب النوم فراى القتال يعمل بين القوم . لانه كان قد سمع الصياح . فخرج وهو يتمايل من شرب الراح . فنظر الى عنتر وهو في اشد قتال . والفرسان محيطة بهِ من اليمين والشمال

Digitized by Google

فاخذته الحمية وعصفت في راسه نخوة الجاهلية واراد ان يري زوجته بعض شجاعتهِ * فركب جواده واستلب الرمح عن باب خيمتهِ . وطلب حذيفة ومن معه من اخوتهِ . وهو ينادي انا مالك بن الملك زهير . لعدوي الشر والضير . والى صديقي النجاح والخير ثم انه صاح في الحصان . وهو سكران وبده غير متمكنة من العنان . فانطرح على بساط المهاد * كانه طود من الاطواد فادركه حذيفة في الحال . وضربهُ بالصارم النصال . فوقع على هامتهِ فنزل الى نصف قامتهِ . ولما علم انه قد تمكن منه . ارتد راجعا عنه * وصاح على من حوله من الرفاق والصحبة يالثارات والدي ندبة ثم انه خاف على نفسهِ من عنتر . فانهزم وطلب البر الاقفر . وقد انطفت ناره . وقر قراره . واخر الله في طول حياته . وكانت هزيمته سبباً لنجاته وكان قد قتل من اصحابه الاكثر . ولم يسلم منهم الا الايسر . ولما عاد عنتر من خلف الابطال * بعد ما مزق شمل من بقي منهم في الروابي والتلال . التقي بمالك وهو على آخر نفس . فرآه يختبط في دمهِ بين رجلي الفرس فلما نظر اليه . اسودت الدينا في عينيه . والقى نفسه عليه والطم راسهُ * ومزق لباسهُ وصاح واما لكاه * واسيداه واعزاه . يابدر الكمال وزينة الابطال وسيد سادات الرجال . انشرب انت كاس الوفاة . وانا في قيد الحياة . ثم انهُ وضع راسه على احدى ركبتيه وجعل يقبل عارضيه وانحدرت دموعه على خديه ر * واجتمعت الفرسان من حواليه

ففتح مالك عينيه * فراي عنتر بين يديه وهو يبكي عليه . فاراد ان يتكلم * فلم يقدر من شدة الالم . فاومي اليه بيده مظهراً له اشارة الوداع . وهو في حالة النزاع * فاشتد بعنتر الحال * واحترق قلبه بنار الاشتعال واذا بزوجته قد خرجت من بين المضارب وهي مكشوفة الراس منشورة الذوايب . وحولها جماعة من الاهل والقرايب * ولما وصلت اليهِ * القت روحها عليهِ . فضمتهُ الى صدرها وقد حارت في امرها . وانشدت تقول من فوادٍ متبول

ابكيك لا لنعيم ولا لبوسٍ بل للمعالي والسيف والترسِ
ابكي على سيدٍ فجعت بهِ ارملني يوم صبحة عرسي

قال نجد بن هشام . وما انتهت من هذا الكلام حتى قضي مالك نحبه * ولحق ربه * فشدهُ عنتر بعمامتهِ على ظهر الحصان . وطلب بهِ حي بني عبس وعدنان . وهو لا يصدق بالوصول الى الديار لما في قلبهِ من لهيب النار ولما تبطن الروابى والتلال * انشد وقال

الا يا غراب البين في الطيرانِ اعرني جناحاً قد عدمت بناني
ترى هل علمت اليوم مقتل مالكٍ ومصرعهُ في ذلةٍ وهوانِ
فان كان حقاً فالنجوم لفقدهِ تغيب ويهوى بعدهُ القمرانِ
فلا كانت الغبرا ولا كان داحس ولا كان يوماً فيه حل رهانِ
لقد كان يوماً اسود الليل عابسا يخاف بلاهُ طارق الحدثانِ
فلله عينا من راى مثل مالك عقيرة قومٍ ان جرى فرسانِ
فليتهما لم يجريا نصف غلوةٍ وليتهما لم يرسلا لرهانِ

Digitized by Google

وليتهما كانا جميعاً ببلدة وأخطاهما قيس فلا يريان
فقد جلبا حيناً وحرباً عظيمة تبيد سراة القوم من غطفان
وقد جلبا حيناً لمصرع مالك وكان كريماً ماجداً لهجان
وكان لدى الهيجاء يحمي ذمارها ويطعن عند الكر كل طعان
به كنت اسطو حينما جدث العدى غداة اللقا نحوي بكل يمان
فقد هدَّ ركني فقده ومصابه وخلى فؤادي دايم الخفقان
فوالله لا زالت جفوني قريحة عليه بدمعٍ زايد الهطلان
ولا زلت في همٍ مقيم وفكرةٍ ولا زال قلبي زايد الاحزان
الى ان ارى يوماً عظام حذيفة مقسمة والطير منهُ دانی
فوا اسفاً كيف انثنى عن جواده وما كان سيفي عندهُ وسناني
رماهُ بسهم الموت رامٍ مصمم فيا ليتهُ لما رماهُ رماني
فسوف ترى ان كنت بعدك باقياً وامكنني دهر وطول زمانِ
واقسم حقاً لو بقيت لنظرةٍ لقرَّت بها عيناك حين تراني

قال الراوي ثم انهُ جد في قطع البيدا . حتى وصل الى الاحياء وهو في قلق عظيم . وغم جسيم . وكان قد اصاب اخوة مالك مثل ذلك . فالتقاهم الملك قيس وباقي الاصحاب . بالبكا والانتحاب وقد استعظموا المصاب . ومزقوا ما عليهم من ثياب * ومن خلفهم النساء والبنات الكواعب الاتراب . وامهُ تماضر تدق على صدرها وقد حارت في امرها . الى ان وصلت الى ولدها وهو معارض على ظهر الجواد * فحضنتهُ وصاحت حتى فتتت الاكباد . ولطمت

النسا من حولها واقلبن الارض بالنواح والتعداد . هذا وتماضر تبكي من فواد متبول وهي ترثي والدها وتقول

كان العين خالطها سناها لغيبتكم فلم تعطي كراها
علي ولدي وزين الناس طرًّا اذا ما النار لم ترى من صلاها
لين حزنت بنو عبس عليه فقد فقدت بنو عبس فتاها
فما للضيف ان هبت شمالٌ مزعزعة يجاوبها صداها
اسيدكم وحاميكم تركتم علي الغبرا منهدم رحاها
ترى الشمر الجحاجح من بغيض تبدد جمعها يوما راها
فيتركها اذا اضطربت بطعن وبينهما اذا اختلفت قناها
حذيفة لا سقيت من الغوادي ولا روّتك هاطلة نداها
كما افجعتني بفتى كريمٌ اذا وزنت بنو عبس وفاها
فدمعي بعده ابداً هطولاً وعيني دايما ابدا بكاها

قال الراوي فلما سمعت الناس منها هذه الابيات * ارتفعت منهم الضجات . وثارت فيهم النخوات واراد قيس ان يدفن الامير مالك فما مكنته امه من ذلك . بل قالت له اصبر الى الصباح حتى اشبع عليه من البكا والنواح * وبعد ذلك اسير بنفسي الى بني فزارة الطايفة الغدارة * واطالبهم بثار ولدي * ومهجة كبدي * فقال لها قيس وقد عظم الامر عليه . هذا شي ما نحوجك اليه . ولا نمكنك من المسير الى ديار الاعداء . لان النساء لا يشفي غليلهن الا النوح والبكاء . واما نحن فسيوفنا حداد . ورماحنا مداد . ورجالنا

شداد . وابطالنا انجاد . وانا اقسم برب العباد * لاقعدت عن ثار اخي حتي افني بني بدر رجعا واقتل حذيفة واخوته واقلع اثارهم قلعا ثم انهم عادوا الى المضارب * وعلا الصياح من كل جانب * وندبت النوادب و واظبوا على البكا والاحزان . ولم ياخذهم عن مالك صبر ولا سلوان

قال الراوي هذا ما كان من هولا واما ما كان من حذيفة بن بدر المجبول بالمكر . فانهُ عاد الى الديار عند اقبال النهار * وليس معهُ من رجالهِ الا القليل . لانهُ من فرحهِ بقتل مالك تركهم امام عنتر بحالة الذل والتنكيل . ولما وصل التقاه سنان بن ابي حارثة لانهُ كان في انتظاره وهو الذى دبر هذا التدبير . وترك الارصاد على بنى عبس الاسد المغاوير حتى جرى من القصة ما كان * ولما اشرف حذيفة التقتهُ الابطال والفرسان . من جملتهم الربيع بن زياد وسنان . فسالوهُ عن حالتهِ * وماجرى له في سفرتهِ وقال لهُ سنان مافعلت في ذلك الامر الذي دبرناه . قال قد رنا على الطير وصدناه . فقال وبعد صيده قال ذبحناه . فتغطى هذا القول على الربيع . من دون الجميع * فتعجب منهُ . وعلم انهُ سر مكتوم عنه * فقال لحذيفة ما معنى هذا الكلام الخفي ايها الخل الوفي * اتخفون عني امرا . وتكتمون عنى سرا فقال حذيفة لابد ان نخبرك بذلك فاعلم اننا قد قتلنا ابن سيدكم الامير مالك . فلما سمع الربيع هذا الكلام . صار الضيا في عينيه كالظلام وقال لقد اسرفت

Digitized by Google

يا ابن بدر . في ارتكاب هذا الامر . فوحق من اوسع البيدا * وامرالبحر بعد هيجانه ان يهدى * ما كانت قتلته الا ميشومة عليكم وعاقبته مذمومة لديكم . فقال حذيفة والله يا ابن زياد * ما كان الشوم الا حوالك وحول بني عبس الاوغاد . فوحق ذمة العرب الكرام . لولا ما بيننا من حرمة الجوار والذمام . كنت طيرت راسك بهذا الحسام . يا ابن الليام . وانا اقسم برب الانام . ان بقيت عندنا اكثر من ثلاثة ايام . اسقيتك كاس الحمام . فارحل عنا وكن من حزب قومك . ومتى التقينا يظهر المشوم قولك ولومك ثم انه الوى عنان الجواد . وطلب ابياته وهو يشتم الربيع بن زياد . واما الربيع فانه عاد الى مضربه وهو يبكي من شدة ما حل به . ولما وصل الى الخيام * حدث اخوته بما جرى على التمام * وقال لهم هذا جزا من يترك الاهل والاقربا . ويلتجي الغربا . فوالله لاذكرن حذيفة بهذه الفعال * ولا تركنه يندم على هذا المقال . ثم انه صبر حتى اظلم الليل . وطلع نجم سهيل فركب مع اخوته . ومن يتعلق به من اهله وعشيرته . وقصدوا ديار بني عبس . فوصلوا اليها عند طلوع الشمس . فراوا الدنيا منقلبة بالصياح . والعويل والنواح . وساير بني عبس في جوانب البر وقد وضعوا الامير مالك في القبر . فمزق الربيع ثيابه . وقد زاد بكاه وانتحابه . وقال يا لها من مصيبة قد فتتت الاكباد . واشمتت بنا الاعادي والحساد . ونائبة جلت عن النوايب .

وسوّدت ساير الجهات والجوانب . ونكبته كلمت عن حملها المناكب
فوالله لقد انفلت مضارب سيوفنا القواطع . وانهدمت اركان حصوننا
الموانع * واصبحت الدنيا من احبابنا بلاقع . وتقرحت الجفون
بفيض المدامع ثم انهُ بكي من فوادٍ متبول . وانشد يقول

يا لها من مصيبةٍ لا ترامُ ورزيةٍ حارت بها الاوهامُ
يا جفوني عساكِ ان تسعديني بالبكا فالكرى عليكِ حرامُ
ساعديني فقد فقدت غلاماً ما سمحت بمثلهِ الايام

قال ثم ان قيساً اعتنق الربيع وبكي واعتذر اليه وشكا . وبعد ذلك
رجعا الى المضارب والخيام . ولما اظلم الظلام دسّ قيس الى
الربيع . امة لهُ يقال لها رعية بنت سريع . لكي تنظر الى اعمالهِ *
وتقف علي حقيقة احوالهِ . فدخلت بين ابياتهِ في الحال واختبت
بين حدايج الجمال * واذا بزوجتهِ قد عرضت لهُ فدفعها وقال
افبعد مقتل مالك ترجوا النساء ان تلد مثلهُ . ثم خنقتهُ العبرة
وزادت عليهِ الحسرة * فانشدُ وقال

منع الرقاد فما اغمض حار من حادث النبا العظيم الساري
افبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاظهار
ما ان ارى في قتلهِ لذوى النهى الاّ المطيّ تشد بالاكوار
ومساعرًا صدى الحديد عليهم فكانما تطلى الوجوه بقار
من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بصدر نهار
يجد النساء حواسرا يندبنهُ يلطمن اوجهن في الاسحار

Digitized by Google

قد كن يخبان الوجوه تسترا　　فاليوم حين بدون للنظار
يضربن حر وجوههن على فتى　　عف الشمايل طيب الاخبار
رحب الذراع صميدع ذو نجدة　　حامي الحريم وكاشف المعار
واذا اعتصمت به اعتصمت بفارس　　ماضي العزيمة كالهزبر الضاري

قال محمد بن هشام * فلما سمعت الجارية هذا الشعر والنظام خرجت تحت جنح الظلام * وسارت الى ان دخلت على قيس مولاها . وحدثته بخبر الربيع بن زياد . وما جرى بينه وبين زوجته من الايراد * ففرح قيس وطاب منه الفواد

قال سعيد بن مالك . وكانت بنو فزارة بعد قتل الامير مالك غزت بنو غراب . واخذوا ما وصلت يدهم اليه من الاموال والثياب . وبعد ذلك بثلاثة ايام * راى عنتر الامير مالك في المنام * وهو يقول له يا فارس عدنان . نمت عن اخذ ثاري نوم الامان . ونسيت ما كان بيني وبينك من قديم الزمان * وقد نهبت بنو فزارة نوقي وجمالي وثيابي واموالي وشتتوا شمل اصحابي فلما سمع عنتر ذلك الخطاب انتبه من منامه كانه المجنون المصاب وقد هانت عليه المصايب . وسار الى بني فزارة تحت ظلام الغياهب وخلص الاموال . وقتل جماعة من الابطال . وعاد الى الاطلال * واعلم الملك قيس بتلك الاحوال * واقام عنتر بعد ذلك في الديار . وهو في غاية القلق والافتكار . لا يهدى له بال ولا يقر له قرار حتي ياخذ بالثار . ويكشف عن بني عبس

العار

قال مجد بن هشام * واتفق بعد ذلك بخمسة ايام ارسلت عبلة امتها خميسة الى عنتر . تقول له اعلم يا فارس ربيعة ومضر * ان لي مدة من الزمان . وانا مواظبة على البكا والاحزان . حتى ضاق صدري وتضعضعت مني الاركان . واريد ان اخرج في هذه الليلة مع جماعة من بنات عمي الى الغدير . لاجل النزهة والتسيير * لعل ان تخف همومي واحزاني واشتهي منك ان تخرج وترعاني * خوفا من وقوع الاسباب . التي لم تكن في الحساب . فلما سمع عنتر من خميسة هذا الخطاب نزل على قلبه احلا من الجلاب . واستراح فواده بعد ما كان متعوب * لان المحب تلذ له مراسلة المحبوب . فاجاب بالسمع والطاعة وعادت الامة الى عبلة من تلك الساعة . واعلمتها باجابة عنتر فزال عنها القلق والضجر . ولما كان المسا اخذت جماعة من بنات عمها الابكار . اللواتي كانهن الاقمار * وخرجت بهن الى الغدير . وهي كانها البدر المنير

قال الراوي واعجب ما اتفق وتسطر . من الاحاديث التي تروى وتذكر . ان عمارة بن زياد . كان قد ترك على عبلة العيون والارصاد . فلما بلغه ذلك الخبر . فرح واستبشر * وايقن بنوال القصد وبلوغ الوطر . ثم انه تزيا بزي النسوان وقصد ذلك المكان فلما راى عبلة وهي كانها القمر في ليلة اربعة عشر

Digitized by Google

اشتد بهِ جواهُ . وغلبهُ هواهُ . فهجم عليها وقبلها بين عينيها *
فتبدل سرورها باتراح . وعلا من البنات الصياح . وكان عنتر
قد اكمن با لقرب من ذلك المكان . فلما سمع الصياح وابصر
ما كان . وثب وثبة النمر الحردان * الى ان وصل الى عمارة
القرنان . فقبض على اذيالهِ وجذبهُ جذبة الاسد الغضبان *
فالقاه على بساط الارض . وقد رضت عظامهُ وايّ رض . فغاب
عن صوابهِ ومن شدة الالم شرشر في ثيابه * ولما نظر عنتر الى
حالهِ وانهُ قد لوث في سروالهِ ضحك عنتر بعد ذلك الغضب *
وقال لهُ قم يا كلب العرب . فوالله لولا حرمة ما بيننا من الذمام
كنت قطعت راسك بهذا الحسام . فلما سمع منهُ هذا الكلام
التهب فوادهُ واشتعل . وهو يوشك ان يذوب من شدة الخجل
هذا وقد تضاحكت عليهِ البنات * وبعد ذلك رجعن الى الابيات
واقام عمارة في ذلك المكان الى وقت السحر . وقد جرى على
قلبهِ ما لم يجرِ على قلب بشر لانهُ خاف من الفضيحة والسمعة القبيحة فنهض
واغتسل ورجع على عجل . ودخل على امهِ واخوتهِ وحدثهم بقصتهِ
فقال لهُ الربيع ما الذي احوجك الى هذه الفعال . فوالله لقد
تركتنا شماتة بين الرجال . قال عمارة اني لا عدت اخرج من المضارب
ولا يراني ماش ولا راكب . حتى ناخذ بثاري . وتنكشف عني عاري .
لاني وحق خالق البشر ان الموت الاحمر . كان اهون عليّ
وايسر * من ان تراني عبلة * في حالة المذلة . وهي تستهزي بي

Digitized by Google

وتصفق بكفها . وتسد من رايحة خراي انفها * والبنات يضحكن علي . وينظرن بعين النقصان الي * فتبسم الربيع من هذا المقال وتغيرت منهُ الاحوال وقال من الصواب ان نكتم هذا الحال * عن باقي النسا والرجال . فقال عمارة واحسرتاه . وقلة ناصراه ثم انهُ خرج من المضارب . وقلبهُ من شدة الحزن لاهب .

قال الراوي وشاع هذا الحديث في الحلة * وتسامعت بهِ الناس بالجملة * فضحكت علي عمارة النسا والبنات وقالت فيهِ بعض النسا هذه الابيات

عمارة دع هوى الخود الرداح ودع عنك التعرض للملاح
فلا تطمع بعبلة ان تراها ترى الاهوال من ليث الكفاح
فلا البيض الصحاح تصل اليها لسطوتها ولا سمر الرماح
وقد اطمعت نفسك في هواها واملات البراري بالنواح
وما زال اللجاج عليك حتى ملات نقاثيا بلك بالسراح
واضحكت البنات عليك جمعا واندنت الروابي والبطاح
وصرت لكل من يصغي حديثا وهزأ في المساء وفي الصباح
فانت اذل من ركب المطايا واجبنهم من القوم الشحاح

قال الراوي وشاعت هذه الابيات * بين الابطال والسادات * وتناشدتها النسا والبنات وعمارة يسمع باذنيه . وقد عظم ذلك الامر عليه

قال مجد بن هشام * وفي تلك الايام . ارسلت المتجردة الى اخيها

قيس كتاب . مع نجاب . تقول له اعلم يا اخي بان النعمان قد ارسل اليكم اخوه الاسود بعسكر كثير العدد . فكونوا في غاية الحذر على قتال هذا العسكر قال وكان السبب في هذه الحادثة الرسل الذي كان قد انفذهم سنان بن ابي حارثه لانهم لما دخلوا على النعمان . اخبروه بان الحارث بن ظالم عند بني عبس وعدنان وان قيساً قد اجاره واعطاه الذمام . وكذلك عنتر الهجام قد تجاسر في الكلام . وقال لو طلبه كسرى انوشروان . صاحب التاج والايوان . ما سلمته اليه ولامكنته ان يراه بعينيه . ولابد لي من ان اقيم الحرب على ساق وقدم . وافني العرب والعجم . ولا ابالي باحد من الامم . واذبح الجميع ذبح الغنم فلما سمع النعمان هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام . واحضر اخوه الاسود واعلمه بما جرى وتجدد . فقال له الاسود اعلم يا اخي ان هولاء القوم قد طمعوا في دولتنا . واستخفوا بهيبتنا * والصواب ان تدهمهم بالعساكر وكثرة الابطال والدساكر . واسير انا اليهم * واضيق جوانب الارض عليهم . واتركهم عرضة للسيوف وفريسة لانياب الحتوف لان جميع العرب قد اصبحت اعداهم . وهم يتمنون موتهم وفناهم . فلما سمع النعمان من اخيه هذا الكلام . استبشر ببلوغ المرام . وامر النجابة ان تسير الى قبايل العربان . وتامرهم بالمسير مع اخيه الاسود الى قتال بني عبس وعدنان . وفي دون عشرة ايام اجتمع نحو اربعين الف عنان . من الرجالة والفرسان . وكان من

جملة مقدمين العساكر . لقيط بن زرارة وملاعب الاسنة فارس
بني عامر فركب الاسود في ذلك الجيش الجرار . وطلب حي
بني عبس وتلك الديار

قال الراوي ولما وقف قيس على حقيقة الخبر . اخذهُ القلق
والضجر واجتمع بعنتر بن شداد . ومن يعتمد عليهم من السادات
والقواد * واعلمهم بواقعة الحال واستشارهم في امر القتال فلما سمعوا
كلامهُ وفهموا قصدهُ ومرامهُ . قالوا ايس في الامر الا لقاء الاعداء
ولو كانوا بعدد رمل البيداء . فلما سمع الحارث بن ظالم هذا المقال
التفت على قيس وقال . اني انا المطلوب . ومن اجلي ثارت هذه
الفتن والحروب . وعليَّ يجب كشف الكروب . فقال عنتر
من الصواب ايها السادة الانجاب . ان نسير الى بني فزارة . الطايفة
الغدارة . ونسبي الحريم والعيال ونرسل فيهم جوارح النهب
والاستيصال قبل ان يشغلوا قلوبنا عند الحرب والقتال فاستصوب
قيس هذا المقال . ومن حضر من الرجال * ثم ان قيساً ركب في
عاجل الحال . وركبت معهُ الفرسان والابطال . وساروا تاركين
الديار . وهم في اربعة الاف فارس كراره والكل بالدروع والمغافر
والسيوف البواتر . وفي دون ساعة وصل الخبر الى حذيفة بن
بدر . فعظم عليهِ ذلك الامر . وركب في خمسة الاف فارس *
من كل ليثٍ عابس . وبطلٍ مداعس . وجد في قطع القفار *
وفي قلبه من بني عبس لهيب النار . الى ان التقى بهم بذي المريقب

وهو تل مشهور ٠ كثير الاحجار والصخور ٠ ولما وقعت العين على العين ٠ ارتفع الصياح من الطايفتين ٠ والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال * وانتشب بينهم القتال ٠ وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال ٠ وارتفع الغبار من كل جانب حتى عاد النار مثل الغياهب ٠ واظهر عنتر الاهوال والعجايب وطير الروس عن المناكب وسطى سطوة من لا يخاف العواقب ٠ ولا يفزع من حلول النوايب * فيا له من يوم عبوس ٠ لعبت فيه الخيل بالروس وطلبت الموت النفوس ٠ وكرهت الدروع والملبوس وعجزت عن حمل السيف والدبوس * ولم تزل المكافحة بينهم قايمة ٠ ونار الحرب متصلة دايمة الى ان ولى النهار ٠ واقبل الليل بالاعتكار فافترقوا عن بعضهم البعض ٠ وباتت كل طايفة منهم في ناحية من الارض وكانت بنو فزارة قد خسرت غاية الخسارة ٠ وقتل منها نحو الف فارس ٠ من كل ليث عابس وبطل مداعس ٠ ومن شدة ماجرى على حذيفة استدعى بسنان ٠ واستشاره في ذلك الشان فقال له يا ابن بدر ٠ اني كنت خايف عليك من عواقب هذا الامر وقد نهيتك عن قتال بني عبس وعدنان ٠ لحين قدوم عساكر النعمان ٠ ومابقي في الامر الا القتال * والثبات في مواقف الاهوال

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح * ركبت الابطال الخيول * وتقلدت بالنصول ٠ وتقدم حذيفة الى ساحة الميدان ٠ وطلب براز الفرسان * وصاح على بني عبس وقال *

Digitized by Google

اعلموا ايها السادات والابطال . ان للقبيلة عليّ حق ما اضيعهُ واحسن الناس من اهتدى للحق واتبعهُ . اننا سادات آل بدر اصحاب النهي والامر * الذين اشتهروا بالجود والكرم وانتشر صيتهم بالفضل بين العرب والعجم . وقد عادانا الزمان * وارمانا بسهام الحدثان واما انتم فقد اسعدتكم الايام * واقبلت عليكم بالعز والاكرام وقتلتم منا ابطال وسادات قد اتصفوا بالفضل والكرامات * وقد انقضي فيهم الامر وفات * ونريد الان ان نحفظ من بقي منا من الاهل والقرايب * والاصحاب والحبايب فاخرجوا لنا اولاد الملك زهير حتى نتقارع بالسيوف . بين هذه الصفوف . فكل من ظفرمنا بصاحبهِ بلغ غاية الارب ونال اعلى الرتب * وان لم تجيبونا الى هذا الطلب . اطلقنا اعنة الخيل وسرنا تحت ظلام الليل . وقصدنا قبايل العربان * وتركنا لكم الاموال والنسوان وجمعنا عليكم الابطال والفرسان

ثم انهُ بعد هذا الكلام . طلب العراك والصدام . فالتقاه قيس بقلبٍ قوي . وجنان جري . فلما ابصر عنتر تلك الحال خرج عن دايرة الاعتدال وتقدم الى قيس وقال ما هذه الفعال ايها السيد المفضال فوحق من ارسى شوامخ الجبال . وقدر الارزاق والاجال . ما ادعك تخرج انت واخوتك الى هولاء الانذال ولا اسمع فيكم كلام العذال واني انوب عنكم في امر القتال * فقال قيس يا ابا الفوارس ليس في شجاعتك من خلاف ولكني

لا اريد ان اعدل عن طريق الانصاف . وادع العرب تقول بان اولاد الملك زهير . قد اكتفوا بعنتر في كل ملمة وضير *

واريد منك ان تقبل سوالي في قتال الاعادي . حتى اشفي منهم غليل فوادي . لاني اعلم انك اذا برزت اليهم ما يقاتلوك . بل يعيبوا نسبك ويشتموك ويحتجوا عليك بالعبودية ويعيروك فلما سمع عنتر كلام قيس تاخر . واضمر في نفسه انه اذا راى احد من اولاد الملك زهير قد رجع وتقهقر . يحمل ويعينه على بني بدر . ويركب معهم مركب الغدر ثم حمل قيس مع باقي اخوته . وكذلك فعل حذيفة مع من يلوذ بهِ من عايلتهِ ولما تقابل الفريقان . صاحت الابطال والفرسان وتقدموا للضراب والطعان .

واذا بمشايخ بني فزارة قد خرجت الى معركة الصدام وهم مكشوفون الروس حفاة الاقدام . وبين ايديهم الشيخ الكبير المعتمد لخدمة الاصنام . وهو ينادي عن فرد لسان . واذل بني فزارة وذبيان . واحسرتاه على بني عبس وعدنان . بالله عليكم ايها السادة الامجاد ترك البغي والعناد . ولا تقطعوا ما بيننا من الانساب باللجاج والكياد . ولا تشمتوا بنا الاعدا والحساد . ولا تعجلوا على قلع اثاركم بالسيوف الحداد فكانكم بمنادي الموت قد اتاكم . وسهام الحمام قد وافاكم . فايقظوا انفسكم قبل الفوات . واغمدوا سيوف البغي فانها اقطع من المرهفات . وانظروا كم اهلك اللجاج قبلكم من الامم . وكم طحن الدهر من اولاد آدم .

Digitized by Google

وبعد ذلك فما ندعكم ان تقتتلون ببعضكم البعض وتهرقون دماكم على وجه الارض . ثم قبض كل واحد منهم بعنان فارس من الفرسان . وردهُ عن الضرب والطعان . واغصبوهم على الصلح والامان . وخوفوهم من عواقب البغي والعدوان . فامتثل الملك قيس الى ما فعلوه . واجابهم الى ما طلبوه

وقال لهم قد اجبت سوالكم . وامتثلت مقالكم * ولكن بشرط اشرطهُ عليكم في الاول يكون عليه المعول . قال سنان ما هو الشرط ايها السيد الكريم . والملك العظيم . فقال قيس يعطينا حذيفة رهاين من اولاد السادات والفرسان . تكون عندنا تحت الحفظ في الاوطان * الى ان تنفصل نوبتنا مع الملك النعمان وبعد ذلك نطلقهم بامان

قال نجد بن هشام . فلما سمع سنان من قيس هذا الكلام . اجابه الى ذلك المرام . خوفاً من ضرب الحسام . ورجع في الحال . واجتمع بحذيفة . ومن معه من الرجال . وقال له ايها السيد المنتخب . اجب قيس الى ما طلب . والاّ حل بنا الدمار وتفرق شملنا في ساير الاقطار . ثم انهُ جمع بينهُ وبين قيس وحلفا لبعضهما البعض . وعادت القبايل من تلك الارض

قال وما اجاب قيس الى صلح بني بدر * الا خوفاً من عواقب البغي والغدر * وكان عنتر بن شداد . قد رجع مع الملك قيس وهو غير طيب الفواد * لانهُ لا يريد ان يخالف اولاد

Digitized by Google

الكتاب السادس والثلاثون

من سيرة عنتر بن شداد

العبسي

الملك زهير في امر من الامور . ورجع حذيفة الى بني فزارة وهو مذلول مقهور . ثم انه جمع الاولاد الذي وقع عليهم الشرط . وقد عظم عليه ذلك الامر لانه لم يكن يخطر في فكره قط . وكانوا نحو مايتين وعشرين * من ابن عشرة الى ابن عشرين . وانفذهم الى الملك قيس وكانوا كالبدور الاهلة . ولما وصلوا الى حي بني عبس اخلا لهم الملك قيس مكان لطيف في جانب الحلة ورتب لهم الرواتب واقام عليهم التوكيل . فطابت قلوب بني عبس من هذا القبيل

قال مجد بن هشام . وبعد ذلك بثلاثة ايام . بلغتهم الاخبار من بعض السفار * بقدوم الملك الاسود الى تلك الديار . وانه قد اتي ليقلع منهم الاثار . ويبيع اولادهم ونساءهم في اقصي بلاد اليمن ولا يترك منهم من ياكل الزاد ويشرب اللبن . فلما سمع الملك قيس هذا الخبر . اخذه القلق والضجر . وقال ساء فاله . وخزي مقاله . فوحق السميع العليم لاتركنه بين الخيام مع الحريم * يطحن الحنطة والشعير . ولو جمع علينا كل من في الارض كبير مع

Digitized by Google

صغير • ثم انهُ في ساعة الحال . انفذ خلف عنتر والحارث بن ظالم وباقي الابطال واستشارهم في امر القتال * فقال الحارث وحق ذمة العرب وشهر رجب لاسار الى قتال هولا الانذال الّا انا في عشرة من الابطال . فلما سمع عنتر من الحارث هذا المقال . قال لابد ان نكون جميعنا يداً واحدة * ونبذل نفوسنا بين يديك في المساعدة • والمكافحة والمجاهدة ونضرب بالسيوف حتى لايبقى منا نسمة واحدة * ثم انهُ بعد ذلك الكلام التفت على الملك قيس وقال لهُ الى متى هذا الانتظار . وعساكر الاعداء قد صارت بقرب الديار . فهلمَّ بنا حتى نقلع فروعهم واصولهم • قبل ان يطاوا ارضنا بحوافر خيولهم * فقال قيس اصبر حتى نحترز على الاولاد والعيال . حتى لايبقى عليهم لنا مجال • ولا يمكنهم الوصل الينا بحال من الاحوال • واريد ان ارسل لبني غطفان ومن يجاورهم من الاصدقا والخلان * واطلب منهم المساعدة والامداد واتركهم لحفظ الحريم والاولاد . لاني خايف عليهم من حذيفة بن بدر * ان يرجع الى المكر والغدر . ويغتنم خلوَّ الديار * ويفعل بهم ما يحب ويختار • ولاسيما وقد صالحنا في هذه المرة من تحت شفار السيوف * واعطنا رهاين خوفاً من شرب كاسات الحتوف ثم ان قيساً انفذ من وقتهِ الى بني غطفان . يامرهم بالمسير اليه بالابطال والفرسان * وكذلك ارسل الحارث بن ظالم الى قومهِ رجلاً من الابطال . يدعوهم الى القتال والنزال . ويخبرهم بموافقةِ

Digitized by Google

الحال . وكيف ان عساكر النعمان . قد جدت في طلبهِ من كل مكان . وكان لهُ في بني مرة فوارس واعوان . واصدقاء وخلان ولهُ اخ يقال لهُ قسورة . قد اتصف بالشجاعة والمقدرة . وكانت العرب تسميه الفتاك . وتسمي الحارث الهتاك . فكتب اليهِ الحارث ولجَّ عليهِ في السوال . وقال لهُ لا تدع يا اخي في القبيلة احد من الرجال . الا وتاتي بهِ في عاجل الحال

قال مجد بن هشام . وبعد ذلك بثلاثة ايام . اقبلت طايفة بني غطفان . في ثلاثة الاف عنان فتلقاهم الملك قيس بالاحترام والتوقير . واكرام الكبير منهم والصغير * ثم انهُ انتخب منهم الف رجلاً من الابطال وثبّ مقدمتهم ابن اخت عنتر الهطال . وترك الالفين لحفظ الحريم والعيال * تحت لواء حازم بن سنان * احد سادات بني غطفان وسار الملك قيس طالب ارض العراق . وتلك البعالم والافاق * وهو في خمسة الاف فارس عبسية * من اهل الشجاعة والحمية * والكل بالدروع الداودية * والسيوف الهندية والرماح السمهرية . والخيول العربية . وفي اوايلهم فارس الطراد وحية بطن الواد . القادح النار من غير زناد * الامير عنتر بن شداد . والى جانبهِ عروة بن الورد . والحارث بن ظالم الفارس الفرد

قال الراوي هذا ما كان من بني عبس وعدنان . واما ما كان من الاسود اخا النعمان . فانهُ كان قد سار من عند اخيهِ

في ثلاثين الف عنان . من الابطال والفرسان . وما زال مجدًا في مسيره المدود . الى ان وصل الى وادي الاخدود . فاجتمع حوله من سكان تلك الديار . عشرة الاف فارس كرار . فصار في اربعين الف من الابطال . الذين تُضرب بهم الامثال * ولما اقترب من الانبار * وعوَّل على النزول في تلك الديار * واذا باوايل الجيش قد اضطرب وماج * ووقع فيه الصياح والارتياج فوقفت الابطال . وتزاعقت الرجال فاندهش الملك الاسود وتحير . وسال عن الخبر * فقالوا ايها السيد الخطير * قد ظهر علينا اسد بقدر الثور الكبير * هايل المنظر * يطير من عينه الشرر

فلما سمع الاسود هذا المقال . خرج عن دايرة الاعتدال . وقال لهم ياويلكم . ما هذه المصيبة التي اصابتكم كلكم . لمن اجل اسدٍ اضطرب جمعكم وازبأرَّ . وهو كلب من كلاب البر . فكيف يكون حالكم اذا التقيتم بفحول الفرسان . في معامع الطعان . ثم انه تقدم اليه . فراه يضرب بذنبه جنبيه . وينهم نهمًا لما راى الرجال تصيح عليه . وشرار النار يطير من عينيه . وهو كبير الراس اسود . بسواعد مثل العمد . وله اظافر . احدّ من الخناجر . وانياب ومخالب . امضى من القواضب . فلما راه الملك الاسود خاف وانذعر . وصاح على باقي العسكر . فسلت سيوفها وبادرت اليه . وهجمت بالسيوف والرماح عليه . فكسر بحطاته رماحها . وقتل اكثرها واعدمها ارواحها . فرجعت عنه

وهي تلاطم بعضها البعض . وتتواقع علي وجه الارض . فزاد بالاسود الغيظ والحرد . واراد ان يترجل اليه . ويخاطر بمهجته بين يديه . اذ قد برز اليه غلامٌ من بني بكر بن وايل . يقال له جراح بن فاضل * فترجل عن ظهر الجواد . وخلع عنهُ عدة الحرب والجلاد . حتي بقي في قميص رفيع قصير . قد نسج بالوان الحرير . ثم هزَّ سيفهُ في يدهِ . حتي لاح الموت من افرندهِ . وطلب الاسد بقلب اقوى من الجلمد . فاضطرب الاسد وتقدم . وزمجر ونهم . وانحط عليه انحطاط الصاعقة النازلة من السمآء . او الحجر المنجنيق الذي لا يردُّ بعد ما يرمي . فلما راي الغلام قوى باعه . وثبات ذراعه . زعق به زعقة عظيمة كانها الرعد القاصف . او الريح العاصف . وضربه بالسيف بين عينيه . خرج من بين فخذيه . فشطره شطرين . ووقع علي الارض قطعتين . ثم انهُ عاد الي جواده . ولبس الة حربه وجلاده . واذا بحجاب الملك الاسود قد داروا من حواليه . واخذوه الي عند الملك واوقفوه بين يديه . فسلم وخدم . ودعي له ولاخيه النعمان بدوام العز والنعم . فتعجب الاسود من فصاحة لسانه . وقوة جنانه . فاثني عليه . وقبله بين عينيه . ثم ساله عن حسبه ونسبه . واهله وعربه . فقال يا مولاي انا من بني وايل . واسمي جراح ابن فاضل . وما اتيت الي خدمتك . الا لما سمعت بقوة عزمك وهمتك . وانك طالب قتال بني عبس وعدنان . ومن جاورهم من العربان .

فاتيت اليك . حتى ابين شجاعتي بين يديك . فلما سمع الاسود كلامه .زاد ابتسامه . وامر له بالخلع السنية . واجزل له من المواهب والعطية . فتبسم الغلام . ورد الخلع والانعام . فغضب الاسود وعظم ذلك الامر عليه . وكبر لديه . وقال له كانك استخففت باحساني . واحتقرتني بين ابطالي وفرساني . فان كانت قليلة . فانا اعطيك اضعافها من التحف الجميلة . لان مالنا كثير . وفضلنا عمّ الكبير والصغير . فتبسم جراح وقبل الارض . ووقف في مقام العرض . وقال والله ياملك الزمان . ونتيجة الدهر والاوان . ما قلّ عندي عطاك . ولست انا ممن يجحد فضلك ونعماك . وانما ما فعلت شي من عظيم الفعال . استحق بهِ هذه الخلع والاموال . لان قتل اسود الدحال . لايخطر لي على بال . ولا اريد بان يشاع عني هذا الخبر . في قبايل ربيعة ومضر . بان جراحًا قتل كلبًا من كلاب البرية . واخذ عليه الجوايز السنية . ولكني لا اخذ الجوايز الجياد . الا بعد قتلي عنتر بن شداد . فلما سمع الاسود هذا الكلام داخله الطرب . وانكشف عنه الهم والكرب . وقال وحق ذمة العرب . وشهر رجب . لئن وفيت بهذا الضمان . قدمتك على ساير الابطال والفرسان . واغمرتك بجزيل الاحسان . ثم تاخر الغلام . بعد ذلك الكلام . وتقدم بعده لقيط بن زراره . بخفة وشطارة وقال يايها الملك المويد . ان هذا الغلام قد ضمن على نفسهِ قتل عنتر

العبد الاسود . الذي قد طغي وتمرد . وانا اضمن الملك اسر
الملك قيس او قتله . مع ساير اخوته واهله . ثم تقدم بعده
ملاعب الاسنة وضمن على نفسه اسر بني زياد . وقتل ابطال
آل قراد . فطاب قلب الاسود بهذا الضمان . وزالت عنه
الهموم والاحزان . ثم انه جد في قطع البراري والتلال . الى ان
وصل الى ارض يقال لها الكلال . وهو مكان واسع . كثير
الغدران والمنابع . فراى فيه خيام ومضارب . وخيل وجنايب .
قال الراوي وكان هولاء الفرسان . من بني عبس وعدنان .
وكان لهم في ذلك المكان . ثلاثة ايام وهم في انتظار عساكر
النعمان . لان قيسا كان قد جد في المسير . مع ابطال بني عبس
المغاوير . حتى وصل الى تلك الارض المزهرة . فالتقى باخا
الحارث الامير قسورة . ومعه الف فارس من اهل الشجاعة
والمقدرة . وكان قد جاء بهذه الفرسان . لمساعدة بني عبس
وعدنان . على قتال عساكر النعمان . فسلموا على بعضهم
البعض . واقاموا ثلاثة ايام في تلك الارض *
قال نجد بن هشام * وفي اليوم الرابع وصل الملك الاسود كما تقدم
الكلام * فركبت فرسان بني عبس الاطايب * ظهور الجنايب
واشهروا البيض الصفاح * وهزوا في ايديهم قطع الرماح وطلبوا
الحرب والكفاح * ففرحت عساكر العراق * بهذا الاتفاق وتقدموا
بهمة وحمية طالبين قتال الطايفة العبسية فعند ذلك صاح الاسود

على من حوله من النقباء والخدام * وامرهم ان يردوا الناس عن ضرب الحسام حتى ينزل في الخيام . ويستقر به المقام . وبعد ذلك يرسل الى الملك قيس رسول . ويسمع منه ما يقول . فامتثلوا الى ذلك المقال * وردوا الفرسان عن الحرب والقتال هذا وقد ضربت السرادقات . ورفعت الازدهارات . وامتلات بالعساكر الاودية والغابات * حتى ضاقت الارض بعد الاتساع * وارتج من ضجيج القوم البقاع * وكثر في عين الجبان العدد * وقل عند الشجاع كثرة المدد * وما استقر بالملك الاسود النزول * حتى انفذ الى الملك قيس رسول . واصحبه بكتاب يتهدد قيسا به بغليظ الخطاب * ويقول له لقد اسأت الادب يا ابن جذيمة * وارتكبت امورا غير مستقيمة . وذلك بخروجك عن طاعة اخي الملك النعمان . سيد قبايل العربان * وخليفة كسرى انوشروان * واحتشادك لعدوه الحارث بن ظالم * الفاتك الغاشم الذي استخف بعظمته ورفعة مقامه . ولم يقدر عواقب ايامه وقد نهاك مرارا فما انتهيت * وما فعلت الاما اشتهيت * فان كنت تريد اصلاح حالك . وسلامة فرسانك وابطالك * سلم لنا الحارث * الخاين الناكث * قبل ان تضحي رجالك ممدودة على وجه التراب * ومنازلكم مساكن للبوم والغراب * وبعد فالسلام على من طاع ووافق * والخيبة على من عصي وشاقق ٥ وكان في اول من التقي بالرسول الامير عنتر * لانه كان في اول العسكر *

فسار به الى عند الملك قيس وسلم عليه . وا وقف الرسول بين يديه . فاعطاهُ الكتاب فاخذه وقراه ولما وقف على حقيقة فحواه . استشاط غضباً . واضطرم فواده لهباً . وقال للرسول ارجع الى مولاك وقل لهُ ان يزيل طمعهُ * لان لابد لنا من هلاكه وهلاك كل من معهُ . وكان عنتر قد ندم على عدم قتلهِ الرسول قبل الوصول . فهم ان يضربهُ بالسيف . ويسقيه كاس الحيف فمنعهُ الملك قيس عن ذلك . واقسم عليهِ بتربة اخيه الامير مالك . فرجع الرسول الى عند الملك الاسود . وحدثهُ بما جرى وتجدد . فزاد بهِ الغيظ والحرد * وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب ان هولا القوم تجبروا . وطغوا وتكبروا . وما بقي في الامر الا مبادرتهم بالطعان . حتى يرون باعينهم الذل والهوان

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح . ركب الملك الاسود بكل فارس مجاح . ورفعت راسهِ الاعلام والبيارق * وسلت من حولهِ السيوف البوارق * وعوَّل ان يصف عساكره ويرتب دساكره . فما امهلتهُ فرسان بني عبس . لانها كانت قد ركبت عند طلوع الشمس . وطلبت الحرب والجلاد وفي اوايلها الحارث بن ظالم وعنتر بن شداد هذا وقد تصايحت ابطال العراق واقلبت بصياحها الافاق واحاطت ببني عبس من ساير الاطراف وتساوت العبيد والاشراف . وحمل لقيط بن زرارة وملاعب الاسنة فى بني عامر . وتلاطمت بعضها البعض العساكر واختلط

Digitized by Google

الاخر بالاول والاول بالاخر . وعملت السيوف البواتر في الضلوع والخواصر . وفتحت ابواب المقابر . وارتفع الغبار من وقع الحوافر وبان الرابح من الخاسر فلله در عنتر بن شداد والحارث بن ظالم وفرسان آل قراد . فانهم فرقوا المواكب والصفوف . والتقوا بصدورهم الاسنة والسيوف . واوردوا اعداهم موارد الحتوف . لان هجماتهم كانت اشد من هجوم الذياب وعنتر فيهم كانه اسد الغاب ولولا كثرة العدد . وتزايد المدد . لما كان بقي احد من عساكر الملك الاسود . وما انتصف النهار حتى حير عنتر بفعاله الابصار وقتل منهم كل ليث مغوار . وبطل كرار . وعاد هو واعمامه وقد اروى من دماهم حسامه . ورجع الحارث واخوه قسورة . بعد ما فتكا في الميسرة . ونزلوا في المضارب والخيام . ورجع الاسود عن معركة الصدام . وهو لا يلتفت على احد من الانام لانهُ ابصر من بني عبس ما يحير العقول . ويعيد النواظر الصحيحة حول ولما استقر بعنتر النزول . تذكر ما جرى لهُ في ذلك اليوم المهول . فانشد يقول

عجبت عبيلة من فتى متبذّل ... عاري الاشاجع شاحب كالمنصل
شعث المعارف ناهجٌ سرباله ... لم يدّهن حولا ولم يترجّل
لا يكتسي الّا الحديد اذا اكتسي ... وكذاك كل مغاور مستبسل
قد طال ما لبس الحديد وانما ... صدا الحديد بجلده لم يغسل
فتضاحكت عجباً وقالت يا فتي ... لاخير فيك كانها لم تحفل

فعجبت منها حين زلت عينها … عن ماجد طلق اليدين شمردل
لا تصرميني يا عبيل وراجعي … في البصيرة نظرة المتأمل
فلرب املح منك دلاً فاعلمي … واقرّ في الدنيا لعين المجتلي
وصلت حبالي بالذي انا اهله … من ودّها وانا رخيّ المطول
يا عبل كم من غمرة باشرتها … بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي
فيها لوامع لو شهدت زهاءها … لسلوت بعد تخضّب وتكحل
اما تريني قد نحلت فمن يكن … غرضاً لاطراف الاسنة ينحل
ولرب ابلج مثل بعلك بادن … ضخم على ظهر الجواد مهبّل
غادرته متوسداً اوصاله … والقوم بين مجرّح ومجدّل
فيهم اخو ثقة يضارب نازلاً … بالمشرفيّ وفارس لم ينزل
ورماحنا تكف النجيع صدورها … وسيوفنا تخلي الرقاب فتختلي
والهام تدرج في الصعيد كانما … تلقي السيوف بها رؤوس الحنظل
ولقد لقيت الموت يوم لقيته … متسربلاً والسيف لم يتسربل
فرايتنا ما بيننا من حاجز … الا المجنّ ونصل ابيض فيصل
ذكر اشقّ به الجماجم في الوغى … واقول لا شلّت يمين الصيقل
ولرب مشعلة وزعت رعالها … بمقلّص نهد المراكل هيكل
سلس المعذّر لاحق اقرابه … متقلب عبثاً بفاس المسحل
وكانّ هاديه اذا استقبلته … جذع اذل وكان غير مذلل
وكان مخرج روحه في وجهه … سربان كانا مولجين لجيال
وكانّ متنيه اذا جردته … ونزعت عنه الجل متنى ايل

وله حوافر موثق تركيبها صم النحور كانها من جندل
وله عسيب في سبيب سابغ مثل الرداء على الفتى المتفضل
سلس العنان الى القتال وعينه قبلاء شاخصة كعين الاحول
وكان مشيته اذا نهنهته بالنكل مشية شارب مستعجل
فعليه اقتحم الوقيعة خايضاً فيه وانقض انقضاض الاجدل

قال مجد بن هشام * ولما نزل الاسود في الخيام . استدعى بالفرسان والابطال . ومن يعتمد عليهم من الرجال . ووبخهم على تقصيرهم في القتال . فقال لقيط ايها الملك لاتضيق صدرك . ولا يشغل فكرك . فليلة غدا تبات اعداك في اسرك . وتنال غاية المراد . من عنتر بن شداد . لان الفرسان . الذين ضمنوا لك اسر ابطال بني عبس وعدنان . لم يبرز احد منهم الى معركة الصدام بل ابقوا انفسهم الى ثاني الايام . حتى يظهروا شجاعتهم امامك . وينالوا خلعك وانعامك . ومن الصواب . ايها الملك المهاب . انك عند الصباح . تنهى القبايل عن الحرب والكفاح . حتى تبرز الفرسان والقواد الذين عليهم الاعتماد . وحينئذٍ ترى منهم ما يسر الفواد . ففرح الاسود وابدا الابتسام . عند سماعه هذا الكلام

قال مجد بن هشام . هذا ما جرى لهولاء واما ما كان من بني عبس الكرام . فانهم لما نزلوا في الخيام افتقدوا القتلا والمجروحين . فوجدوا قد قتل منهم نحو ماية وعشرين . وجرح اوفى من ماية

وسبعين . وكان قد اتاهم الخبر . عن لسان بعض البشر . انهُ قد قتل من عساكر العراق خمسة الاف وكسور . ففرحوا بذلك وعلم الملك قيس انهُ منصور . وقال لمن حولهِ من ابطالهِ واهلهِ قلبي يحدثني باننا نكسر الاعدآ ولو انهم بعدد رمل البيدآ * ولكن بعد ان يقتل منا ابطال وفرسان * لا يخاف مثلهم الزمان لاننا طايفة قليلة . وكل فارس منكم أحبّ اليّ من قبيلة

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضا بنورهِ ولاح ركبت العساكر واصطفت الدساكر . وما انبسطت الشمس على وجه الارض . حتي التقت الصفوف ببعضها البعض . وكان اول من قصد الميدان . وطلب براز الفرسان . جراح بن صايل . فارس بني وايل الذي قتل الاسد . وضمن قتل عنتر للملك الاسود . فصال وجال وطلب براز عنتر الاسد الريبال . وانشد وقال

فخر الشجاع مقالهُ وفعالهُ وثباتهُ يوم اللقا وقتالهُ
والصبر في يوم الطعان فضيلة تبقى لمن شهدت بهِ احوالهُ
والذلّ يذري بالفتى لو انهُ من آل هاشم عمهُ او خالهُ
ما كل من سل الحسام بكفهِ وسعى الى المجد الرفيع ينالهُ
من لم يخض بحر العجاج ويصطلي نار الهياج تقطعت اوصالهُ
فاشفوا فوادي بالبراز وقدموا مني شجاعًا قد دنت اجالهُ
عبد لهُ في كل ارض وقعة مذكورة طول المدى تبقى لهُ
فاليوم امحو رسمهُ بمهنّدٍ قد فرّقت شمل العدى اهوالهُ

Digitized by Google

فبرز اليه عنتر كانهُ الاسد الغضنفر . ونزل عليه نزول القضا والقدر . واجابه على شعره يقول

ياضامنا قتلي وكان مقاله قول الكذوب وغرهُ افعالهُ
فابرز لتلقي عكس ما قد قلته ونرى الذي فينا يصح مقالهُ
فانا الذي خضعت له جن الفلا والاسد تخشى حربهُ وقتالهُ
نلت الفصاحة والشجاعة والعلى وسعود نجمي قد بدا اقبالهُ
ان كنت انت ضمنت قتلي فاوفهِ فالحرّ يوفي بالذي قد قالهُ

ثم انهما تكافحا اشد كفاح . حتى تثلمت في ايديهما البيض الصفاح . وضاقت منهما الصدور بعد الانشراح * وكان قد ارتفع عليهما الغبار . ومضي اكثر النهار . وهما في قتال احرّ من لهيب النار .

قال نجد بن هشام . ولما ابصر ملاعب الاسنة قتال عنتر مع الغلام قصد معركة الطعان . في عشرة من الفرسان . الذين ضمنوا لالاسود قتال بني عبس وعدنان . ولما ابصر الحارث بن ظالم ذلك الامر المنكر . خاف ان يغدروا بعنتر فاطلق العنان . وقوم السنان . وتقدم الى ملاعب الاسنة وقال له ما هذه الفعال التى لم يسبقك اليها احد من الابطال . تريد ان تبرز الى رجل قد خرج الى خصمهِ . من بعد ما ناداه باسمهِ . فقال ملاعب الاسنة والله ان الغدر كله من طباعك . ولولا حاجتك الى بني عبس لما اظهرت شدة حربك وقراعك . على انهم لايسلمون من دواهيك

وغدرك . اذا اصطلح مع النعمان امرك فانك لم تزل تذكر بالقبايح . عند كل غادٍ ورايح . لانك قتلت سيدنا خالد بن جعفر وهو نايم . وقد ظننت انها فضيلة من بعض المكارم . وقتلت ولد النعمان وهو طفل صغير . وعم شرك الكبير والصغير . واما قولك اننا نغدر بعنتر . فهذا امر لا نعرفهُ ولا عندنا للملك قيس ذكر بذكر . وما برزنا الى معركة الطعان . الا حتى نوفي الضمان للملك الاسود اخو النعمان . ونطلب الثار والفخار بطعن الرمح وضرب السيف البتار . حتى نبان منزلة الفارس الكرار . ثم انهُ حدثهُ بحديث الفرسان . الذين ضمنوا على انفسهم ذلك الضمان . فلما سمع الحارث كلامه تبسم وقال لهُ والله يا غشمر . ماهذا الا غاية الجهل . ونقص في العقل ومع ذلك انك لم تذكرني الملك الاسود . ولا ضمنت لهُ راسي دون كل احد . وقد علمت اني عدوه الاكبر . وفي حرم اخيهِ النعمان قتلت سيدكم خالد بن جعفر . فقال ملاعب الاسنة وحق الملك المتعال انك لم تخطر لنا على بال . وما قلنا انك لم تزل باقٍ في ديار بني عبس وتلك الاطلال . لانك قد تعودت على الهرب في روس الجبال والاودية الخوال فقال الحارث لقد صدقت وصوابا نطقت واليوم اريك من فعالي تتحدث بهِ الناس على مدى الايام والليالي ثم انهُ حمل على ملاعب الاسنة . وعلت بينهما الضجة والرنة . وحمل اخوه قسورة على الفرسان العامرية بقوة وحمية

هذا وقد مدت الرماح السمهرية وسلت السيوف المشرفية * وارتفع عليهم الغبار . حتى غابوا عن الابصار . كل هذا وعنتر مع خصمهِ جراح . في اشد صدام وكفاح وما زالا على تلك الحال * الى ان عول النهار على الارتحال . وكان عنتر على خصمهِ قد استطال . فقاتله حتى اتعبه . وطعنه في جنبهِ فاقلبه . وساقه اسيراً وقاده ذليلاً حقيراً . وسلمهُ الى بني قراد . ورجع الى معركة الحرب والجلاد وكان الحارث بن ظالم قد اسر غشم بن مالك وكذلك اخوهُ قسورة قتل ثلاثة ابطال من فرسان المعارك . ولما شاهد الملك الاسود ما حل باصحابهِ غاب عن صوابهِ واراد ان يقتحم بنفسهِ معركة الصدام فمنعتهُ بني لخم وجذام عن ذلك المرام وبرزت الى ساحة الميدان وتبعتها طوايف العربان فالتقتهم بنو عبس وعدنان بقلوب اشد من الصوان وانعقد الغبار الى العنان وارتجت السهول والوديان . من صهيل الخيل وضجيج الفرسان . وعمل السيف والسنان . في صدور الاقران وجرى من الدما طوفان وتمددت القتلى على بساط الصحصحان وما زالوا في اشد ضراب وطعان حتى تفرقد الفرقدان وغابت الثريا وادبر الدبران واظلم الجو ومالت كفة الميزان وانباع المشتري بابخس الاثمان ونطح الثور بقرنيهِ الجدي فقطع منه مواصلة الابدان ولطم المريخ هام الجوزاء فانصدعت بعد ما كانت كالسندان . وسها سهيل على السماك

فضربه بخنجرٍ قان . وانحط مستقى الدلو فهبط بعد ارتفاعهِ على كيوان . وهجم الاسد على الثور فخضع له وطلب الامان . وكان يوماً عظيم الشان . لم يسمع بمثلهِ من قديم الزمان . فيهِ كلت الميدان . وتساقطت الابطال والشجعان . وجاء الحق وذهب البهتان . وافتخر الشجاع على الجبان

قال الراوي وما امسى المسا حتى انكسرت عساكر النعمان . وتفرقت في السهول والكثبان وكان من جملة الماسورين المالك الاسود . وجماعة من الفرسان الذين عليهم المعتمد مثل ملاعب الاسنة واقيط بن زراره * وجراح بن فاضل وغيرهم من الاماري . فوكل الملك قيس بهم جماعة من الرجال . وعند الصباح رحل طالب الاهل والاطلال . واذ قد اقبل عليهم جماعة من العبيد والابطال * الذين كانوا تركوهم لحفظ الحريم والعيال * وهم يندبون * ويبكون ويصيحون * وينادون واذلاه * واحرباه وامصيبتاه * ادركونا يابني عبسٍ بالقنا والقواضب * واكشفوا عنا الاهوال والمصايب * فلما سمع الملك قيس ذلك المقال * خفق فواده واعتراه الانذهال وسال عن حقيقة الحال * فقالوا بعد غيابكم من الاوطان قصدنا حذيفة بالابطال والفرسان * فخاص الرهاين ونهب الاموال * وقتل اربعماية من الاطفال وسبي البنات والنسوان واخذ ما اعز وترك ما هان * فغاب الملك قيس عن الصواب عند سماعهِ هذا الخطاب * فسلم الاسارى الى الحارث بن

Digitized by Google

ظالم * واصحبه بماية فارس من بني عبس القشاعم * وقال له سربهم الى ديارنا • حتي نقصد بني فزارة وناخذ منهم بثارنا • وبعد ذلك ننظر من النعمان ما يتجدد • وندبر على قدر ما نرى في حق اخيه الملك الاسود • ثم انه اوصاه بحفظ الاسارى وسار من وقته الى ديار بني فزارة • وفي صحبته عنتر بن شداد * وفرسان بني عبس الاجواد * وجدوا في قطع البطاح • حتى ادركوا ديار القوم عند الصباح • فالتقاهم حذيفة بالابطال • وانتشب بينهم القتال * فلله در عنتر * وما فعل في ذلك اليوم المنكر • فانه قاتل قتال الحنق • ونثر الرجال نثر الورق وطعن في النحور والحدق • وما اقبلت جيوش الظلام • حتى انحصرت بنو فزارة في الخيام * وحل بهم البوس والانتقام * وبلغت بنو عبس المراد • وشفت منهم غليل الفواد • وخلصت النساء والاولاد • واسرت من بني فزارة اكثر من خمساية اسير • ما منهم الا كل مقدم وامير

قال الراوي ولما اصبح الصباح • واضا بنوره ولاح • سلم قيس الاسارى الى امهات الاولاد • فقتلت كل امراة قاتل ابنها وشفت منه غليل الفواد • وكان فيهن نساء قاسيات القلوب • قد الفن الوقايع والحروب • فشربن دماهم وخضبن الصدور والجيوب • كل هذا يجرى • وحذيفة راكب في اول الجيش يسمع ويرى • ولما ابصرت بنو فزارة تلك الفعال • طلبت الحرب والنزال • فالتقتها بنو عبس بقلوب كالجبال • واشتد بين

الفريقين القتال . وعظمت الاهوال . وجرى الدم وسال . وتقطعت المناكب والاوصال . وقاتل حذيفة قتال من قد استقتل . ومثل ذلك فعل اخوه الامير حمل . واما بنو عبس فانها اختارت الهلاك والعطب . على الهزيمة والهرب . وفعلت افعال سادات العرب . وصبرت للمارات فتال فارسها عنتر البطل الاوحد . وربحت مع قلتها على كثرة ذلك العدد . وما زالوا على مثل ذلك . الى ان ولى النهار الضاحك . واقبل الليل بسواده الحالك . فعند ذلك افترقوا عن بعضهم البعض ونزلت كل طايفة منهم في ناحية من الارض . ثم ان قيساً استدعى باخيه الحارث وضم اليه مائة من الابطال . وارسله مع الحريم والعيال . الى الاطلال . ولما كان الصباح . رجع القوم الى الحرب والكفاح . وما زالوا في اشد قتال وصدام . مدة ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع أُسر حذيفة سيد بني فزارة . ووقع بقومه الفنا والخسارة . واسر اخوه يزيد على يد الهطال . وتفرقت الجموع والابطال . وضجت النسا والعيال . والبنات والاطفال . فبينما هم على تلك الحال . واذا بالصياح قد ارتفع من ناحية خيام بني عبس * وكان صياحاً مزعجاً تنفر منهُ النفس . فعادت الرجال تطلبهُ وتكشف خبره وسببهُ . ولما تتابع الجيش وارتجع . خف عن بني فزارة البلا وارتفع . ولو كان فيهم قوة الى الحرب والصدام . لكانوا رجعوا الى ضرب الحسام . ولما ارتد قيس عن

المحاربه . سال عن ذالك الصياح وماسببه . فتقدم اليه ثلاثة من الابطال * وهم من اصل المايه نفر الذين كان ارسلهم مع الاسود وباقي الاسارى الى الاطلال * وقالوا له اعلم ايها السيد المفضال ان الحارث بن ظالم قد عاد الى المكر والاحتيال وخلص الاسارى من الاسر والاعتقال * واتينا لنعلمك بواقعة الحال ۞ فلما سمع قيس منهم ذلك المقال * التهب فواده بنار الاشتعال وقال لهم وهل هذا الذي جرى عليكم * قبل وصول الظعن والعيال اليكم * فقالوا وحق الاله الدايم الى الابد . ما راينا مما ذكرت احد فتنهد قيس وتلهف . من شدة الاسف . وقال لقد عاد ربحنا الى خسارة وطمعت فينا بني فزارة فقال عنتر وقد قاس الحديث بخبرته وذكاوة فطنته والله ياملك نفسي تحدثني بان السبب الاكبر الذي اوجب الحارث الى ارتكاب هذا الامر المنكر هو ان الاسارى قد قبحوا على الحارث في فعاله . ووبخوه على سو اعماله وعاهدوه انهم يامنوه من الملك النعمان . وياخذوا له منديل الامان * فاطلقهم من الاسر والهوان . واراد ان يسير بهم الينا . ويعين بني فزارة علينا . فالتقى بالحريم والعيال . الذين انفذناهم الى الاطلال . فاخذهم وسار . وقصد بهم العراق وتلك الديار فقال قيس ان كان الامر كما ذكرت يا ابا الابطال . فقد صرنا احدوثة للناس على ممر الايام والليال . لان متى وصلت نسانا الى عند الملك النعمان . ليبيعن كل واحدة منهن في مكان *

والان قد وقعنا بين امرين خطرين * وداَئين قاتلين . لاننا ان تبعنا الحارث ابن ظالم قصدت بنو فزارة اطلالنا . وسبت حريمنا وقتلت اطفالنا * وان نحن اقمنا هاهنا انقلعت اصولنا * وخاب مامولنا . فقال عنتر من الصواب ايها الملك المهاب . ان تقيم في هذا المكان . مع الابطال والفرسان * واسير انا لقتال اوليك الانذال . ولا اعود اليك الاحتي اخلص الحريم والعيال واقود اليك الاسود في السلاسل والاغلال . فضحك قيس لما سمع ذلك المقال . وايقن ببلوغ الامال . وقال له اذا كان الامر على هذا الحال . خذ معك من شيت من الرجال * فقال عنتر وحق الاله المتعال الذي قدر الارزاق والاجال لا سرت خلفهم الا فى عشرة من الابطال . ولو كان في صحبتهم سكان الفلا اوجن الارض السفلى * ثم انهُ اخذ معهُ عروة بن الورد ونازح بن اسيد * وابن اختهِ الهطال وتمام العشرة من ابطال بنى عبس الصناديد * وسار واخوه شيبوب بين يديه * وهو يعض على الحارث كفيه

قال سعيد بن مالك . وكان السبب في ذلك . ان قيساً لما سلم الاسارى الى الحارث بن ظالم . وارسله الى الديار بماية فارس من بني عبس القشاعم * فسار الحارث الى ديار بني عبس . وكان وصوله اليها عند طلوع الشمس * فاقام في تلك الاطلال . ثلاثة ايام مع الليال * وفي اليوم الرابع وجد

Digitized by Google

الاسارى يتشاورون فى الخلاص . من شرك الاقتناص * وكان
لقيط قد نظر الى الحارث الخوان . وهو يجول من مكان الى
مكان . فقال له ما اقل مداراتك بملوك الزمان . فما كانك
خلقت الا من حجر الصوان . يعثر فيك كل انسان . فقال
الحارث وكيف ذلك ايها السيد المنصان . فقال لقيط لانك
قتلت ولد النعمان . وهيجت الفتن في قبايل العربان . وبعد
ذلك الشان . فقد لاح لك وجه الامان . وانت لم تزل مقيم
على العصيان . وقبلت لنفسك العيشة الذميمة . واستجرت
بعبد لا قدر له ولا قيمة . فكانك وجيوش النعمان * قد اقبلت
من كل مكان . وفي هذه الايام يحل بك الانتقام . وتشرب كاس
الحمام . وقد رايت لك من الراي السديد . والفكر الرشيد .
ان تطلق الاسود من الاعتقال . ومن معه من الابطال *
وتطلب منه السماح والغفران . وانا اضمن لك عنده العفو
والامان . وغض النظر عما كان ونكون قد محوت فعالك الاول
بالاخر . وصرت مشكوراً عند عرب البوادي والحواضر * فلما
سمع الحارث هذا المقال . اطلقهم من الاسر والاعتقال .
وانصلحت منهم الاحوال . ثم انهم جدوا في قطع الروابي والتلال
فالتقوا بظعن بني عبس ومعهم الاموال والعيال . الذي كان
ارسلهم الملك قيس مع اخيه الحارث الى الاطلال . فداروا
عليهم من اليمين والشمال . واخذوهم اسارى وقادوهم اذلا

Digitized by Google

حياري . ثم ان الاسود التفت على الحارث بن ظالم الفاتك
الغاشم وقال له سر انت الى ديار بني فزارة مع اخيك وساعدهم
على قتال اعاديك ومتى وصلت الى الحيرة ارسلت لك نجدة
من عند اخي الملك النعمان بعد ما اخذ لك منديل الامان *
فلما سمع الحارث ذلك المقال تغيرت منه الاحوال والتهب
فؤاده بنار الاشتعال وعلم ان القوم خافوه وان هو عاداهم
اهلكوه فدار راس جواده وطلب اهله وبلاده وما زال
مجدًّا في مسيره وسرعة تشميره حتى وصل الى بني فزارة واجتمع
بصهره سنان بن ابي حارثة اصل كل بلية وحادثة وحدثهُ
بما جرى وكان وكيف اخذ الاسود ظعن بني عبس وعدنان
وقصد ارض العراق وعاد هو الى نصرتهم بذلك الاتفاق *
قال الراوي ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح برز الحارث
الى الميدان بغير زيهِ المعلوم وانزل على بني عبس الاتراح
والهموم وقتل جماعة من سادات الرجال واسر الملك قيس
وعشرة من الابطال واحضرهم امام سنان وسادات العشيرة
والاعيان فطلب سنان من قيس الامير حذيفة وباقي الرجال
حتى يطلقهُ من الاسر والاعتقال فاجابهُ قيس الى مقالهِ بعد
ما وبخ الحارث على فعالهِ وقبيح اعمالهِ وقال لهُ قاتلك الله ما
اشنع طبعك فلعن الله اهلك وفرعك لانك لا تفرق بين
القبيح والاحسان ولا ممن يعقل حتى يلومك الانسان فوالله

لقد خسرت في هذه التجارة غاية الخسارة ولابد ما يعم شرك
على بني فزارة فقال الحارث ياقيس وابن للزمان عليّ سلطان
وقد اخذت الامان من الملك النعمان وما بعتكم الأ بابخس الاثمان
حتي اشتريت اوفي منكم قيمة واعظم . وهو الذي خضعت لهيبتهِ
ساير الامم . من العرب والعجم * ثم انهُ بعد ذلك المقال . اطلق
الملك قيس من الاعتقال فسار الى اهلهِ وعشيرتهِ . واطلق حذيفة
مع اخوتهِ . وبعد ذلك التقت بنو فزارة ببني عبس وعدنان
واختلطت بينهم الضراب والطعان . وما تنصف النهار حتى كسر
الحارث جموع بني عبس . وشفى منهم غليل النفس . فهانت على
الملك قيس الحياه . وطلب الموت من شدة مادهاه . فبينما هو
كذلك * وقد اشرف على المهالك . واذا بغبار اسود قد ارتفع
الى عنان السما وانعقد * واقبل مثل البحر اذا ازبد * ثم انكشف
عن عشرة فرسان كانها العقبان على خيول اخف من الغزلان
والكل ينادون عن فرد لسان ياالعبس ياالعدنان وفي اوايلهم
فارس المجد كانهُ الاسد فلماشاهد القتال هجم على بني فزارة هجوم
الليث الغضنفر واندفقت الابطال الذين معهُ اندفاق المطر
وفي دون ساعة تاخرت بنو فزارة . وعاد ربحهم الى خسارة
هذا وقد فرحت ابطال بني عبس . وزال عنها التعس والنكس
والتقى قيس بعنتر احسن ملتقى . ودعي لهُ بطول العمر والبقاء
وتصافحا وتعانقا قال وكان عنتر قد قضى الاشغال . واسر

Digitized by Google

الاسود واعاده الى الاعتقال . وسلمهُ الى الحارث بن زهير ومن معهُ من الرجال وعاد في عاجل الحال . ليكشف عن بني عبس الاثقال ثم ان قيساً حدثهُ بما جرى وكان . من الحارث الخوان وكان الحارث قد تعجب وانبهر . من قدوم عنتر . وايقن بانحطاط المرتبة . والخسارة بعد الغلبة * فما كان لهُ داب . الا انهُ تقدم امام عنتر اسد الغاب . ونادى اهلاً وسهلا با لاسد الكرار والبطل المغوار * وفارس الاقطار . المحسن الى كل من اسا . وحامي الاطفال والنسا . اغفر ذاتي يافارس الفرسان * لاني قد نكثت العهد وخنت الايمان . فوحق خالق الامم اني قد ندمت على مافعلت غاية الندم . والان قد بلغ الامر المنتهى . وعلمت ان اجلي قد انتهى وقد اليت على نفسي يا ابا الابطال . ان لا احاربك قط في مجال . ولوكان غيرك لبذلت معهُ جهدي ودافعت عن نفسي بقوة ساعدي وزندي . الى ان اقع تحت رجلي جوادي * ولا اعيش ذليلا في اسر الاعادي . فهل لك ان تصطنعني يا فارس الصدام . حتى اكون لك عبدا على مدى الايام فقال عنتر ومن عاد يصدقك في مقال . بعد هذه الفعال . فقال الحارث انت تعلم ايها السيد الكريم والبطل العظيم ان سيفي هذا يعادل عندي الاصنام . التي على البيت الحرام . فخذهُ مني واعفو عني . وان انا خنتك بعد هذه المرة . تكون امي زانية غير حرة فحار عنتر من فعالهِ . واستحى من ذلهِ وسوالهِ فغلبت المروة

عليه واغمد سيفهُ وتقدم اليه وقال لهُ سر امامي . فقد اعطيتك ذمامي . فسار الحارث امام عنتر . كانهُ الاسد الغضنفر . هذا والفرسان تنظر وترى . وقد حارت مما قد جرى فعند ذلك صاح حذيفة باعلى صوتهِ وقال . ويلك ياحارث ما هذه الفعال . كانك خشيت من قتال عنتر ابن الانذال . حتى ساقك امامهُ بدون حربٍ ولا نزال

قال فضحك الحارث والتفت نحو عنتر . وقال لهُ واحرباه عليك يافارس البدو والحضر من معيرة العرب اللئام . الذين لا يقدرون عواقب الايام . بقولهم انك ابن امة . واقل فعالك معي هذه المكرمة . فوحق ذمة العرب . وشهر رجب لا سرت في صحبتك ايها السيد المفضال . الا حتى ابيض وجهي معك بقتل حذيفة ابن الانذال . ثم انهُ بعد هذا الكلام . سل سيف في يدهِ الحسام . وضرب عنتر على راسه . قاصدًا قتلهُ واخماد انفاسه . فشقّ الخودة ونزل السيف الى جبهتهِ . فسال دمهُ على وجههِ ولحيتهِ فصاح عنتر من شدة الالم . صيحة الليث الغشمشم . وهجم عليهِ وتقدَّم . ومد اليهِ سنان الرمح المقوَّم . واراد ان يطعنهُ ويقضي عليه . فولى الحارث من بين يديه . وكان النهار قد انقضى والشمس قد اعتزل نورها ومضى . فعاد عنتر الى بني عبس وهو في حالة التعس والنكس . وبات تلك الليلة وهو لا يصدق بالصباح . حتى يخرج الى مقام الحرب والكفاح . ورجع ايضاً

الحارث الى بني فزارة . وبشر حذيفة بتلك البشارة . فقال لهُ حذيفة وحق ذمة العرب وشهر رجب . لقد اشفيت الغليل . وفعلت فعلاً تذكر بهِ جيلاً بعد جيل

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح تواثبت الرجال الى ظهر الخيول . وافتقدت الرماح والنصول وايقنت ببلوغ المامول . وكان اول من برز الى ساحة الميدان . ومقام الحرب والطعان عنترة الفرسان فصال وجال . وطلب برازالابطال . وانشد وقال

نفسوا كربي وداووا عللي　　وابرزوا لي كل ليث بطلِ
واتهلوا من حد سيفي جرعًا　　مرّةً مثل نقيع الحنظلِ
واذا الموت بدا في جحفلٍ　　فدعوني للقاء الجحفلِ
اين من كان لقتلي طالبًا　　رام يسقيني شراب الاجلِ
ابرزوه وانظروا ما يلتقي　　من سناني تحت ظل القسطلِ
قسماً ياعبلَ يا اخت المهى　　بثناياكِ العذاب القبلِ
وبعينيكِ وما قد ضمّنت　　من دواهي سحرها والكحلِ
انني لولا خيالٌ طارقٌ　　منكِ ما ذقت هجوع المقلِ
اترى تنبيكِ ارواح الصبا　　باشتياقي نحو ذاك المنزلِ
فسقى الله ليا ليكِ التي　　سلفت صوب السحاب الهطلِ

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذا الانشاد . تفتتت من بني فزارة الاكباد . وطلب حذيفة الحارث ليستشيرهُ في امر عنتر فلم

يقف لهُ على خبر . فسال عنهُ فقيل انه قد هرب . ومعهُ عشرة فوارس من انذال العرب

قال الراوي وكان الحارث لما غدر بعنتر بن شداد . ولم يبلغ منهُ غاية المراد . ايقن بان عنتر سوف يخرج عند الصباح الى الميدان . ويطلب قتاله بين الشجعان . فيحتاج ان يخرج اليه . ويخاطر بنفسهِ بين يديه . فصبر الى ان اختلط الظلام . ورقد كل مستيقظٍ ونام . فعند ذلك شمر الذيل . وسار في عشرة من ابطالهِ تحت ظلام الليل . بعد ما ساق قطعة جيدة من نوق بني فزارة وجمالها . وقتل جماعة من رجالها وابطالها . وقصد الى نحو مكة واعمالها . ولما بلغ حذيفة الخبر . اخذهُ القلق والضجر . وتنغص عيشهُ وتكدّر . وقال لعن الله الحارث ولا ابقاه . ولا حفظهُ ولا رعاه لانهُ لا يراعي حرمة الرفيق . ولا يحفظ مودة الصديق . وانا اعلم انهُ ما هرب ونفر الا فزعاً من عنتر . لانهُ جرحهُ بالمكر والخداع . وهرب منهُ اليوم عند الحرب والقراع

قال وكان عنتر في انتظار الحارث حتى يبرز اليهِ للقتال . فلما طال عليهِ المطال * اشتد بهِ الحنق . فصاح وزعق . وحمل على بني فزارة وانطبق . كانهُ البلا اذا طرق . وحملت بنو عبس من وراه كانها الغيث اذا اندفق . واصطدمت الرجال بالرجال والابطال بالابطال . ووقع الاتصال بعد الانفصال . وعظمت الاهوال . وكثر القيل والقال . وتمددت القتلى على بساط

Digitized by Google

الرمال وضجت النسا من ضيق المجال ٠ وكان يوماً كثير المخاوف والاهوال * فيه زلزلت الارض زلزالها ٠ واظهرت القيامة اهوالها

قال نجد بن هشام * فبينما القوم في اشد قتال وصدام واذا بغبرة كانها الغمام قد اقبلت عليهم من جوانب البر والاكام فلما راتها الرجال انكفوا عن ضرب الحسام ٠ وتحدثوا بها واكثروا الكلام * وظنوا انهٔ غبار الحارث بن ظالم * الفاتك الغاشم * وقال الملك قيس هذا غبار الحارث الخوان * وما عاد حتى جمع لهُ طايفة من العربان * وبعد ذلك انكشف ذلك الغبار * لاعين النظار * وظهر من تحتهِ عشرة من النجب الحجازية * ومن فوقها رجال مكية ٠ كانهم البدور المضية ٠ وخلفهم عشرة عبيد ابطال صناديد ٠ ولما قربوا من القوم دخلوا بين الصفوف * واشهروا الرماح والسيوف * ونادوا معاشر العربان * اغمدوا سيوف البغي والعدوان ٠ فقد ازعجتم قلوب سادات الحرم ٠ اهل الفضل والكرم ٠ ياويلكم هذا السيد المعظم * والشيخ المكرم عبد المطلب بن هاشم ٠ الذي شاع فضلهُ في الاعارب والاعاجم فامهلوا على بعضكم البعض واسمعوا ما يقول ولا تعصوا لهُ امرا ان كنتم من ذوي العقول ٠ وما زالوا يتهددوهم بالمقال * حتى انكفت الرجال عن القتال ٠ وامسكت ايديها عن الحرب والنزال وبعد ذلك تقدم السيد عبد المطلب بهمةٍ واقتدار ٠ وقد شملتهُ الهيبة والوقار * وصاح بصوتٍ يسمعهُ الاقصى والادنى ٠ وقال

Digitized by Google

الحمد لله رب زمزم ومنا . المستحق الحمد والثنا الذي قهر العباد
بالموت والفنا . وتنزه عن الزوجة والابنا * وتعالى عن الاسما
والكنى * الذي جعل النهار معاشاً والليل سكنا * اشكره شكراً
يليق بحضرته ۞ واشهد على نفسي انني عبده وابن امته . ثم انه بعد
ما حمد الله واثنى عليه . اومى الى الطايفتين بيديه * وقال يا ال
عبس وعدنان * وفزارة وغطفان . لقد كفاكم ماجرى وكان من
الهلاك والقلعان * فتلافوا الان امركم ما دمتم تملكون الارواح *
وانصفوا بعضكم بعضاً لعل فسادكم يعود الى صلاح * ولا تختاروا
الفنا على البقا * ولا تبيعوا اوقات النعيم بالشقا * ومازال عبد
المطلب يصلح فساد القلوب بعذوبة كلامه . حتى ترجلت سادات
القبيلتين ووقعت على اقدامه . وكان اول من قدم عليه *
وتمثل بين يديه حذيفة بن بدر وهو لا يصدق بذلك الامر لانه
كان قد ايقن بالهلاك وسو الارتباك وتقدم بعده الملك قيس وحياه
وقبل يداه . ثم انه دعاهم الصلح فاجابوه * وامتثلوا امره ولم يخالفوه
وحلف قيس وحذيفة الى بعضهما البعض واطلقا من كان
عندهما اسارى في تلك الارض وفرحت بذلك البنات
والنسوان . والاطفال والغلمان وفي دون ساعة احضروا
الطعام وروقوا المدام وجلس عبد المطلب مع مشايخ البيت
الحرام واجتمعت القبيلتين ودارت عليهم الاقداح وتبدلت
احزانهم بافراح واقام عبد المطلب معهم ثلاثة ايام في سرور

Digitized by Google

وغبطة وحبور وكان اكثر حديثه مع حية بطن الواد . الامير عنتر بن شداد . لانه كان يسمع بفصاحتهِ . وقوة باسهِ وشجاعتهِ فلاجل ذلك تقرب منه غاية التقريب . واتخذه اعز من الاخ الحبيب . وكان اذا غاب عنتر . من المحضر . وذكره احد بما لا يليق من الكلام . ينهاه عن ذلك ويلومه غاية الملام . ويقول لهُ لا تغتاب ولا تتحدث فيمن غاب لان اطايب ابن ادم . الشجاعة والكرم والمروة وحسن الشيم * لان العبد الكريم النجيب هو افضل عند الله من الجبان الحسيب النسيب

قال الراوي ثم ان قيسا حلف على عبد المطلب ان يزوره الى دياره . ويطي باقدامه ارضه وامصاره . حتي تنال آل عبس من بركتهِ . وتتشرف بخدمتهِ . فاجابه الى ذلك الامر واخذ معه حذيفة وال بدر . ورحل قيس وهو فرحان . بذلك الشان وارسل اخوته الى الحلة لنحر النوق والفصلان . وما وصلوا الى الحلة الا وقد تقدمت الجفان . وحضر الخمر العتيق . بالطاسات والاباريق . فانغمسوا في بحار الطرب . وماج البر بالضجيج والانقلاب . وراق لهم الوقت وصفا . ونام عنهم صرف الزمان وعفى . ثم ان عبد المطلب سال الملك قيس في اطلاق الملك الاسود اخو النعمان . من الاسر والهوان وقال له من الصواب ان تحل وثاقه . وتطلقه هو وباقي رفاقه . فاذا فعلت ذلك الشان اصطلح امرك مع النعمان لانهُ على كل حال سيد قبايل

المرزبان وخليفة كسرى انوشروان لان الله سبحانه وتعالى
لا يرقي الانسان الى اعلى درجات السعادة ما لم يكن له
بذلك مشيئة وارادة ولو لم تكن في ذلك عناية من رب
السما والارض لما ارتفعت درجات بعضكم على بعض
لان جميع البشر تشبه بعضها بعضاً في
الاشباح والصور غير انه
يوجد بينها تفاوت عظيم
كبعد الشمس
عن القمر

٣

BIBLIOTHECA
REGIA
MONACENSIS

الى هنا انتهى الكتاب السادس والثلاثون
وسياتي تمام الحديث عن هذه الواقعة
في الكتاب الذي
يليه

Digitized by Google

Digitized by Google

<36636250830017

<36636250830017

Bayer. Staatsbibliothek

S

Digitized by Google

A. or. 630 h/2 Antar

Digitized by Google

Digitized by Google